

الدكتورة فرح صابر

رضا شاه بهلوي
التطورات السياسية في ايران
١٩١٨ - ١٩٣٩



مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية

الدكتورة فرح صابر

رضا شاه بهلوي
التطورات السياسية في ايران
١٩١٨-١٩٣٩



مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية
Kurdistan Center for Strategic Studies

مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية

مؤسسة ثقافية تأسست في عام ١٩٩٢ تعنى بالدراسات العلمية في مجالات الامن القومي والسياسة الدولية والاقتصاد والقضايا الاستراتيجية ولا تهدف الى تحقيق مكاسب تجارية.

كل الدراسات التي تصدر عن المركز تعبر عن آراء اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز.

Fered1956@yahoo.com

- الدكتورة فرح صابر
- رضا شاه بهلوي
  التطورات السياسية في ايران
- منشورات مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية
- السليمانية ٢٠١٣
- رقم الايداع في مديرية المكتبات العامة: (١٠٢٨) لسنة ٢٠١٣
- رقم الايداع في مكتبة المركز: ٢/١١٢/١٣

مقدمة

تكتسب دراسة تاريخ ايران الحديث والمعاصر اهمية خاصة لكونه يدرس احدى الاقطار المهمة المجاورة للجناح الشرقي للعالم العربي، ولكون ايران احدى الحلقات الاساسية والمهمة في منطقة حساسة وملتهبة في عالمنا الحديث حيث تتعدد التيارات المتصارعة والاتجاهات المتناقضة ولايخفى ان ايران على مر تاريخها كانت تؤلف احدى الحلقات المهمة في هذا الصراع، وكانت دوما ملمح انظار الدول الكبرى التي كانت تتطلع باهتمام لايجاد موطيء قدم لها في هذا البلد الحساس بموقعه والمهم بموارده.

ولا ريب ان مكتباتنا تعاني من نقص مدقع في الدراسات الايرانية المتخصصة التي تعالج مختلف مراحل التأريخ الايراني بروح من الموضوعية والعلمية وبعيدا عن التعصب والانفعال. وعلى النقيض من ذلك نجد ان هناك مراكز علمية ومؤسسات اكاديمية رفيعة المستوى، في الدول المتقدمة، لم تبق شاردة او واردة من تأريخ ايران دون ان توليها جانبا كبيرا من اهتمامها عن طريق الدراسة والتمحيص. بيد ان مما يبشر بالخير ان بعض مؤسساتنا الاكاديمية بدأت تولي تأريخ ايران جانبا كبيرا واساسيا من اهتماماتها، لاسيما كلية الاداب في جامعة بغداد ومركز دراسات الخليج العربي ومركز الدراسات العليا في جامعة البصرة. كما ان اتجاه الباحثين، لاسيما من طلبة الدراسات العليا في السنوات الاخيرة للكتابة عن بعض جوانب تاريخ ايران ساعده الى حد ما، في سد بعض الثغرات في هذا الجانب.

وتدخل دراسة التطورات الداخلية في ايران بين الحربين العالميتين، وهو الاطار التاريخي لدراستنا الاكاديمية، ضمن احدى الحلقات المهمة في دراسة تاريخ ايران

المعاصر، لانها تتناول فترة حرجة من اهم فترات ايـران المعاصـرة حفلـت بتحـولات مـهمة امتدت اثارها لمراحل لاحقة.

تتألف الدراسة من مقدمة واربعة فصول وخاتمة. يتنـاول الفصـل الاول دراسـة التحولات الاقتصـادية والاجتماعيـة الـتي شـهدها المجتمـع الايرانـي في العقـود الاخيرة من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، والاثار التي تمخضت عن تصارع القوى الدولية على ايران، والمستجدات التي افرزتها الحرب العالميـة الاولى على الوضع الداخلي، لاسيما السياسي منها، في ايران، علاوة على الارهاصـات الثورية التي اشتد اوارها خـلال هـذه الفـترة ومـا نجـم عنهـا مـن تهديـد للوجـود البريطاني. هذه العوامـل كلها مـهدت لسـقوط الاسـرة القاجاريـة وتأسـيس الاسـرة البهلوية.

اما الفصل الثاني فيتطرق الى الوضع الـداخلي خـلال الفـترة ١٩٢١-١٩٢٥، وهي فترة طافحة باحداث ومـتغيرات شـتى، مركـزا علـى انقـلاب ١٩٢١ كحـدث تاريخي خطير، يعتبر الاول من نوعه في ايران ومنطقة الشرق الاوسط. والـدور غـير المباشر الذي لعبه الانكليز في مجيء رضا خان الى الحكم بعد ان ادركوا ان وجودهم في ايران بات مهددا بشكل خطير، وبأنه الشخصية المؤهلة اكثر من غيرهـا لرعايـة المصالح البريطانية في ايران باقامة نظام دكتاتوري يفرض بواسطته سـيطرته القويـة على البلاد. وفيه ايضا استعراض لمناورات رضا خان مع القوى المحلية والدولية، التي انتهت بتربعه على العرش الايراني.

انصبت جهود الشاه بعـد ان عـزز مـن موقعـه في الحكـم علـى تحقيـق سلسـلة اصلاحات شملت كافة الميادين، مستهدفا خلق دولـة عصـرية موحـدة وسـاعيا، في الوقت نفسه الى فرص هيمنته المطلقة في كافـة المجـالات عـن طريـق شـل الحيـاة البرلمانية ومحاربة القوى والعناصر الديمقراطية. كـذلك تركـزت جهـود الشـاه خـلال هـذه الفـترة حـول معالجـة الوضـع الاقتصـادي المـتردي لـبلاده في سـنوات الازمـة الاقتصادية العالمية، والنتائج التي تمخضت عنها، ومـا تركته من اثـار في الواقـع الاقتصادي والاجتماعي لايران. فكانت هذه المواضيع المحور الاساس الذي تناوله الفصل الثالث.

ويعالج الفصل الرابع والاخير من الدراسة جهود رضا شاه لتطوير بلاده، بعد انتهاء الازمة الاقتصادية العالمية. وكذلك دراسة اسباب الركود الملحوظ الذي شمل المجالات كافة اثر نمو النزعة الدكتاتورية للنظام، وانعزال الشاه عن جماهير شعبه، وهي امور ساهمت، مع اخرى غيرها، كان للقوى الخارجية دور غير قليل فيها، الى سقوطه عن العرش.

لعل من ابرز الصعوبات التي تجابه الباحث هي ندرة الدراسات العربية في هذا المجال. والقليل المتوفر منها يغلب عليه طابع السرد والاسلوب الصحفي، علاوة على كثرة الاخطاء التاريخية التي تتضمنها، هذا اذا استثنينا بعض الرسائل الجامعية التي نوقشت في السنوات الاخيرة، التي تخص التاريخ الايراني، وكتابات بعض المتخصصين في هذا المجال، لاسيما بحوث وكتب الاستاذ الدكتور كمال مظهر احد، التي تفتح افاقا واسعة امام الباحثين، لاسيما ممن كان يخوض غمار الكتابة في موضوع صعب وشائك كدراسة التاريخ الايراني الذي لا يزال جديدا على باحثينا.

ومن الصعوبات الاخرى التي تواجه الباحث هي صعوبة الحصول على العديد من المصادر العلمية التي تؤلف مصادر اصلية بالنسبة للفترة المبحوثة، خاصة المصادر الفارسية منها، اذ لا يتسنى للباحث الاطلاع على العديد منها لجملة اسباب. وينطبق الشيء نفسه على ملفات المركز الوطني للوثائق.

على الرغم من ان العديد من مواضيع الرسالة قد تم تناولها من قبل العديد من المؤلفين الغربيين، بيد انه لم يتسن لي العثور على دراسة تخص موضوع الرسالة ضمن اطار زمني مستقل، الامر الذي شجع الباحثة على معالجة هذا الموضوع.

تشكل الوثائق البريطانية، وبعضها غير منشور ويستخدم لاول مرة في دراسة اكاديمية داخل القطر، مصدرا مهما في معالجة جوانب اساسية في هذه الدراسة. وهي وثائق تخص المراسلات الخاصة بوزارة الخارجية البريطانية ووثائق وزارة الهند، لاسيما التقريران المعنونان بـ"الموقف السياسي في ايران" "The Political Situation in Persia" و "مستقبل ايران" "The Future of Persia" . ويلقي التقرير الاول، الضوء على جوانب من سياسة بريطانيا في ايران حتى عام ١٩٢٣،

تلك السياسة التي حملت الايرانيين على معاداتها. كذلك يشير التقرير الى ارتباطات رضا خان بالانكليز، واعتبارهم له اكثر الشخصيات المؤهلة لاجراء التغيير المطلوب في ايران بما يضمن المصالح البريطانية. اما التقرير الثاني فيتطرق الى اوضاع ايران السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال السنوات الاولى للقرن العشرين، مرورا بالحرب العالمية الاولى وماتركته من اثر على مختلف الاوضاع في ايران. ويتحدث ايضا بنوع من الاسهاب عن الظروف التي رافقت مجيء رضا خان الى الحكم. واتجاهات السياسة البريطانية في ايران في حالة استمرار رضا شاه في الحكم. كذلك ساهمت الوثائق البريطانية المنشورة بدور اساسي في معالجة العديد من جوانب البحث لما ورد فيها من معلومات مهمة تخص فترة الدراسة.

احتلت الوثائق الالمانية والامريكية حيزا مهما في الدراسة لاحتوائها على معلومات دقيقة ومهمة عن الاوضاع الداخلية في ايران ابان تلك الفترة.

تؤلف وثائق المركز الوطني للوثائق، والعديد منها لايزال غير مستخدم في اية دراسة اكاديمية داخل القطر، مصدرا مهما واصيلا لكل من يحاول دراسة تاريخ ايران المعاصر، فان تقارير الدبلوماسيين العراقيين في طهران والعديد من المدن الايرانية الاخرى حوت سيلا وافر من المعلومات القيمة التي تناولت الكثير من القضايا الداخلية المهمة.

كذلك الفت الصحف العراقية الصادرة انذاك مصدرا مهما في معالجة جوانب معينة من الرسالة بحكم الاهتمام الكبير الذي اولته الصحافة العراقية للاحداث الايرانية. وتكمن اهمية المعلومات الواردة فيها بكونها اعتمدت، والى حد كبير، على المعلومات التي اوردتها الصحف الانكليزية التي تابعت الاحداث الايرانية بالتفصيل. علاوة على ذلك ساهمت السدوريات العربية والاجنبية في توضيح بعض جوانب البحث، ولاسيما مجلة "Iranian Studies" الامريكية المتخصصة بالدراسات الايرانية، والتي يشرف عليها اساتذة متخصصون.

تؤلف المصادر الاجنبية، لاسيما المكتوبة بالانكليزية، مصدرا لا غنى عنه لاي باحث يتصدى لدراسة التاريخ الايراني، ورغم ان بعض هذه المصادر تمثل وجهات نظر احادية تركز على جانب معين وتهمل جوانب اخرى، وان بعضهما يعكس وجهات نظر الدول التي يمثلها كتابها، الا انها تبقى مصادر اساسية

ومهمة للباحث. وقد حاولت جهد الامكان في المصادر الانكليزية المعربة مطابقتها مع نصوصها الاصلية والاشارة الى صفحاتها في النسخة الاصلية. ومن المؤلفات التي اعتمدت عليها الباحثة بدرجة رئيسية كتاب اروند ابراهيميان الوثائقي، وكتابي دونالد ولبر، وكتب جورج لنشوفسكي، حسن ارفع، بيتر افرى، امين بناني، نيكي كيدي، ريتشارد كوتام، همايون كاتوزيان وجون مارلو. وكذلك اعتمد البحث على مؤلفات[1] المؤرخين الروس المتخصصين، ومنهم المؤرخ الروسي المتخصص بالدراسات الايرانية البروفيسور سيمون. ل. اكاييف، و م. س. ايفانوف اللذين عالجا في كتبهما جوانب اساسية ضمن فترة البحث.

وتعتبر المؤلفات الفارسية مصادر اصلية ومهمة في معالجة جوانب اساسية من البحث. وقد اعتمدت الباحثة على عدد لا بأس به من مؤلفات الكتاب الايرانيين، معظمها متوفر في مكتبة مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة. وتأتي مؤلفات ملك الشعراء بهار وجهانكير قائم قامي ولاسيما حسين مكي في مقدمة ما اعتمدت عليه الباحثة من مراجع بهذا الخصوص. وساهمت مذكرات مؤسس الاسرة البهلوية، ووريثه على العرش محمد رضا بهلوى في تسليط الضوء على عدد من النقاط المهمة التي تخص فترة البحث.

كما استفاد البحث من المعلومات الواردة في بعض المصادر العربية والمعربة والرسائل الجامعية. علاوة على مؤلفات اخرى بلغات متعددة.

---

[1] تفضل الاستاذ الدكتور عبدالجهاد قادر غفور، مشكورا بترجمتها لي مع عدد من المراجع الروسية الاخرى.

الفصل الاول

لمحة عن تاريخ ايران اواخر العهد القاجاري

الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية
في ايران اواخر العهد القاجاري

شهدت ايران منذ القرن التاسع عشر، ولا سيما في النصف الثاني منه، تغييرات عميقة على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي سرعان ماتركت اثارها على الواقع الايراني في جملة من التحولات الكمية والنوعية المتباينة لارتباطها بالسوق الرأسمالية العالمية، شأنها في ذلك شأن البلدان الاخرى المرتبطة بتلك السوق.

فكان من الطبيعي ان تشهد تلك البلاد تغييرا في نمط العلاقات الانتاجية السائدة، وتمثل ذلك في تحول اقتصادها، وان كان ذلك قد تم بصورة تدريجية وبطيئة، عن النمط الاقطاعي للانتاج، فبدأ الاقتصاد الريفي الطبيعي يتحول الى سلعي وازداد الطلب على السلع الزراعية وفي ظل نظام الانتاج الاقطاعي توسعت العلاقات النقدية واصبح لها دورها الفعال في العلاقات الانتاجية الجديدة [1]. وتمخض عن ذلك ان غدت الارض الزراعية "الثمرة الشهية والمغرية" التي يسعى الجميع لاقتطافها، في مجتمع كانت الزراعة فيه تمثل المصدر الاساسي للدخل الوطني وتعطي ٤/٥ الانتاج الاجمالي[2]. الامر الذي عجل في عملية انحلال العلاقات الاقطاعية والمظاهر المشاعية التي اخذت تختفي بسرعة حتى في اكثر

---

[1] Iran. Ochirk noveyshey historri, "Moscow, 1971, P.21.

[2] للتفصيل عن هذا الموضوع راجع:
S.L.Ageav, Iran: Vneshnaya Political Problemi nizavisimosti 1925-1941, Moscow, 1971, p.7;Nikki R.Keddie, The Economic history of Iran, 1800-1941 and its Political impact: An over view, Iraninan studies, volume V, numbers 2-3, 1972; Nikki R.keddie, Towards Asocial and Economic history of eighteenth-century Iran, Iranian Studies, Volume VI, numbers 2-3, 1973.

ارجاء البلاد انزواء. وغدا تهافت كبار التجار والموظفين وكبار رجال الدين على شراء الاراضي امرا طبيعيا جدا[٣].

فعلى سبيل المثال حتى العشرينات من القرن التاسع عشر انتقلت ملكية ٩٠٪ من الاراضي الزراعية في ايران الى حوزة الفئات الاخيرة، هذا اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان ٥٠٪ من الاراضي المستغلة الخاصة كانت ملكا خاصا للملاكين الكبار الذين كانوا يملكون ضياعا تتجاوز مساحتها (١٠٠) هكتار[٤]. فعلى سبيل المثال كان اتابك اعظم يملك (١٥٠٠) قرية تدر عليه دخلا سنويا يربو على مليوني تومان[٥].

وفي الوقت نفسه فان البرجوازية التجارية، التي بدأت بالتكون في رحم المجتمع الاقطاعي نتيجة لارتباط ايران بالسوق العالمية، قد بدأت هي الاخرى تدخل في حقل حيازة تملك الارض الزراعية، ففي كيلان مثلا، كان هناك بين ١٤-٢٧٪ من كبار التجار هم ملاكون في الوقت نفسه. وفي اذربيجان بلغت النسبة ٢٠٪ وفي استراباد ٤٤٪، اي انهم الى جانب مهنتهم الاساسية، كتجار، دخلوا مجال حيازة الارض الزراعية[٦].

وبحكم التحولات نفسها، فان رؤساء العشائر والقبائل الذين كانوا، ايضا، ملاكين يستحوذون على اراض زراعية شاسعة، غدا الكثير منهم وخاصة في الاقاليم القريبة من المدن، اي المراكز التجارية، خلال عشرينيات القرن التاسع عشر، مزودين السوق بالمنتجات.

فمثلا كانت اكثر التجمعات القبلية في مازندران وكردستان وخراسان ترتبط بعلاقات دائمية مع السوق بعد ان كانت مكتفية ذاتيا، وتشكل من حيث الامر الواقع اقاليم مستقلة بعضها عن بعضها الاخر. وتتحكم بها المراكز المحلية التي

---

[٣] الدكتور كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، من تاريخ تأسيس الاسرة البهلوية والخيوط الاولى لسياسة الاستعمار الجديد في الشرق الاوسط "آفاق عربية"، السنة الثامنة، العدد-٣، بغداد، تشرين الثاني ١٩٨٢، ص ٣٦.

[4] "Iran. Ochirk noveyshey historii" P.22.

[5] M.S. Ivanov, Ochirk history Irana, Moscow, 1952, P.192.

[6] "Iran. Ochirk noveyshey historii", P.22.

كانت تدار من قبل الخانات القبليين والاقطاعيين وافراد من العائلة المالكة الذين كانوا شبه مستقلين تقريبا[7]. وهذا يعني ان هذه التجمعات القبلية التي ظلت رعوية بالدرجة الاولى بدأت تندمج شيئا فشيئا بالاقتصاد النقدي وانعكس هذا الامر على نمو صناعة السجاد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لذلك كان من الطبيعي ان تتركز المراكز الرئيسية لتصدير هذه السلعة في مناطق قريبة الصلة من مربي الاغنام والماعز القبليين كشيراز، حيث يقطن القاشقائيون، واصفهان حيث يتمركز البختياريون، اضافة الى تبريز ومشهد حيث يسكن التركمان والبلوش. وكانت تقام اسواق دورية في هذه المراكز، حيث تجلب هذه القبائل معها قطعان الماشية والمنتجات الحيوانية والسجاد وغير هذا من الصناعات الحرفية، في حين كان تجار المدن يعرضون في هذه الاسواق سلعهم من الشاي والسكر والاقمشة وغير ذلك ولكن هذه العملية، ونتيجة لخصوصيات الاقتصاد الرعوي وشبه الرحلي، والنظام الاجتماعي السائد بين القبائل، ظلت احادية الجانب[8].

ولم تكن عمليات المبادلة تتم مباشرة بين الطرفين، بل كان يتدخل فيها فريق كبير من الوسطاء الذين كانوا يشكلون طرفا ثالثا في هذا المجال[9].

ومن الجدير بالذكر ان عملية ربط ايران بالاقتصاد العالمي وتطور العلاقات الرأسمالية تبعها انحلال التكوينات الاجتماعية والاقتصادية البدوية وشبه البدوية. فعلى سبيل المثال كانت نسبة القبائل الرحل او البدو في منتصف القرن التاسع عشر تبلغ ٢٥٪ من مجموع السكان، فيما انخفضت هذه النسبة الى الربع في العام ١٩١٤[10].

---

[7] Leonard M.Helfgot, The structural foundations of the national minority problem in revolutionary Iran, "Iranian studies", Vol.XIII, Nos.1-4, 1980, P.197.

[8] "Iran. Ochirk noveyshey historii", P.24. Ibid, PP.24-25; L.M. Helfgot, The Structural.

[9] Foundations…, "Iranian studies,"Vol. XIII, Nos. 1-4, 1980, P.200.

[10] L.M. Helfgot, The Structural foundations…, "Iranian Studies", Vol. XIII, Nos. 1-4, 1980, P.201; Charles Issawi, The Economic history of Iran 1300-1914, Chicago, 1977, P.20.

ومن المفيد ان نذكر انه على الرغم من هذا النمو في الانتاج الزراعي والمبالغ الكبيرة التي استثمرها الاقطاعيون وكبار التجار في هذا المجال، والتي كانت تؤدي الى الاسراع في وسم الطابع التقليدي للريف بميسم النظام الرأسمالي، فقد ظلت عمليات الانتاج متخلفة. وظلت المنتجات الزراعية، بالدرجة الاولى، للاستهلاك المحلي، ولا سيما القمح عدا المحاصيل التي كان مجال بيعها اوسع[11].

وبقى الاستغلال يمارس ضد الفلاحين بابشع اشكاله. اما وسائل الانتاج القديمة فقد بقيت على ما كانت عليه، تساير العلاقات القروسطية التي كانت سائدة في الريف الايراني. ولم يحاول المستثمرون ادخال الالات واساليب الزراعة الحديثة[12].

وبحكم تحول الاقتصاد الايراني نحو الارتباط التدريجي بالسوق الرأسمالية، والاتجاه نحو دمج الاقتصاديات الاقليمية الكثيرة في اقتصاد واحد، فقد شهدت الزراعة الايرانية تحولا عميقا سواء من حيث عدد المشتغلين بها او من حيث الطلب على السلع الزراعية. فحتى عام ١٩٠٦ كان عدد العاملين في هذا المجال يقرب من نحو ٩٠٪. علاوة على ذلك زاد الطلب على السلع الزراعية التي كانت تصدر للاسواق الخارجية، ولا سيما الروسية، التي كانت المستورد الرئيسي لتلك المنتجات فمثلا في الاعوام ١٩١٤/٩١٣ بلغت حصة روسيا من الصادرات الايرانية نحو ٥٥٪ شكلت المنتجات الزراعية فيها حوالي ٦٦٪[13].

ومن الجدير بالذكر ان التطور الزراعي الذي شهدته ايران في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر، والاولى من القرن العشرين، في مجال التحول نحو الاقتصاد شبه الرأسمالي قد جرى في ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد. حيث شهدت البلاد كثيرا من الازمات السياسية، والتي غالبا ما كانت تتحول الى صدامات مسلحة تقود الى تدمير القرى، واتلاف المزروعات وموت الحيوانات[14].

وعلى اية حال فثمة اربعة اشكال لملكية الارض تدعمت في ايران في القرن التاسع عشر واستمرت حتى الى ما بعد منتصف القرن العشرين وهي:

---

[11] Hossein Amir Sadeghi, Twentieth-Century Iran, London, 1979, P. 1.

[12] “Iran. Ochirk noveyshey historii”, PP, 24-25.

[13] Ibid, PP.14-20.

[14] Ibid, P.20.

١-اراضي التاج والتي كانت تسمى بالخالصة او الديوانية.

٢-الضياع الاقطاعية التي كانت بحوزة شيوخ القبائل، الذين كانوا مطالبين مقابل ذلك بتجهيز الجنود واحيانا جباية الضرائب.

٣-الاراضي التي تعود الى المؤسسة الدينية والتي تعرف باراضي الوقف.

٤-الاراضي المملوكة لافراد اغنياء غالبيتهم يعيش في المدن ولكنها (الاراضي) تزرع من قبل الفلاحين[١٥].

وقد اخذت الفئة الاخيرة، من ملاك الاراضي، تزداد ثراء بمرور الزمن نتيجة التركيز المتزايد للقوة الاقتصادية في ايديهم[١٦]، ولاسيما بعد اندماج ايران بالسوق الراسمالية، اذ اخذ هؤلاء يستثمرون جزء من اموالهم في المشاريع الصناعية التي بدأت تبرز للوجود انذاك في المدن، اي انهم تحولوا الى اساليب جديدة في الاستغلال بعد اندماجهم بالسوق العالمية[١٧]. وفي الوقت نفسه وسعوا من استثماراتهم في الارض الزراعية[١٨] مما نجم عنه تفاقم استغلال الفلاحين في الاراضي التي يمتلكونها، خاصة وانهم كانوا يعهدون بتلك الاراضي الى ملتزمين لم يتورعوا عن اتباع شتى الوسائل والاساليب لجمع اكبر ما يمكن جمعه من الضرائب من الفلاحين، الذين كانت حالتهم تنحدر نحو الحضيض يوما بعد اخر. فاصبح الفلاح الايراني، والحال هذه، نموذجا امثل للفقر والجهال والمرض. فنظام ملكية الارض، الواسعة النطاق، وعلاقة الاقطاع بالفلاحين استمرت في الوجود وظلت الاقطاعية الشكل الرئيسي للانتاج[١٩]. وانعكس هذا في انخفاض مستوى الانتاج الزراعي

---

[١٥] زى. هرشلاغ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط، ترجمة مصطفى الحسيني، بيروت، ١٩٧٣، ص٩٨،

Hassan Arfa, Land Reform in Iran, "Royal Central Asian Journal", Vol. I, Part 3, London, April 3,1963, P.132.

[16] N.R.Keddie, The Economic history of Iran, P.67.

١٧ حميد صفرى، النفط يستعبد ايران، ترجمة عبدالرزاق الصافي، بغداد ١٩٦٤، ص١٠.

[18] N.R.Keddie, The Economic history of Iran, P.67

[١٩] مقتبس من :

Bizhan jazani, Capitalism and Revolution in Iran, London, 1980, P.14.

وعدم تطور قوى الانتاج في القرية والاستغلال شبه الاقطاعي للفلاحين[20]. ويصف شاهد عيان بريطاني وضع الفلاح في ايران في اواخر العهد القاجاري بالقول:

"ان الاقطاعيين لديهم جيش مستقل لجمع الايجارات والفلاحين كانوا عبيدا للارض، وفي القرى كانت هناك جماعة من الطفيليين الذين يمتصون الفلاحين الفقراء"[21].

ومن الدقة بمكان القول ان الفلاح الايراني ظل على الدوام (نموذجا) للتبعية السياسية والفكرية، وهذا مايفسر لنا، سبب هدوء الريف النسبي قياسا الى المدن التي كانت منطلقا لاغلب الثورات او حركات العصيان، فهي كانت فئة قائمة بذاتها وليست لذاتها[22]. وغالبا ما كانت تسير من قبل القيادات الاقطاعية والعشائرية ورجال الدين، وتؤثر فيها القضايا الدينية بصورة محسوسة. ونادرا ما كانت تملك من زمام امرها شيئا. لهذا كثيرا ما اتخذت حركاتهم طابعا عفويا، لم تكن بمستوى الاحداث التي كان يفرزها الواقع الايراني. والجدير بالذكر ان اغلبهم كانوا يسكنون قرى يملكها اقطاعيون او تملكها المؤسسة الدينية او العرش، فكان الفلاح، والحال هذه، يتمثل فيه ولاء غامض لكيان ابوى صوفي متمثلا بالشاه. ولما كان الشاه معتمدا الى حد كبير على تاييد الاقطاعيين، الذين شكلوا (النخبة) في البنية الفوقية لنظام القاجار الاقطاعي[23]، من جهة، واستغلوا الفلاح كاداة لتقديم الوسائل الاقتصادية، التي عن طريقها يحصلون

---

[20] S.L.Agaev, OP. Cit., P.7.

[21] N.R.Keddie, Roots of Revolution, London, 1981, P,86.

[22] اي انها تكون في بداية تكوينها، وليست لها ملامح او خصائص محددة، ولا تعرف دورها في عملية الانتاج. وتفتقر الى اهداف وبرامج واضحة ومحددة تقود للنضال في سبيل تحقيق ذاتها، وعندما تمتلك تلك الخصائص وتعي دورها في عملية الانتاج وتحدد السبيل الامثل لتحقيق ذاتها، تتحول حينذاك الى (طبقة لذاتها).

[23] على الرغم من الخلافات التي كانت تطفو على السطح بين آونة واخرى، دون ان تصل حد التناقض الفعلي، بين ملاك الاراضي والسلطة القاجارية الحاكمة، الا ان الفئة الاولى ظلت، على الدوام، تمثل الحليف الطبيعي للثانية، بل ان كوتام اعتبر ان الارستقراطية الايرانية والتي يشكل ملاكو الاراضي جزء اساسيا منها، كانت "تقترن بنظريتها الروسية اكثر مما هو عليه الحال مع ايران". لمزيد من التفاصيل انظر :

R.W.Cottam, Nationalism in Iran, U.S.A., 1964, PP. 64-65.

على مكاسبهم الاجتماعية والسياسية، ويدعمون مواقعهم في السلطة، من جهة اخرى، كان من الطبيعي جدا، وكما يؤكد كتاب عديدون، ان الفلاح اصبح جزء من الاسناد الذي يقدم الى الهيئة الحاكمة المتمثلة بالشاه ومن يدعمونه[٢٤] دون وعي منه للدور الذي يقوم به ولكن هذا لا يعني ان الفلاح لم يكن يتململ من وضعه احيانا ويشارك في النشاط السياسي الذي تشهده الساحة الايرانية. ففي الوقت الذي اصبح فيه الاقطاع عقبة رئيسية امام التطور، وشدد الاقطاعيون من استغلالهم للفلاحين نجد الفئة الاخيرة تنتقل الى الخندق المضاد لمستغليها. فعلى سبيل المثال شارك (٣٠) الف فلاح من مناطق خوى وماكو[٢٥]، بشكل فعال في الثورة الدستورية[٢٦]. كذلك شاركت فئة واسعة من الفلاحين في القوة التي تحركت من اصفهان نحو طهران والتي قادها رؤساء عشائر البختياري ضد جبروت واستبداد محمد علي شاه، ولكن هذه المساندة كان يعوزها وعي حقيقي لطبيعة ودوافع هذا التحرك[٢٧]، فقد اتت مشاركتهم تلك تخلصا من اعباء النظام الضريبي المقوت الذي اثقل كاهلهم[٢٨].

ولم يكن من قبيل الصدفة ان التحركات الفلاحية خلال سنوات الاضطرابات العنيفة ١٩٠٦-١٩١٣ والتي شهدتها العديد من المناطق الايرانية، وانحصرت في نطاق محدود جدا. ففي "رشت" رفض الفلاحون دفع الضرائب واعتصموا في جامع

---

24 Ibid, PP. 34, 36.

[٢٥] يأخذ العديد من المؤرخين على الفلاحين دورهم غير الفعال في الثورة الدستورية، قياسا الى الفئات الاخرى كالتجار والحرفيين والمثقفين. والحقيقة ان هذا الامر يمكن تفسيره بكون الثورة الدستورية كانت ثورة مدينية، لهذا ليس مستغربا ان يكون دور الفئات الاخيرة واضحا فيها اكثر من الفلاحين.

[٢٦] د. كمال مظهر، كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى، ترجمة محمد الملا عبدالكريم، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٢٠.

[٢٧] لذا لم يكن مستغربا ان يحصل رضا خان (رضا شاه) فيما بعد على دعم قطاع فلاحي واسع ابان العشرينيات عندما تمكن خلال حملاته المتكررة من وضع حد للغزوات القبلية وقطاع الطرق. انظر:
R.Cottam, OP. Cit., P.34.

28 Ibid.

المدينة، وفي طالش اقدم الفلاحون على مهاجمة منزل حاكم المدينة في حين استولى اخرون على بلدة يزد[٢٩].

واحيانا كان دور الفلاحين يتخذ اشكالا مختلفة واكثر فعالية كالامتناع عن دفع الضرائب وحصة المالك، والاستيلاء على مخازن حبوب الاقطاعيين، لاسيما في المناطق الشمالية التي كانت بحكم عوامل عديدة اكثر تطورا من المناطق الاخرى في البلاد. وقد ظهر ذلك جليا في انتفاضة كيلان عام ١٩٢٠ حيث كان دور الفلاحين فيها واضحا بصورة ملموسة[٣٠]. كذلك امتنع الفلاحون عن القيام باعمال السخرة ودفع الضرائب والاتاوات للاقطاعيين اثناء انتفاضة محمد تقي خان في خراسان عام ١٩٢١[٣١].

لقد كان الطريق امام الفلاحين مفتوحا ليلعبوا دورا اكثر فاعلية، لكنهم اخفقوا في ذلك لقصور الرؤية السياسة وقلة الوعي بطبيعة المرحلة، كما كانت تعوزهم القيادة الناضجة، كما ان تحركاتهم اتخذت طابعا عفويا واخفقت في ان تشكل حلقات متصلة، لكنها رغم ذلك كانت جزء هاما ضمن الاطار العام للمد الثوري الذي شهدته البلاد خلال تلك الفترة[٣٢].

وبحكم ارتباط ايران المتزايد بالسوق الراسمالية العالمية، فقد شهدت نموا واسعا في الانتاج البضاعي وعملية تراكم رأس المال. وادى ذلك الى ظهور تجار جمعوا ثروات طائلة نتيجة استثمار اموالهم في مشاريع صناعية[٣٣]. الا انهم سرعان ما جوبهوا بعقبات رئيسية تمثلت في المنافسة الحادة التي تعرضوا لها جراء سيطرة

---

[29] Ervan Abrahamian, The Crowd in Iranian Politics 1905-1953, "Past and Present", Number 41, December, 1968, P. 209.

وفي الترجمة العربية: يرفند ابراهيميان، دور الحشود الجماهيرية في الحياة السياسية الايرانية المعاصرة، ايران ١٩٠٠-١٩٨٠، ترجمة "مؤسسة الابحاث العربية"، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٥٧.

[30] "Iran. Ochirk noveyshey historri", P.27.

[31] M.S. Ivanov, OP. Cit., P. 27.

[٣٢] حميد صفرى، المصدر السابق، ص ٢٤.

[٣٣] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني...، ص ٣٦.

البضاعة الاجنبية، ذات النوعية المتفوقة والرخيصة، على الاسواق المحلية[٣٤] ونظام الامتيازات الذي تغلغل في اعمق نقطة في النظام القاجاري المنحل، ثم عجز الحكومة المتزايد عن مساعدة التجار الايرانيين في مواجهتهم لتلك المنافسات.

لقد نظر التجار بقلق الى التسهيلات والامتيازات المتزايدة التي بدأ القاجار بمنحها الى التجار والشركات الاجنبية واعتبروها "تدميرا لامالهم التجارية"[٣٥]. ويمكن معرفة الكثير من المشاكل التي تعرض لها التجار ابان تلك الفترة من تقرير رفعه احد الموظفين الحكوميين في ميناء بوشهر على الخليج العربي الى ناصر الدين شاه عام ١٨٨٢... فبعد وصفه النمو الحديث لبوشهر اوضح الموظف بان: الازدهار لم يفد التجار الايرانيين لانهم بعكس المنافسين البريطانيين كانوا معاقين بسبب اهمال الحكومة وفقدانهم لمستودعات التخزين والقوارب التجارية الحديثة وبسبب الضرائب المرتفعة ورسوم الاستيراد ورسوم الطرقات[٣٦]. وحذر التقرير من انه على التجار المحليين ان يختاروا بين الافلاس او شراء الجنسية البريطانية[٣٧]. والانكى من ذلك ان ناصر الدين شاه انتقد على ظهر التقرير نفسه التجار "لانانيتهم" ومدح الموظف "لملاحظته المثيرة للاهتمام"[٣٨].

ويمكن ان نلمس ماكان يعانيه التاجر الايراني من ضغوطات من خلال الضرائب التي كان يضطر الى دفعها خلال نقل بضاعته من شمال البلاد الى جنوبها والتي كانت تبلغ (١٤) مرة في حين كان التاجر الاوربي يكتفي بدفع الضريبة مرة واحدة

---

34 Guity Nashat, From Bazaar to Market: Foreign Trade and Economic Development in Nineteenth-centry Iran, “Iranian Studies”, Vol.XIV, November 2, 1987, PP. 35-79.

35 R. Cottam, OP. Cit., P. 43.

36 مقتبس: يرفند ابراهيميان، خلفيات وعوامل الثورة الدستورية ١٩٠٦، ايران ١٩٠٠-١٩٨٠، ترجمة "مؤسسة الابحاث العربية"، بيروت، ١٩٨٠، ص ٣٧.

٣٧ المصدر نفسه.

٣٨ المصدر نفسه. والجدير بالذكر ان بعض التجار الايرانيين، دفعتهم المنافسة الاجنبية الحادة والامتيازات الواسعة التي تمتع بها غيرهم من التجار الاوربيين في ايران، الى درجة التخلي عن جنسيتهم الايرانية والتجنس بالجنسية الروسية اوالانكليزية او غيرها. الامر الذي يعكس بشكل جلي وواضح عمق التغلغل الاجنبي في ايران.

فقط[39]. اضف الى ذلك ما كان يكتنف نقل هذه التجارة من صعوبات جمة تمثلت في ندرة المواصلات وقلتها والذي ارتبط بالتخلف الاقتصادي الذي عانته البلاد بشكل عام. مما نجم عنها فقدان الاتصال بين الاقاليم والمدن الايرانية المختلفة. فعلى سبيل المثال حتى عام ١٩٠٠ كان طول السكك الحديد، والوسيلة السهلة والرخيصة في طول البلاد وعرضها لا يتجاوز (٨) اميال[40]. وزاد في تفاقم الوضع عمليات اللصوصية وقطع الطرق نتيجة ظروف التسيب الاقطاعي وفقدان المركزية وتصعيد النزاعات المحلية لحكام الاقاليم. ومن الغرابة ان نجد التجار من اشد انصار النزعة القومية التي اشتدت في المنطقة في اواخر القرن التاسع عشر والتي كانت تدعو الى دولة موحدة وقوية. ففي ظل هذه الدولة كان يمكن لهم ان يقفوا بوجه المنافسة الاجنبية. لذا كان من الطبيعي جدا، والحال هذه، ان يساندوا الثورة الدستورية، بل ويشتركوا فيها بشكل فعال لانهم وجدوا ان تقييد سلطات الحكام القاجاريين الذين "باعوا البلاد للاجانب" عن طريق مؤسسات ليبرالية ديمقراطية، يمكن ان تحمي مصالحهم التجارية[41].

ومهما يكن من امر فما كان بوسع التجار غض النظر عن هذا الوضع فابدوا استياءهم مرات عدة وباشكال مختلفة. ففي عام ١٨٩٠، مثلا، اعترض وفد من التجار لدى الشاه على منح امتياز التبغ لشركة اجنبية، فنجم عن ذلك ان تعاظمت المعارضة الشعبية ضد الامتياز[42]. واسهمت الازمة الاقتصادية الحاصلة في اوائل عام ١٩٠٥ في ازدياد مشاعر الاستياء لدى التجار. فقد ارتفع سعر السكر (٢٣) بالمئة وسعر الذرة (٩٠) بالمئة في مدن طهران وتبريز ورشت ومشهد، فأتخذت الحكومة بعض الاجراءات لمعالجة هذا الوضع المتفاقم بأن رفعت التعريفة الكمركية عن التجارة الوطنية، واجلت الايفاء بالديون، ولكن بالمقابل رفضت روسيا تزويدها بقرض كانت قد طالبته، مما زاد في حراجة موقفها.[43]

---

[39] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٣٦.

[40] H. Amir Sadeghi, OP. Cit., P. 1.

[41] R. Cottam, OP. Cit., PP. 43-44.

[42] Ibid, P. 43.

[43] يرفند ابراهيميان، خلفيات وعوامل الثورة الدستورية، ص ٤٩.

وفي العام نفسه، احتج تجار الاقمشة على سياسة مسؤول الكمارك الاوربي من خلال تظاهرة اشترك فيها معظم مقرضو الاموال الذين انتقدوا سياسة الدولة في عدم قدرتها على الايفاء بالتزاماتها المالية. واعلن المتظاهرون احتجاجهم على التسهيلات الجديدة المقدمة للشركات الروسية على حساب التجار الايرانيين. وذكر احد المتظاهرين لمراسل احدى الصحف الاجنبية: يجب ان نشجع الصناعة الوطنية، حتى وان لم تكن نوعيتها بجودة المستوردات الاجنبية. ان الاتجاه الحالي لزيادة المستوردات سيؤدي حتما الى تدمير صناعتنا وتجارتنا[٤٤].

وفي الواقع فان هذه الفئة، رغم ميلها الى اي عمل من شأنه تغيير النظام القديم، الا ان القاعدة الاجتماعية التي سعت لتشغيلها كانت قريبة من الاقطاع على حد تعبير كوتام. فقد ارتبط اغلبهم (التجار) والى حد كبير، بالاقطاعية الزراعية التي حاولت توظيف اموالهم في المشاريع الصناعية لتحقيق مزيد من الربح. ولم يكن ذلك ممكنا دون الحفاظ على نمط علاقات الانتاج التقليدية في استغلال الفلاحين. لذا اقتضت مصلحة الطرفين تشجيع اجراء تغيير جزئي يضمن مصالحهم، ولا سيما في وجه المنافسات الاجنبية من جهة، ومقاومة كل ما من شأنه تغيير بنية النظام التقليدية من جهة اخرى[٤٥].

وقد ظهرت في المجتمع الايراني فئات كانت اكثر تحمسا للتغيير من غيرها وسعت، بكل ما في وسعها، من اجل هز اركان النظام القاجاري المنحل، وكانت فئة الحرفيين في مقدمتها. لم يكن دور الحرفيين على مر التاريخ الايراني، ولا سيما منذ العهد الوسيط وحتى العهود المتأخرة، قليلا. وقد شكل الحرفيون الى جانب فئات اخرى، احد العناصر الاساسية في البازار الايراني الذي كان منطلقا لاغلب التحركات السياسية التي شهدتها البلاد خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها. فلم

---

٤٤ مقتبس من E. Abrahamian, The crowd in Iranian Politics, P. 192. (وفي الترجمة العربية صفحة ٢٣٩).

٤٥ د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٣٦.

يكن البازار مجرد سوق تقليدي بل كان "مخزن القمح والمشغل والبنك والمركز الديني للمجتمع باسره"[٤٦]. اي انها شكلت "معملا وسوقا في وقت واحد"[٤٧].

ففي تبريز مثلا، كان هناك قبل تأسيس الحكم القاجاري ما لا يقل عن (٢٠) الف حرفي مسجلين في الاصناف وموزعين على (٧٠) صنعة مختلفة[٤٨]. وبلغ السجاد، الصناعة الحرفية الاولى، شهرة عالية جعلته في مقدمة البضائع الكمالية التي يتهافت الاوربيون على شرائها[٤٩].

ولا شك ان هذه الصناعات الحرفية كان بامكانها ان تنمو بصورة افضل لو تهيأ لها المناخ الملائم، الا ان عوامل عديدة وقفت عائقا امام هذا الامر. ففي ظل نظام الحكم المهزوز والضعيف والخاضع للهيمنة الاجنبية، وظروف التسيب الاقطاعي، وسلسلة الحروب المتكررة[٥٠]، نتيجة لسياسات الملوك القاجاريين، والتي كلفت ايران الكثير من الاموال والارواح والارض ايضا، وانتهت بهزائم شنيعة تبعها توقيع سلسلة من الاتفاقيات والمعاهدات الجائرة، تضمنت شروطا ما انزل الله بها من سلطان. وفسحت المجال لتغلغل النفوذ الاجنبي، الاقتصادي والسياسي في البلاد. فتقاطر المستثمرون الاجانب على ايران وبدأوا يصولون ويجولون فيها كيفما شاءوا. فافتقدت البلاد الامان على الارواح والاموال، العنصر الاساسي لتراكم رأس المال.

اضحت ايران بعد اعطائها لهذه الامتيازات شبه مستعمرة للدول الاخرى ولا سيما روسيا وبريطانيا، واصبحت سيادتها "سيادة تحت المراقبة"[٥١] حسب وصف احد الكتاب. وغدت حقلا يمد الدول الاجنبية بالخامات والمنتجات الزراعية وسوقا

---

[٤٦] مقتبس من .E. Abrahamian, The crowd in Iranian Politics, P. 192 (وفي الترجمة العربية صفحة ٢٣٩).

[٤٧] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٣٦.

٤٨المصدر نفسه، ص ٣٧.

[49] H.Amir Sadeghi, OP. Cit., P. 1; Rovert A.Medaniel The Shuster mission and the persion constitutional Revolution, Minneapolis, 1974, P. 35.

[٥٠] للتفاصيل عن الحروب الايرانية الروسية انظر: د. كمال مظهر احمد، من تأريخ الحروب الايرانية الروسية، مركز البحوث والمعلومات، بغداد، ١٩٨٤.

[٥١] حازم صاغية، صراع الاسلام والبترول في ايران، بيروت، ١٩٧٨، ص ٨.

لتصريف بضائع الدول الراسمالية المتقدمة[52]. وسرى مفعول هذه الامتيازات الى البنى الاقتصادية والاجتماعية للبلاد. فاثر هزيمتها على ايدي الروس وقعت ايران في عام ١٨٢٨ على معاهدة (تركمانجاى)[53] التي تضمنت شروطا قاسية جدا، فاضافة الى الاراضي والمياه[54] التي تخلت ايران عنها لروسيا فرضت الاخيرة عليها غرامة حربية قدرت بملايين الروبلات ومنحت تسهيلات كثيرة للتجار الروس وخاصة في المناطق الشمالية من البلاد والتي كانت تعتبرها روسيا مجالا حيويا لها، وحددت الرسوم الكمركية على البضائع الروسية الواردة الى ايران بـ (٥٪) واقل احيانا، علاوة على مزايا تجارية اخرى[55]. وعلى اثر ابرام معاهدة تركمانجاى تمكنت روسيا القيصرية من فرض نفوذها الى حد كبير على البلاط الايراني وعلى الاجنحة السياسية التقليدية في طهران، فضلا عن مختلف المرافق الحيوية في كل البلاد[56].

وبالطبع لم يقف الانكليز موقف المتفرج ازاء هذا التوسع الروسي في ايران، لا سيما وان ايران كانت بنظر الكثير من ساسة الانكليز تمثل موقعا مهما تحاذي الهند "اثمن جوهرة في التاج البريطاني الجميل "حسب الوصف المعبر لاحد الكتاب. فكان

---

[52] ارتيم ارابجيان، المراحل الاساسية لتطور ايران الاجتماعي والسياسي في تاريخها الحديث. بلدان الشرقين الادنى والاوسط: الاقتصاد والسياسة، اكاديمية العلوم السوفيتية، موسكو، ١٩٨١، ص١١.

[53] لقد تطلع الروس الى ايران منذ قرون عديدة، فمنذ القرن السادس عشر وفي عهد ايفان الرهيب بدأت التوجهات الروسية الى الجنوب ونحو ايران بالذات، وازداد هذا الاهتمام بدرجة اكبر في القرن الثامن عشر في عهد بطرس الكبير. للتفاصيل حول هذا الموضوع راجع د. كمال مظهر احمد، من تأريخ الحروب الايرانية الروسية، د. مصطفى عبد القادر النجار، العلاقات الدولية لروسيا والاتحاد السوفيتي بالخليج العربي، "مجلة الخليج العربي"، مركز دراسات الخليج العربي، العدد ٢٠، ١٩٧٥، د. بدر الدين الخصوصي، النشاط الروسي في الخليج العربي ١٨٨٧-١٩٠٧، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية"، الكويت، العدد الثامن عشر، السنة الثامنة، نيسان ١٩٧٩.

[54] تخلت ايران عن بحر قزوين. والانكى من ذلك ان البلاط الايراني برر ذلك التنازل الفظيع والغريب بالقول: "اننا لسنا ببطط حتى نحتاج الى مياه بحر قزوين المالحة" !!!، د. كمال مظهر احمد، تاريخ ايران الحديث في الوثائق الروسية، "دراسات للاجيال" (مجلة)، بغداد، العدد الرابع، ١٩٨٣، ص ٧٣.

[55] زى. مرشلاغ. المصدر السابق، ص ١٩٣، ابراهيم تيمورى، عصر بي خبرى = يا تاريخ امتيازات در ايران، تهران، ١٣٣٢، ص ٢٣٩،

J. C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East. A documentary Record 1535-1914, Vol. 1, Princetion, 1959, PP. 96-102.

[56] د. كمال مظهر احمد، تاريخ ايران الحديث في الوثائق الروسية، ص ٧٣.

لا بد وان تبقى بمنأى عن تغلغل روسيا والمانيا والدول الاخرى[٥٧] ولم يتوان الانكليز عن السعي من اجل الحصول على مكاسب اقتصادية في ايران، ان لم تكن اكثر من الامتيازات الروسية، فعلى الاقل موازية لها[٥٨]. في حين كانت السياسة البريطانية في هذه الفترة توالي صعودها في ايران "كواقعة دموية تؤكد خلود الشر"[٥٩]. وبالتحديد في هذه الحالة. ففي عام ١٨٤٨ وقعت بريطانيا اتفاقا مع ايران اعفيت بموجبه البضائع البريطانية من الضرائب. وفي السنوات اللاحقة حصل الانكليز على امتيازات اخرى كان اهمها امتياز (رويتر) عام ١٨٧٢ لمد خطوط التلغراف وتنظيم الملاحة في الانهار واستغلال جميع المناجم عدا مناجم الذهب والفضة والاحجار الكريمة، الا ان ناصر الدين شاه، وتحت الضغط الشعبي، اضافة الى الروسي، اضطر الى الغاء هذا الامتياز.

وفي عام ١٨٨٩ منح (رويتر) امتيازا لانشاء مصرف فارس الامبراطوري[٦٠] مع حق اصدار الاوراق النقدية[٦١]. وتوجت هذه الامتيازات باتفاقية (دارسي) عام ١٩٠١ للتنقيب عن النفط في ايران والتي شملت مناطق واسعة من البلاد[٦٢].

---

[٥٧] د. محمود محمود افشار، تاريخ روابط سياسى ايران وانگليس در قرن نوزهم ميلادى، جلد هشتم، چاپ جهارم، ص ١٠-١١.

[٥٨] حول هذا الموضوع انظر:
George N.Curzon, Persia and Persian Revolution, Vol. II, Second impression, London, 1966.

[٥٩] مقتبس من حازم صاغية، المصدر السابق، ص ٩.

[٦٠] استمر هذا المصرف يمارس نشاطه في ايران حتى عهد رضا شاه الذي قام بتأميم المصرف المذكور عام ١٩٢٨.

[٦١] ز. ی. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ١٩٤.

[٦٢] للتفصيل عن الامتيازات الاجنبية في ايران وتغلغل النفوذ الاوربي، لا سيما البريطاني والروسي، انظر: زور زبراندس، جنايت روس وانكليز نسبت بايران، ازانتشارات اداره اركادى، شماره٤، ١٣٣٦، اسناد محرمانه سياسى ياسياست انكليس وروس در ايران قبل از جنك، طهران، ١٩٣٢، د. عبدالجبار عطيوى جاسم، ملاحظات حول اساليب تغلغل النفوذ الادارى في الخليج العربي قبل الحرب العالمية الاولى، "مجلة الخليج العربي"، العدد العاشر، ايلول ١٩٧٨، د. نورى عبدالبخيت، الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، "مجلة الخليج العربي"، العدد السادس، البصرة ١٩٧٦، مسعود كيهان، جغرافياى مفصل ايران، تهران، ١٣١١،

كان من الطبيعي جدا ان يراقب الروس، عن كثب، هذا التغلغل الاقتصادي البريطاني، وسعوا من جهتهم للحصول على مزيد من الامتيازات الاقتصادية في ايران. وتم لهم ذلك فعلا، وبدرجة اكبر من الانكليز، بحكم الموقع الجغرافي القريب والذي لم يلعب دورا قليلا في ذلك، بواسطة سلسلة من الامتيازات التي حصلوا بموجبها على حق مد خطوط السكك الحديدية ونقل البضائع والاشراف على شؤون الكمارك باستثناء كمارك الجنوب الخاضعة لاشراف بريطاني، كما تم انشاء مصرف روسي على غرار المصرف البريطاني، واصبحت المناطق الشمالية من ايران الغنية بثرواتها وامكانياتها البشرية تحت السيطرة الفعلية الروسية[٦٣]. وخلال العقدين اللذين سبقا الثورة الدستورية (١٩٠٦-١٩١١) كانت للرأسمالية الروسية اليد الطولى في ايران. ومنذ عام ١٨٧٩ شكل الروس فرقة القوزاق العسكرية لحماية البلاط وبالدرجة الاساس حماية مصالح الاجانب لاسيما الروس[٦٤].

وبدورها سعت الدول الاخرى للحصول على موطيء قدم لها في ايران، حتى انه لم تبقى دولة اوربية واحدة لا تشرف على احد المشروعات الانشائية العديدة في ايران[٦٥]. وزادت الاستثمارات الاجنبية في ايران في اواخر القرن التاسع عشر الى اكثر من (١٢) مليون جنيه سترليني[٦٦]. وتزايدت القروض التي بدأت ايران تأخذها من الدول الاجنبية. ومما زاد الطين بلة تعاظم نفقات البلاط وبذخه، والسفرات المتكررة للملوك القاجاريين، ولم يجانب احد المؤرخين الحقيقة حين اشار الى ان ناصر الدين شاه "الذي نجح في المحافظة على عرشه لمدة (٤٨) سنة قد جلب كوارث اقتصادية على البلاد، خصوصا بعد ان اكتشف العالم الجديد كمكان ممتع للزيارة"[٦٧]. وكان من اثر ذلك ان تفاقمت الديون على البلاد، ودب العجز في الميزانية ولم تفلح القروض

F. Kazemzfeh, Russia and British in Iran 1864-1914. Astudy in Imperialism, New Haven, 1968, H. Nazem, Russia and Great Britin in Iran (1900-1914), Tehran, 1975.

[63] B. Jazani, OP. Cit., P. 18.

[٦٤] جميل قوزانلو، تاريخ نظامى ايران، جلد دوم، Ibid, P. 22 تهران، ١٣١٠، ص ١١٦.

[٦٥] ابراهيم الدسوقي شتا، الثورة الايرانية. الجذور الايديولوجية، بيروت، ١٩٧٩، ص ٤٥.

[٦٦] يرفند ابراهيميان، خلفيات وعوامل الثورة الدستورية، ص ٣٥.

[٦٧] ز. ي. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٢١٠.

المتزايدة في اصلاح الوضع المالي. فعلى سبيل المثال ارتفعت ديون ايران لروسيا فقط حتى عام ١٩٠٣ الى اربعة ملايين جنيه ابتلع البلاط الشاهاني اكثر من نصفها[٦٨].

وما ان اهل القرن العشرون حتى كان ميزان ايران التجاري منحرفا ضدها بمقدار (٣٠) في المئة، وكان كثير من عقاراتها مرهونا للبنوك الاجنبية[٦٩]. كانت المنافسة بين الدولتين، روسيا وانكلترا هي التي سمحت لايران ان تحتفظ ببعض استقلاليتها، خاصة وان بعضا من الحكام كانوا يحسنون المناورة بين الجانبين[٧٠].

وترتب على توسع النشاطات الرأسمالية الاجنبية في ايران، ان تدفق سيل البضائع الاجنبية على البلاد، والذي سرعان ما حطم الحرف والصناعات البيتية التي لم تستطع الصمود امام مزاحمة البضائع الاوربية الارخص ثمنا بمرتين او ثلاث مرات على الاقل[٧١]. و"كان لرجال الاعمال الاجانب شهية نهمة للاستيلاء على الاسواق المحلية"[٧٢] مما افرز نتائج خطيرة على الاقتصاد الايراني برمته. وكان ذلك بداية لتحجيم وتدمير الصناعة الحرفية التي بدأت تشهد ازمة حادة للغاية. فعلى سبيل المثال كانت الشالات حتى نهاية القرن التاسع عشر تشكل واحدة من اهم مواد التصدير، لكنها في مستهل القرن العشرين واجهت منافسة حادة من بريطانيا التي شجعت هذه الصناعة في مستعمرتها الهندية[٧٣]. وينطبق هذا القول على صناعة النسيج التقليدية[٧٤].

وحول ازمة الحرفيين في اصفهان كتب احد جامعي الضرائب مايلي: "في الماضي كانت المنسوجات الجيدة تصنع في اصفهان حيث كان فقراؤهم واغنياؤهم، يلبسون المنتجات المحلية، ولكن في السنوات الاخيرة تخلى الناس عن اجسادهم وارواحهم

---

[٦٨] ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، ترجمة مكتب امير قطر، الدوحة، ١٩٨٠، ص ٣٠٣.

[٦٩] د. زكي حسن، ايران الحديثة ووجوه نهضتها الباهرة، "المقتطف" (مجلة)، القاهرة، الجزء الثاني من المجلد الثالث والتسعين، يوليو، ١٩٣٨، ص ٢١٤.

70 B. Jazani, OP. Cit., P.4.

[٧١] حميد صفرى، المصدر السابق، ص ١٠.

[٧٢] مقتبس من : B. Jazani, OP. Cit., P. 21.

[73] Ibid, P. 24.

[74] H. Amir Sadeghi, OP. Cit., P. 10.

ليشتروا المنتجات الاوربية الملونة وذات النوعية المنخفضة ولكن الرخيصة"[٧٥].
وحول الضرر الذي احدثه هؤلاء بعملهم هذا اردف قائلا: "ان الناسجين المحليين، بتقليدهم الاقمشة الاجنبية خفضوا من نوعية بضائعهم، لذا امتنع الروس عن شراء المنسوجات الايرانية، وعانت كثير من الصناعات من الخسائر الفادحة. وقد شكل الناسجون عشر النقابات في هذه المدينة على الاقل، ولم ينج حتى الخمس. وكان حوالي واحد من عشرين من الارامل يعيشن من الغزل. اما الان فقد خسرن مصدر العيش الوحيد"[٧٦].

كان من الطبيعي جدا، ان تضع تلك الاوضاع البازار الايراني في كل البلاد امام عدو مشترك هو المنافس الاجنبي وتدفع بالتالي الحرفيين الى اعلى مراحل الاستياء وليصبحوا بفعل ذلك من اكثر الفئات في المجتمع الايراني تحمسا للتغيير، وليساندوا كل اجراء من شأنه هز اركان النظام القاجاري باتجاه التغيير.

وتحت هذا المناخ انخرط الحرفيون، وبحماس في كثير من الانتفاضات والحركات المعارضة، الى جانب فئات اخرى. ففي عام ١٨٤٧ قامت انتفاضة في زنجان كان للحرفيين دور بارز فيها[٧٧]. كذلك انعكس دورهم هذا بشكل جلي، حينما وقفوا ضد امتياز التبغ الذي منحه ناصر الدين شاه الى شركة (تالبوت) البريطانية في عام ١٨٩٠ واستطاعوا ارغامه على سحب الامتياز من الشركة البريطانية[٧٨]. كذلك كان الحرفيون احد ابرز العناصر التي شاركت في الثورة الدستورية (١٩٠٥-١٩١١)[٧٩]. ويعكس عدد المشتركين في اضرابات عام ١٩٠٦ من الحرفيين والتجار،

---

[٧٥] يرفند ابراهيميان، خلفيات وعوامل الثورة الدستورية، ص ٣٦.
[٧٦] المصدر نفسه.

[77] M.s. Ivanov, OP. Cit., PP. 158-159.

[78] N.R. Keddie, Religion and Rebeilion in Iran. The Tobaco Protest of 1891-1892, London, P. 119.

وللتفصيل انظر:

R.A. mcdaniel, OP. Cit., PP. 45-47; R. Cottam, OP. Cit., P. 13.

[٧٩] حول الثورة الدستورية انظر: مختصرى مجلس ملي ايران، برلين، ١٣٣٧، احمد كسروى، تاريخ مشروطه ايران، جاب هفتم، تهران، ١٣٤٦.

Edward G. Browne, The Persian Revolution of 1905-1909, London, 1966; Farhang N.Holakouee, The Constitutional Revolution of Iran 1906, a

والذين انتظموا في نقابات مهنية في البازار، المشاركة النشطة لهؤلاء. فقد بلغ عددهم اكثر من (١٤) الف شخص، كان قسم كبير منهم من الحرفيين، اعتصموا في مقر المفوضية الملكية البريطانية لمدة ثلاث اسابيع، وقد كتب احدهم معلقا: "لقد شاهدت ما يزيد على ١,٥٠٠ خيمة لمختلف المهن، وكان هناك حتى للاسكافيين وباعة الجوز والسمكريين خيمة واحدة على الاقل"[٨٠].

ويمكن ادراك الدور المميز للحرفيين من خلال معرفة عدد المقاعد التي خصصت لهم في العاصمة اثناء انعقاد المجلس الاول (البرلمان) في عام ١٩٠٦. حيث تم تخصيص اثنين وثلاثين مقعدا للنقابات، وعشر للتجار، واربع للملاكين. ونفس العدد للعلماء. ومن بين النواب الذين جرى انتخابهم في المجلس كان (٢٦) بالمئة من اعضاء النقابات و (٢٠) بالمئة من العلماء و (١٥) بالمئة من التجار[٨١].

فلا غرابة ان نجد الحرفيين مستعدين للانخراط في اية حركة من شأنها تقويض النظام القاجاري المنحل، بعد ان بلغ التناقض مداه بينهم وبين هذا النظام، حتى ولو كانت هذه الحركات تمثل طابعا غريبا في بابها كالحركة البابية، التي دعت الى مقاومة الاستبداد الشاهنشاهي والفساد الداخلي والسيطرة الاجنبية وحرية التجارة واصلاح طرق المواصلات. فلا غرو ان نجد العديد من حرفيي زنجان ورشت وغيرها من المدن الايرانية قد ضحوا بحياتهم في سبيل مثل هذه الحركات[٨٢].

Sociological analysis, Utah, 1974; Edmund Bosworth and Carole Hillen, Qajar. Iran Political Social and Cultural Change 1800-1925, Edinburgh, 1983, PP. 48-55.

[80] E. Abrahamian, The crowd in Iranian Politics, P. 193; (وفي الترجمة العربية، ص ٢٤٠-٢٤١) R.Cottam, OP. Cit., P.34

يرفند ابراهيميان، خلفيات وعوامل الثورة الدستورية، ص ٥٢.

[81] D.N. Wilber, Riza Shah Pahlavi: The Ressutrection and Reconstructution of Iran, New York, 1961, P. 26; يرفند ابراهيميان، خلفيات وعوامل الثورة الدستورية، ص ٥٥ E.Abrahamian, The crowd in Iranian Politice, P. 194.

(وفي الترجمة العربية، ص ٢٤١).

[٨٢] ابراهيم الدسوقي شتا، المصدر السابق، ص ٤٣، د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٣٤.

ان توسع النشاطات الرأسمالية في ايران عجل بنمو البرجوازية الايرانية، وان كان ذلك قد تم بصورة بطيئة نتيجة ظروف السيادة الكولونيالية التي خضعت لها البلاد ، فاتجهت نحو الاستثمار في مشاريع صناعية محدودة، الا ان تفاقم ازمة الانتاج الحرفي والمنافسة الحادة التي تعرضت لها الصناعة الوطنية، وخاصة الحرفية، تحت ضغط موجة البضائع الاوربية التي تدفقت على البلاد ، ونظام الامتيازات الذي مثل الوجه الابرز للتغلغل الكولونيالي الذي اخذ بخناق البلاد ، هذه العوامل كلها جعلت وضع هذه الفئة ليس بافضل من وضع الحرفيين. فمع تزايد الضغط الاقتصادي الاجنبي على البلاد تعثرت عملية تحول كثير من الصناعات الحرفية الى صناعات كثيفة بمساعدة المكائن، اي الانتقال الى الانتاج المانيفاكتورى[٨٣] وخنقت المؤسسات الصناعية الوطنية[٨٤]. كما ان الارتفاع الحاد في الاسعار وانخفاض قيمة العملة، في ظل التبعية الاقتصادية الاجنبية، والذي رافق التضخم الذي حدث في الاسواق الرأسمالية آنذاك قد قلل الى حد كبير من القدرة الشرائية للفرد الايراني، الامر الذي لم يشجع على نمو الصناعة الوطنية او نمو انواع جديدة من الانتاج. وحتى عندما حاولت هذه الفئة في مطلع القرن العشرين استثمار رساميلها المتراكمة في مشاريع واسعة نسبيا كمشاريع السكك الحديد وبناء الطرق والدخول الى المجال الصيرفي، فأن افتقارها الى الخبرة الفنية اللازمة، فضلا عن المنافسة الاجنبية الحادة منعها من تحقيق نجاحات تذكر في هذا المجال[٨٥]. علاوة على ذلك لم يكن هناك امن حقيقي لرأسمال المال، ففي كثير من الاحيان كان حكام الاقاليم او الامراء يصادرون ممتلكات رجل الاعمال، والثروة الحقيقية كانت تتمثل في بعض

من الجدير بالذكر ان بزهان جازاني يذكر بان البرجوازية الايرانية والتي يشكل الحرفيون احمد شرائحها المهمة قد امنوا لهم حصة في نظام الحكم ولم تعد للاقطاعيين السيطرة المطلقة كما كان عليه الامر سابقا وبذلك ضمن البرجوازيون بعض حقوقهم.

83 B. Jazani, OP. Cit., P. 24

٨٤ حميد صفرى، المصدر السابق، ص ١٠٣.

85 B, Jazani, OP. Cit., P. 25.

الاحيان بالمتلكات الواسعة الموروثة[٨٦]. فلا غرابة ان نجد في اواخر العهد القاجاري مثلا ثلاثين معملا اهليا يغلق ابوابه بشكل كلي او جزئي[٨٧].

وترتب على ذلك ان اتجهت هذه البرجوازية التي كانت جد هزيلة وغير متجانسة، صوب الاستثمار في الملكية العقارية والعمل في قطاع التجارة واصبح جزء منها يعمل كوسيلة او وكيل يخدم الشركات الاجنبية عن طريق استيراد وبيع السلع الصناعية فحققت ارباح طائلة من جراء عمليات السمسرة وابتعدت شيئا فشيئا عن الطابع الوطني للبرجوازية[٨٨]. بل دخلت في تناقض مع شرائحها الاخرى[٨٩]. فلا غرو ان تصبح البرجوازية الوطنية، والتي اخذ دورها يتزايد لا سيما منذ اوائل القرن العشرين، متحمسة لأي تغيير يضمن حقوقها ويتوافق مع دورها المتزايد في المجتمع الايراني.

رافق اندماج ايران بالسوق الخارجية واستثمار الاموال في مجال الصناعة الوطنية تكون القشرة الاولى للطبقة العاملة التي بدأت تتبلور وتتحول الى قوة اجتماعية ببطء. وقد اظهر العمال فعالية ملموسة خلال الثورة الدستورية (١٩٠٥-١٩١١)، التي كان سندها الرئيسي هو المدينة، فقد كان لشعارات الثورة وقع خاص لدى الواعين من العمال من قبيل المطالبة بالدستور وازاحة النفوذ الاجنبي المتزايد عن البلاد، وانتظم العمال اثناء الاضطرابات والتظاهرات التي شهدتها العاصمة والمدن الايرانية الاخرى خلال سنوات الثورة، في تنظيمات اشبه ما تكون بالنقابات[٩٠] الامر الذي اشر تطورا نوعيا في نمو الوعي العمالي. ولعب العمال العائدون من القفقاس دورا غير قليل في ذلك بحكم احتكاكهم بالالة وبالعمال الصناعيين في

---

[86] Ibid.

[٨٧] فوزي خلف شويل، ايران في سنوات الحرب العالمية الاولى، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ١٢.

[٨٨] على الرغم من ان البرجوازية الوطنية اعتبرت الكومبرادور عنصرا غريبا غير مسلم، فان تقريرا بريطانيا كان قد اعد حول ايران في عام ١٨٩٧ بين فيه انه من اصل (٥٣) من رجال الاعمال الاثرياء في البلد كان ستة فقط غير مسلمين. يرفند ابراهيميان خلفيات وعوامل الثورة الدستورية، ص ٣٦.

[89] S.L. Agaev, OP. Cit., P. 8; B. Jazani, OP. Cit., P. 24.

[٩٠] ومن الجدير بالذكر ان يرفند ابراهيميان يحدد تاريخ تاسيس النقابات في ايران بعام ١٩١٠. في حين ان المصادر الاخرى، وهي الارجح، ترجعها الى فترة سابقة.

روسيا، لا سيما في باكو، وتأثرهم بالافكار الثورية التي انتشرت هناك[٩١]. ففي اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين كان يعبر حوالي (٢٠٠) الف ايراني، جلهم من الاذربيجانيين الحدود الى روسيا[٩٢]. ويذكر يرفند ابراهيميان ان كثيرا من العمال المهاجرين من ايران الى باكو قد شارك في ثورتي ١٩٠٥و ١٩١٧ في روسيا[٩٣].

ومنذ عام ١٩٠٦ تاسست نقابات لعمال ومستخدمي مطابع طهران والترامواى والبريد والتلغراف[٩٤]. وشهد العام نفسه ايضا تأسيس نقابة للعاملين في صناعة السجاد في كرمان[٩٥]. واثناء احداث الثورة الدستورية رفعت هذه النقابات شعارات تطالب بتحديد يوم العمل بثمان ساعات ورفع اجور العمال[٩٦]. واضرب عمال الموانيء في انزلي عن العمل في عام ١٩١٠ تحقيقا لتلك المطالب[٩٧].

شهدت الحركة النقابية نموا ملحوظا بعد الحرب العالمية الاولى، ولا سيما في العاصمة طهران ومدن تبريز ورشت وغيرها من المدن الكبيرة. فقد بعثت النقابات القديمة، والتي تم حلها بعد اخفاق الثورة الدستورية، وشكلت اخرى جديدة، ومما له مغزاه انه في عام ١٩١٨ اضرب عمال المطابع في طهران واستمر اضرابهم (١٤) يوما تمكنوا خلاله، ولاول مرة في تأريخ ايران الحديث، توقيع اول عقد جماعي مع اصحاب العمل حول تحديد يوم العمل وتحسين ظروف العمل[٩٨]. وايضا تجلى دور محدود للعمال خلال انتفاضة كيلان ١٩٢٠-١٩٢١[٩٩].

---

91 "sovremenay Iran" ed. S. M. Aliev, Moscow, 1975, P. 95.

٩٢ د. كمال مظهر احمد، دراسات في تأريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٠١.

٩٣ يرفند ابراهيميان، عوامل القوة والضعف في الحركة العمالية ١٩٤١-١٩٥٣، ايران مجموعة مؤلفين ١٩٠٠-١٩٨٠، "مؤسسة الابحاث العربية"، بيروت، ١٩٨٠، ص ٧١.

94 "Sovremenay Iran", OP. Cit., P. 95.

95 Ibid.

96 Ibid.

97 Ibid.

يرفند ابراهيميان، عوامل القوة والضعف في الحركة العمالية، ص ٧١.

98 "Sovremenay Iran?, P. 95.

99 "Iran. Ochirk noveyshey historii", P. 27.

ونتيجة لتنامي الحركة النقابية بدأ العمال يطالبون بتشكيل اتحادات تمثل مصالحهم الطبقية وتحميهم خلال فترة الازمات. فتم في عام ١٩٢٠[١٠٠] تأسيس "المجلس المركزي لنقابات العمال في ايران "[١٠١] الذي ضم تسع نقابات، يمثل كل نقابة ثلاثة من اعضائها. وحتى عام ١٩٢٢ كان المجلس يضم نحو (٢٠) الف عامل ومستخدم[١٠٢].

لقد عكست هذه النقابات البنية الاجتماعية والسياسية للاقتصاد الايراني ابان تلك المرحلة، والذي اتسم بالتخلف والتبعية الاجنبية، وفي الوقت نفسه مثلت بدايات تكون الطبقة العاملة بمفهومها الحديث[١٠٣].

وقد ظلت الطبقة العاملة، حتى بعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها، قليلة العدد نسبيا، وتعاني من ضعف التنظيم وتفتقر الى التجربة النضالية الكامنة[١٠٤]. فحتى عشية الحرب كان هناك حوالي ١٧٠٠عامل فقط في المؤسسات الصناعية الحديثة، اضافة الى ٧-٨ آلاف عامل يعملون في شركة النفط الانكلو-ايرانية. فيما شكل العمال الحرفيون نسبة كبيرة لها وزنها. ففي صناعة السجاد، مثلا، كان هناك حوالي (٥٦) الف عامل و (٢٠) الف اخرين في صناعة النسيج[١٠٥].

والجدير بالذكر ان الارتفاع المتزايد في نسبة العمال لم يكن فقط وليد الزيادة في سكان المدن الايرانية التي شهدت نموا ملحوظا في اواخر القرن التاسع عشر وبداية

---

[١٠٠] وردت عند يرفند ابراهيميان هكذا: "المجلس المركزي لفدرالية اتحادات العمال" ويحدد تأريخ تأسيسها بعام ١٩٢١.

[١٠١] يرفند ابراهيميان، عوامل الضعف والقوة في الحركة العمالية، ص ٧١.

"Sovremenay Iran", OP. Cit., P. 95; Ervand Abrahamian, Iran between two Revolutions, New Jersey, 1982, P. 129.

102 "Sovremenay Iran", OP. Cit., P. 95

ومن الجدير بالذكر ان الحزب الاشتراكي الديمقراطي (عدالت) الذي تأسس عام ١٩١٧، لعب دورا مهما في تأسيس مجلس النقابات المركزي.

103 B. Jazani, OP.Cit., P. 31.

[١٠٤] حميد صفرى، المصدر السابق، ص ٢٤.

105 Ch. Issawi, OP. Cit., PP. 22-23;

فوزي خلف شويل، المصدر السابق، ص ١٢-١٣.

القرن العشرين، بل ارتبط ايضا بالتزايد المستمر للهجرة من الريف الى المدينة[١٠٦]. حيث ظل الريف يؤلف المصدر الرئيسي لتكون الطبقة الجديدة، كما هو عليه الحال في البلدان المتخلفة الاخرى.

وكانت هناك فئة اخرى بدأت تظهر حديثا في المجتمع الايراني طرحت مطالب اكثر جذرية وارادت تغييرا اعمق في بنية النظام المهترئة، وقدر لهذه الفئة ان تلعب دورا ملموسا وفعالا في السنوات اللاحقة واصبحت " الابن الضال" للاوساط الاجتماعية التي خرجت منها[١٠٧]. فقد رافق الاحتكاك بالغرب والاطلاع على الافكار الاوربية الحديثة، لاسيما افكار الثورة الفرنسية، ظهور فئة مثقفة رأت في التغلغل الاوربي المتزايد في البلاد، وفساد الحكم والحالة المتردية التي لم ينج منها مرفق من مرافق البلاد، دافعا لهم للتوجه صوب الاصلاحات التي تركت بصماتها الواضحة في جميع المجالات. ويمكن اعتبار مرزا تقي خان المعروف بامير كبير[١٠٨] نموذجا مبكرا للمثقفين الذي ظهروا منذ منتصف القرن التاسع عشر. فقد ادرك ومنذ وقت مبكر، ان اصلاح البلاد لن يتم الا بالانفتاح على العالم الخارجي، والاخذ بالعلوم والفنون الحديثة. وعندما تسلم رئاسة الوزارة في الفترة ١٨٤٨-١٨٥١ حاول ان يخرج افكاره الى حيز التطبيق. فارسل البعثات الى اوربا وارسى حجر الاساس للعديد من المدارس وشجع الصحافة وحركة الترجمة[١٠٩]. بيد ان جملة عوامل داخلية وخارجية تمثلت ببطانة الشاه الرجعية والقوى الخارجية التي رأت في اصلاحاته خطرا على نفوذها في ايران، اسهمت في اخماد محاولاته الاصلاحية بعدما قتل غيلة.

وهناك مثقف اخر ترك اثاره على جيل كامل من المثقفين الذين اتوا من بعده وهو مرزا ملكوم خان[١١٠] الذي كان متأثرا بافكار الثورة الفرنسية وبحركة

---

[١٠٦] فوزي خلف شويل، المصدر السابق، ص١٢-١٣،

R.Cottam, OP. Cit., P. 37.

[١٠٧] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٣٦.

[١٠٨] عن حياته راجع: حسين مكي، زند كاني ميرزا تقي خان امير كبير، جاب سوم، تهران، ١٣٣٧ ش.

[١٠٩] محمد سعيدى، مردان خود ساخته، تهران، ١٣٣٥، ص ٦٥-٧٢.

[١١٠] عن حياته راجع:

Hamid Algar, Mirza Malkum khan, Astudy in the history ok Iranian modernism. California, 1973.

التنظيمات في الدولة العثمانية. وقد حاول ان يحاكي تلك التنظيمات في مشروعه الاصلاحي الذي قدمه الى ناصر الدين شاه وسماه (دفتر التنظيمات) كان اساسها فصل السلطتين التنفيذية والتشريعية والمساواة بين المواطنين كافة. غير ان موقف القوى الرجعية التي راعها ما جاء في التنظيمات حمل ناصر الدين شاه على ابعاده الى خارج البلاد. وفي لندن، اصدر جريدة "قانون" في عام ١٨٩٠ التي ركزت على الوضع القانوني في البلاد بصورة خاصة. فقد ورد في احد اعدادها حول الوضع المأساوي الذي انتهى اليه القانون في ايران ما يلي: "لقد بارك الله ايران. ولكن بركته لسوء الحظ، نفاها فقدان القوانين. لا يشعر احد في ايران بالامان لان لا احد يشعر بانه محمي بالقوانين"[١١١].

وقد عبرت الفئة المثقفة عن استيائها ايضا اثناء ازمة امتياز التبغ (١٨٩١-١٨٩٨)، وابدت قلقها جراء منح هذا الامتياز. فقد كتبت صحيفة "النجم" التي كان يصدرها المثقفون الايرانيون في اسطنبول، تقول: "من الواضح جدا ان صاحب الامتياز سيبدأ براسمال صغير وسيشتري التبغ من المزارعين وسيبيعه للتجار والصناعيين باسعار اعلى وستبقى كل الارباح بالتالي، في محفظة الانكليز"[١١٢].

وقد تجلى دور المثقفين باوضح صوره اثناء الثورة الدستورية حيث شكلوا رأس الرمح فيها. وعلى حد تعبير كوتام "حالما انتصرت الثورة فقد القى المثقف نفسه بحماس في الحركة الدستورية وكان دوره هو دور المربي"[١١٣]. فقد كان كثير من العناصر المثقفة على اتصال وثيق بالافكار الاشتراكية المنتشرة بشكل واسع في روسيا. كما ان العديد من الايرانيين، الذين كانوا يعيشون تحت الحكم القيصري نتيجة لوقوع اجزاء من شمال ايران تحت الهيمنة الروسية، كانوا على اتصال وثيق بمواطنيهم في ايران[١١٤]. وكانت للادبيات الروسية التي ينشرها المثقفون الثوريون في

---

[١١١] يرفند ابراهيميان، خلفيات وعوامل الثورة الدستورية، ص ٣٩-٤١. حول نفس الموضوع انظر: د. زكي الصراف، المقالة الصحفية في الادب الفارسي المعاصر، بغداد، ١٩٧٨، ص ٢٨٦-٢٨٧.

[١١٢] يرفند ابراهيميان، خلفيات وعوامل الثورة الدستورية، ص ٤٣.

[113] R. Cottam, OP. Cit., P. 40.

[١١٤] ابراهيم الدسوقي شتا، المصدر السابق، ص٤٤.

اذربيجان الشمالية وخصوصا كتابات المفكر والاديب مرزا فتح علي آخندوف تاثير كبير في تأجيج حماس الفئة المثقفة الايرانية[١١٥].

وكان من الطبيعي انه كلما ازداد الحكم القاجاري ضراوة، كلما شدد المثقفون من اساليبهم لمواجهة هذا الامر. فعشية الثورة الدستورية كانت هناك جمعيات سرية تسمى "انجمنات" تركزت، بصورة خاصة في اذربيجان، حيث حددت مطاليبها بالدستور وضمان الحريات وتجريد الشاه وكبار الاقطاعيين من ممتلكاتهم لتوزيعها على الفلاحين والعمال[١١٦]، وكثيرا ما لجأت الى وسائل الاغتيال ضد اعدائها[١١٧].

وخلال الثورة الدستورية، ومنذ الايام الاولى، ظهرت "انجمنات علنية" لعبت دورا رئيسيا في احداث الثورة، وعلى حد تعبير كوتام اصبحت هذه الجمعيات الجهاز الحاكم الفعلي في المدينة او حتى في الاقليم[١١٨]. وكما يؤكد فيشر كانت هذه المجالس اول مثال او ربما المثال الحقيقي لمشاركة الناس في اتخاذ القرارات في المدن الايرانية في القرن العشرين[١١٩]. ولعب انجمن تبريز الذي تأسس في عام ١٩٠٦ دورا فعالا لغاية مجيء القوات الروسية الى المدينة في العام ١٩٠٩. فاضافة الى مهمته الرئيسية، وهي الاشراف على الدستور، اشرف على الحياة الاقتصادية في المدينة ونشر الوعي السياسي بين سكان المدن والقرى الاذربيجانية[١٢٠]. وسرعان ما انتشرت الانجمنات في المدن الايرانية الاخرى اضافة الى العاصمة طهران. وللتدليل على الوزن السياسي الملموس الذي بلغته هذه الانجمانات نذكر ان انجمن مدينة رشت اشترك بفعالية مع البختياريين اثناء انتفاضة عام ١٩٠٩ التي انتهت بخلع محمد علي شاه[١٢١].

---

[١١٥] د. كمال مظهر احمد، دراسات في تأريخ ايران الحديث والمعاصر، ص٢٠١.

[١١٦] المصدر نفسه، ص ٢٠٢، R.Cottam, OP. Cit., P.93

[١١٧] ابراهيم الدسوقي شتا، المصدر السابق، ص٥٠

[118] R. Cottam, OP. Cit., P. 94.

[119] W.B.Fisher, Change and development in the Middle East, New York, 1981, P. 282.

[١٢٠] د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ٢٠٣.

[121] F.O., 371/16949, The Future of Persia, October 1931, P. 13; R. Cottam, OP. Cit., PP. 94-96.

وقد وقف المثقفون بقوة في وجه اتفاقية ١٩٠٧ الجائرة حول تقسيم ايران بين الروس والانكليز. فقد كانت التقارير التي يرسلها المستشار الانكليزى فيليب براس من طهران تؤكد بان الوعي القومي بين الطبقات المثقفة على اشده وانه من المستحيل على الجمعيات الدستورية الوقوف مكتوفة الايدي، خاصة وقد اصبحت قوية الى درجة كبيرة[١٢٢].

ولم يقتصر نشاط الفئة المثقفة على تأليف اللجان والجمعيات، بل امتد الى الصحافة ايضا. فعلى سبيل المثال صدر خلال حكم مظفر الدين شاه زهاء (٣١) صحيفة داخل البلاد[١٢٣]. وامتد هذا النشاط الى المثقفين الايرانيين في المهجر، حيث تعددت الصحف التي كانوا يصدرونها. فقد صدرت صحيفتا "اختر" و "قانون" في لندن و "الحبل المتين" في كلكتا و "ثريا" و "يدروس" في القاهرة على سبيل المثال لا الحصر[١٢٤]. وكانت هذه الصحف تنتقد الاوضاع القائمة بشكل لاذع تصل الى حد المس بالشاه.

وخلال فترة الثورة الدستورية، وبتأثير المثقفين المتزايد، صدرت اعداد كبيرة جدا، بمقاييس ذلك الزمان، من الصحف، ولم تقتصر على العاصمة طهران فقط بل شملت مختلف المدن والاقاليم الايرانية[١٢٥].

وعلى غرار التجار، كان المثقفون من اشد انصار النزعة القومية ابان تلك الفترة، وبحكم اطلاعهم الجلي على الافكار الحديثة وادراكهم لوضع البلاد المتردي اصبحوا متهيئين اكثر من اي فئة اخرى لفكرة اجراء تغيير جذري في بنية النظام القاجاري المنحل.

لم يكن بوسع رجال الدين، الوقوف موقف المتفرج ازاء التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها ايران منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ولما

---

[١٢٢] محمود علي الداود، محاضرات في تاريخ الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠-١٩١٤، البصرة، ١٩٦٠، ص ١٧٩.

[١٢٣] د. زكي الصراف، المصدر السابق، ص ٣١٧.

[١٢٤] فوزي خلف شويل، المصدر السابق، ص ١٧، ابراهيم الدسوقي شتا، المصدر السابق، ص ٤٤.

[١٢٥] للتفصيل عن موضوع الصحافة الايرانية خلال القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين انظر: زكي الصراف، المصدر السابق.

كانت هذه الفئة تتمتع بوضع اجتماعي متميز وفريد في ايران منذ قرون عديدة نتيجة لامكاناتها الاقتصادية الهائلة النابعة اساسا من مركزها الخاص، كان من الطبيعي جدا ان تتأثر باي تغيير يحصل في نمط العلاقات الانتاجية. ففي ظل التحول نحو نظام الانتاج الرأسمالي وتزايد اهمية الارض الزراعية، تطلع رجال الدين، نحو المورد الجديد والمهم للثروة. وغدا الكثير من كبار رجال الدين ملاكا لاراضي زراعية شاسعة وارتبطوا بالسوق الراسمالية المحلية والاجنبية على السواء[١٢٦].

ولم يقتصر كبار رجال الدين على شراء الاراضي التي بحوزة الغير، بل عملوا على تحويل قسم من اراضي الوقف التي كانت تشكل، مع اموال الزكاة التي يدفعها البازار[١٢٧] لرجال الدين، جانبا من النفوذ الاقتصادي القوي والمتين للفئة الاخيرة، الى ملكيتهم الخاصة عن طريق شرائها. ولم يكتفوا بذلك فقط، بل انهم بادروا الى اقتناء انواع اخرى من الاراضي ايضا بشتى الطرق والوسائل و "دون حرج من اسلوبه"[١٢٨]. فعلى سبيل المثال كان في طهران وقزوين واصفهان من رجال الدين ممن تراوحت عدد القرى التي يمتلكونها ما بين ٥٠و ٢٠٠قرية. وكانت ٤٠٪ من اراضي رشت الزراعية ملكا خاصة برجال الدين قبيل سقوط القاجاريين بفترة وجيزة. وترتب على اندماجهم بالسوق العالمية مزاولة الكثير منهم لتجارة الحبوب والسلع الزراعية، فاصبحوا بحكم ذلك ميالين الى ادخال العلاقات الانتاجية الجديدة الى الريف ولا سيما العلاقات النقدية[١٢٩]، الامر الذي كان يتناقض مع اسس النظام القديم.

كل هذه الامور، وغيرها، تركت اثارها على المواقف السياسية لكبار رجال الدين الذين بحكم موقعهم الاجتماعي وامكاناتهم الاقتصادية الهائلة شاركوا،

---

[١٢٦] د. كمال مظهر احمد، دراسات في تأريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ١٨٥.

[١٢٧] حول البازار ودوره المتميز في المجتمع الايراني خلال مراحل طويل، راجع: منسي سلامة، ايران الاضطراب الكبير، الجزء الاول، بغداد ، ١٩٨١، ص٤٤، بول سويزي وهاري ماجدوف، ايران الازمة الجديدة ١٩٠٠-١٩٨٠، ترجمة مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص٣٠٩.

[١٢٨] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني...، ص ٣٧، نذير فنصة، عاصفة على الشرق الاوسط، بيروت، ١٩٨١، ص ٧٢.

[١٢٩] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص٣٧.

بشكل او بآخر، في كل حدث سياسي مهم شهدته الساحة الايرانية. ولكنهم في جميع مواقفهم، الا فيما ندر[١٣٠]، كانوا ينطلقون، والى حد كبير، من مصالحهم الشخصية، الدنيوية بالدرجة الاولى. فعندما وجدوا ان منح امتياز التبغ الى شركة تالموت[١٣١] البريطانية من قبل ناصر الدين شاه، سيؤثر على مركزهم الاقتصادي، ضغطوا على الشاه بقوة من اجل الغاء هذا الامتياز، وتم لهم ذلك فعلا بفتوى من المجتهد الاكبر. وعلى حد تعبير هرشلاغ، كانت فتوى واحدة كفيلة بزعزعة النظام والاستقرار في طول البلاد وعرضها[١٣٢]. فقد كان بمقدور القيادة الدينية ان تجذب، في اي وقت، التجمعات الواسعة وذلك بسبب قوة الشعور الديني لدى الشعب[١٣٣]. فلا غرابة والحال هذه ان نجد المؤسسة الدينية تقف في وجه اي اجراء من شأنه تغيير وضعها ككيان اجتماعي واقتصادي متميز في المجتمع[١٣٤]. كما حدث مثلا اثناء حكم ناصر الدين شاه حينما قام رئيس وزرائه بمحاولة الحد من نفوذ وامتيازات رجال الدين المتغلغل في كل مجالات الدولة ولا سيما القضاء[١٣٥].

وهناك حقيقة تستحق الوقوف عندها قليلا وهي انه لما كان اغلب رجال الدين يرتبطون والى حد كبير بالملاكين الكبار والتجار الاثرياء كان من الطبيعي جدا ان يقفوا ضد التسيب الاقطاعي وفقدان الامن، وان يطالبوا بدولة قوية تستند الى الانظمة الدستورية الحديثة. فمثلا كان محمد خياباني، احد قادة الحركة الوطنية بعد

---

[١٣٠] نقصد بهم الغالبية الساحقة من رجال الدين الصغار، الذين شاركوا وبنشاط في الحركة الوطنية، في حالات غير قليلة، بحكم انتماءاتهم الاجتماعية. فقد كانت الاغلبية الساحقة منهم تنتمي الى الطبقة الوسطى، كصغار التجار والحرفيين، وفي حالات قليلة، كانوا ينتمون الى الوسط الفلاحي. للتفاصيل، راجع: د. كمال مظهر احمد، دراسات تأريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ١٨٥.

131 Guity Nashat, From Bazaar to Market: Foreign Trade and Economic Development in Nineteenth Century Iran, "Iranian Studies", Vol. XIV, November 2, 1981, P. 76.

[١٣٢] ز. ى. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ١٩٩.

[١٣٣] يرفند ابراهيميان، خلفيات وعوامل الثورة الدستورية، ص ٦٠، مهدي بازركان، الحد الفاصل بين الدين والسياسة، ترجمة فاضل رسوم، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٠٤.

134 B. Jazani, OP. Cit., P. 45.

[١٣٥] رعد عبدالجليل، الدين والسياسة في مجتمعات الشرق الاوسط (دراسة في الحركة الدينية في ايران)، معهد الدراسات الاسيوية والافريقية، سلسلة الدراسات الايرانية، بغداد، بلا، ص٢١.

الحرب العالمية الاولى، من اسرة تجارية كبيرة، الا ان تجارتها كانت بالاساس داخلية فلم تكن من مصلحته ومصلحة اسرته دفع ضرائب باهظة خلال مرورها بين المدن والاقاليم المختلفة في ايران تبلغ (١٤) مرة[١٣٦].

وتتجلى هذه الحقيقة بصورة اوضح وادق في موقف رجال الدين اثناء الثورة الدستورية (١٩٠٥-١٩١١). فلقد وقفوا منذ البداية مع الثورة واسندوها بقوة وذلك لانهم ادركوا ما يعنيه تزايد سلطات الشاه والفئة الحاكمة من تقليص لتلك السلطات الدنيوية لتحل مكانها مؤسسات دستورية تكون لهم فيها الكلمة العليا.

وقد نجحوا في تحقيق غايتهم هذه، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال قراءة نصوص الدستور الذي وضع اثر نجاح الثورة اذ استحوذ رجال الدين على عدد وافر من المقاعد في مجلس النواب، اتت في المرتبة الثانية من حيث المقاعد التي شغلتها الفئات الاخرى[١٣٧]. ونصت احدى مواد الدستورعلى اعطاء كبار رجال الدين سلطة "ممارسة الاشراف الحر على كل القوانين المرتبطة بالمصلحة العامة شرط ان تأخذ بعين الاعتبار الحدود التي رسمها القانون"[١٣٨]، كما نصت في مادة اخرى على تأليف "لجنة مهمتها تدقيق القوانين المقدمة الى البرلمان ومدى مطابقتها لروح الشريعة"[١٣٩].

ولكن عندما اتخذت الثورة طابعا اعمق وابعد مما توخاه رجال الدين الذين ارتبطت مصالح معظمهم بالاستقراطية الحاكمة وبكبار الملاكين، وشكلت تهديدا للامتيازات التي تمتعوا بها والتي لم يكن في فارس التقليدية مجال لم يكن لرجال الدين يد او نفوذ فيه[١٤٠]، قلبوا ظهر المجن للثورة (وتركوا المسرح) لغيرهم على حد تعبير جازاني[١٤١]. بل انتقل بعضهم الى الخندق المضاد للثورة. وتمكنت الطبقة

[١٣٦] د. كمال مظهر احمد، دراسات في تأريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ١٨٦.
[١٣٧] يرفند ابراهيميان، عوامل وخلفيات الثورة الدستورية، ص٤١.
[١٣٨] المصدر نفسه، ص ٥٨.
[١٣٩] المصدر نفسه.
[١٤٠] رعد عبدالجليل، المصدر السابق، ص١٩.
[141] B. Jazani, OP. Cit., P. 28.

الحاكمة، في حالات غير قليلة، من استغلال هذا الموقف لصالحها[142]. ان هذا الموقف المتذبذب لرجال الدين، الذي كان نابعا من مصالحهم الدنيوية، استمر لسنوات لاحقة من العهد القاجاري.

اذن يتضح لنا مما سبق ذكره انه كانت هناك فئات وقوى عدة، متفاوتة في اتجاهاتها، تراوحت مواقفها بين الدعوة للتغيير الجذري في بنية النظام التقليدية او اجراء تغيير محدود مع الاحتفاظ بالطابع التقليدي للنظام. وجاءت التحولات التي شهدتها ايران في تلك الفترة (الربع الاخير من القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين) لتحدد اصطفاف هذه القوى الاجتماعية ولتشكل القاعدة الداخلية للاحداث السياسية اللاحقة، والعاصفة التي هزت المجتمع الايراني وادت في نهاية المطاف الى ازاحة العائلة القاجارية ومجيء الاسرة البهلوية.

142 R. Cottam, OP. Cit., P. 47.

الحركة الوطنية

ادى تفاقم الوضع اواخر العهد القاجاري في ظروف تنامي الاستغلال الاقطاعي والتغلغل الاجنبي في مختلف مرافق الحياة، وضعف السلطة المركزية واسباب اخرى متشابكة، الى ازدياد استياء فئات عديدة في المجتمع الايراني، عبرت عن نفسها باشكال وصور مختلفة، كل ذلك حدد المد الجديد للحركة الوطنية التي بدأت تنمو بوتائر متصاعدة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كانت الثورة الدستورية (١٩٠٥-١٩١١) ابرزها.

وبحكم عوامل مختلفة بدأت الحركة الوطنية تتخذ طابعا اكثر ثورية بعد الحرب العالمية الاولى انعكست في سلسلة من الحركات الثورية التي شملت مناطق مختلفة من ايران، في اذربيجان وخراسان وكردستان وغيرها.

لقد كانت المقاطعات الشمالية مركزا لحركات مهمة، شكلت بعضها تحولا نوعيا في النضال التحرري للشعوب الايرانية، لاسيما غير الفارسية، ففي كيلان ظهرت الحركة الجنكلية التي تعود بدايتها الى الحرب العالمية الاولى[١].

قاد الحركة مرزا كوجك خان[٢] الذي اتخذ مع جماعته غابات كيلان الكثيفة مركزا لحركته فاصبحوا يعرفون اثر ذلك بالجنكليين او (رجال الغابات)[٣] واقسموا على ان لا يحلقوا لحاهم حتى تتحرر ايران من نير الاجانب[٤]. فقد اعلن زعيمهم: "ان هدفي وهدف اصدقائي هو استقلال الدولة واصلاح شؤون الحكومة المركزية وتقويتها"[٥].

---

١ تنفصل كيلان جغرافيا عن الهضبة الايرانية، وتكاد تتمتع باكتفاء ذاتي من الناحية الاقتصادية، اضافة الى انفرادها بلغة خاصة هي (الجيلاني) للتفاصيل راجع:
R.Cottam, OP. Cit., PP. 102-103.

٢ للتفصيل عن حياة كوجك خان انظر: ابراهيم فخرائي، مرزا كوجك خان سردار جنك، تهران، ١٣٤٤ شمسي.

٣ كثيرا ما كان رجال الغابات يسرقون الاغنياء لاطعام الفقراء وحصلوا على الشهرة من خلال عملهم كـ "روبين هود" حافات المياه القزوينية.
E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 161.

4 Yahya Armajani, Middle East-Past and Present, New Jeresy, 1976, P. 325;

ان موقع كيلان القريب من روسيا جعلها تتمتع بوضع خاص، اذ ان وقوعها بين طهران وباكو قد جعلها طريقا تجاريا مهما، وكان نتيجة ذلك ان ظهرت فيها فئة تجارية كبيرة نسبيا، الفوا مع العناصر الاخرى القاعدة الاساسية للطبقة الوسطى التي كونت نسبة مهمة من سكان كيلان، والتي حملت لواء الدعوة للفكرة القومية الداعية الى تحقيق استقلال ايران، والتخلص من السيطرة والاستغلال الاجنبيين[٦].

ومما له مغزاه في هذا الشأن ان الحركة لم تقتصر على ابناء كيلان وحدهم بل ضمت الى صفوفها ايضا عددا من ابناء القوميات الاخرى، بمن فيهم الفرس، مما يعكس مدى الاستياء الشعبي الذي يسود ايران يومذاك[٧].

وتعاون مع كوجك خان الثوريون، والقاعدة الفلاحية التي جذبتها افكاره حول العودة الى القيم الاسلامية الاصلية وتحقيق العدالة الاجتماعية، فقد سعى الجنكليون لتعديل العلاقة بين مالكي الارض والمزارعين، ورفعوا الاتاوات العينية عن الفلاحين[٨].

وتعاونت قيادة الحركة مع الالمان والعثمانيين[٩] اثناء الحرب ضد الحلفاء[١٠]. وللتدليل على ذلك نجد ان انور باشا، وزير الحربية التركي، اهدى كوجك خان

اسد بيك، نفت وخون در شرق، ترجمه سرتيب محمد حسين جهانباني، تهران، ١٣٣٩، ص ١٧١.

5 Cottam, OP. Cit., P. 104.

٦ "دنيا" (مجلة)، سال دهم، شماره٣، دورهى دوم، شمارهى سوم، بائيزسال ١٣٤٨، ص ٨٥، فريد هوليداى، النفط والتحرر الوطني في الخليج العربي وايران، ترجمة زاهر ماجد، بيروت، ١٩٧٥، ص ٩٤،

R,Cottam, OP. Cit., P. 102.

٧ د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ٢٤٦-٢٤٧.

8 G.Hossein Razai, Genesis of Party in Iran Acase study of the interaction between the political system and political parties, "Iranian studies", number2,Vol. III, 1970, P. 54; D.R.Denman, The King's vista, London, 1973, P. 45.

٩ لم يلغ تعاون الحركة مع الالمان والعثمانيين عنها طابعها الوطني، بل كان ذلك ادراكا منها للواقع الدولي على صعيد تناسب القوى واستغلال التناقضات بين المعسكرين المتصارعين. ويصف جنرال دستر فيل الذي قاد الحملة الانكليزية من خلال جيلان الى انزلي سنة ١٩١٨، الميرزا بانه متحمس كبير شعاره الاسمى "فارس للفرس". حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، جلد اول، تهران، ١٣٢٣، ص

سيفا مرصعا حفرت عليه عبارة "هدية الى المجاهد الايراني كوجك خان"[١١]. وفي عام ١٩١٧ اعلن عن تشكيل لجنة ثورية باسم "اتحاد اسلام" طرحت برنامجا وطنيا واصدرت صحيفة "جنكل" للتبشير بمبادئها[١٢].

دخلت الحركة الجنكلية مرحلة مهمة في التاريخ بعد ثورة اكتوبر. فقد كان الجنكليون حتى مستهل عام ١٩١٨ يسيطرون على كيلان تماما ويمدون سيطرتهم الى مازندران والمناطق الساحلية لبحر قزوين، ويعتقلون بعض البريطانيين كرهائن لديهم[١٣]. حتى ان جريدة الـ "تايمس" الانكليزية وصفت الوضع بهذه العبارات: "لقد اصبح كوجك خان الحاكم الفعلي لكيلان، واتخذ دور حامي ونصير الفقراء من السكان ضد الحكومة المركزية التي اعلن (كوجك خان) انها فاسدة"[١٤]، وما لبثت ان انضمت الى الجنكليين اقسام من قوات القوزاق "التي ارسلتها حكومة طهران لمحاربتهم، وهرب حاكم كيلان والعديد من الموظفين والتجار الى طهران[١٥].

وفي ٥ حزيران ١٩٢٠ اعلن عن تشكيل جمهورية كيلان السوفيتية الاشتراكية وعلى اثره شكلت الحكومة الثورية المؤقتة التي ترأسها كوجك خان الذي حصل، اضافة الى ذلك، على حقيبة القوميسار العسكري. وتمت اقامة جبهة موحدة في كيلان تضم جماعة كوجك خان واحسان الله خان وخالو قوربان[١٦]. ووصولا الى

٣٢٤، ايفار سيكتور، اربعون عاما، عرض تاريخي علمي للعلاقات السياسية والاجتماعية بين الاتحاد السوفيتي وبلدان الشرق الاوسط من سنة ١٩١٧-١٩٥٦، بيروت، ١٩٦١، ص ٦٧.

10 Y.Armaganie, OP. Cit., P. 325;

م. ع، سياست دولت شوروى در ايران از ١٢٩٦-١٣٠٦، طهران، ١٣٢٦، ص ٩٧

B.Jazani, OP. Cit., P. 9.

١١ د. كمال مظهر احمد، كوردستان له ساڵەکانی شەڕی یەکەمی جیهاندا، بەغداد، ١٩٧٥، ل ١٦١.

١٢ ابراهيم الدسوقي شتا، المصدر السابق، ص ٥٥، حربي محمد، تطور الحركة الوطنية في ايران من سنة ١٨٩٠ حتى سنة ١٩٥٣، بغداد، ١٩٧٢، ص ٤٠، فوزى خلف شويل، المصدر السابق، ص ١٨٦، د. كمال مظهر احمد، كوردستان لەساڵەکانی شەڕی یەکەمی جیهاندا، ل ١٦١-١٦٢.

١٣ "الاستقلال"، ٢ شباط ١٩٢١، ابراهيم الدسوقي شتا، المصدر السابق، ص ٥٥، Suroosh Irfani, Iran's Islamic Revolution, London, 1983, P. 54.

١٤ مقتبس من : Masrllah Saifpour Fatemi, Diplomatic

15 M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 279.

16 Ibid; G.Hossein Razai, Genesis of party in Iran; Acase study of the Interaction between the political system and political parties, Iranian Studies, P. 72;

نهاية عام ١٩٢٠ كانت الجمهورية قد بلغت درجة من القوة حتى انها هيـأت قوة مكونة من ١٥٠٠ جنكلي واكراد وارمن واذربيجانيين للسير الى طهران الى الحد الذي دفع السفارة البريطانية الى التفكير في نقل مقراتها الى اصفهان[١٧]. وبعد سنوات اشار السفير البريطاني في طهران الى هذا الامر قائلا: "ان الحكومة الايرانية كانت عاجزة عن مسايرة حركة الادغال، وكان الارشاد والتوجيه البريطاني هو الذي خفف انهيار الحاكم. وقد كادت العاصمة تسقط بين احضانه كتفاحة ناضجة لكنه لم يحسن استغلال قوته، وضعف الحكومة المركزية"[١٨].

لقد كانت الجبهة منذ الايام الاولى لتشكيلها تحمل بذور ضعفها في داخلها اذ ان الشعارات التي طرحتها كانت متناقضة لاختلاف الانتماءات الفكرية لزعمائها. فقد وقف كوجك خان والقوميون ضد الاجراءات المتطرفة لجماعة احسان الله وخالو قوربان حول مصادرة الاراضي والاستيلاء على المؤسسات التجارية وزيادة الضرائب على السكان الحضريين والحرفيين والتجار الصغار، وتحريم التجارة الخاصة، ودعوة النساء للتخلي عن الحجاب، ومضايقة رجال الدين، الامر الذي اثار استياء ممثلي البرجوازية وملاكي الاراضي الصغار والاقطاعيين فابتعدت العناصر المحافظة والمعتدلة عن الثورة. وحتى بالنسبة للفلاحين الذين شكلوا جزءا مهما واساسيا في الحركة الثورية، فشلت الاجراءات المذكورة في تهيئة وسائل الانتاج اللازمة لهم من البذور والحيوانات، وفي حالات غير قليلة كانت حيواناتهم الخاصة تصادر ايضا وشكل جيش اللاجئين الذي بدأ يتدفق الى المدن-جراء القتال المستمر-مشكلة اقتصادية عويصة للحركة[١٩].

ونتيجة لهذه الخلافات انقسمت الجبهة على نفسها وانحلت بعد شهر واحد من تأسيسها. ولجأ كوجك خان وجماعته مرة اخرى الى الادغال. وردا على ذلك قام

حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج١، تهران ١٣٢٣، ص ٢٣٩.

[17] E. Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 116;

د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ٢٤٨.

[18] F.O., 371/9025, Ell62, The Political Situation in Persia, November 14, 1923, P. 133; S. Irfani, OP. Cit., P. 53.

[19] M.S. Ivanov, OP. Cit., PP.280-282; S.Irfani, OP. Cit., P. 59; R.Cottam, OP. Cit., P. 105; ايفارسيكتور، المصدر السابق، ص ٦٦

احسان الله وخالو قوربان باعتقال العديد من انصار كوجك خان في رشت وانزلي[20]. وفي الوقت نفسه تم تشكيل حكومة جديدة في رشت بزعامة احسان الله. وقبل ان يكمل استعداداته قام بالهجوم على طهران، مما ادى الى تحطيم قواته على يد القوزاق والقوات البريطانية[21]. وتمكنت قوات القوزاق اثناء مطاردتها لقوات احسان الله من احتلال مدينة رشت واضطرت قوات احسان الله الى الانسحاب من مازندران كذلك[22]. وبعد فشله سعى احسان الله الى الاتفاق مع الاقطاعي ضرغام السلطة ضد كوجك خان مما الحق ضررا بالغا بالحركة الثورية ليس في كيلان فقط وانما في ايران كلها[23]. وقد سعت اطراف الحركة الكيلانية الى عقد مصالحة جديدة بينها وتم الاتفاق على تشكيل حكومة جديدة اصبح فيها كوجك خان رئيسا وقوميسارا للشؤون المالية وحيدر خان قوميسارا للشؤون الخارجية وخالو قوربان قوميسارا للشؤون العسكرية[24].

وقد حددت الحكومة الجديدة اهدافها باقامة القوات المسلحة الثورية وتحويل كيلان الى قاعدة لازاحة الحكومة الرجعية في طهران[25]. واتخذت الحكومة الجديدة خطوات عدة لتحسين اوضاع الشعب فقد جرى افتتاح عدة مدارس للتعليم المجاني، وبوشر بحملات واسعة لمحو الامية في المناطق الريفية. وتم تأسيس نقابات للعمال وصيادي الاسماك، وجرت اجتماعات جماهيرية لشرح اوضاع البلاد وفضح السياسة الاستعمارية والسياسة الرجعية لحكومة الشاه[26].

سرعان ما دبت الخلافات بين اطراف الجبهة، فقد شعر احسان الله ان مركزه قد ضعف في الحكومة الجديدة. وفي محاولة منه لتأكيد نفوذه شن هجوما مباغتا على

---

20 M.S. Ivanov, OP. Cit., PP. 230-282; S. Irfani, OP. Cit., PP. 57-58.

٢١من الجدير بالذكر ان عددا من الجنود في القوات البريطانية التي ارسلت لمحاربة الثوار في الايام الاولى للحركة رفضوا القتال ضدهم وانضموا اليهم. للتفاصيل انظر: "الاستقلال"، ٣٠ ايلول ١٩٢٠، S.Irfani, OP. Cit., PP. 57-58.

22 M.S. Ivanov, OP. Cit., PP. 280-283; S. Irfani, OP. Cit., P. 58.

23 M.S. Ivanov, OP. Cit., PP282-283.

24 S. Irfani, OP. Cit., P. 60; ايفار سيكتور، المصدر السابق، ص ٦٦

M.S. Ivanov, OP. Cit., PP. 292-293.

25 M.S. Ivanov, OP. Cit., PP. 292-293.

26 S.Irfani, OP. Cit., P. 60; M.S. Ivanov, OP. Cit., PP. 293-294.

طهران بدون اجراء الاستعدادات العسكرية اللازمة، ودون اعلام الاطراف الاخرى في الجبهة، مما اسفر عن هزيمة شنيعة لقواته على ايدي القوزاق، وخسر من رجاله ٣٠٠ مسلحا وادانت الجبهة الثورية تصرفاته وطردته من بين صفوفها فذهب الى لاهيجان[٢٧].

استغلت حكومة الشاه هذه الخلافات داخل صفوف الحرية الثورية فسعت لكسب عدد منهم ودخلت سوق المساومات معهم واستغلت الخلافات التي استفحلت بين اطراف الجبهة، مما هيأ الفرصة امام قوات الحكومة[٢٨] للزحف على مناطق الثوار وتم لها السيطرة على كيلان كلها بعد ان استسلم لها قسم كبير من الثوار[٢٩].

لم تكن للظروف الدولية السائدة آنذاك دور قليل في انهاء الجمهورية الوليدة[٣٠]. فالاتحاد السوفيتي الذي كان قد خرج من غمار حرب اهلية انهكته، لم يستمر في تقديم دعمه لثوار كيلان[٣١]. فقد كان من مصلحته انهاء الوجود العسكري البريطاني في ايران من جهة، وايجاد حدود آمنة مع ايران من جهة اخرى ليأمن بوابته الخلفية[٣٢]. واستثمرت وزارة مشير الدولة هذا الوضع ودخلت في مفاوضات مع السوفيت وتم توقيع معاهدة بينهما[٣٣]، امتنع السوفيت بموجبها عن التدخل في الشؤون الداخلية لايران[٣٤]. وقد اوضح السفير السوفيتي في طهران، روتشتاين،

---

27 S.Irfani, OP. Cit., P. 60; M. Ivanov, OP. Cit., P. 294.

٢٨ حول القوات التي ارسلت لمحاربة كوجك خان انظر:

F.O., 371/6417, Tel. No. 618, E12426, From Bridgeman to F.O., November 7, 1921, PP. 41-42.

29 M.S. Ivanov, OP, Cit., P. 295.

٣٠ ادرك لينين وفي مرحلة مبكرة، شروط ومستلزمات التطور في بلدان الشرق وتناسب القوى على الصعيد الدولي، فلم يندفع كثيرا على عكس العديد من الثوار الروس آنذاك في التأكيد على ضرورة احداث تغييرات جذرية في تلك البلدان، وهذا ما نلحظه اثناء مؤتمر شعوب الشرق الذي انعقد في باكو في الفترة بين ١-٨ ايلول من عام ١٩٢٠. للتفاصيل راجع المؤتمر الاول لشعوب الشرق. باكو ١-٨ ايلول، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت، ١٩٧٢.

31 Y.Armagani, OP. Cit., P. 325.

32 B. Jazani, OP. Cit., P. 10.

٣٣ سنأتي على ذكرها في الفصل القادم.

34 S. Irfani, OP. Cit., P. 60.

الموقف السوفيتي الجديد من الحركة، في رسالة بعث بها الى كوجك خان يقول فيها: "لم يكن ممكنا ان تجبروا ايران على اجراء تغييرات، او تحرير البلاد من الوجود والنفوذ البريطاني. واكرر بان ذلك ليس بسبب اي خطأ من قبلكم ولكنه نتيجة للوضع العالمي بعد الحرب العالمية الاولى... لقد غيرنا استراتيجيتنا وتبنينا استراتيجية اخرى".

وفي فقرة اخرى يشير روتشتاين الى انه: "يوجد تقدم مرئي في شؤوننا السياسية (شؤون السوفيت في ايران) التي تشير الى ان النفوذ البريطاني اخذ بالافول". وفي نهاية رسالته يحث كوجك خان على الاتفاق مع الحكومة المركزية في طهران[٣٥].

ومن الجدير بالذكر ان جريدة الـ "تايمس" اللندنية في عددها المؤرخ في ٢٧ آب عام ١٩٢٠ كتبت عند حديثها عن الوضع في ايران عموما وكيلان خصوصا، مايلي: "ليس هناك مجال لاى حل للمسألة الفارسية في ايران نفسها، لكن المشكلة الفارسية ينبغي ان تكون احدى اهم المسائل العالمية التي يجب ان تناقش عن طريق التفاوض بين الكرملين و١٠ داوننغ ستريت"[٣٦].

وهذه العبارة هي ابلغ من ان تحتاج الى تفسير، فهمي تكشف عن المداخلات الدولية التي كانت تتحكم بالوضع في ايران.

وهكذا لم يكن امام كوجك خان مناص من الاذعان للمصير الذي آلت اليه حركته. فاستمر في مقاومة القوات الحكومية ثم هرب الى الجبال حيث لقي حتفه بعد ذلك في جبال طاليش فبتر راسه وجلب الى طهران وعرض للناس بشكل تشهيري في محاولة من الحكومة لتأكيد سطوتها ونفوذها[٣٧].

اما الحركة الثانية، والتي تركت اثرا بالغا في تاريخ ايران عموما في تلك الفترة وفي تاريخ اذربيجان[٣٨]. خصوصا فهي انتفاضة الشيخ محمد خياباني[٣٩]، احد الذين

---

٣٥ مؤرخ الدولة سبهر، ايران درجنك بزرك ١٩١٤-١٩١٨، طهران، ١٣٣٦، ص ٣٩٥، S.Irfani, OP. Cit., P. 61.

٣٦ مقتبس من: N.S.Fatemi, OP, Cit., P. 239

٣٧ "الاستقلال"، ١١ شباط ١٩٢٤ و ٥ مارت ١٩٢٢،

S.Irfani, OP. Cit., P. 62; E.Abrahamaian, Iran between two Revolutions, P. 119.

٣٨ تقع اذربيجان في الشمال الغربي من ايران عند حدود ايران مع تركيا والاتحاد السوفيتي تفصلها عن تركيا جبال ارارات التي ترتفع حوالي ١٦,٠٠٠ قدم عن سطح الارض، بينما يشكل نهر آراس الذي

لعبوا دورا بارزا في الثورة الدستورية، والليبرالي المؤمن بالقيم الديمقراطية والحرية الفردية.

شكلت ثورة اكتوبر ١٩١٧ في روسيا نقطة تحول مهمة في النضال التحرري الاذربيجاني، اذ ان رحيل القوات الروسية من اذربيجان ترك فراغا سياسيا كبيرا فيها، فخلا الجو لبريطانيا لتهيمن لوحدها على الوضع في ايران، في وقت بلغت فيه السلطة المركزية في طهران اوج درجات الضعف، فبدا للكثيرين، وكان هذا واقع الحال، ان الوزارات المتعاقبة على سدة الحكم ليست سوى واجهات ايرانية تحركها ايد بريطانية، مما زاد من الاستياء الشعبي، الذي مرده الاوضاع المتردية للجماهير الايرانية في سنوات الحرب[٤٠]. فانفجرت في اذربيجان انتفاضة شعبية بقيادة الشيخ محمد خياباني الذي اعلن في خطاب جماهيري[٤١] في نيسان من عام ١٩٢٢ عن قطع

يصب في بحر قزوين خط الحدود مع روسيا. وتشكل اذربيجان منطقة متميزة في ايران، ففيها اخصب اراضي ايران وافضلها وبالتالي اكثرها انتاجا ويشبهها البعض بـ (سلة خبز) بالنسبة لايران. اضافة الى كونها اهم مركز لاتصال ايران بالغرب عبر البحر الاسود والقوقاز. فهي بوابة ايران الذي تطل منه على العالم الخارجي راجع: N.S.Fatemi, OP. Cit., P. 244-245.

٣٩ ولد الشيخ محمد خياباني في عام ١٨٨٠ في قصبة خامئين، القريبة من تبريز من اسرة تجارية وبحكم مهنة والده، سافر منذ صباه الى روسيا، وهناك احتك شيئا فشيئا بالافكار الاشتراكية. انتخب نائبا عن اذربيجان في المجلس الثاني لعام ١٩٠٩، ووقف بثبات ضد كل انواع التدخل الاجنبي في ايران، ولاسيما في اذربيجان. كانت له قدرة خطابية رائعة تاخذ بمجامع قلوب الجماهير، حتى ان احد اتباعه وصف كلماته المؤثرة بهذه العبارة البليغة: "تسرى كلماته الجميلة وعباراته البليغة سريان الماء في جدول رقراق"، وكانت الجماهير تهتف لدى سماعها خطاباته بان "امريكا اذا كان لديها ولسن فان ايران لديها خياباني". وشارك خياباني بنشاط في النضال ضد المحتلين الاتراك والروس في الحرب العالمية الاولى، اضافة الى كونه احد ابرز مؤسسي الحزب الديمقراطي الاذربيجاني، واصدر صحيفة "تجدد" لسان حال الحزب. للتفصيل راجع:

جند نفر از دوستان واشنايان او، شرح حال واقدامات شيخ محمد خياباني، برلين، ١٣٠٤، ص ٢٣-٢٥، N.S.Fatemi, OP. Cot., PP. 246-247;

احمد كسروى، تاريخ هيجده ساله اذربيجان بازمانده تاريخ مشروطت ايران، جاب دوم، تهران، ١٣٣٣، ٨٩٤-٨٩٧، حسين مكى، تاريخ بيست سالة ايران، ج١، ص ١٢-١٦،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, PP. 112-113.

40 R.Cottam, OP. Cit., P. 122;

د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ٢١٥.

٤١ حول خطب خياباني واحاديثه في صحيفة "تجدد" انظر: جند نفر از دوستان واشنايان او، المصدر السابق، ص ٥٠-٥١.

اذربيجان لصلاتها مع الحكومة المركزية في طهران، وذكر" "ان هدفنا هو عظمة ايران، ولكي تكون اذربيجان جزء لا ينفصل عن ايران"[٤٢]. وفي مكان اخر اعلن "ان شرف كل شعب... الاستقلال، وان اساس الحرية المساواة، وكلنا امام القانون متساوون"[٤٣]. واننا نريد حكما ديمقراطيا في بلدنا"[٤٤].

التفت جماهير اذربيجان حول الحركة، فتعطلت الاسواق، واغلقت المؤسسات الحكومية ابوابها، وخرجت المسيرات الجماهيرية في شوارع مدينة تبريز، وطرد الثوار حاكم الاقليم وموظفي الشاه الرجعيين، وانضمت قوات الجندرمة الذين كان العديد من افرادها قد شارك في الثورة الدستورية، الى الثوار، وامتدت الانتفاضة من تبريز الى المدن الاخرى في اذربيجان[٤٥].

واعلن الثوار تسمية اذربيجان باسم "ازاديستان" او "بلاد الحرية"[٤٦]، وقد حدد النظام الجديد اهدافه في قلب نظام الحكم، واقامة نظام حكم جمهوري ديمقراطي، وتخليص ايران من كل انواع التبعية الاجنبية ومنح اذربيجان الحكم الذاتي، اضافة الى اجراء اصلاحات اقتصادية وثقافية واطلاق الحريات الديمقراطية[٤٧].

اتخذ النظام الجديد عدة اجراءات لتحسين اوضاع الجماهير الشعبية، فقد حارب السوق السوداء وخفض اثمان السلع الغذائية، وجرى تنظيم شامل للمدينة، وخلال الستة اشهر التي استمرت فيها الثورة كانت المدينة منتظمة جدا، وكان الامن فيها مستتبا[٤٨].

اثارت احداث اذربيجان خوف العناصر الرجعية الحاكمة في طهران، والسلطات البريطانية ايضا، فقد ركز الثوار على ضرورة انهاء الوجود البريطاني في ايران، لا

---

٤٢ حسين مكي، تاريخ بيست ساله ايران، ج١، ص ١٢.

٤٣ جند نفراز دوستان واشنايان او، المصدر السابق، ص ٥٨.

٤٤ محمد تمدن، اوضاع ايران درجنك اول با تاريخ رضائيه، تهران، ١٣٥٠، ص ٣٥١.

٤٥ احمد كسروي، تاريخ هيجده ساله اذربيجان، ص ٩٨١،

M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 276>

46 N.S.Fatemi, OP. Cit., P. 249.

٤٧ د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ١١٧.

48 M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 276;

حسين مكي، تاريخ بيست سالة ايران، ج١، ص١٨،

محمد تمدن، اوضاع ايران درجنك اول، ص٣٤٩.

سيما بعد انسحاب الروس في اعقاب ثورة اكتوبر، فقد ادرك خياباني، وفي وقت مبكر، بفكره الثاقب، وعلى عكس العديد من العناصر الايرانية الليبرالية، انه ليس بالامكان تحقيق استقلال ناجز في ايران في ظل الهيمنة الفعلية للانكليز في شتى مرافق الحياة في البلاد، فكان من الطبيعي ان يساند الانكليز اي اجراء تتخذه السلطات الحاكمة لقمع الانتفاضة، وبعثوا بصنيعهم ادموندس الى تبريز ليراقب الاحداث عن قرب[٤٩].

وظهرت في الصحف الموالية للحكومة مقالات تتهم خياباني وجماعته بالدعوة لانفصال اذربيجان عن ايران، في حين كانت الدلائل تشير الى ان خياباني لم يبدر منه، في اي وقت، ما كان ينبيء عن دعوته او تأييده لاي مشروع من هذا النوع[٥٠].

كما اتهموا خياباني بالتعاون مع الروس البلشفيك في الوقت الذي كان يعلن فيه بانه يضع مصلحة وطنه ومواطنيه فوق كل شيء. وبالنسبة له فان كل الاجانب، بريطانيين كانوا ام روسا، كلهم سواء ليس لهم حق التدخل في شؤون ايران[٥١]. ففي احدى المناسبات اعلن انه اذا ما قام الروس باغتصاب اي جزء من ايران فانه وجماعته لن يتوانوا عن مقاتلتهم حتى اخر رجل[٥٢]. وكتبت جريدة "تجدد" ان اذربيجان جزء لا ينفصل عن ايران"[٥٣].

في اثناء ذلك كانت وزارة مشير الدولة قد جاءت الى الحكم، وتم تعيين مخبر السلطنة حاكما على اذربيجان، فدخل الاخير وباسلوب مراوغ في مفاوضات مع قادة الحركة وتظاهر بتأييده للافكار الليبرالية، وفي الوقت نفسه كان يجري اتصالاته مع العناصر المريبة التي اندست بين صفوف الثوار. وما ان استتب له الامر حتى امر قوات القوزاق التي رافقته الى تبريز، بمهاجمة قواعد الثوار، الذين فوجئوا على حين غرة بهذا الهجوم، فقتل عدد كبير منهم، في حين اختفى خياباني مع نفر من اعوانه، الا ان ثلة من جنود القوزاق اكتشفت موضعه، فاردي قتيلا بسبع طلقات، وحمل على محفة، بعد ان قطعت يداه بالساطور، الى مخبر السلطنة[٥٤].

---

٤٩ احمد كسروي، تاريخ هيجده ساله اذربيجان، جلد اول، ص ٨٧٨.

50 N.S.Fatemi, OP. Cit., P. 248; R. Cottam, OP. Cit., P. 122.

51 N.S.Fatemi, OP> Cit., P. 250>

52 Ibid.

٥٣ مقتبس من: جند نفر از دوستان واشنايان او، المصدر السابق، ص ٣٥.

54 M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 278;

لقد اسهمت عدة عوامل في اخفاق النظام الجديد الذي اقامه خياباني والذي استمر ستة اشهر، فقد تعاون خياباني مع كثير من العناصر الانتهازية التي اعلنت انتماءها للثورة، وعند اول بادرة دخلت سوق المساومات مع السلطات الرجعية التي استطاعت شراء ذمم العديد منهم، كما انه لم يفهم واقع تناسب القوى على الساحة الايرانية، ولم يحاول اقامة تحالفات او اتصالات مع قوى ثورية اخرى كانت تناضل في مناطق مختلفة من ايران، كما انه في حالات كثيرة لم يول فئات جماهيرية واسعة، كالفلاحين، ما تستحق من اهتمام، مما جعل مساهمتها في الاحداث ضئيلا بشكل واضح، اضافة الى انه لم يحسن المناورة ضد اساليب السلطة الرجعية والانكليز، مما عجل في وقوعه في الفخ الذي نصبه له مخبر السلطنة[55].

ورغم ذلك فقد كانت لانتفاضة خياباني اصداء واسعة في ارجاء اخرى من اذربيجان ومناطق ايرانية اخرى. ففي حديث لمشير الدولة في احدى جلسات المجلس الايراني ذكر "انه-اي خياباني- لم يعمل من اجل احداث انقلاب سياسي، بل من اجل احداث انقلاب فكري في عموم ايران. وان اتباع خياباني على قلتهم الا ان قيمتهم واهميتهم كثيرة"[٥٦]. كما كانت انتفاضة خياباني من ضمن الاسباب التي عجلت في اسقاط وزارة وثوق الدولة في منتصف عام ١٩٢٠[٥٧]، وشكلت مع غيرها من الحركات الثورية احد العوامل القوية لزعزعة النظام القاجاري المنحل، الذي كان يعيش ايامه الاخيرة.

وفي خراسان اندلعت انتفاضة اخرى بقيادة الكولونيل محمد تقي خان الذي كان قد شارك مع العديد من رفاقه في النضال ضد الانكليز والروس في كرمنشاه اثناء الحرب العالمية الاولى. وبعد انتهاء الحرب لجأ الى المانيا، وعاد الى ايران عام

جند نفر از دوستان واشنايان او، المصدر السابق، ص ٣٧-٣٨، احمد كسروى، تاريخ هيجده ساله اذربايجان، ص ٨٩٤، جبرائيل روئين دز، انقلاب كبير سوسياليستى اكتبر وجنبش خيابانى، از انتشارات شعبه تبليغات حزب توده ايران، باكو، ١٣٤٦، ص ٣٠٢-٣-٣.

55 M.S.Ivanov, OP. Cit., PP. 277-278;

د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ٢١٦.

٥٦ مقتبس من: حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، جلد اول، ص ١٤.

57 M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 276;

١٩٢٠[٥٨]، فعينته الحكومة قائدا للقوات العسكرية والجندرمة في خراسان، واحدة من اهم المقاطعات النائية في ايران في محاولة منها لابعاده مع غيره من العناصر الوطنية عن طهران، حيث كانت تسودها موجة استياء عارمة ضد الانكليز في ايران[٥٩].

واثناء وجوده هناك استطاع اعادة الهدوء الى الاقليم، لاسيما الريف، حيث تحكم قطاع الطرق واللصوص في شؤون الناس، ونظم قوات الجندرمة، وطالب الحكومة بدفع رواتب الجند المتاخرة، فاصبح شخصية لها وزنها في خراسان، بل بلغت شهرته حدا كانت "تتجاوب اصداؤها حتى في طهران نفسها" على حد تعبير كوتام[٦٠].

في صيف ١٩٢١، اصبح قوام السلطنة رئيسا للوزراء[٦١]، وبعث الي محمد تقي خان يستدعيه الى طهران، فرفض الاخير هذا الامر، واعلن انتفاضته بوجه الحكومة المركزية، فقد كان يعتبر قوام السلطنة عميلا للانكليز، وان الوزراء والموظفين مسؤولون عن الاوضاع المتردية في طهران، وان الشاه لا علم له بذلك[٦٢].

وقد قدم اهل خراسان قائمة تضمنت مطالبهم للحكومة المركزية حول اختيار رجال درك دائميين لخراسان تحت اشراف ضباط يختارهم سكان الاقليم، وان يؤخذ برأيهم عند اختيار الحاكم للاقليم، وان يسمح لتقي خان بالسفر الى خارج ايران لمدة سنتين. بيد ان الحكومة المركزية لم تلتفت الى هذه المطالب[٦٣]. ومما تجدر الاشارة اليه

---

58 Ibid, P. 269, R. Cottam, OP. Cit., P. 108.

59 M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 296.

60 R.Cottam. OP. Cit., PP. 108-109;

جند نفر از دوستان وهمراخواهان امرحوم، شرح حال كلنل محمد تقيخان بسيان، برلين، ١٣٠٦، ص٧١، ملك الشعراء بهار، تاريخ مختصر احزاب سياسى. تاريخ مختصر قاجاريه، ج١، تهران، ١٣٢٣، ص١٥٢.

٦١ كان سيد ضياء الدين طباطبائي بعد انقلاب ١٩٢١ قد بعث الى محمد تقي خان باوامره لاعتقال قوام السلطنة الذي كان حاكما عاما لخراسان انذاك، فامتثل الاخير لهذا الامر، وبعدما غادر سيد ضياء الدين طباطبائي ايران بضغط من رضا خان (رضا شاه فيما بعد) قيض لقوام السلطنة ان يصبح رئيسا للوزراء فانتهز الفرصة لكي يرد الصاع صاعين، مما عجل بمحمد تقي خان لاعلان انتفاضته. راجع:

R.Cottam, OP. Cit., PP. 154-155.

62 M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 297.

63 R.Cottam, OP. Cit., P. 109;

تاريخ مختصر احزاب سياسى، ص ١٤٦، حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج١، ص ٤٨٩.

انه بحكم طبيعة العلاقات الاقطاعية في خراسان، حيث كانت العلاقات القروسطية تسود وكان كبار الملاكين ورجال الدين يهيمنون على مساحات شاسعة من الاراضي، فان الفلاحين، الذي كانوا يشكلون النسبة الغالبة بين السكان وفي قوات الجندرمة، قد اظهروا نشاطا واضحا اثناء الانتفاضة، فقد رفضوا القيام باعمال السخرة ودفع الضرائب والاتاوات للاقطاعيين، واستولوا على اراضي البعض منهم ومخازن الحبوب[٦٤].

وعندما وجدت حكومة طهران ان حركة محمد تقي خان قد تتسع لتأخذ مدى اوسع من ذلك، لجأت الى اسلوبها التقليدي في تحريض قوى قبلية ضده، فثارت ضده قبيلة قوجان الكردية، وبعد معركة دامية سقط محمد تقي خان صريعا[٦٥]، على ايدي افراد من هذه القبيلة، وتم لحكومة قوام السلطنة اعادة سيطرتها على اقليم خراسان[٦٦].

والواقع انه ما من شيء يدعو للقول ان حركة محمد تقي خان كانت ترمي الى فصل خراسان عن ايران او حتى مجرد المطالبة بحكم ذاتي عكس ما كان يشيعه اعداؤه، خصوصا رئيس الوزراء قوام السلطنة ووزير الحربية رضا خان، بل اقتصرت مطالبه على تحسين اوضاع الاقليم والاستجابة لرغبات سكانها.

وفي كردستان ايران حدث مد ملحوظ في الحركة القومية الكردية ذات الطابع الديمقراطي، وتعمق نضال الاكراد في سلسلة من الانتفاضات كان ابرزها انتفاضة اسماعيل آغاشكاك المعروف بـ "سمكو".

يرجع ظهور اسماعيل آغا سمكو الى سنوات ما قبل الحرب العالمية الاولى. وقد ترك اغتيال شقيقه (جعفر آغا) غيلة على ايدي السلطات الايرانية في عام ١٩٠٥

---

64 R.Cottam, OP. Cit., PP. 106-107; M.S.Ivanov, OP. Cit., PP. 296-298.

ومن الجدير بالذكر ان هذا التأييد لم يقتصر على الفلاحين، بل امتد ليشمل الحرفيين ونساجي السجاد وعمال التلغراف في مدينة مشهد، للتفاصيل راجع:

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, PP. 129-130.

٦٥ لازال الايرانيون يعتبرون محمد تقي خان شهيدا للحرية والديمقراطية وينظر اليه الجميع باحترام كوطني ايراني قدم حياته على مذبح الحرية التي كان يهاجمها حكام ايران آنذاك بعنف.

٦٦ شرح حال كلنل محمد تقيخان، ص ٧١-٧٢، حسين مكى، تاريخ بيست سالة ايران، ج١، ص ٢٨٢، مصطفى الطباطبائي، ايران في العهد الجديد، صيدا، ١٩٣٥، ص ٦٠.

اثرا بالغا في نفسه استمر طيلة السنوات التالية[٦٧]. شهدت تحركات سمكو في سنوات الحرب العالمية الاولى هدوء نسبيا بسبب الاوضاع التي كانت تمر بها ايران، ولا سيما كردستان[٦٨]. ولكن بانتهاء الحرب اتخذت حركته طابعا اكثر فعالية، وتحددت اهدافه وتعمقت بشكل اوضح لاسيما بعد ظهور رضا خان (رضا شاه فيما بعد) حتى غدا (العدو الملحمي) له (لرضا خان) على حد تعبير كوتام[٦٩].

وبين الاعوام ١٩٢٠-١٩٢٢ تمكن سمكو من فرض سيطرته على اجزاء مهمة من كردستان ايران، ولا سيما الاجزاء الشمالية منها[٧٠]، حيث انتشرت مطالب الشعب الكردي التي استهدفتها الانتفاضة بصورة كبيرة، خاصة في اورمية التي تحولت عمليا الى مقر له[٧١]. وكانت انتفاضة سمكو في جوهرها حركة تحررية[٧٢] قومية، شاركت فيها جماهير واسعة من الاكراد الذين ناضلوا، شأنهم شأن الشعوب غير الفارسية الاخرى، من اجل التحرر من نير السلطة المستبدة[٧٣]. ومما له مغزاه بهذا

---

٦٧ كسروي، تاريخ هيجده ساله اذربيجان، ص ٨٣٧،

Derk Kinnane, The Kurds and Kurdistan, London, 1970, P. 47; William. Eagleton, The Kurdistan Republic of 1946, London, 1963, P. 10;

د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ٢٥١.

٦٨ د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ٢٥٠. حول موقف الاطراف المتحاربة، لاسيما الروس والعثمانيين من سمكو في سنوات الحرب العالمية الاولى، راجع: د. كمال مظهر احمد، كوردستان له سالەکانی شەری یەکەمی جیهاندا، ل ١٦٥-١٦٧.

69 R.Cottam, OP. Cit., P. 70.

٧٠ د. عبدالرحمن قاسملو، كوردستان‌و كورد، لێکۆلینەوەیەکی سیاسی‌و ئابوری، وەرگێڕ عەبدوڵلا حەسەن زادە، بی، ١٩٧٣، ل ٨٦، د. عزيز شەمزینی، جوڵانەوەی رزگاری نیشتمانی کوردستان، ف. ئەسەسەرد لەعەرەبییەوە وەریگێڕاوە، چاپی دووەم، ١٩٨٥، ١، ١٠٦.

٧١ المصدر نفسه.

٧٢ ارتكب سمكو اثناء الحرب العالمية الاولى عددا من الاخطاء بحق الاثوريين والارمن، فقد قتل البطريرك الاثوري مارشمعون، ولم يكن للدسائس الاجنبية دور قليل في ذلك. لتفاصيل انظر:

D.Kinnane, OP. Cit., P. 46;

دبليو، اي. ويكرام وادكاري. تي. اي. ويكرام، مهد البشرية. الحياة في شرق كوردستان، ترجمة جرجيس فتح الله، بغداد ١٩٧١، ص ٣٣٩، د. عبدالرحمن قاسملو، كورتە مێژووی حزبی دیموکراتی کوردستانی ئیران، بەرگی یەکەم، ١٩٨٥.

73 M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 304.

الصدد ان الجريدة التي اصدرها سمكو اثناء انتفاضته كانت تحمل عنوانا معبرا هو روز كرد شەو عەجەم "اي" نهار الكرد ليل العجم"[٧٤].

تحركت قوات سمكو من اورمية باتجاه مهاباد التي سرعان ما احتلتها بعد ان استطاع القضاء على قوة الجندرمة الموجودة فيها والتي كانت تقدر بزهاء (٦٠٠) رجل[٧٥]. ثم تمكنت هذه القوات من تحرير مدن سلماس وخوى وسلدز وسقز وغيرها[٧٦].

ولما عجزت قوات الحكومة المركزية عن قهر سمكو واتباعه، بعد ان بلغت قوتهم شأوا كبيرا، لجأت كعادتها الى سوق المساومات، فاستطاعت ان تكسب عددا منهم من بينهم الزعيم الكردى امير ارشد وخالو قوربان، وتمكنت قواتهم المشتركة مع قوات الجندرمة والقوزاق من استرداد مهاباد من ايدى الثوار في ١٥ كانون الاول ١٩٢١[٧٧] لكن الثوار، وبعملية مباغتة، تمكنوا من تحريرها بعد ايام قليلة حيث قتل امير ارشد[٧٨]. اما خالو قوربان فقد قتل فيما بعد على ايدى انصار سمكو[٧٩].

وهكذا استمرت الصدامات العسكرية بين سمكو وقوات الجندرمة والقوزاق حتى منتصف عام ١٩٢٢ حينما تمكنت قوات الحكومة[٨٠] من الحاق الهزيمة بالاكراد، واحتلال جهريق، مركز الثوار الرئيسي[٨١]. فاضطر سمكو الى اللجوء الى الاراضي التركية، ثم العراقية فيما بعد.

---

[٧٤] د. کەمال مەزهەر ئەحمەد، "تێگەیشتنی راستی" وشوێنی لەرۆژنامە نوسی کوردیدا، بەغداد، ١٩٧٨، ل٢١٨.

[75] W.Eagleton, OP. Cit., P. 11; D.Kinnane, OP. Cit., P.17.

[٧٦] احمد شريفى، عشاير شكاك وشرح زندكى اينها به رهبرى اسماعيل اغا سمكو، تهران، ١٣٤٨، ص-٤٣.

[٧٧] د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ٢٥١.

[٧٨] المصدر نفسه.

[79] Irfani, OP. Cit., P. 61>

[٨٠] لقد اشترك العديد من الاذربيجانيين مع قوات الحكومة في القتال ضد سمكو. وكانت القسوة التي اتبعها سمكو في معاملته لهم اثناء القتال الذي دار بينه وبين القوات الحكومية، اثرها في وقوف الاذربيجانيين ضده. للتفصيل راجع:
احمد كسروى، تاريخ هيجده ساله اذربيجان، ص ٨٤٠، ٨٤٢، ٨٤٣-٨٤٣.
D.Kimane, OP. Cit., P. 47.

[٨١] للتفصيل راجع: حسن ارفع، كرد ها، لندن، ١٩٤٤، ص ٦٠-٦١، محمد تمدن، اوضاع ايران در جنك اول، ص ٥٣٩

ومن الجدير بالذكر ان سمكو حاول الحصول على مساندة الاتراك والانكليز، الا انه لم يوفق في ذلك. فقد تعلل الاتراك بان علاقاتهم مع ايران ستتأثر في حالة مساندتهم له، بعد ان ابدوا مسبقا استعدادهم لمساندته، واكتفوا ببذل الوعود الطيبة له[٨٢].

كذلك تعهد الانكليز من جانبهم ببذل المساعدة له، الا ان تلك المساعدة لم تتجاوز حيز الوعود مطلقا. وهذا ما حدى بسمكو لان يكون حذرا في تعامله معهم، فقد ذكر في معرض حديثه عن الانكليز وموقفهم المراوغ، "ان الانكليز يكذبون، ونواياهم تجاه الاكراد غير حسنة، واية وعود يقدمونها للاكراد هي خداع وتزييف"[٨٣].

اما ادموندس، الحاكم السياسي لكركوك والذي اتصل بسمكو فقد كتب يقول: "... انه اندهش لمدى اهتمامنا بالفرس، رغم انهم كانوا يتعاونون على طول الحدود مع الاتراك الذين طردونا من راوندوز ورانية والذين كانوا لا يزالون يحاربوننا علنا. وفي حالة عكس ذلك انه ما كان يرغب في طلب اللجوء بل كان يرجع الى عشائره ليعمل بوحده"[٨٤].

وبرجوع سمكو الى ايران عام ١٩٢٤ تبدأ المرحلة الثانية من انتفاضته. ان هذه الحركات رغم ماكانت تحمله من بذور الضعف في داخلها، لغياب الوحدة في صفوفها، وانعدام او ضعف التنسيق مع الاطراف الاخرى في المعسكر الثوري، ورغم تطرف بعضها ومحاولتها تجاوز الحقائق الذاتية والموضوعية لظروف البلاد، وانطلاقها من منطلقات طوباوية احيانا اوقعتها في مزالق خطيرة، فان بعضها بلغ شأوا كبيرا هدد النظام القاجاري المنحل حتى كاد يعصف به من جذوره.

Stephen G. Pelletiere, The Kurds-An Unstable element in the Gulf, London, 1984, P. 70.

[٨٢] خەباتی گەلی کورد، لەیادداشتەکانی "ئەحمەد تەقیدا، لاپەڕەیەك لەشۆڕشەکانی شیخ مەحمودو سمکۆو هەستانەکەی ڕەواندوز، ڕێکخستن‌و ئامادەکردنی بۆ چاپ جەلال تەقی، بەغدا، ١٩٧٠، ل ٨٦.

[٨٣] المصدر نفسه.

للتفاصيل هذا الموضوع راجع: رمزی قزاز، بزوتنەوەی سیاسی‌و روشن بیری کورد لەکۆتایی چەرخی بیست، سلێمانی، ١٩٧١، ل ١٥٦-١٦٠.

[٨٤] مقتبس من: د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ٢٥٢.

انحلال النظام القاجاري

اصبح النظام القاجاري في ايامه الاخيرة صورة عاكسة للواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي المضطرب الذي رزحت تحت ظله الجماهير الايرانية آنذاك. فقد بلغ النظام القاجاري اوج درجات ضعفه وانحلاله، وتحول الى عبء ثقيل على كاهل الجماهير الايرانية، مما نجم عنه خلق هوة واسعة بينها وبين تلك الجماهير.

وغدت ايران في اواخر العهد القاجاري حلبة لصراع عنيف بين كل من روسيا القيصرية وبريطانيا، ما لبثت ان انضمت اليهما، وبدرجة اقل، قوى دولية اخرى. وبلغ التسيب الاقطاعي والحزازات العشائرية اعلى مراحلها. ففي حين كانت العاصمة طهران تعيش في احضان التأزم السياسي، كانت الاقاليم تمزقها النزاعات العشائرية، حتى بلغ الامر بها حد انها فرضت سننها وقوانينها العشائرية على الحكومة وكان مظهرا طبيعيا في الحياة السياسية الايرانية ان تكون للعشائر القوية اليد الطولى في ايصال من تريد الى مراكز القرار في العاصمة[١]، بل ان بعض العشائر الايرانية بلغت درجة من القوة والسطوة انها كانت تقدم الحماية لبعض الكتائب العسكرية الحكومية اثناء مرورها من مدينة الى اخرى[٢]، فحسب وصف احد المؤرخين "انه لم تكد تغرب الشمس حتى كان الناس يقبعون في بيوتهم، لا يجرؤ احدهم على الخروج الى الشارع، ونظام الخوانين (الخانات) جعل الناس تقرف من عيشها"[٣]، اذ "اختفى كل اشكال الضمان القضائي والحقوقي، ولم يبق الناس في اطمئنان على حياتهم واموالهم"[٤].

---

[1] F.O., 371/16949, The Future of Persia, October 1931, P. 13; E. Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 110.

[2] F.O., 371/16949, The Future of Persia, October 1931, P. 18.

[٣] فتح الله همايونز، مردبزرك ايران، تهران، ٢٥٣٥، ص ٣٢.

[٤] حبيب الله مختارى (مختار السلطنه)، تاريخ بيدارى ايران، تهران، ١٣٢٦-١٩٤٧، ص ٣٥.

ولم تتوان كل من بريطانيا وروسيا عن بذل كل ما في وسعها للوقوف ضد اية بادرة تهدد وضعهما المتميز في ايران. ودأبتا على توجيه سياسة ايران الداخلية منها والخارجية، وفق مشيئتهما، حتى اصبح شائعا القول ان سياسة ايران ترسم داخل جدران سفارتي الدولتين الاثيرتين[٥].

وقد ظهر هذا التأثير جليا في الضغوطات التي مارستها روسيا على الشاه القاجاري لطرد الخبير المالي الامريكي (مورغان شوستر) الذي استقدمته الحكومة الايرانية لتحسين شؤون البلاد المالية والاقتصادية، حتى انها لم تتوان عن توجيه انذار الى الحكومة الايرانية، وهددت بتحريك قواتها الى العاصمة في حالة عدم استجابتها لشروطها التي تتضمن طرد الخبير المالي الامريكي، لانها رأت في اجراءاته الاقتصادية مساسا بوضعها المتميز في البلاد[٦]. فلم يكن هناك مناص من الرضوخ لهذا الامر من قبل الحكومة الايرانية.

ومما تجدر الاشارة اليه ان احتفاظ ايران باستقلالها الشكلي كان نابعا، والى حد كبير، من تنافس القوى الطامعة فيها، ولكن هذا الاستقلال "بقي مهزوزا، وبلا مضمون في اغلب الاحيان"[٧]. وجاء اعتراف الحكومة الايرانية في عام ١٩١٢ باتفاقية التقسيم الموقعة في عام ١٩٠٧ ليعمق مظاهر الضعف والتدهور الذي انحدرت اليه السلطة القاجارية. فقد كانت هذه الاتفاقية تعديا صارخا على السيادة الايرانية. فبموجبها تم تقسيم ايران الى منطقة نفوذ روسية في الشمال، شملت اهم الاقاليم الايرانية الغنية والمهمة. ومنطقة "محايدة" في الوسط، ومنطقة نفوذ بريطانية في الجنوب[٨]. وقد كان للظروف الدولية اثرها الحاسم في توقيع هذه

---

[٥] مهربان فرهند، الثورة المسروقة في ايران، تعريب مركز البحوث والمعلومات، مجلس قيادة الثورة، ١٩٨٤، ص ٢٤-٢٥،

Mohamad Riza Pahlavi, Answer to history, London, 1978, P. 45.

[٦] مستر شوستر امريكائي، تاريخ ايران، تهران، بلا، ص ١٣٨، ١٣٩، عبدالله رازى همدانى، تاريخ ايران از ازمنه باستانى تا سال ١٣١٤ شمسى هجرى، طهران ١٣١٧، ص ٧١٨.

للتفصيل راجع:

W.M. Shuster, The stranling of Persia, New York, 1912.

[٧] مقتبس من بول سويزى ومارى ماجدوف، المصدر السابق، ص ٢٨٧.

[8] Sarah Searight, The British in the Middle East, London, 1979, P. 102.

الاتفاقية. فهزيمة الروس امام اليابان في عام ١٩٠٥ ونمو التناقضات الامبريالية في اوروبا بظهور المانيا الطموحة، ونمو قوتها البحرية الذي هدد بريطانيا بالاساس، وتقارب روسيا وفرنسا، حليفة بريطانيا، قد ادى الى التقاء اعداء الامس (روسيا وبريطانيا) لتوقيع اتفاقية عام ١٩٠٧[٩] التي غطت مؤقتا على التناقض الروسي البريطاني في ايران[١٠].

وقد اثار توقيع هذا التقسيم خيبة امل مريرة لدى الايرانيين[١١] في وقت بلغت فيه النزعة القومية الايرانية اعلى مراحلها، واعتبروها محاولة غير كريمة من روسيا وبريطانيا[١٢] لتسوية خلافاتهما على حساب ايران[١٣]. وانها تدخل صارخ وخيانة لا

---

[٩]للتفصيل عن الاتفاقية وبنودها راجع:

R. L. Greaves, Some Aspect of the Anglo-Russian Conventionandits Working in Persis 1907-1911, "Bullettin of the School of oriental and African Studies", London, Vil. XXXI, Part1, 1968.

وقد تكررت هذه الصورة حول مستقبل ايران بعد اندلاع نيران الحرب العالمية الاولى لفترة وجيزة، اذ توصل كل من وزيرى الخارجية الروسي سازانوف والبريطاني السر ادوارد غراي الى توقيع اتفاقية سرية بينهما في آذار عام ١٩١٥ شملت هذه المرة منطقة الحياد الايرانية في اتفاقية عام ١٩٠٧. الا ان قيام ثورة اكتوبر في روسيا عام ١٩١٧ ادى الى كشف الوثائق السرية المتعلقة بهذا الاتفاق. د. كمال مظهر احمد، العراق وايران بين سازانوف وغراي، "آفاق عربية"، العدد٢، تشرين الاول ١٩٨٢، ص ٧.

[١٠]د. نورى عبدالبخيت، معاهدة سنة ١٩٠٧ بين روسيا وانكلترا حول ايران وافغانستان والتبت "مجلة كلية الاداب"، جامعة البصرة، العدد ١٤، ١٩٧٩، ص ٢٤٥-٢٤٦،

B. Jazani, OP. Cit., P. 5.

[11] Goerge Lenczowski, The Middle East in World Affairs, Third Edition, London, 1962, P. 35.

(وفي الترجمة العربية جورج لنشوفسكي، الشرق الاوسط في الشؤون العالمية، ترجمة جعفر الخياط، ط١، بغداد، ١٩٥٩، ص ٦٧).

١٢كان كثير من العناصر الوطنية الايرانية يعتقدون ان بريطانيا يمكن ان تمد لهم يد العون ضد الحكم القاجاري المدعوم من روسيا القيصرية، لذا لم يكن مستغربا ان الشرارة الاولى للثورة الدستورية انطلقت من باحة السفارة البريطانية حينما اعتصم بها الثوار. فحسبما تذكر وثيقة بريطانية" ان ذروة شهرة بريطانيا العظمى في ايران كانت في عام ١٩٠٦ في فترة منح الدستور، ولكن بدأت حالة الشك (في النوايا البريطانية) بعد اتفاقية ١٩٠٧ مع روسيا).

F.O., 371/19025, E. 11626, The Political Situation in Persia, December7, 1923, P. 132.

[١٣]محمد سعد الدين زايد، المشكلات الحديثة في الشرق الاوسط، القاهرة، ط١، ١٩٥٥، ص ١٢٦.

مبدئية[١٤]. وعبرت صحيفة "الحبل المتين" عن هذا الرأى في مقال لها حينما ذكرت ما نصه "لسنا بقاصرين حتى نحتاج الى من يحمينا، ولسنا بلهاء او فاقدى الاهلية حتى نحتاج الى من يحمينا"[١٥].

ولعل ابلغ وصف لموقف الرأى العام الايراني من الاتفاقية جاء في مجلة "البنج" "Punch" الكاريكاتيرية التي رسمت الامة الايرانية بصورة تمثل القطة الفارسية وقد وقف على جانبيها الاسد البريطاني والدب الروسي. وقد اشار الاسد "تستطيع ان تبدأ من الرأس، وسأبدأ انا من الذيل ولا بد ان نلتقي في وسط الظهر". وهنا اومأت القطة الفارسية قائلة "ولكنني لم اعبر عن فكرتي في الموضوع"[١٦]. ولم يكن مجرد صدفة ان استغلت روسيا هذه الافتقاية لضرب الحركة الوطنية الايرانية التي اشتد اوارها آنذاك لانها وقفت عائقا امام تنفيذ هذه الاتفاقية[١٧].

ولم يجانب الكثير من المراقبين الحقيقة حينما وصفوا صورة ايران في اواخر عام ١٩١١ على هذا النحو المأساوى والقاتم: "لقد اختفى المجلس، واغلب الناطقين باسمه من الدستوريين البلغاء كانوا في المنفى، وكانت البلاد خاضعة لحكومة فاسدة وكسولة، كانت السيطرة لرؤساء العشائر الذين كانت القوى الاوربية تريد تأمين مصالحها"[١٨].

ووصولا لعام ١٩١٤ كانت ايران قد استسلمت لمستقبل مظلم تحت سطوة احتلال اجنبي، وتردت اوضاعها بشكل خطير للغاية[١٩]، حتى لم يبق في طول البلاد وعرضها انسان مخلص كان لا يرغب في سقوط الحكم القاجاري حسب الوصف المعبر لاحد المؤرخين[٢٠].

---

[14] R. Cottam, OP. Cit., P. 15.

[١٥]مقتبس من:

Ibid, P. 165.

[١٦]مقتبس من: د. محمود علي الداود، المصدر السابق ص ١٧٧.

[17] F.O., 371/16949, The Future of Persia, October 1931, P. 14.

[18] H. Amirsadeghi, OP. Cit., P. 15.

[19] E. Abrahamain, Iran between two Revolutions, P. 110;

كتاب اسناد محرمانه سياسى با سياست انكليس وروس در ايران، ص ١٩.

[٢٠]د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني...، ص ٣٩. حول استعدادات المانيا في هذا المجال ودخولها حلبة التنافس الاستعماري، لاسيما مع بريطانيا راجع" بيير رونوفن، تاريخ القرن العشرين ١٩٠٠-١٩٤٨، ترجمة د. نورالدين حاطوم. بيروت، ١٩٦٥، ص ٧-١٢، ٣١-٣٣.

وبحكم عوامل مختلفة، منها انحدار السلطة القاجارية الى مهاوي الحضيض، وانتشار المد الرجعي الذي شمل كافة المجالات، وحدة التنافس البريطاني الروسي، برز عشية الحرب العالمية الاولى تيار يدعو الى ضرورة الموازنة بين الدول الكبرى في سياق تناسب القوى على الصعيد العالمي، بغية تحقيق قدر من الاستقلالية في تسيير شؤون ايران. وبدأ الليبراليون الايرانيون يرنون بابصارهم الى المانيا التي دخلت حلبة التنافس الاستعماري، بعد القفزة التي شهدها الاقتصاد الالماني، ونمو الجيش والبحرية علاوة على تزايد النفوذ الالماني في الدولة العثمانية، لا سيما بعد قيامها بتنفيذ مشروع سكة حديد بغداد[٢١]، وتبنيها سياسة التوسع نحو الشرق[٢٢] للحصول على "حصتها" من المستعمرات شأنها شأن القوى الاوربية الاخرى. ومن هذا المنطلق اخذت توسع من علاقاتها مع ايران[٢٣] وبدأت تحصل على مواقع ثابتة في اقتصادياتها.

وجاءت احداث الحرب العالمية الاوى لتكون "ضغثا على ابالة" بالنسبة لايران، فهي بموقعها الحساس والستراتيجي في الشرق الاوسط، ولمتاخمتها لحدود الاطراف المتحاربة[٢٤]، بحيث تتصادم المصالح وتتشابك، اصبحت احد الميادين الرئيسية للقتال في الشرق الاوسط على الرغم من اعلانها للحياد في ٢/تشرين الثاني/ عام ١٩١٤. ذلك الاعلان الذي كان يتنافى مع واقع الحال[٢٥]. فلم يكن بوسع الحكومة غير ان تبقى على اسطورة الحياد وهي تأتمر بامرة الروس

---

[٢١] للتفاصيل راجع: د. لؤي بحري، سكة حديد بغداد، بغداد، ١٩٦٤، د. نوري عبدالبخيت، روسيا ومشروع سكة حديد بغداد، "مجلة المؤرخ العربي" بغداد، العدد الخامس عشر، ١٩٨٠، ص ٤٠-٦٣.
حول ذلك راجع: محمد سعدالدين زايد، المصدر السابق، ص ١٢٦.

[٢٢] كتبت وزارة الهند في تقرير سري حول النشاط الالماني المتزايد في ايران ان "المانيا تريد ان تصل الى غاياتها السياسية في ايران ومنطقة الخليج العربي عن طريق الامور الاقتصادية". جهانكير قائم مقامي، تاريخ تحولات سياسى نظام ايران ازاغازقرن يازدهم تاسال ١٣٠١ هجري شمسي، تهران، ١٢٢٦، ص ٨٨.

[٢٣] المصدر السابق.

[٢٤] لايران حدود برية طويلة تربطها بروسيا القيصرية، كذلك مع الدولة العثمانية المتحالفة مع المانيا، وبريطانيا التي تركزت قواتها في جنوب العراق بعد احتلالها في بداية الحرب العالمية الاولى.

[٢٥] طلال مجذوب، ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ١٩٠٦-١٩٧٩، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٧٨.

والبريطانيين[26]. فـ "كل ما فعلته الحكومة الفارسية هو تكرار اعلان الحياد بصوت مرتفع ودون جدوى"[27].

وغدت ايران اشبه برقعة الشطرنج التي احكم اللاعبون المهرة، من الاطراف المتحاربة، كل من موقعه وبطريقته، احكام تحريك بيادقهم فيها. واصطلى الايرانيون بنيران حرب لم تكن لهم يد فيها، لذا جاء قول احد المؤرخين دقيقا ومعبرا الى حد بعيد حينما قال ان اولى طلقات الحرب العالمية الاولى في الشرق الادنى قد دوت في الاراضي الايرانية لا في البحر الاسود[28].

كان من الطبيعي ان يحاول كل طرف من اطراف الصراع تحقيق مكاسب معينة على الارض الايرانية على حساب الاطراف الاخرى، وكان من الطبيعي ايضا ان يسعوا، في مجتمع تتحكم فيه والى حد كبير العلاقات القبلية والعشائرية، الى كسب ولاء هذه العشائر. فاندس عملاء الانكليز والروس، والاتراك والالمان بين صفوف هذه العشائر يصولون ويجولون في طول البلاد وعرضها، وشهدت ايران نشاطا محموما لهؤلاء العملاء قلما شهدته منطقة اخرى من الشرق الاوسط، فاستخدم الانكليز المال والرشوة لشراء رؤساء العشائر، لا سيما الكبرى منها كالبختيارية، واعطاء السلاح والعتاد لاثارة القلاقل في وجه اعداء الانكليز في ايران[29]. بل ان الانكليز فكروا في تشجيع الخانات ورؤساء العشائر على الانفصال عن الحكومة المركزية، فيما اذا سقطت تلك الحكومة في ايدي قوة معادية لهم، ان كان ذلك اجدى لمصلحتهم ولسياستهم في ايران[30].

وبدورهم نشط الالمان والاتراك في استغلال عواطف الشعب الايراني الدينية لاثارتها ضد الحلفاء، فبثوا دعايات غريبة عن كون الشعب الالماني قد اعتنق

---

[26] R. Cottam, OP, Cit., P. 18.

[27] I.O.R., L/P+S/10/482, From P. Cox to F.O., March 13, 1915, P. 85.

[28] M.S.Lazarev, Kurdistan I Kurdstaya Problema, Moscow, 1964, P. 299.

[29] I.O.R., L/P+S/10/482, From P. Cox to F.O., March 12, 1915, P. 101; I. O. R., L/P+S/ 10/ 488, From P. Cox to F.O., June 15,/9/5, P. 75; I.O.R., L/P+S/10/488, From P. Cox to F.O., Septembe 16, 1915, P. 20; I.O.R., L/P+S/ 10/ 482, From P. Cox to I. O., March 12, 1915, P. 102.

[30] F.O., Confidential, From F.O. to I.O., March 25, 1915, P. 11.

الاسلام وادعى الامبراطور وليم الثاني، والذي اطلق عليه اسم الحاج وليم، حماية الاسلام والمسلمين، وركزت الصحافة الالمانية على الاصل المشترك للشعب الالماني والايراني. وحقق العملاء الالمان في ايران نجاحات ملموسة في اثارة قسم من العشائر ضد الانكليز والحلفاء، وبرز في هذا المجال اسم (واسموس)[٣١] القنصل الالماني السابق في بوشهر، الذي ركز على ضرب المصالح البريطانية في جنوب ايران، لا سيما في المنطقة النفطية[٣٢] حتى اصبح وجوده يشكل مصدر قلق بالغ للانكليز، فحسبما اعترفت وثيقة بريطانية "فان جميع ضباط الجندرمة الفارسية" كانوا "مؤيدين للالمان، او من المعادين للبريطانيين. انهم بصراحة يتعاونون مع واسموس"[٣٣].

واستطلع الالمان والاتراك اقامة حكومتين مؤقتتين في كرمنشاه وقم، وقد تحولتا الى مقر للناقمين على الروس والانكليز[٣٤]. واخترقت القوات العثمانية حياد ايران فاحتلت تبريز ووصلت قواتها الى كرمنشاه. وعلى صعيد اخر استطلع الروس ان يستعيدوا تبريز وكرمنشاه، وان يخترقوا الجبهة العثمانية من الحدود الايرانية عبر ثلاث محاور لتصل قواتهم الى مدينة رواندوز العراقية[٣٥].

---

[٣١] حول نشاطات واسموس في ايران راجع:
I.O.R., L/P+S/10/482, From P. Cox to F.O., March 13, 1915, P. 84; F.O., Confidential, E 44543, Maidan-i-Naphtun to I.O., February 26, 1915, P. 93; F.O., Confidential, E 44543, Anglo-Persian Oil Company Linited, London, April 14, 1915, P.86; I.O.R., L/P+S/10/482, From P. Cox to I.O., April 19, 1915, P.35.

[٣٢] "الاوقات البصرية" (جريدة)، البصرة، ١٢ نيسان ١٩١٨، حسين فوزي النجار، السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط، جـ١، القاهرة ١٩٥٣، ص ٣٨٨، .Y
Armagani, OP. Cit., P. 324.

[33] I.O.R., L/P+S/10/ 482, From P. Cox to I.O., April 13, 1915, P. 39.

[٣٤] حسين فوزي النجار، المصدر السابق، ص ٣٨٧-٣٨٨، صالح محمد صالح العلي، التاريخ السياسي لعلاقات ايران بشرقي الجزيرة العربية في عهد رضا شاه بهلوي ١٩٢٥-١٩٤١، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٨٣، ص ٢٤.

[٣٥] للتفاصيل عن هذه المعارك راجع محمد امين العمري، تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى سنة ١٩١٤-١٩١٨، ج٢، بغداد، ١٩٣٥، ص ١٦٢-٢٢٨، شكرى محمود نديم، الجيش الروسي في حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨ ط٣، بغداد، ١٩٧٤، ص ١٤-١٦، ٢٠-٣١.

ولمواجهة نشاط الالمان المتزايد بين العشائر الايرانية، لاسيما عشيرة (القشقائي)[٣٦] المعروفة، بعثت بريطانيا بالسير برسي كوكس لتشكيل قوة بوليسية في عام ١٩١٧ عرفت باسم (South Persian Rifles) او (حملة بنادق جنوب فارس)[٣٧] استطاعت ان تضع حدا للقلاقل العشائرية.

لقد كانت الحرب العالمية الاولى ذات اثر تمزيقي بالنسبة لايران، فدخول القوات المتحاربة الى ايران ونهبها للسكان ادى الى الانهيار والخراب الاقتصادي، وانخفض تصدير المنتجات الزراعية من ايران الى الخارج الى حد كبير. فخلال الفترة من ١٩١٣-١٩١٤ الى العام ١٩١٧-١٩١٨ انخفض تصدير الفواكه الجافة من (٧٠) مليون قران الى (٤٨) مليون قران، اما الجلود من (٢٠) مليون الى (٣) ملايين قران، والقطن من (٨٣) مليون الى (٢٤) مليون قران[٣٨]. فلاغرو، ان انخفض سعر القطن في السوق المحلية مثلا بمقدار اربع الى خمس مرات قياسا بمعدل سعره السائد عشية الحرب[٣٩]، وكان من الطبيعي ان يتحول ذلك الى عبأ اضافي على الوضع الاقتصادي العام للبلاد اثناء الحرب[٤٠].

كما ان الاراضي الزراعية، حيث دارت رحى معارك عنيفة ودامية بين الاطراف المتحاربة، قد تقلصت الى حد كبير، واصبحت البلاد تعاني بصورة كبيرة من نقص في المواد الغذائية. فلم يكن مستغربا والحال هذه ان تظهر مجاعة خطيرة ومميتة في عام ١٩١٧[٤١]. بلغت حدا خطيرا كان اكل لحوم الكلاب احد مظاهرها[٤٢]، ان لم تكن كلها

---

[٣٦] قشقائي من الاتحادات العشيرية التركمانية المعروفة في جنوبي ايران.

[٣٧] طلال مجذوب، المصدر السابق، ص ٣٨٣، مصطفى الطباطبائي، ايران في عهدها الحديث، ص٤،
E.Abrahamian, Iran, between two Revolutions, P. III.
حول الهدف من اقامة هذه القوات، راجع خطاب اللورد كرزن في مجلس العموم في ٢١ كانون الثاني عام ١٩١٨ في: "الاوقات البصرية"، "خطاب اللورد كرزن"، ٣١ كانون الثاني ١٩١٨.

[38] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 262.

[39] E. Gretsenko, Iran V godi pervay Mirovoi Voeni, Alma Ata, 1967, P. 8.

[٤٠] فوزى خلف شويل، المصدر السابق، ١٧٢.

[41] M.S.Icanov, OP. Cit., P. 262; N. R. Keddie, Iran, religion, Politics and Society, London, 1980;
محمد تمدن، اوضاع ايران درجنك اول، ص ٣٢٦.
المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط، بيروت ١٩٤٩، ص ٦٥-٦٦.

ومثل هذه المجاعة شهدتها ارجاء البلاد تقريبا عدا مقاطعتي كيلان ومازندران[٤٣]. فليس من الغرائب والحال هذه، ان يموت ربع سكان الريف لولاية طهران من الجوع عام ١٩١٨[٤٤]. وخلت بعض المناطق من سكانها حتى ان عدد الموتى من الجوع في بعض المدن الايرانية في اخر اعوام الحرب كان يبلغ بين ١٠٠-١٥٠، شخص في اليوم الواحد[٤٥]. وارتفع ثمن الخبز من ١٢ الى ١٥ مرة، وانتشرت السوق السوداء بشكل واسع[٤٦] بلغت حدا ان الشاه وبطانته كانوا يخفون الحبوب بانتظار ارتفاع اسعارها، في حين ان الافا مؤلفة من الناس كانت تموت يوميا جراء الجوع المتفشي في كل زاوية من زوايا ايران في تلك الايام[٤٧].

ونتيجة لتدمير القرى ومشاريع الري تحولت بعض المناطق الى صحارى. فعلى سبيل المثال تحولت في احد الاقاليم ١٠٦ من اصل ٢٤١ قرية الى خرائب هجرها اهلها[٤٨]. وقد شبه احد الكتاب اوضاع ايران بعد الحرب بنتائج الغزو المغولي لها، اذ قال "تحدث المجاعة بصورة مستمرة في هذا او ذاك الاقليم، وكذلك الاوبئة والتي تؤدي الى وفاة مئات الالاف من الناس سنويا"[٤٩].

اما الوضع المالي للبلاد فقد بلغ حالة يرثى لها، فلم تكن هناك موارد من الضرائب والمكوس، واصبحت خزينة الدوة عاجزة عن دفع الرواتب والاجور بسبب عجز الميزانية[٥٠]. وانخفضت استيرادات الدولة من الخارج في نهاية الحرب بمقدار يقل

---

[42] F.O., 371/9025, E1162, The Political Sitution in Persia, November 14, 1923, P. 134.

[43] M.S. Ivanov, OP. Cit., P 262; N. R.keddie, Iran, religion, Politics and Sosiety, P. 166.

[44] "Annette donckier de donceel, Initiation a la Perse", Bruxe II., 1962, P. 14.

[٤٥] "العرب" (جريدة)، بغداد، ٧ ايار ١٩١٨.

[46] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 262;

شرح زندكاني من يا تاريخ اجتماعي واداري دوره قاجاريه، جلد دوم، جاب دوم، مطبوعات ميريان خرمشهر، ص ٤٩٥، ٥١٢.

[47] R.Bullard, The Camels mustgo: An Autobiography, London, 1961, P. 99.

[48] "Iran. Ochrik noveyshey historii", P. 20.

[49] Ibid.

[50] M.S.Ivanov, OP. Cit., P.262; E.Abrahamian, The Crowd in Iranian Politics, P, 196.

٣٠٪ عما كانت عليه في عام ١٩١٤[51]. ولم يكن لانقطاع الاستيراد من روسيا بعد الثورة البلشفية دور قليل في ذلك[52]. وارتفعت ديون ايران خلال الحرب العالمية الاولى الى (٧) ملايين جنيه استرليني، والفوائد السنوية حوالي مليون جنيه، بل ان حوالي ثلث ميزانية الدولة كانت تذهب كارباح صافية الى بطرسبورغ ولندن[53].

تذبذب رؤساء العشائر في مواقفهم بين طرف واخر من اطراف القتال اثناء الحرب حسبما تقتضيه مصالحهم وظروف القتال[54]. فقد كانوا في احيان كثيرة يرفضون اوامر حكومة الشاه "المركزية" والتي كانت سلطتها اسمية فقط[55]. ووصولا الى نهاية الحرب العالمية الاولى كانت سلطة الحكومة المركزية (قد وصلت الصفر) على حد تعبير جون مارلو[56].

وتفشت الرشوة والمحسوبية لتشمل كبار الموظفين وصغارهم. ويذكر احد الدبلوماسيين الاجانب العاملين في طهران في العام ١٩١٦ "ان الخوف وتردي الاوضاع والجبن والحرص مستحوذ على الجميع، بالاضافة الى تفشي الرشوة"[57]. حتى

(وفي الترجمة العربية ص ٢٤٣).

[51] H.W.V. Temperly, A history of the peace of paris, Vol. 1, London, 1920, P. 144.

[52] F.O., 371/9025, E 11626, The Political Sitution in Persia, November 14, 1923, P. 134.

[53] د. كمال مظهر احمد، تاريخ ايران الحديث، محاضرات القيت على طلبة الدراسات العليا في كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥.

[54] كانت الغالبية العظمى من رؤساء العشائر الايرانية تعطي ولاءها لمن يدفع اكثر، فحسبما تذكر وثيقة سرية بريطانية "انهم باتوا يفضلون نقودنا على النقود الالمانية". حول الدور المزدوج الذي لعبه رؤساء العشائر راجع:

F.O., Tel. No. 268, From Marling (Teheran) to F.O., August 3, 1915, P. 60.

F.O., Tel. No. 276, From Marling (Teheran) tp F.O., August 10, 1915, PP. 57-58.

[55] M.S. Ivanov, OP. Cit., P. 262; N. R.Keddie, Iran, Religion, Politics and Society, P. 166.

[56] John Marlowe, The Persian Gulf in the twentieth Century, London, 1962, P. 98.

[57] Percy Sykes, A history of Persia, Vol. II, London, 1969, P. 599.

(وفي الترجمة الفارسية برس سايكس، تاريخ ايران، ترجمة اقاى سيد محمد تقي فخر داعى كيلانى، جلد دوم، جاب سوم، ص ٨٢٦)، د. زكي حسن، ايران الحديثة...، ص ٢٤١.

بلغ الامر بالحكومة نفسها ان طالبت الامير فرمان فرما بمبلغ اربعة ملايين تومان تعويضا عن "جزء من سرقاته" ايام ولايته على مقاطعة فارس[58].

ولم تتوان بريطانيا عن استخدام الرشوة لاستبدال، او الاتيان بوزارات سهلة الانقياد[59]. وحسبما تذكر وثيقة بريطانية: "كانت الوزارات تشكل من قبل البعض من المتنفذين الذين يلبثون مدة قصيرة على المسرح ويملأون جيوبهم وبعد ذلك يختفون في عالم النسيان"[60].

وعلى صعيد المؤسسة العسكرية، فقد كانت البلاد تفتقر الى جيش قوى ومنظم ومتجانس بمقدوره الدفاع عن البلاد، وحتى اللواء القوزاقي الذي كان صفوة الجيش الايراني، فقد كان مشكوكا في ولائه للحكومة المركزية. وكانت حوادث الهروب من الجيش وتأخر صرف الرواتب شيئا عاديا ومألوفا الى حد كبير[61].

ولعل ابلغ وصف لحالة ايران بعد الحرب العالمية الاولى كما ذكرها شاهد عيان يتمثل في الكلمات التالية للورد لامنغتون: "انا اعتقد ان اي شخص يسافر داخل ايران خلال الفترة التي اعقبت الحرب مباشرة، وكما فعلت انا شخصيا، يجتمع عنده انطباع عن بلد يعاني من الضعف والانحلال الداخلي، وربما يصل به الشعور بان هذا البلد يقف على حافة الهاوية لانهيار سريع"[62].

وفي مثل هذه الظروف تحول الشاه، القابع في قصره، والغارق حتى اذنيه في ملذاته الشخصية، والذي لم يعد "يملك من امر بلاده شيئا"، تحول الى بيدق بيد

---

58 "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First Series, Vol. XIII, London, 1963, PP. 730-743.

59 I.N. Zemskov and Others, Soviet Foreign Policy, 1917-1945, Vol. I, Moscow, 1969, P. 133;

محمود محمود، تاريخ روابط سياسى ايران وانكليز در قرن نوزدهم ميلادى، ص ٢٣٥.

60 F.O., 371/9025, E 11626, The Political Situation in Persia, December 7, P. 136.

61 F.O., 371/6949, The Future of Persia, October 1931, P.18; M.Zonis, The Political Elite of Iran, Princeton, 1971, P. 102;

قدرى قلعجي، الخليج العربي، بيروت، ١٩٦٥، ص ٤٩٨، جميل قورانلو، تاريخ نظام ايران، ص ١١١.

62 "Journal of the Royal Central Asian Society" Vol. XVIII, 1931, P.39.

الانكليز، يحركونه حسبما يشاؤن. وكانت عبارته الاثيرة "انا غير مسؤول"[٦٣] تدل على الدرك الذي انحدر اليه رأس الدولة، هذا في لا مبالاته وعدم تحمله لمسؤولياته الجسام. فلاغرو ان تصفه وثيقة سرية بريطانية "كأجبن رجل في ايران كلها"[٦٤]. بل ان الشاه الضعيف لم يكن يتورع عن استشارة السفير البريطاني مرتين يوميا حول كل شاردة وواردة، بل وحتى بشأن تحركاته الشخصية، عن طريق سكرتيره الخاص[٦٥].

استجدت اثناء الحرب العالمية الاولى متغيرات مهمة على الصعيد الدولي تركت اثرها القوي والعميق على الواقع الايراني، اكثر من اي جزء اخر من منطقة الشرق الاوسط، ومن منطلقات متناقضة. فقد انسحبت روسيا من الحرب بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧، واعلن السوفيت عن الغائهم لاتفاقية ١٩٠٧ الخاصة بتقسيم ايران ولكل الاتفاقيات السابقة واللاحقة لها[٦٦]. فانفسح المجال امام بريطانيا لتثبيت وتعزيز نفوذها الكاسح في ايران[٦٧]. واصبح هاجس تحويل ايران الى احدى قواعد التدخل للقضاء على السلطة السوفيتية الجديدة، وجعلها سدا منيعا بوجه (الخطر البلشفي) الذي بدأت اثاره تمتد، وبسرعة، الى الاجزاء الشمالية من ايران، بل والى الهند، (درة التاج البريطاني)، احد الاهداف الاساسية للسياسة البريطانية في ايران آنذاك[٦٨]. وفي الوقت نفسه، كانت بريطانيا ترنو بانظارها بعيدا،

---

[٦٣] فوزى خلف شويل، المصدر السابق، ص ٦٤.

[64] "Documents on British Foriegn Policy, 1919-1939", First Series, Vol. XIII, London, 1963, P.703.

[65] Ibid, PP. 459, 439.

[٦٦] أ. بيير يزكين واخرون، تاريخ السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي، الجزء الاول (١٩١٧-١٩٤٥)، ترجمة مصطفى كمال، موسكو، ٨٩٧٥، ص ٤٣،

Hafez Farmayan, The Foreign Policy of Iran, Ahistorical Analysis 559 B. C-A.D.1971, Utah, 1971, P.21.

[٦٧] د. سيد فاروق حسنت، مسح تاريخي للمصالح الاوربية في منطقة الخليج العربي، ترجمة د. محمد عبدالغني سعودى، "مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية"، العدد الخامس والعشرون، السنة السابعة، العدد ٢٥، ١٩٨١، ص ٩٥،

F.O., 371/9025, EII626, The Political Situation in Persia, December 7, 1923, P.132.

[٦٨] د. كمال مظهر احمد، تاريخ ايران الحديث في الوثائق الروسية، ص ٨٠، د. كمال مظهر احمد، صفحات من تاريخ العلاقات الايرانية الروسية، الحلقة الدراسية رقم (١)، الندوة التي اقامها المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية. الجامعة المستنصرية بعنوان: "ايران الماضي والحاضر" ١٩٨١، ص ٣.

حيث حقول باكو الغنية بالنفط. لهذا لم تتوان بريطانيا عن ارسال الحملات العسكرية لاحتلال تلك المناطق[٦٩].

ومع انتهاء الحرب اخذ الاهتمام البريطاني بايران يتخذ اشكالا اخرى. فقد اعلن كرزن "ان ايران بالنسبة لنا تعد من المناطق الاستراتيجية المهمة، فلو تركناها تدخل اعداؤنا فيها، وذلك خطر علينا وعلى مصالحنا"[٧٠]. كما اكد مرارا "ان جيشنا يعتمد اعتمادا حياتيا على النفط الايراني"[٧١] الذي كانت ارقام انتاجه تتصاعد بوتائر سريعة تثير شهية الرأسماليين الانكليز. فعندما اندلعت الحرب كان انتاج مصفاة عبادان قد بلغ (٢٧٠) الف طن من البترول ليرتفع هذا الرقم الى (٩٠٠) الف طن عام ١٩١٨[٧٢].

وضمن هذا السياق جاء النشاط البريطاني المحموم للحيلولة دون اشتراك ايران في مؤتمر الصلح المنعقد في باريس[٧٣]. وحينما وصل الوفد الفارسي الى هناك "كان

---

[٦٩] للتفاصيل عن تلك الحملات راجع: ريش عبدالحق توز محمدوف، التحرر الوطني لشعوب اسيا الوسطى، موسكو، ١٩٧٣، ص ١٣٢-١٤٨.

R.Bullard, Britain and the Middle East, from, the earleast times to 1964, London, 1964, PP.

[٧٠] دكتر بارسانيان، در پويه تاريخ ايران وبهتر بشناسيم، سازمان دانشجويان ايراني در امريكا، بلا، ص ٤.

[٧١] المصدر نفسه.

اولى البريطانيون النفط الايراني جانبا كبيرا من اهتمامهم منذ اواخر القرن التاسع عشر. وقد تصاعد هذا الاهتمام بعد ما استطاع وليم دارسي الحصول على امتياز استغلاله في جميع المناطق الايرانية، عدا المقاطعات الشمالية وقد دفع دارسي لقاء هذا الامتياز رشوة كبيرة لمظفرالدين شاه ورئيس وزرائه (اتابك اعظم) وعدد من الموظفين الكبار. للتفاصيل انظر:

S.H.Longgeig, Oil in the Middle East, 3th Edition, London, 1986, P. 17; L.P.Elwell-Autton, Oil of Persia, Astudy in Power Politics, London, 1955, PP. 14-15.

من الجدير بالذكر ان بريطانيا بدأت تعتمد على النفط بدل الفحم الحجري كوقود لتسيير اسطولها الضخم منذ سنة ١٩١٧، اطلال مجذوب، المصدر السابق، ص ٢٨٥.

[٧٢] خيرات البيضاوي، ايران ترقص على كف عفريت، بيروت ١٩٥٤، ص ٣٠-٣١.

[٧٣] طرح الوفد الايراني، الذي بالغ في تقدير موقف بلاده الدولي، في المؤتمر مطالب خيالية بشأن ارجاع الحدود الدولية لايران الى ماكانت عليه سابقا قبل عقدها لمعاهدة تركمانجاى تشتمل على كل من اذربيجان الشمالية مع مدينة باكو وارمينيا الغربية مع مدينة يريفان، وقرداغ وقسم من داغستان، بل

ممثلو بريطانيا عزموا على ان لا يسمع صوته في المؤتمر "على حد تعبير بروكس[٧٤]. ونجح اللورد كرزن في اقناع المؤتمر بانه ليس من شأنه ان يهتم بدولة لم تشترك في الحرب[٧٥]. وحرص الانكليز على ضمان للتأكيد من ان نتائج مؤتمر السلام لا تتمخض عنها قرارات معادية للمصالح البريطانية في ايران[٧٦]، وجعل النفوذ البريطاني النفوذ الوحيد الذي يستطيع ان يؤثر على مصير ايران ومستقبلها[٧٧].

ان انعكاسات الحرب واثرها التمزيقي على ايران، نتيجة لسياسات ومخططات القوى المتصارعة على الساحة الايرانية، دفع بالعديد من ساسة ايران وقواها الاخرى، ومن منطلقات متناقضة، الى التطلع نحو قوى دولية اخرى على سبيل المناورة. فقد خيل للعديد من الايرانيين، ولاسيما المثقفون منهم انه ليست لحكومة الولايات المتحدة طموحات سياسية في ايران[٧٨]، فحاولوا تجربة الورقة الامريكية[٧٩] للتنفيس، ولو قليلا عن الضغط الذي كانت تمارسه القوى التقليدية بالنسبة للبلاد[٨٠].

ولا شك ان مبادىء الرئيس الامريكي ولسن حول حرية الشعوب وحقوقها "كان لها ابلغ الاثر في نفوس الايرانيين الطامحين الى التخلص من الهيمنة والنفوذ

انها طالبت باسترجاع بعض المناطق العراقية. للتفاصيل راجع: د. كمال مظهر احمد، صفحات من تاريخ العلاقات الايرانية-السوفيتية، ص ٥.

[٧٤] م. بروكس، البترول والاستعمار في الشرق، تعريب محمود الشنيطي، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٤٥.

[٧٥] صالح احمد العلي، المصدر السابق، ص ٢٥، ادور سابيليه، ايران مستودع البارود (اسرار الثورة الاسلامية)، جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا، هيئة الدراسات، سلسلة الدراسات المترجمة، بغداد، ١٩٨١، ص ٢٢٢.

[76] W.M.J. Olson, Anglo-Iraniain Relations during World War I, London, 1981, P. 214>

[٧٧] فوزي خلف شويل، المصدر السابق، ص ١٩٣-١٩٤ Ibid, P.219

[78] Thomas A.Bryson, American Diplomatic relation with the Middle East 1784-1975" Asurvey, Metuchen, N. J. 1977, P. 103.

[٧٩] حول النفوذ الامريكي في ايران راجع:

Ibid; R.K. Ramazani, The United States and the Patterns of influence, printed in United State of America, 1982, PP. 5-8.

[٨٠] فوزي خلف شويل، المصدر السابق، ص ٢٠٢.

الاجنبيين"[٨١]، حتى ان الايرانيين وصفوا هذه المبادىء بانها "رسالة امل"[٨٢] بالنسبة لهم.

ادت المعطيات الجديدة، التي افرزتها الحرب، وتبدل تناسب القوى على الصعيد الدولي اثر خروج روسيا من اللعبة وانهيار امبراطورية آل عثمان، وانهزام المانيا وظهور قوى دولية اكثر فاعلية متمثلة بالولايات المتحدة الامريكية، الى دفع بريطانيا للتأكيد اكثر على مسألة التغلغل في ايران بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة.

ولغرض احكام ربط ايران بعجلة السياسة البريطانية سعت لندن الى تكبيل ايران بمعاهدة "كريمة جدا"[٨٣] حسبما ورد لدى كوتام والمتمثلة في معاهدة ١٩١٩[٨٤]. تضمنت المعاهدة بنودا كثيرة تتعلق بتنظيم المالية والجيش والكمارك وحق انشاء السكك الحديد والطرق داخل ايران، على ان تتعهد الحكومة البريطانية بتقديم قرض مالي الى الحكومة الايرانية يبلغ مليوني جنيه استرليني، وبفائدة سنوية تبلغ (٧٪) بضمان موارد الكمارك الايرانية[٨٥]. وعلى الرغم من ان الحكومة البريطانية حاولت في بادىء الامر ان تعيد النظر في المعاهدات المعقودة بينها وبين ايران، وان

[٨١] حول بنود الرئيس ولسن راجع: د. كمال مظهر احمد، اضواء على قضايا دولية في الشرق الاوسط، بغداد، ١٩٧٨، ص ٥٥-٧١.

[82] F.O., 371/9025, EII626< The Political Situation in Persia, December 7, 1923, P. 138.

[83] R.Cottam, OP. Cit., P. 18.

[٨٤] لعل من دواعي السخرية ان السير برسي سايكس قد قيم المعاهدة على نحو عال عندما قال "ان فارس تحتاج الى يد قوية وبريطانيا جارتها الوحيدة التي تستطيع مساعدتها مقتبس من: م. بروكس، المصدر السابق، ص ٤٦.

[٨٥] "الاوقات البصرية"، ١ اكتوبر ١٩١٩،

“papers Relating to the Foreign Relations of the United States, 1919”, Vol. II, Washington, 1934, The Minster in Persia to the Secretary of State Tel. No. 741.91/21, August 11, 1919, P. 698; (Herafter Sited as: “American Documents”), Ishtiag Ahmad, Anglo-Iranian. Relations 1905-1919, Bombay, 1974, PP. 317-329; Elie Kedoureand Sylvia G.Haim, Toward Amodrn Iran, London, 1980, PP. 195-215; Joseph M, Upton, The history of Modren Iran, An Inter Pretation, Massachusetts, 1961, PP. 41-42; N.A. Fatemi, OP. Cit., PP. 10-12.

تدفع التعويضات لايران عما اصابها في سنوات الحرب، الا انها سرعان ما تراجعت عن هذا الامر[٨٦].

لقد كانت المعاهدة في الواقع عبارة عن "حماية مفروضة على ايران" على حد تعبير لنشوفسكي[٨٧]، وحولت ايران عمليا الى محمية بريطانية على حد تعبير المتخصص الكبير بتأريخ ايران البروفسور انابييف[٨٨]. وبأعتراف احدى الوثائق البريطانية الخاصة ان المعاهدة "صيغت بصورة جيدة جدا بحيث تستفاد منها (بريطانيا) فائدة كبيرة"[٨٩] ودون ان تقود بريطانيا الى تحمل اية تبعات مالية[٩٠] جراء اشرافها على الادارة الايرانية كما جاء في وثيقة اخرى[٩١]، الامر الذي دفع باللورد كرزن "مهندس الاتفاقية" الى التعليق على المعاهدة بالقول: "فوز كبير حققته لوحدي"[٩٢].

واذا كان الشطر الثاني من كلامه فيه الكثير من الحقيقة، فيقينا ان شطره الاول لم يكن صحيحا البتة، فلقد اثار الاعلان عن المعاهدة، رغم الجمل الرنانة عن المواقف والمساعدات والمصالح المشتركة للامتين، التي حاول الانكليز التشدق بها عند الحديث عن المعاهدة[٩٣]، موجة سخط عارمة ضد الحكومة الايرانية والانكليز انعكست على مواقف الصحافة والقوى السياسية الايرانية، فقد اعتبرها العديد

---

[٨٦] "الاوقات البصرية"، (١ اكتوبر ١٩١٩)، د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٠.

[87] G.Lenezowski, The Middle East in the World Affairs, P. 175.

(في الترجمة العربية ص ٢٢٨).

[88] S.L.Agaev, OP. Cit., P. 9.

[89] F.O., 371/16949, The Future of Persia, October 1931, P. 132.

[٩٠] لقد كانت المشكلة التي تواجه الحكومة البريطانية في هذا الوقت هي كيفية مواجهة الضغوطات الداخلية الرامية الى تقليص النفقات، وفي نفس الوقت المحافظة على ستراتيجيتها في ايران والتي كانت تتطلب نفقات كبيرة. راجع:

J.M.Upton, OP. Cit., P. 41.

[91] "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First Series, Vol. IV, London, 1952, PP. 1120-1122.

[92] H.Amir Sadeghi, OP. Cit., P. 182.

[93] "Sovremeny Iran", OP. Cit., P. 37.

من الايرانيين بمثابة "انتداب لبريطانيا العظمى على فارس"[٩٤]، انتداب يرقى "الى درجة الحماية"[٩٥]. فانفجرت المظاهرات في انحاء عديدة من البلاد، وقد اعلن المتظاهرون "ان هذه الاتفاقية باعت ايران للاجانب وجعلتها مثل مصر وفلسطين مستعمرة للغير"[٩٦]. وفي طهران عارض مستشار الدولة وممتاز الدولة، ومعهم قسم من علماء الدين، المعاهدة وقاموا بمسيرة احتجاجية، فما كان من حكومة وثوق الدولة الا ان القت القبض على مستشار الدولة وقسم من اتباعه ونفتهم الى كاشان[٩٧]، واغلقت بعض المدن في المحافظات اسواقها احتجاجا على توقيع المعاهدة[٩٨]. ونشطت اقلام الشعراء في قدح المعاهدة وذمها، فقد اتهم (عشقي زادة) الشاعر، السياسي وثوق الدولة بانه باع البلاد الى البريطانيين، وانتقده في مقال سياسي عنيف بالقول: "ان بلاد فارس ليست من ممتلكات ابيك"[٩٩].

وظهرت في الصحف مقالات صريحة تتهم وثوق الدولة بانه قبض من الانكليز رشوة[١٠٠] كثمن لتوقيع المعاهدة، وصنفته هذه الصحف مع بعض وزرائه (وزيري المالية والداخلية) على انهم (امراء لصوص)[١٠١].

---

[94] "American Socuments", Vol. II, The Minister Persia to the Secretar of State, Tel. No. 741.91/22, August 13, 1919, P. 699.

[95] Ibid;

[٩٦] م. ع، سياست دولت شوروى در ايران، ص ٢٨، د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤١، احمد كسروى، تاريخ هيجده ساله اذربيجان، ص ٨٢٢.

[٩٧] "الاوقات البصرية"، ٢٤ سبتمبر ١٩١٩، احمد كسروى، تاريخ هيجده ساله اذربيجان، ص ٨٢٢، حسين مكي، مختصرى از زندكانى سياسى سلطان احمد شاه قاجار بضميمه جند برده از زندكاني داخلى وخصوصى او تهران، ١٣٢٣، ص ٦١.

[98] "Amercian Documeits", Vol. II, The Minster in Persia to the Secretary of State, Tel. No. 741.91/83, August 28, 1919, P. 701.

[٩٩] همايون كاتوزيان،الاتجاهات الوطنية في ايران ١٩٢١-١٩٢٦، تعريب هاشم كاطع، "مجلة الخليج العربي"، البصرة، العدد الاول، ١٩٨٤، ص ٥٨.

[١٠٠] اختلفت المصادر في تقدير مقدار الرشوة التي استلمها وثوق الدولة ورفاقه لقاء توقيع المعاهدة، فبعضهم يقدرها بـ(٤٠٠,٠٠٠) تومان، في حين يقدرها البعض الاخر بـ (١٣٠,٠٠٠) تومان، واخرون يقدرونها بـ(٧٥٠) الف تومان بينما تشير وثيقة بريطانية سرية يعود تاريخها الى عام ١٩٢٣ الى ان وثوق الدولة واثنين من الساسة الايرانيين استلموا رشوة مقدارها (١٢٠,٠٠٠) دولار قسمت بينهم. للتفصيل راجع: "العالم العربي" (جريدة)، بغداد، ٢٥ ايلول ١٩٢٦، "الاهالي" (جريدة)، بغداد ٦ تشرين الثاني ١٩٥٢، مصطفى الطباطبائي، المصدر السابق، ص ٤٧،

وطالبت صحيفة "ستارة" (النجمة) في عددها الصادر في ١٦ تشرين الاول ١٩١٩ المسؤولين بان يلغوا المعاهدة "لينقذوا شرف بلادهم"[١٠٢]. ولم تشذ عن ذلك سوى صحف قليلة جدا موالية للانكليز. فقد كتب ضياء الدين طباطبائي، رئيس تحرير جريدة "رعد"، بصدد المعاهدة بان: "الدول الاربعة الكبرى في باريس[١٠٣] قررت قررت بان فارس يجب ان تكون تحت الحماية، وانها جزء من حصة بريطانيا العظمى، "وذكرت ان امريكا خذلت ايران "وتخلت عنها"[١٠٤] مشيرا الى ان الفرحة لم تعم ايران "منذ ايام شوستر بسبب اجراء اجنبي كما عمتها وقت توقيع هذه المعاهدة"[١٠٥].

وقام عدد من الوزراء السابقين بزيارة رئيس الوزراء معربين عن احتجاجهم[١٠٦]. وقد لجأت الحكومة الى وسائل عدة لمواجهة المد الشعبي المتعاظم ضد المعاهدة، فاعلنت قانون الاحكام العرفية وهددت المعارضة بعقوبة السجن او النفي وشددت الرقابة على الصحف[١٠٧]، ومما عزز من اجراءات الحكومة الايرانية وجود القطعات البريطانية في البلاد، والتي فرضت رقابة مشددة على التحركات الشعبية في المدن الايرانية[١٠٨]. ورغم الانتخابات الصورية التي جرت تحت اشراف الحكومة لانتخاب اعضاء المجلس الجديد، ومجيء عناصر اختيروا لاقاليم "لم يكونوا فيها

H.B.Sharabi, Governments and Politics of the Middle East in the Twentioth Centary, Washington, 1962.

101 J.M.Upton, OP. Cit., P. 41.

١٠٢ مقتبس من: د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤١.

١٠٣ يقصد مؤتمر الصلح.

104 "Amercian Documents", Vol. II, The Minster in Persia to the Secretary of State, Tel. No. 741.91/82, August 23, 1921, P. 701.

105 R.Cottam, OP. Cit., P. 185.

106 "Amercian Documents", Vol. II, The Mister in persea to the Secretary of State, Tel. No. 741.91/83, Auguse 28, 1919, P.701.

107 "Amercian Dosuments", Vol. II, The Minster in Persia to the Secretary of State, Tel. No. 741.91/82, August 23, 1919, P.701.

108 F.O., 371/9025, E11626, The Political Situtiom in Persia, November 14, 1923, P.133.

قط" على حد تعبير وثيقة امريكية[109]، فأن بريطانيا فشلت في الحصول على مصادقة المجلس على المعاهدة التي ما كان بالامكان تنفيذ بنودها الا بعد مصادقة المجلس عليها[110]، لانه ما من احد حتى من اصدقاء الانكليز كان يجرؤ على الاقدام على مثل هذا الامر في تلك الاجواء المحمومة بمشاعر الاستياء الشعبي على الرغم من استطاعة الانكليز شراء بعض الاصوات المعارضة واسكات بعضها الاخر[111]. وحسبما تذكر وثيقة بريطانية سرية: "ان اعداءنا داخل وخارج المجلس يطالبون باصوات عالية بتأجيل او الغاء الاتفاقية، في حين يطالب اصدقاؤنا بالاجماع بانقاذهم من موقفهم الحرج بالغائها"[112].

وهكذا فان المعارضة الشعبية للمعاهدة لم تقتصر على ما ذكر فحسب، وانما شكل الايرانيون جمعية سرية اسموها (المجازات[113] Mojazat) حددت لها هدفا رئيسيا هو "قتل كل محبي انكلترا"، وهيأت عناصرها للقيام بحملة من الاغتيالات للعناصر الموالية للانكليز[114]. لم تأت المعارضة الواسعة لمعاهدة ١٩١٩ من داخل ايران فقط، وانما جاءت من الخارج ايضا، فالاعلان فجأة عن المعاهدة جعل "البعثات الاجنبية الاخرى مندهشة جدا، منسبين للوزارة الايرانية افتقارها الى النية الحسنة، ولبريطانيا الثقة السيئة"[115].

فقد ابدى الوزير الفرنسي في طهران عدم قناعته، "وهو يأمل مساعدة الوزير الامريكي"[116]. ونشرت جريدة "لاطان" شبه الرسمية في عددها الصادر في ١٧ آب ١٩١٩ ما معناه:"عندما تسلم الحكومة الايرانية جيشها لادارة الضباط

---

109 "Amercian Document", Vol. II, Tel. No. 741.91/22, August 16, 1919, P. 699.

110 Ibid; G.M. Gathorne-Hardy, Ashort history of International Affairs, London, 1934, P. 133.

111 F.O., 371/9025, E 11626, The Political Sitution in Persia, November 14, 1923, P. 133.

112 " Document on British Foreign Policy, 1919-1939", First Series. Vol. XIII, London, 1963, P. 720.

113 الكلمة محرفة من الجزاء العربية.

114 R.Cottam, OP. Cit., P. 185.

115 "Amercian Documents", Vol. II, The Minster in Persia to the Secrtary of state, Tel. No. 741.91/23, Very Secret, August 13, 1919, P. 699.

116 "Amercian Documents", Vol. II, The Minster in Persia to the Secrtary of State, Tel. No. 741.91/23, August 18, 1919, P. 699.

البريطانيين، وماليتها لاشراف الخبراء البريطانيين، فانها تتخلى عن اية وسيلة للتعبير عن سيادتها السياسية"[117].

اما الموقف الامريكي حيال المعاهدة فانه كان اكثر عنفا، فقد كتب وزير الخارجية الامريكي الى سفيره في طهران:"لقد سببت الاتفاقية الانكلو-فارسية انطباعا غير مقبول لدى الرئيس ولدي"[118]. وانتقد الاسلوب السري الذي اتبعته بريطانيا لعقد المعاهدة، "ان السرية التي استخدمت والصمت الملاحظ بدا مناقضا للاساليب الصريحة المكشوفة التي كان يجب ان تكون سائدة"[119].

وكتب مراسل امريكي من فرساي: "الاتفاقية لم تخدع احدا، فمنذ اللحظة الاولى التي اعلنت فيها البنود لاحظ الكل بان وصاية قد فرضت على ايران، وان الامبراطورية البريطانية قد وجدت لها منفذا جديدا"[120].

كما قامت الصحف الامريكية بدورها في مهاجمة المعاهدة[121]، ومما يجدر ذكره ان مسألة الامتيازات النفطية[122] التي سعت الولايات المتحدة للحصول عليها في ايران لعبت دورها في تشديد الموقف الامريكي ازاء المعاهدة[123]. ومن جانبه فقد انتقد الاتحاد السوفيتي المعاهدة بشدة، واعلن في نداء وجهه الى عمال وفلاحي ايران عدم اعترافه "بالاتفاقية الانكلو-ايرانية والتي تستعبد الشعب الايراني"[124].

---

[117] "المؤتمر الاول لشعوب الشرق"، ص ٦٩.

[118] "Amercian Documents", Vol. II, The Minster in Persia to the Secrtary of state, Tel. No. 741.91/23, August 20, 1919, P. 700.

[119] Ibid.

[120] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 114.

[121] للتفصيل عن هذا الموضوع والموقف الامريكي عموما راجع: د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ١٤١.

[122] للتفصيل عن هذا الموضوع راجع: د. محمود افشار يزدى، سياست اوربا در ايران، ص ٤٣٢-٤٣٣، خيرات البيضاوي، المصدر السابق، ص ٢٨٥،

T.A.Bryson, OP. Cit., PP. 86-87.

[123] Ibid.

[124] أ-بيريزكين، المصدر السابق، ص ١٥٩، ايفار سيكتور، المصدر السابق، ص ٦٣،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 114

وفي هذه الاثناء كان الوضع الايراني قد توتر الى حد كبير، ففي ٢ حزيران ١٩٢٠ رجع الشاه من سفرته[١٢٥] التي قام بها الى اوربا، والتي استغرقت ستة اشهر، وما ان وصل ايران حتى اعلن عن تأييده للمعاهدة ووقوفه الى جانب رئيس الوزراء[١٢٦]، مما ادى الى اذكاء نار المعارضة للاتفاقية، وجعل الناس تستقبله بشعارات مناوئة وهي تهتف بسقوط الاتفاق"، و"الموت لعاقد الاتفاق"، "الموت لوثوق الدولة"[١٢٧]. كما ان عددا من الجمعيات السرية قد ظهرت في البلاد للنضال من اجل اسقاط المعاهدة، وطرحت عدة شعارات تطالب وثوق الدولة بالاستقالة[١٢٨].

ومما زاد الطين بلة اشتداد الحركات الثورية في الشمال[١٢٩]، والذي تحول الى مد عارم هدد النظام القائم في وجوده، لاسيما وان بعضها كان قد قطع شوطا كبيرا على درب تغيير النظام، ففي كيلان اعلن كوجك خان: "ان هذه المعاهدة تجعل من ايران محمية بريطانية، وان رئيس الوزراء وثوق الدولة لم يكن سوى عميل لبريطانيا"[١٣٠].

وفي تبريز اعلن خياباني عن قطيعته مع حكومة طهران بسبب عقدها لهذه المعاهدة[١٣١]، وطالب بتأسيس حكومة ديمقراطية[١٣٢]. ويوما بعد يوم كانت المعارضة للاتفاق تزداد حتى وصل الامر الى حد المطالبة بخلع الشاه"[١٣٣].

---

[١٢٥] كان الشاه في لندن قد اعلن عن تأييده التام للمعاهدة واعتبرها "استشهادا على الصداقة والاخلاص الذي يدفع شعوب هذه المملكة (المملكة المتحدة) نحو مملكة ايران... وانها تربط الامتين اكثر من ذي قبل ببعضهما". انظر: "الاوقات البصرية"، ١٣ نوفمبر ١٩١٩.

[١٢٦] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤١.

[١٢٧] حسين مكي، مختصرى از زندكانى سياسي احمد شاه قاجار، ص ٩٧.

[128] M.S.Ivanov, OP. Cit., PP. 274-275.

[١٢٩] اعطينا تفاصيل هذه الحركات في بداية الفصل.

[130] R.Cottam, OP. Cit., P. 104.

[131] Ibid, P. 123.

[132] Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First Series, Vol. XIII, P. 493.

[133] Ashraf Pahlavi, Faces in Amirror, Memoirs from Exile princedd, New Jersey, 1980, P. 8.

وبينما كانت هذه الاحداث تتسارع حدثت تطورات هامة اثناء ذلك، ففي ١٨/ايار/١٩٢٠ احتل الروس ميناء انزلي الايراني[١٣٤]، وطالبوا بانسحاب القوة البريطانية المتمركزة في شمال ايران والتي كانت تقدم الدعم لاعداء الثورة[١٣٥]، وقدم البلاشفة دعمهم للحركات الثورية التي كانت قائمة في كيلان واذربيجان[١٣٦].

وامام هذه التطورات لم يبق امام بريطانيا سوى التفكير في ايجاد حل للازمة التي باتت تهدد النفوذ والوجود البريطاني في ايران برمته. وباتت تدرك اكثر من اي وقت مضى بضرورة التفكير في تغيير (الصورة القائمة في ايران) واستبدال "رجلها القوي" وثوق الدولة، بوجوه اخرى حددها السفير البريطاني نورمن في برقيته الى وزارة الخارجية حينما قال: "اعتقد ان خلفه (خلف وثوق الدولة) يجب ان يكون شخصا يستمر على اتباع سياسة خارجية فيما يتبنى سياسة اخرى داخل البلد ويجب ان يكون راغبا للعمل مع القوميين وفي نيل مساندة شعبية"[١٣٧].

وعلى هذا الاساس قدم وثوق الدولة استقالته[١٣٨] الى الشاه في ٢٣/حزيران/١٩٢٠، وقبلها الاخير في اليوم التالي، فالف مشير الدولة وزارته

---

[١٣٤] انزلي (بهلوي فيما بعد) اسم ميناء مدينة رشت عاصمة اقليم كيلان، وهي من اهم الموانيء الايرانية على بحر قزوين في شمال ايران. اعيدت الى ايران في عام ١٩٢١ اثر تنازل السوفيت عن جميع امتيازات الروس القياصرة في ايران. زكي خورشيد واخرون، دائرة المعارف الاسلامية، ط٢، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٦٧.

[١٣٥] اثار احتلال الروس لانزلي قلق الحكومة البريطانية الى حد كبير، الامر الذي انعكس في التقارير التي بعثتها السفارة البريطانية في طهران الى وزارة الخارجية في لندن، وخشيت الاوساط البريطانية ان يتوغل البلاشفة داخل ايران مما يهدد النفوذ والمصالح البريطانية، لذا شجعت الحكومة الفارسية على ايجاد نوع من التفاهم مع الروس وتطبيع العلاقات معها. راجع:

Documents on British Foreign Policy, 1919-1939, First Series, Vol. XIII, PP. 492-493.

[١٣٦] ايفارسيكتور، المصدر السابق، ص ٦٨; J.M.Upton, OP. Cit., P.43.

[137] "Documents on british Foreign Policy, 1919-1939", First series, Vol. XIII, PP. 537-538;

مقتبس من: د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ١٢٢.

[١٣٨] استمرت وزارة وثوق الدولة في الحكم بعد توقيعها المعاهدة، مدة سنة و ١٠ اشهر بسبب المساندة التي لقيتها من بريطانيا سواء بالتلويح بالقوة العسكرية او بالاموال التي اعطيت لاسكات اصوات المعارضة انظر:

على اثرها، وضمت عناصر قومية ليبرالية كمستوفي الممالك ومخبر السلطنة "لانهما يستطيعان ان يساعدا اكثر من اي شخص اخر على ترويج سياستنا (سياسة بريطانيا)"[١٣٩]، بالرغم من سجلهما الاسود في سنوات الحرب"[١٤٠].

اتخذت وزارة مشير الدولة عدة خطوات منذ تسلمها الحكم، فاعلنت عن ايقاف العمل بالمعاهدة الانجلو-ايرانية، بعد موافقة الانكليز طبعا[١٤١]. واقدمت على اتخاذ بعض الخطوات لتطبيع العلاقات مع السوفيت، كذلك سعت، وبقوة، الى قمع الحركة الوطنية. بيد ان جملة عوامل تظافرت لتزعزع من مواقف الوزارة امام الانكليز الذين ابدوا استياءهم منها في عدة مناسبات، ففضلا عن مسألة المعاهدة الانكلو_ايرانية التي لم تحسم حتى ذلك الوقت فان الوزارة عجزت عن قمع الحركة الثورية في البلاد، لاسيما في الشمال، والتي كادت تعصف بالنظام برمته وبالوجود البريطاني في ايران، الامر الذي دفع بالسفير البريطاني نورمان لارسال برقية اشار فيها الى "خوف الحكومة الايرانية من الاحداث الجارية في الشمال، ورغبتها في نقل قواتها الى اصفهان، وضرورة ان تلقى تشجيعا من لندن لتنفيذ هذه الفكرة"، لان مصالحها ستراعى" بشكل افضل من قبل حكومة فارسية تعمل تحت نفوذنا هناك"[١٤٢] على حد تعبير نورمان، لاسيما اذا ما حصلت على مساعدة قوات الجندرمة والشرطة. الا ان السفير البريطاني استدرك قائلا: "ان هذه الخطة غير عملية لان الجندرمة على الاقل- لا يوثق بهم، وقد تكون قبائل البختيارية مصدر خطر لانهم ليسوا اصدقاء"[١٤٣].

F.O., 371/9025, E11626, The Political Sitution in Persia, December 7,1923, P. 136.

[139] "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First Series, Vol. XIII, PP. 546-549.

[140] Ibid.

[141] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٣.

[١٤٢] "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First series, Vol. XIII, P.703; "Documents on Germen Foreign Policy, 1918-1945", Vol. XIII, Washington, 1964, P. 689.

[143] "Documents on Germen Foreign Policy, 1918-1945", Vol. XIII, PP. 688-689.

ومن المفيد ان نذكر ايضا ان تنامي الحركة الثورية في شمال ايران دفعت بالمكتب الامبراطورى لمصرف فارس في لندن لارسال تعليمات عاجلة تدعو مكاتبه لغلق ابوابها في طهران[١٤٤]، وبدأت المثليات الاجنبية تنصح رعاياها بمغادرة العاصمة الايرانية[١٤٥].

اما الشاه "المجنون والخائف" كما وصفه السفير البريطاني نورمان، فان الذعر دب الى قلبه حتى لم يعد ينفع معه اي منطق[١٤٦]، فاخذ يفكر بالهرب من طهران، متوسلا بالسفير البريطاني "لمنحه" اجازة طويلة الامد للسفر الى اوربا بحجة العلاج"[١٤٧]، لا بل ان الشاه ابدى استعداده للتخلي عن العرش[١٤٨]، الا ان المصلحة البريطانية كانت تقتضي بقاءه على عرشه، فنصح كرزن سفيره في طهران في برقية مستعجلة جدا للضغط على الشاه لحمله على العدول عن فكرته تلك "لان من الضروري ان يحتفظ الشاه بمصبه اذا كان ذلك ممكنا، لان اجراء التغيير في الاسرة الملكية سيضيف عراقيل ليست في صالحه[١٤٩]... واذا ثبت عدم امكانية الشاه عن الرجوع عن غرضه فمن الضروري ان يكون هناك عضو اخر من العائلة (المالكة) يحل محله"[١٥٠]. ولم يكن ولي العهد اقل خوفا وترددا من الشاه نفسه، فقد فكر هو الاخر بالتنازل عن ولاية العرش ومغادرة البلاد بشكل سري[١٥١].

كذلك فان الظروف الداخلية والخارجية اتاحت لوزارة مشير الدولة امكانية اتباع سياسة اكثر استقلالية نسبيا[١٥٢]. فقد عانت البلاد من صعوبات اقتصادية ومالية جمة جعلت الحكومة تتطلع الى الحصول على دعم اقتصادي خارجي، فاتجهت نحو الولايات المتحدة الامريكية للحصول على الدعم المطلوب مقابل منح شركاتها

---

144 "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First series, Vol. XIII, P.703.

145 Documents on Germen Foreign Policy, 1918-1945", Vol. XIII, P.688.

146 Ibid, P. 689.

147 Ibid, P. 691.

148 Ibid, P. 698.

149 Ibid, PP, 689, 692.

150 Ibid, P. 691.

151 Ibid.

١٥٢د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص٣٤.

امتيازات نفطية، الامر الذي اثار فزع السفير البريطاني في طهران باعترافه[153]، كذلك فان ذهاب حكومة مشير الدولة بعيدا في توثيق علاقاتها مع السوفييت اكثر مما ارادته بريطانيا اثار امتعاض الانكليز ضدها[154].

ومما زاد في حراجة موقف حكومة مشير الدولة عجزها عن حمل المجلس على تصديق المعاهدة الانكلو-ايرانية، الشغل الشاغل للسياسة البريطانية في ايران آنذاك، وكما جاء في برقية مستعجلة جدا من كرزن الى سفيره في طهران "ان حكومة صاحب الجلالة ستهتم بالاتفاقية حتى النهاية، وقد وقعناها وهيئناها للتنفيذ، ولكن الفرس اوقفوها عن التنفيذ"[155]، ورد نورمان على كرزن "بان الحكومة الفارسية الحالية ستتمكن، بدون شك، من الاجتماع بالمجلس والحصول على موافقته على الاتفاقية الانكلو-ايرانية اذا كانت الاوضاع هادئة"[156].

بيد ان الامور في ايران لم تكن كذلك على الاطلاق، مما حدا بالانكليز الى التفكير بتغيير الوزارة والاتيان "بمجلس وزراء قوي بقصد ادارة دفة امور البلاد"[157]. وذكر نورمان في برقية مستعجلة الى كرزن بان: "فخامة حكومتك ليس لها قناعة جيدة بالحكومة الحالية كما هي مع السابقة (حكومة وثوق الدولة)"[158]. فما كان من وزارة مشير الدولة الا ان تقدمت باستقالتها الى الشاه الذي وافق عليها كعادته.

تباينت الاراء في الخارجية البريطانية حول من سيكون رئيس الوزارة الجديدة في ايران، وظلت البلاد دونما وزارة مدة شهر تقريبا طالما ان الانكليز كانوا يشترطون لمجيء اية وزارة التصديق على المعاهدة الانكلو-ايرانية[159].

---

153 "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939," First Series, Vol. XIII, P. 466.

154 للتفصيل عن الموضوع انظر"
Ibid, P. 467;" Documents on Germen Foreign Policy, 1918-1945", Vol. XIII, P. 692.

155 "Documents on Germen Foreign Policy, 1918-1945", P. 693.

156 Ibid.

157 Ibid, P. 698.

158 Ibid, P. 694.

159 "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First Series, Vol. XIII, P. 720.

واخيرا افلح سباهدار اعظم في تأليف وزارته التي ضمت نفس عناصر الوزارة السابقة باستثناء محتشم السلطنة الذي اصبح وزيرا للخارجية ووحيد الملك ونصرت الدولة اللذين احيلا على التقاعد، بعد ان اعتقد نورمان ان وجود "رئيس وزراء رجعي قوي، يرغب باللجوء الى التهديد، قد يتغلب على المعارضة الموجودة لافتتاح المجلس"[١٦٠]، وهذا ما كان يأمله من سباهدار، لكن يبدو ان آمال نورمان لم تكن في محلها، فقد عجز رئيس الوزراء الجديد عن امرار المعاهدة واجبار المجلس على تصديقها، لان قيامه بهذا الامر كان من شأنه ان يثمر معارضة شديدة ضد وزارته[١٦١].

وعرض سباهدار على السفير نورمان اقتراحين، احدهما اصدار بيان حول عقد معاهدة بديلة "اكثر فائدة لايران"، والثاني تأليفه لجنة تشارك فيها السفارة البريطانية لوضع تقرير حول هذا الموضوع، وتأجيل افتتاح المجلس لحين اعداد هذا التقرير[١٦٢]. وعندما طلب سباهدار اعظم من السفير ابداء رأيه حول افضلية احد المقترحين، اجاب الاخر بان التعليمات التي لديه لا تخوله حق التعبير عن رأيه دون الرجوع الى رأي وزارة الخارجية[١٦٣]، الامر الذي يحمل في طياته معاني كثيرة، لاسيما وان نورمان كان قد بت سابقا في امور اخطر قبل ان يعود الى وزير الخارجية اللورد كرزن[١٦٤].

ولم يتردد وزير الخارجية نصرت الدولة، صديق الانكليز، عن عرض خدماته على السفير البريطاني، اذ ذكر انه في حالة تأخر رد الحكومة البريطانية على مقترحات رئيس الوزراء سيجعلها في وضع صعب قد يؤدي بها الى سقوطها "عندما تسقط (حكومة سباهدار) سيكون هو نفسه مهيأ لاشغال المنصب (منصب رئيس الوزراء)"[١٦٥].

---

160 Ibid, P. 720.
161 Ibid.
162 Ibid, P. 728.
163 Ibid.
١٦٤ د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٣.
165 "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First series, Vol. XIII, P. 228.

ومما له مغزاه في هذا الصدد ان الانكليز بعد ان ادركوا عدم امكان تمرير معاهدتهم مع ايران بسبب المد الشعبي المتزايد ضدها، حاولوا اللجوء الى اساليب اخرى "لانقاذ فارس"[١٦٦] لا تختلف في نتائجها عما تؤدي اليه معاهدة ١٩١٩ فقبل اسبوع واحد فقط من انقلاب شباط ١٩٢١ بزعامة رضا خان استلمت وزارة الخارجية مذكرة بتأريخ ١٤ شباط عام ١٩٢١ حول "مساعدة مالية لفارس" اعدها الضابط البريطاني في لواء القوزاق[١٦٧] ارميتاج سميث تتضمن اقتراحات وضعها مدير شركة النفط البريطانية حول تقديم قرض لايران بشرط استخدام مستشارين بريطانيين للرقابة على المالية الايرانية[١٦٨]، وصيانة المشاة[١٦٩] الفرس في الجنوب[١٧٠] وذكر سميث في مذكرته "ان مقترحاته تمثل نتيجة الجهود لاثارة الرأسماليين البريطانيين الذين يهتمون بفارس"[١٧١].

لقد باتت بريطانيا تدرك الان اكثر من اي وقت مضى انه لا سبيل لتنفيذ مخططاتها في ايران الا بايجاد حل لمأزقها، وبدأ العديد من ساسة الانكليز ولا سيما كرزن يؤمنون بان الاتفاقية الانكلو-ايرانية لعام ١٩١٩ قد "عطلت عن العمل ان لم تكن قد ماتت"[١٧٢] على حد تعبيره، وتوالت الاحداث الايرانية بسرعة مما هدد بخلق "كارثة" للسياسة البريطانية في ايران. فقد فشلت الحكومات المتوالية في ان تعقد مجلسا يصادق على المعاهدة الانكلو-ايرانية، وابرق السفير البريطاني الى وزارة الخارجية يعلمها انه خلال تسعة اشهر تغيرت ست وزارات باكملها فشلت كلها في

---

[١٦٦] كان يطلق على ايران اسم فارس حتى عام ١٩٣٥ حينما ابدلها رضا شاه باسمها الحالي.

[١٦٧] سيكون لها شأن خطير في الاحداث اللاحقة في ايران.

[١٦٨] احد البنود الاساسية في معاهدة ١٩١٩.

[١٦٩] هذا الشرط كان يعني ان بريطانيا تتخلص من تبعات الانفاق على هذه القوات، وهو الامر الذي كانت تسعى اليه بريطانيا كثيرا. ومما يجدر ذكره ان القروض والمساعدات المالية البريطانية لايران قد توقفت منذ اواخر عام ١٩٢٠ كوسيلة من وسائل الضغط على الحكومة الايرانية مما جعلها تتطلع الى الحصول على مساعدات من دول اخرى، لاسيما الولايات المتحدة الامريكية.

[170] "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First series. Vol. XIII, P. 721.

[171] Ibid.

[172] W.M.J.Olson, OP. Cit., P. 248.

اقناع المواطنين بتأدية الانتخابات[173]. ووصف امر القوات البريطانية في ايران الحالة المتردية للوضع آنذاك بالكلمات التالية: "لا يبدو انه مفهوم في انكلترا مدى زخم المعارضة للاتفاقية مع فارس، ومدى عداء الرأى العام لحكومة وثوق (الدولة) قبل ان تسقط، فقد كان الجميع يعتقدون ان الاتفاقية تهدف الى تحطيم الاستقلال الوطني، وبأن رئيس الوزراء قد باع البلاد الى بريطانيا. وقد ادى ما احاط عقد الاتفاقية من سرية، وعدم انعقاد المجلس رغم المحاولات العديدة لجمعه باساليب غير شريفة، ادى كل ذلك معا الى الاعتقاد بان بريطانيا العظمى ليست افضل من العدوة التقليدية روسيا"[174]. وتعاظمت مشاعر الكراهية ضد بريطانيا "كعدو لدود يجب اقتلاعه من البلاد بأي ثمن"[175].

وازاء تفاقم الوضع الذي كاد يعصف بالوجود البريطاني، وقبل ان يفلت زمام الامور من يد بريطانيا، وبعد ان غدت الاتفاقية الانكلو-فارسية "ورقة ميتة" حسب وصف جريدة الـ "تايمس" اللندنية في عددها الصادر يوم ١٩/ كانون الثاني/١٩٢١[176]، بدأ نشاط محموم في، وخلف الكواليس السرية لـ (١٠ داوننغ ستريت)[177] لاستبدال الوجوه القديمة "باخرى جديدة" بدأ نجمها يبزغ في سماء ايران، وجوه بمقدورها ان "تنقذ" البلاد الغنية بثرواتها والمهمة بموقعها من خطر "الضياع" على حد تعبير احد المؤرخين[178]، وتمنع وصول وزارة ضعيفة الى الحكم "تلغي الاتفاقية وتحصل على شعبية واسعة"[179]، الامر الذي لن يكون، في كل الاحوال، في صالح النفوذ البريطاني في ايران، وبدا حينذاك واضحا ان الانكليز باتوا

---

173 E.Abrahamin, Iran between rwo Revolutions, P. 117.

174 Ibid.

175 E.Abrahamain, The Crodin Iranian Politics, P. 188.

وفي الترجمة العربية، ص ٢٢٣٥.

١٧٦ مقتبس من د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٣.

١٧٧ مقر الحكومة البريطانية.

١٧٨ د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٣.

179 "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First series, Vol. XIII, 728.

يستشعرون خيفة من تيار جارف قد يعصف برؤوس النظام و (بمن يدعمهم)، وغدوا يتطلعون الى (نجم جديد) و (حل جديد)، عرفوا كيف يحبكون خيوطه بدقة، وسرعان ما وجدوا ضالتهم في شخصية ضابط القوزاق رضا شاه، وفي "انقلاب عسكري" كان الاول من نوعه في الشرق الاوسط، شكل منعطفا وتحولا خطيرا ليس في تاريخ ايران الحديث فحسب، بل في تاريخ الشرق الاوسط الحافل بالاحداث والعاصف بالتغييرات.

الفصل الثاني

تطور الاوضاع الداخلية في ايران من انقلاب حوت حتى ارتقاء رضا بهلوي العرش

١٩٢١-١٩٢٦

في ظل تصارع القوى على ايران، والاوضاع الداخلية المتفاقمة التي كانت تنذر بقلب المخططات البريطانية في ايران راسا على عقب، وفي وقت كان النظام القاجارى قد اعلن افلاسه السياسي والاجتماعي، كان لابد لبريطانيا ذات الوزن الاكبر، والاكثر تأثيرا في ايران، ان تتدخل في لعبة "شد الحبل" من اجل السلطة هناك، وتحدد الشخص الذي يقرر مصير اللعبة بالاتجاه الذي يخدم المخططات البريطانية ومن يواليها داخل ايران، فوجدت ضالتها في شخصية رضا خان الذي حسم الامر بانقلاب عسكري قام به في ٣ حوت[١] المصادف ٢١ شباط عام ١٩٢١، وهو ما عرف باسم انقلاب حوت.

[١] حسب التقويم الفارسي.

دشن الانقلاب الذي قاده رضا خان عسكريا، وسيد ضياء الدين طباطبائي سياسيا في ٢١ شباط ١٩٢١ بداية مرحلة مهمة في تاريخ ايران الحديث وشكل بداية النهاية لسقوط الاسرة القاجارية وتأسيس نظام حكم جديد في ايران، وهو حكم الاسرة البهلوية. ولا شك ان الانقلاب لم يأت اعتباطا، بل كان حصيلة جملة من المتغيرات الذاتية الموضوعية، الداخلية والخارجية، واشتركت فيه شخصيات متباينة في اتجاهاتها ومشاربها، ومن منطلقات متناقضة، لكنهاالتقت عند نقطة واحدة هي الحيلولة دون حدوث تغيير جذري يعصف ببنية النظام القديم واتجاهاته المعروفة.

وبحكم الدور الكبير الذي لعبه قائدا الانقلاب، العسكري والسياسي، ولفهم اوضح لمغزى اختيارهما لتنفيذ مهمة خطيرة كهذه، لابد من معرفة خلفيات هاتين الشخصيتين والعوامل التي ادت الى احتلالهما واجهة الاحداث السياسية العاصفة التي كانت تمر بها ايران آنذاك.

تختلف المصادر حول نسب اسرة[٢] رضا خان وان كانت تتفق على ان موطنها كان مازندران. كان ابوه وجده ضابطين في الجيش الفارسي، وقتل الاخير اثناء الحملة على هرات في عهد فتح علي شاه[٣]. اما من جهة امه فقد كانت قفقاسية الاصل تركت موطنها بعد ضم الروس للاقليم[٤].

---

[٢]بعضهم يرجعها الى عشيرة (بالاني) الكردية، في حين يحاول اخرون، ولاضفاء العراقة على نسب الاسرة، ارجاع اصولها الى احدى الاسر الساسانية القديمة. للتفصيل راجع: "اطلاعات"، (جريدة)، طهران، ٢٧ ارديبهشت ١٣٥٨، ايران بين عهدين. العهد القاجاري والعهد البهلوي، منشورات جريدة "البلاغ"، بيروت، ١٩٣٤، ص٣٥، ملك الشعراء بهار، تاريخ مختصرى احزاب سياسى، ص ٦٩، د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٣٩،

Ahmad Faroughy et Jean-Loup Reverier, L'Iran contre le chah, Paris, 1979, p.27.

[٣]نوبخت، شاهنشاه بهلوى، قسمت اول، مطبعة مجلس، بلا، ص ٢٩،

Zaven N.Davidian, Iran in the service of World Peacc, Isfahan, 1971, P. 19.

[4] Donald Wilber, Contemporary Iran, London, 1963, P. 68.

ولد رضا في عام ١٨٧٨ في قرية (الشت) في (مازندران). ولم يكمل السنة الاولى من عمره حين توفي والده، فانتقل الى عهدة خاله. وبقي في رعاية الاسرة حتى بلغ سن السادسة عشرة حينما انضم الى لواء القوزاق الذي كان الروس قد انشأوه على طراز القوزاق الروسي[٥].

استطاع رضا بمقدرته الشخصية، وبما اثبته من كفاءة ومهارة ان يتدرج في سلك العسكرية من جندي بسيط، وان يشق طريقه بين اقرانه من الجند، اذ اثبت شجاعة فائقة في الحملات التي اشترك فيها ضد الحركات المعادية للسلطة المركزية، فقد حاز على ترقيات سريعة واصبح يعرف بين اقرانه باسم رضا مكسيم[٦] نسبة الى مدفع المكسيم الذي اجاد استخدامه. وفي سنوات الحرب العالمية الاولى تدرج في الرتب العسكرية حتى وصل رتبة "سرهنك دوو" اي عقيد في العام ١٩١٥[٧]. وفي عام ١٩٢١ رقي الى مرتبة عميد في اللواء القوزاقي[٨].

وشيئا فشيئا بدأت طموحات رضا خان تتجسد وتطفو على السطح، وزاد احتكاكه بالحياة السياسية للبلاد، فبمناورة ذكية منه، وبالتعاون مع احد قادة القوزاق من الروس البيض المعادين للبلاشفة استطاع ان يخرج الضباط الروس المشكوك في ولائهم من الفرقة[٩]. ثم استكمل اخراج الضباط الروس تماما وحل محلهم ضباط بريطانيون يقودهم العقيد سمث حتى عام ١٩٢١[١٠].

---

[5] Ibid, P. 69.

ومن الجدير بالذكر ان المصادر تختلف في تحديد السنة التي دخل فيها رضا لواء القوزاق، فبعضهم يحددها بسن الخامسة عشرة. انظر: مصطفى الطباطبائي، ايران في عهدها الجديد، ص ٥٤، نوبخت، شاهنشاه بهلوى، ص ٢٩.

[6] Mohammad Riza Pahlavi, Answer to history, London, 1963, 49.

[٧] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٠.

[8] D.N.Wilber, Contemporary Iran, P. 69.

[٩] نوبخت، شاهنشاه بهلوى، ص ٣٠-٣١،

Mohammad Riza Pahlavi, Mission for My Country, P.30.

[10] G.Lencowski, The Middle East in World Affairs, PP. 178-179.

(وفي الترجمة العربية ص ٢٣٣).

وكان لاشتراكه الفعال في الحملات التي ارسلت لقمع الحركات الثورية، لا سيما في شمال البلاد، اثرها في تصاعد شهرته. وقد حز في نفسه ان يرى القوزاق الفرس يندحرون امام البلاشفة اثناء المعارك نتيجة لنقص السلاح والعتاد[١١]. واثناء ذلك كان قد حصل على موقع قيادي في القوزاق، وقد عقد العزم على تطوير هذه القوة، واخذ ينتهز الفرص لاحلال الضباط الايرانيين محل الضباط الاجانب[١٢]. وربما كانت حساسيته تجاه الاجانب، ولا سيما الانكليز والروس قد تولدت خلال هذه الفترة.

ومهما يكن من امر، فلم تكن اعين البريطانيين غافلة عن هذا الصعود المتسارع لرضا خان، وكان لطموحه ومنطلقاته الفكرية التي تقف على طرفي نقيض مع الديمقراطية، وكراهيته الشديدة للبلشفيك اثر كبير في جذب اهتمام البريطانيين نحوه، بل انهم حاولوا كسبه الى جانبهم، ليكون (حصانهم) الرابح في ايران خلال المرحلة المقبلة، لاسيما بعد ان بدأت علاقاتهم تسوء مع النظام القاجاري في اواخر ايامه. وكان رضا خان بدوره قد حصل على رضى الانكليز وثقتهم بعد نجاحه في توثيق علاقاته مع كبار الضباط الانكليز في لواء القوزاق الذين وصفهم بعد اعتلائه العرش بـ (رفاق السلاح)[١٣]. فضلا عن الظهور بمظهر "الرجل القوي" الذي سينقذ البلاد من البلشفة[١٤]. واثر الانسحاب البريطاني من شمال ايران عينه الجنرال ادموند ايرونسايد، احد كبار قادة الجيش البريطاني في ايران ورجل المخابرات

[١١]كان ذلك اثناء مطاردة القوزاق لقوات كوجك خان اثناء انتفاضة الجنكليين، الذين كان يدعمهم الروس البلاشفة. للتفصيل انظر:

Denis Wright, The English Amongst the Persia during the Qajar period 1787-1921, London, 1977, P. 180.

[١٢] محمد صبيح، شاه ايران، القاهرة، ١٩٤٠، ص ٦٩-٧٠، "دراسات عن ايران"، الجزء الثاني، معهد الدراسات الاسيوية والافريقية-الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٠، ص ٣٤.

[13] F.O., 371/1148, Confidential, British Government Archives, No. 8, E 1432/92/34, From P. Loraine to Austen, March 2, 1926, P. 173.

[14] E.Abrahamian, The Crowd in Iranian Politics, P. 188.

(وفي الترجمة العربية ص ٢٣٥).

المعروف، في منصب قيادي في فرقة القوزاق[١٥]. فقد كتب عنه في مذكراته: "انه الروح الحقيقية للقوزاق، والرجل الذي احببته كثيرا من قبل"[١٦].

وابدى ايرونسايد اعجابه به، وكثيرا ما كان يقدم له الدعم دون الرجوع الى لندن[١٧]. واعتبره السير برسي سايكس الشخص الوحيد المؤهل لاجراء التغيير في ايران[١٨]. وقد وصفه ضابط انكليزي قابله في قزوين سنة ١٩٢٠ قائلا:" انه من الافراد المقتدرين والبارزين"[١٩]. في حين وصفه هرمن نورمن، السفير البريطاني في ايران، في احدى برقياته السرية كـ "ضابط شريف وقدير لا طموح سياسي له"[٢٠]. ولم يدر بخلد البريطانيين ان طموحه سوف لن يتوقف الا باعتلاء عرش الطاووس[٢١].

اما الشخصية الثانية التي لعبت دورا مهما في التمهيد للانقلاب وتنفيذه فهي سيد ضياء الدين طباطبائي الذي كان ينحدر من اسرة دينية معروفة في يزد، وكان من طراز المثقفين الايرانيين الذين تشربوا بالافكار الاوربية ومثلها، فقد كانت لدراسته في باريس اثر كبير في تنامي اعجابه المتزايد بالغرب، وبحكم ذلك اشترك بحماس في الثورة الدستورية، واشتهر بكونه اصلاحيا ذا فكر حر، اذ كثيرا ماكان يدافع، عبر صحيفته، عن فكرة "التخلص من الارستقراطية المالكة للاراضي"[٢٢]،

---

[15] Robert Graham, Iran the Illution of Power, London, 1978, P. 54.

[16] D. Wright, OP. Cit., P. 181.

[17] H.Amersadeghi, OP. Cit., P. 24; D. Wright, OP. Cit., PP. 180, 183.

[١٨](وفي الترجمة الفارسية ص ٨٢٩).

P. Sykes, OP. Cit., P. 545.

[19] M.Zonis, OP. Cit., P. 301.

[20] “Documents on British Foreign Policy, 1919-1939”, First Series, Vol. XIII, P. 729.

[٢١]او "تخت طاووس"، مصطلح يطلق عادة على العرش الايراني، وهو عبارة عن كرسي مزخرف ومطعم بالاحجار الكريمة. وفي حين تتفق اغلب الاراء على ان العرش كان من جملة غنائم نادر شاه اثر استيلائه على دلهي عاصمة المغول في عام ١٧٣٩. نجد السير برس سايكس يشير الى ان العرش كان هدية من الزعيم الروحي لمدينة اصفهان الى فتح علي شاه بمناسبة احدى زيجاته الالف انظر:

P. Sykes, Ahistory of Persia, Vol., II, PP. 260-261.

[22] R.Cottam, OP. Cit., P. 167.

ولكنه ما لبث ان ابتعد عن قناعاته الفكرية الاولى قبيل انتهاء الحرب العالمية الاولى[٢٣].

كان عضوا في جمعية "التحرر"، وزاول مهنة الصحافة واصدر جريدة "رعد" التي سرعان ما جذبت اهتمام المثقفين الايرانيين، اذ كان بين آونة واخرى ينتقد بشجاعة فساد الادارة الحكومية او الوجود الاجنبي في بلاده[٢٤].

وقد جعلته مؤهلاته الشخصية، وما كان يتصرف به من جرأة واقدام، فضلا عن طموحه، الى ان يكون محل اهتمام البريطانيين الذين اصبح على اتصال وثيق بهم الى الدرجة التي دفعت بالعديدين الى اتهامه بانه كان عميلا لبريطانيا[٢٥].

والواقع انه كان يعتقد ان بريطانيا يمكن ان تقدم خدمات جمة لايران، وان وجودها في ايران ومساعدتها لها امران ضروريان[٢٦]. وقد وصفه السفير البريطاني (نورمن) في احدى رسائله السرية الى وزير الخارجية اللورد كرزن: "بانه معروف جيدا لدى المستر تشرشل"[٢٧]. في حين وصفته وثيقة اخرى كما يلي: "قليلون مثل سيد ضياء الدين طباطبائي استمروا في كره روسيا، وكان يعتقد (سيد ضياء الدين) ان بريطانيا تعتبر مدافعة عن الحرية وطليعة للعدالة والاصلاح"[٢٨]. وفي اواخر عام ١٩١٩ ارسل لتمثيل بلاده في باكو، في الوقت الذي كانت فيه الجمهوريات الجنوبية في القفقاس لاتزال في قبضة اعداء البلاشفة[٢٩].

---

[٢٣] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٤.

[24] Mohammad Riza Pahavi, Mission for my Country, P. 39; Peter Avery, Modren Iran, London, 1965, P. 223;

محمد صبيح، المصدر السابق، ص ٧٢.

[25] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 292.

[26] P.Avery, OP, Cit., P.223.

[27] "Documents on Britis Foreign Polisy, 1919 1939", First Series, Vol. XIII, PP. 653-654.

[28] F.O., 371/19025, E 11626, The Political Situation in Persia, 7 December, 1923, P. 138.

[29] P. Avery, OP. Cit., P. 223.

وقد ايد بحماس المعاهدة الانكلو-ايرانية للعام ١٩١٩، وقد نشر في صحيفته "رعد" المقالات الحماسية التي تثني على المعاهدة واهميتها لايران[٣٠]. وكان ابرز اعضاء "اللجنة الحديدية"، وهي لجنة سرية اسمها دعمها البريطانيون لكسب التأييد لمعاهدة ١٩١٩ الفاشلة، ونجحت في كسب عدد من الشخصيات الايرانية وبعض الضباط من لواء القوزاق والجندرمة[٣١].

وكان ضياء الدين قد نجح في التقرب من الاوساط القومية والديمقراطية التي كانت تتطلع الى تغيير ما، كما انه نجح في كسب بعض ضباط القوزاق الى جانبه امثال مسعود خان وكاظم خان اللذين سيكون لهما دورهما المؤثر في الانقلاب المقبل[٣٢].

وعلى الرغم مما كان يلمح اليه ضياء الدين بشأن القيام باجراء ما بخصوص النظام القائم، فانه ما كان بوسعه تنفيذ ذلك بمفرده، الامر الذي دفعه الى التقرب من ضباط القوزاق، وعلى رأسهم رضا خان، الذين كانوا ينظرون باستياء الى الوضع المتردي للبلاد في ظل غياب حكومة مركزية تستطيع القضاء على الحركة الثورية والتسيب العشيري في آن واحد معا[٣٣]. وفي الوقت نفسه وجد ضباط القوزاق في ضياء الدين الشخصية السياسية التي بحكم علاقاتها مع الانكليز تستطيع ضمان النجاح لعمل العسكريين[٣٤].

وعلى الرغم من تعدد الاسماء المرشحة للتغيير المقبل[٣٥]، فان الرأي استقر اخيرا على اختيار رضا خان باعتباره "الشخص الوحيد الذي بوسعه وقف المد الجديد

---

[30] "Amercan Documents 1921, Vol. II, P. 701.

[31] Saiyid Athar Abbas Rizvi, Iran: Royalty, Religion and Revolutional, Canberra (Australia), 1980, P. 217; M.S. Ivanov, OP. Cit., P. 286; P. Avery, OP. Cit., P. 224.

[٣٢] احمد محمود الساداتي، رضا شاه بهلوي. نهضة ايران الحديثة، القاهرة، ١٩٣٩، ص ٤٥-٤٦.

[٣٣] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٤.

[٣٤] المصدر نفسه،

P.Avery, OP. Cit., P. 69.

[٣٥] كان نصرت الدولة، اخلص اصدقاء بريطانيا، الشخصية المرشحة اكثر من غيرها لاجراء التغيير المطلوب في ايران، الا انه، حسبما تذكر بعض المصادر، رفض هذا الامر " لا عن مبدأ بل لان البريطانيين اصروا اثناء المساومة على الاحتفاظ بالعديد من منافذ السيطرة عليه". للتفصيل انظر:

للحركة الديمقراطية المعادية للاستعمار"[36] و "الرجل الوحيد الذي لاغنى عنه في ايران"[37] على حد تعبير دونالدولبر.

اذن، فقد وجدت بريطانيا الاداة اللازمة لتنفيذ الانقلاب، "صحفي مدعي ثوري مزعوم (سيد ضياء الدين طباطبائي)، ولواء قوزاقي (رضا خان)، دون ارتباطات ارستقراطية"[38]. وفي ١٣ شباط اجتمع قائدا الانقلاب رضا خان وضياء الدين طباطبائي في قزوين واتفقا على توزيع المناصب بينهما، فيكون الاول قائدا للقوزاق والثاني رئيسا للوزراء[39]. وقد اخذ رضا خان على عاتقه امر الاتصال بقطعات القوزاق، في حين تولى سيد ضياء الدين مهمة الاتصال بقوات الجندرمة[40].

وفي هذه الاثناء وقعت بعض الاضطرابات في صفوف جنود القوزاق لتأخر صرف رواتبهم وعدم حصولهم على اجازات لرؤية عوائلهم منذ فترة طويلة، فاستغل الانقلابيون هذه الفرصة وبدأوا التحضير للمسير الى طهران[41].

تحركت القوة المهيأة للانقلاب من قزوين الى كرج، التي تبعد ثلاثين ميلا غرب طهران متجاهلة التعليمات التي اصدرها آمر هذه القوات السردار همايون، وكانت مؤلفة من ٢٥٠٠-٣٠٠٠ جنديا مع ثمانية مدافع و ١٨ رشاشا بقيادة رضا خان[42].

"Documents on German Foreign Policy 1918-1945", Vol. XIII, PP. 694; R. Cottam, OP. Cit., P. 192;

موسى الموسوي، ايران في ربع قرن، بلا، ١٩٧٢، ص ١٧٤-١٧٥، همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦١،

B.Jazani, OP. Cit., P. 12.

36 S.L, Agaev, OP. Cit., P. 123.

37 D.N. Wilber, Contemporary Iran, P. 70.

٣٨ مقتبس من:

B. Jazani, OP. Cit., P. 12.

٣٩ حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج١، ص ١١٤-١١٥.

٤٠ كان ضياء الدين طباطبائي على علاقة جيدة برئيس الجندرمة السويدي. حول ذلك راجع:

P.Avery, OP. Cit., P. 224.

41 Ibid, P. 228.

42 "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First Series, Vol. XIII, P. 729; G. Lenczowski, Iran under the pahlavis, P. 17; D.N. Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 44.

وانضمت اليهم اعداد من الجندرمة بلغ تعدادها مائة رجل بعث بهم سيد ضياء الدين لمساندة الجنود القوزاق[٤٣].

واثارت الانباء الواردة عن تحرك القوزاق نحو طهران ذعرا شديدا لدى احمد شاه والاوساط الحاكمة، في حين انه لم يثر اي رد فعل غير طبيعي لدى الاجانب الموجودين في طهران عكس ما كان عليه الامر ايام انتفاضة الجنكليين حين تهيأ جميع الاجانب الموجودين في العاصمة لمغادرتها[٤٤]، وهو الامر الذي يدل على ان السفارة البريطانية كانت على علم بالانقلاب ولم تفاجأ به، وهو ما سنعود الى مناقشته لاحقا.

وقد اتخذ القائمون على الانقلاب جميع الاحتياطات[٤٥] لضمان نجاح تنفيذ خطتهم، فقرروا ارسال مائة من الجنود القوزاق الى جنوب طهران لمراقبة اية تحركات قد يقوم بها الشاه او الحكومة نحو الجنوب، وتخصيص مائتي قوزاقي لاحتلال رئاسة الشرطة في طهران ووضع الحراسة على السفارات والقنصليات الاجنبية لغرض منع المناوئين من اللجوء الى تلك الاماكن بقصد الحماية[٤٦]، وفي الوقت نفسه وزع الكابتن كاظم خان، احد ضباط القوزاق، مائة تومان[٤٧] لكل جندي في القوة[٤٨].

وبينما كان القوزاق على مشارف العاصمة، كانت طهران تشهد تحركات من نوع اخر لغرض ايقاف تقدم القوة المتجهة اليها. وتقرر ارسال وفد يضم ممثلين عن الشاه ومجلس الوزراء والسفارة البريطانية تطلب من رضا خان عدم دخول العاصمة،

---

[43] D.N. Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 43.

ومن الجدير بالذكر ان البعض يحدد قوة القوزاق المتجهة نحو طهران بـ (٢٠٠٠) رجل فقط.

D.N. Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 43; Ashraf Pahlavi, OP. Cit., P. 8.

[44] “Documents on British Foreign Policy, 1919-1939”, First Series, Vol. XIII, PP. 564 (Memorandum on Persian Situation by Mr. Churchill), 688, 691-692.

[٤٥] كانت هناك شائعات متداولة في طهران حول احتمال قيام انقلاب عسكري او حدوث ثورة الا ان الحكومة لم تعبأ بهذا الامر، واكتفت بتشديد الحراسة على بوابات سور طهران ليلا، وبعرض عسكري في ميدان سبه لطمأنة السكان. طلال مجذوب، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

[46] D.N. Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 44.

[٤٧] يذكر لنشوفسكي ان رضا خان امر بان يدفع لكل ضابط ثلاثون تومانا وعشرون تومانا لكل جندي قوزاقي

G. Lenczowski, Iran under the Pahavis, P. 18.

[48] D. Wright, OP. Cit., P. 182; D.N. Wilber, Riza Shah Pahavi, P. 44.

الا ان الاخير رفض هذا الامر واعلن عزمه على تشكيل حكومة قوية "بدلا من هذه الحكومات الضعيفة التي تعاقبت على البلاد وسببت لها الفوضى والدمار، حكومة تكون مستعدة لوقف زحف البلشفيك" الذي اعتقد انه سوف يلي الانسحاب البريطاني من البلاد، وفي الوقت نفسه كرر اخلاصه للوطن والشاه[49]. واثناء ذلك كان الشاه قد اقال سردار همايون وعين محله رضا خان لقيادة القوزاق[50].

وقبل ان يدخل جنود القوزاق العاصمة جمعهم رضا خان والقى فيهم كلمة حماسية طلب فيها منهم ان يطيعوا اوامره طاعة تامة لانه المسؤول الوحيد عن كل ما يصدر عنهم وانه "الوحيد الذي سوف يشنقه الشاه بيديه امام الشعب في طهران لو ارتكب اية خطيئة"[51].

وهكذا بدا واضحا ان ما من شيء يثني قادة الانقلاب عن عزمهم في القيام بعملهم. وفي الساعات الاولى للصباح دخلت القوزاق العاصمة بهدوء ودون اية صدامات دموية[52]. وتم احتلال مراكز البريد ومقر البوليس[53]. واستيقظ سكان العاصمة في الصباح على نشرات تملأ الجدران، تعلن عن احتلال العاصمة وتدعوهم الى التزام السكينة والهدوء[54].

وفي صباح اليوم نفسه كان السفير البريطاني يجتمع بالشاه المذعور، والذي نشط في جمع اكبر ما يمكن جمعه من النقود حسب تعبير السفير البريطاني استعدادا

[49] "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First Series, Vol. XIII, P. 729; John. Campbell, The Middle East Arno Press, New York, 1976, P. 92; D.Wright, OP. Cit., P. 182; G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, P. 17.

[50] G. Lenczowsik, Iran under the Pahlavis, P 17,

[51] يادداشتهاى رضا شاه اين يك تابلوزنده ايست ازمرد، جاب مطبوعات محمد حسين استخر، ص ٢٠-٢١ (وفي الترجمة العربية، "مذكرات رضا شاه"، ترجمة علي البصري، البصرة، ١٩٥٠، ص ٢٠-٢١، D.N. Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 45.

[52] Pual Balta et Claudine Rullean, L' Iran in surge: 1789 en Islam un monde, ntdu Paris, 1979, P. 113; D.Wright, OP. Cit., P. 180.

[53] ملك الشعراء بهار، تاريخ مختصرى احزاب سياسى، ص ٨٩.

[54] P.Avery, OP. Cit., P. 226.

للهرب الى الخارج[٥٥]. وفي الاجتماع نصح السفير البريطاني الشاه بقبول مطالب الانقلابيين بعد ان اكد له ان الانقلاب لا يستهدفه[٥٦]. فما كان من الشاه الا الاستجابة لهذا الامر، وسارع بالاعتراف بالانقلاب، بل انه اصدر تصريحا اعلن فيه انه على وفاق تام مع وجهة نظر الجيش بشأن وضع نهاية للازمات الوزارية المستفحلة، ولتعزيز موقفه اعلن عن تعيين ضياء الدين طباطبائي رئيسا للوزراء ومنحه لقبا ارستقراطيا لكي يتناسب مع وضعه الجديد، الا ان الاخير قبل المنصب الوظيفي ورفض المنصب الارستقراطي[٥٧]. وفي الوقت نفسه منح رضا خان لقب (سردار سباه) اي قائد الجيش[٥٨]. ووفاء لعهده لايرونسايد صرح رضا خان بولائه للشاه[٥٩].

وهكذا عندما دخل الانقلابيون طهران، كانت الحكومة الشكلية لسباهدار اعظم قد سقطت، واعلن الانقلابيون قانون الطوارىء[٦٠]، وبموجبه منع التجول في الشوارع بعد الثامنة مساء، وعطلت الصحف، بما فيها صحيفة "رعد" المؤيدة للانكليز والتي كان يصدرها احد قادة الانقلاب ضياء الدين طباطبائي، حيث اعلن رئيس تحريرها انها قد اتمت مهمتها ولا حاجة لصدورها بعد ذلك، كذلك منعت الاجتماعات لاكثر من شخصين، وتم ايضا اغلاق الدوائر الحكومية، بما فيها

---

55 Ibid.

56 "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", Vol. XII, PP. 730-731; D.Wright, OP. Cit., P. 180;

همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦١.

57 E.Abrahamian, Iran between two Revolution, P. 118.

58 R.K.Karanjia, The mind of a Monarch, London, 1977, P. 36; D. Wright, OP. Cit., P. 183.

59 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 118.

٦٠ حول بنوده راجع:

فتح الله همايونز، المصدر السابق، ص ٥٤-٥٥. ومن الجدير ذكره ان المواطنين عندما قرأوا الاعلان الذي كان قد الصق على الجدران في ارجاء العاصمة والذي ذكر فيه رضا خان عبارة (آنا آمر) التي ذكرها بعد الكلمات التي استهل بها قانونه العرفي، رد بعضهم على ذلك بعبارة جوابية ساخرة وكتبوا بموازاتها عبارة (لتذهب الى الجحيم). همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦١.

دائرة البريد والبرق[٦١]. وفرض الانقلابيون سيطرتهم على النقاط المهمة في العاصمة. وكخطوة اولى تم اطلاق سراح جميع المعتقلين والسماح للمنفيين بالعودة من الخارج[٦٢]. ولجأ سباهدار اعظم الى دار السفارة البريطانية، لكنه غادرها بعد ان طمأنه الانقلابيون على حياته[٦٣]. وبما ان الخطة كان مدبروها قد احكموا وضعها، لذا فان الانقلاب تم بهدوء، ودونما اضطرابات عنيفة باستثناء مقتل احد افراد الجندرمة ابدى مقاومة امام دار رئيس الوزراء سباهدار اعظم[٦٤]. لكن سرعان ما تم تلافي الامر، وما لبث الجنرال السويدي ويستداهل (WESTDAHL)، قائد قوات الجندرمة، ان اعلن انضمامه الى الانقلابيين[٦٥]. ولم تجابه القوات المتقدمة صوب العاصمة اية مقاومة من صنوف الجيش الاخرى التي بقيت في ثكناتها، اذ كان رئيس الوزراء قد ادرك حراجة الموقف وعدم جدوى ابداء اية مقاومة[٦٦]. والجدير بالذكر ان الانقلاب استقبل بمشاعر متناقضة، فقد كانت للشعارات البراقة والجمل الرنانة التي تشدق بها قادة الانقلاب اثر كبير في دفع بعض الاوساط الوطنية الى الترحيب بالانقلاب. فعلى سبيل المثال كتب الشاعران (عشقي) و (عارف) اللذان سبق وان سجنا بسبب موقفهما المعارض لاتفاقية ١٩١٩، اغاني وقصائد

---

[٦١] حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج١، ص ١٤٢، م. ع. كركانى، سياست دولت شوروى در ايران، ص ١٠٨.

[٦٢] حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج١، ص٢٣٥،

J.M. Upton, OP. Cit., P. 45;

[٦٣] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٥، احمد محمود الساداتي، المصدر السابق، ص ٥٣.

[64] D.N. Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 46; G. Lenczowski, Iran under the pahlavis, P. 18;

محمد صبيح، المصدر السابق، ص ٨١.

[٦٥] طلال مجذوب، المصدر السابق، ص ٢٨٩، كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، تعريب نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ج١، الطبعة السادسة، بيروت، ١٩٧١، ص ٧٩٢،

P.Avery, OP. Cit., P. 226.

[66] "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First Series, Vol. III, P. 729.

ومقالات تأييدا للانقلاب[٦٧]. وعلى النقيض من ذلك نجد ان اوساطا اخرى اعتبرت الانقلاب "مناورة بريطانية"[٦٨].

تألفت وزارة الانقلاب، والتي عرفت بـ (الوزارة السوداء)[٦٩]، من ضياء الدين طباطبائي رئيسا للوزراء ومسعود خان كيهان، احد قادة الانقلاب، وزيرا للحربية، وتم تعيين كاظم خان سياح، من قادة الانقلاب ايضا، حاكما عسكريا على طهران، واحتفظ رضا خان لنفسه بمنصب قائد الجيش[٧٠].

على اثر الانقلاب مباشرة جرت حملة اعتقالات واسعة بتهمة الاختلاس، شملت ما لا يقل عن (٢٠٠) شخص من كبار المسؤولين السابقين والشخصيات البارزة في العاصمة، وخاصة المناوئين للانكليز[٧١]. بل ان "معظمهم كانوا من المعادين لبريطانيا" حسبما اكده نورمن في برقية الى كرزن بعث بها يوم الانقلاب[٧٢]. وتم طرد العديد من الشخصيات الاخرى من مناصبها الرسمية[٧٣].

والواقع ان هذا الاجراء كان في حقيقته يرمي الى تجريد الارستقراطيين من بعض ممتلكاتهم واموالهم لغرض الصرف على الجنود، في الوقت الذي كانت فيه الخزانة العامة خاوية والانكليز يرفضون تزويد ايران بالقروض[٧٤]. ولم يحرك الانكليز ساكنا

---

[٦٧] همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٢، حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج١، ص١٤٧.

[68] R.Cottam, OP. Cit., P. 19; D. Wright, OP. Cit., P. 183.

[٦٩] د. محمد جواد مشكور، تاريخ ايران زمين از روز غار باستان تا عصر حاضر، تهران، ٢٥٣٦، ص ٣٨٧.

M.S. Ivanov, OP. Cit., P. 287; G. Lenczowski, Iran under the pahlavis, P. 18.

[٧٠] جهانكيز قائم مقامى، تاريخ تحولات سياسى نظام ايران، ص ١٨٣.

[٧١] ملك الشعراء بهار، تاريخ مختصرى احزاب سياسى، ص ٨٩، عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الاسلامية، ج١، بيروت، ١٩٧١، ص ٤٩٩، مهربان فرهمند، المصدر السابق، ص ٣١،

M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 287.

[72] "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First Series, Vol. XIII, P. 730.

[73] B.Jazani, OP. Cit., P. 12.

[74] P. Avery, OP. Cit., PP. 228-229.

لنجدة اصدقائهم الذين شمل الاعتقال معظمهم، ليوحوا للجميع بان ما حدث قضية داخلية صرفة لا تستوجب تدخلهم[٧٥].

كان اول بيان[٧٦] صدر عن قادة الانقلاب موقعا من قبل رضا خان اكد فيه ان (جنود القوزاق) لم يتحركوا الا "لانقاذ التراب المقدس لبلادنا والكرامة المهدورة "وتشكيل" حكومة لن تكون اداة للسياسيين الاجانب"، "وان رغبتنا الوحيدة تأسيس جيش قوى ومقتدر للحفاظ على ملكنا وبلادنا"[٧٧]. وواضح من فقرات البيان انه يؤكد على دور الفيلق القوزاقي في الاضطلاع بمهمة الانقلاب، وعن نية قادته في تقوية الجيش، وهو الهدف الحقيقي، غير المعلن، لرضا خان. ومن الجدير بالذكر ان الانقلابيين طمأنوا الاوربيين الموجودين في طهران على حياتهم وممتلكاتهم واكدوا لهم صداقتهم[٧٨].

والان فان السؤال الملح الذي بات يفرض نفسه هو هل ان الانكليز كانوا على علم بالانقلاب وكانت لهم يد فيه، ام ان الانقلاب جرى بمعزل عنهم وبدون ان يكون لهم علم به.

الواقع ان الوثائق البريطانية المعروفة لحد الان، والمصادر الاخرى كفيلة بالقاء الضوء على هذا الموضوع الخطير والمهم والذي يخص مرحلة حرجة في تأريخ ايران الحديث، على الرغم من انه لحد الان لا تعرف الحقائق الكاملة والمتعلقة بهذا الموضوع.

غير انه بات من المؤكد ان قائد القوات البريطانية في ايران الجنرال آيرونسايد كان على علم بالانقلاب قبل وقوعه. فقد كان متورطا بشكل مباشر في تصورها وتنفيذها[٧٩]. اذ كان مقتنعا ان دكتاتورية عسكرية قوية يمكنها "ان تنقذ ايران من

---

[75] I.O.R., L/P+S/10/933, No. 5512. IV/17, From H.B.M.S. Consulate (Ahwaz) to I.O., December 13, 1921, PP. 336, 338; J.C. Campbell, OP. Cit., P. 12.

[٧٦] راجع نص البيان كاملا في:

P. Avery, OP. Cit., PP. 229-231.

[77] Ibid, PP. 229-230; J. M. Upton, OP. Cit., P. 45.

[78] J.C. Campbell, OP., P. 92.

[٧٩] همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦١.

احتمال قيام ثورة بلشفية فيها"، وكان العديد من الانكليز في ايران يشاطرونه هذا الرأي[٨٠].

ففي مذكراته يقول ايرونسايد انه "التقى برضا خان في ٣١ كانون الثاني وعرف منه انه يرغب التوصل الى عمل ما"[٨١]. وفي ١٢ شباط، وقبل يومين من سفره الى طهران، كان ايرونسايد قد اجتمع للمرة الاخيرة برضا خان وبحث معه امكانية الانقلاب، واوضح له قائلا بانه لايمانع في عمل من هذا النوع، شريطة ان لا يستهدف الاطاحة بالشاه[٨٢]. وقد وعده رضا خان بذلك. وقبل سفره الى بغداد زار ايرونسايد الشاه وحاول اقناعه بالاستفادة من رضا خان، الا ان الاخير لم يعر بالاً لهذا الامر[٨٣].

ومما يدل على ان السفارة البريطانية في طهران لم تكن بعيدة عن الانقلاب ولم تفاجأ به، كما ادعى السير ريدربولارد[٨٤]، هو ما تذكره العديد من المصادر من ان قادة الانقلاب حصلوا على ملابس وعتاد بريطاني ونقود للكتائب المتجهة نحو العاصمة[٨٥]. ولم يكن معقولا ان يوافق الانكليز على تجهيزهم بها دون معرفة الهدف الحقيقي لذلك. كما ان ولبر يؤكد ان السفارة البريطانية دفعت (٤٠) الف تومان لشراء الملابس لافرادها و (٦٠) الف تومان[٨٦] للصرف عليها في الطريق[٨٧]. كما ان الضباط البريطانيين كانوا يقدمون له المشورة اثناء زحفه على طهران، فقد ذكر

---

80 D.Wright, OP. Cit., P. 183.

٨١ مقتبس من:

D.Wright, OP. Cit., P. 181.

82 G.Lenczowski, Iran under the pahlavis, P. 16; D.Wright, OP. Cit., P. 182.

83 G.Lenczowski, Iran under the pahlavis, P. 16; D. Wright, OP. Cit., P. 182.

84 R.Bullard, Britin and the Middle East, P229.

85 William H.Forbis, Fall of the Peacook Throns, New York, 1980, P. 43.

٨٦ يذكر افرى ان احد الموظفين البريطانيين وزع باسم الشاه خمسة تومانات لكل جندي في القوزاق، في حين يذكر ملك الشعراء بهار انه تم توزيع (٢٠٠٠) تومان على افراد القوزاق. للتفاصيل انظر: ملك الشعراء بهار، تاريخ مختصر احزاب سياسى، ص ١١٣،

P. Avery, OP. Cit., P. 228.

87 D.N.Wilber, Riza Shah Pahalvi, PP. 40-42.

الضابط البريطاني سمث، الذي كان يعمل في صفوف القوزاق آنذاك، بعد مرور عشرة اعوام على قيام الانقلاب "بأن الانقلابيين طلبوا مني الاستشارة، وبصفتي خبيرا كان علي ان ازودهم بها"[٨٨]. وليس مستغربا ان يقول ونستون تشرشل عن رضا خان، وبعد مضي ستة عشر عاما على الانقلاب: "نحن الذين نصبناه على العرش الايراني ونحن الذين عزلناه"[٨٩].

ومن المفيد الاشارة الى ان اثنين من الضباط اللذين شاركا رضا خان وضياء الدين طباطبائي في الانقلاب، وهما مسعود خان وكاظم خان، كانا على علاقة وثيقة بالانكليز وشاركا في التخطيط للانقلاب[٩٠]. اضافة الى ان رضا خان لم يخف، ومنذ الايام الاولى للانقلاب نواياه بشأن اقامة دكتاتورية عسكرية في البلاد، في الوقت الذي كان يبدي فيه قلقه المتزايد من انتشار النفوذ البلشفي في ايران[٩١]. والواقع ان بصمات الانكليز لم تكن بعيدة عن الانقلاب، فحتى لو لم يساهموا بشكل مباشر فيه، فان كل الدلائل والمؤشرات كانت تشير الى دورهم غير المباشر في صنعه. وما كان بامكان رضا خان، او غيره، في غضون تلك الايام ان لايأخذوا في الاعتبار وجهة نظر السفارة البريطانية في ايران. فقد كانت "سطوة البريطانيين في ايران اقوى من ان يتجاهلها"[٩٢]. ولعل البرقية التي بعث بها نورمن الى كرزن بتأريخ ٢٥ شباط، بعد اربعة ايام من نجاح الانقلاب، والتي تطرق فيها، وبالتفصيل الى ما دار بينه وبين ضياء الدين طباطبائي حول الاحداث الجارية في ايران يمكن ان تلقي الضوء الساطع على ارتباطات الانقلابيين بالانكليز. فقد ذكر نورمن: "اخبرني سيد سرا بما يلي عن سياسته:... يجب الغاء الاتفاقية الانكلو-ايرانية كي يسهل على الحكومة الجديدة القيام باعمالها... وتتخذ بعض الخطوات لاستخدام عدد

---

88 D.Wright, OP. Cit., P. 183; G. Lenczowiski, The Middle East in World Affairs, P. 179.

(في الترجمة العربية، ص ٢٣٣).

٨٩ مهربان فرهمند، المصدر السابق، ص ٣٥.

90 D. Wright, OP. Cit., P. 183.

91 F.O., 371/7805 confidential, British Government Archives, No. 1, E 4712/6/34, From P. Loraine to Curzon, February 20, 1922, P. 27.

92 R.Cottam, OP. Cit., P. 193.

من الضباط والمستشارين البريطانيين في المؤسسات العسكرية والمالية، بموجب عقود فردية وبدون اظهار اي نوع من الاتفاق بين الحكومتين، كما يجب عدم جلب الانظار الى نشاط هؤلاء قدر المستطاع، في حين يعلن عن نية الحكومة البريطانية في جلب المستشارين من مختلف الدول الاوربية، فيدعى الفرنسيون والامريكان وربما الروس ايضا فيما بعد لاشغال مراكز في وزارات اقل اهمية، وذلك لارضاء الدول الاجنبية الاخرى قدر الامكان ولذر الرماد في عيون البلاشفة والمتذمرين المحليين في وقت تودع فيه ادارتان اساسيتان بيد البريطانيين... يؤلف جيش ويحل محل قواتنا في الجبهة البلشفية... وتم اصدار التعليمات لرئيس الشرطة السويدي لرفع كفاءة قواته واضافة (٥٠٠) رجل اليها من اجل حماية السفارات شكليا ولكن في الواقع لمراقبة الممثل السوفيتي حال وصوله ولمراقبة النشاط البلشفي عموما"[٩٣].

وفي معرض حديثة عن مستقبل العلاقات بين ايران وبريطانيا العظمى اشار سيد ضياء الدين الى ان ذلك يعتمد "على فرصة عدة اشهر تمنح للحكومة الجديدة لتتخذ الاجراءات الدفاعية الضرورية، والتي كان اهمالها جرما ارتكبه من سبقوه"[٩٤]. ومن اجل عدم اثارة شكوك روسيا السوفيتية اقترح سيد ضياء الدين "ضرورة اخفاء ميل الادارة الحالية نحو بريطانيا الى اقصى حد ممكن في الوقت الحاضر"[٩٥]. وحول السياسة الجديدة التي اقترحها سيد ضياء الدين على بريطانيا من اجل الحفاظ على نفوذها في ايران قال: "اذا كانت بريطانيا العظمى ترغب في انقاذ موقعها هنا فعليها ان تضحي بالظل من اجل الجوهر، وتبقى في الخطف تساعد ايران بنشاط ولكن بعيدا عن الانظار. انه متأكد من ان سياسة كهذه ستحقق في النهاية لبريطانيا العظمى فوائد اكبر من تلك التي تتوقعها من اتفاقية يتعذر تطبيقها (الاتفاقية الانكلو-ايرانية"[٩٦].

[93] "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First Series, Vol. XIII, P. 731.
[94] Ibid.
[95] Ibid.
[96] Ibid, P. 732.

اعلنت الحكومة الجديدة عن برنامجها[٩٧] فيما يخص سياستها الداخلية والخارجية، وان امعان النظر في ذلك البرنامج يكشف الى حد كبير التوجهات والنوايا الحقيقية لها. ففي البيان الذي اصدره ضياء الدين طباطبائي[٩٨] بعد عدة ايام من الانقلاب، وبعبارات تطفح بالحماس وتثير المشاعر، اشار فيه الى ما آل اليه وضع البلاد والمواطنين في "ظل العملاء" والى "خرق الدستور الذي فرضه ابناء الشعب بدمائهم منذ خمسة عشر عاما" مما ادى الى ان يسود البلاد "حكم ملوك الطوائف القروسطي" فانتشر الفساد وراجت الخيانات[٩٩]. ثم تطرق الى اهم مرتكزات سياسة حكومته الداخلية، اذ اكد على ضرورة تشكيل حكومة تأخذ عى عاتقها القيام باصلاحات مالية وقضائية وانشاء المدارس وتشجيع الصناعة والتجارة وتحسين طرق المواصلات[١٠٠]. ولاثارة عواطف فئات واسعة من السكان اوضح البيان ضرورة توزيع الاراضي التي تمتلكها الدولة على الفلاحين، واعادة النظر في العلاقات السائدة بين الفلاحين والملاكين من اصحاب الاراضي، وضرورة تحسين ظروف الفلاحين[١٠١]. ولم ينس البيان ان يتطرق الى ضرورة انشاء جيش[١٠٢] يضطلع بمهمة الدفاع عن البلاد فقد ذكر البيان: "الجيش قبل وفوق كل شيء وكل شيء للجيش اولا ومرة اخرى للجيش... الى ان تبلغ قواتنا المسلحة المرحلة الاعلى من التطور"[١٠٣].

اما على صعيد السياسة الخارجية فقد اوضح البيان تصميم الحكومة على الغاء الامتيازات الاجنبية واعادة النظر في بعضها وحرية الحصول على المساعدة من قوى اجنبية مختلفة، والغاء المحاكم القنصلية، وتشكيل محاكم "تكون ملائمة لحماية

---

[٩٧] حول منهاج الوزارة راجع: "العراق" (جريدة)، بغداد، ١٩ آذار ١٩٢١.

[٩٨] كانت لرضا خان، وكما يتضح من فقرات عديدة في البيان، يد في صياغة البيان.

[٩٩] مقتبس من: د.كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٦.

[100] "Documents on British Foreign policy, 1919-1939", Vol. XIII, P. 734; G.Lenczowski, Iran under the pahlavis, P. 19; S.A. Rizvi, OP. Cit., P.218.

[101] "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", Vol. XIII, P.734; S.A.Rizivi, OP. Cit., P.217.

[١٠٢] يؤكد ولبر ان رضا خان صاغ الفقرة اتي تخص الجيش في البيان. انظر: D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 49.

[١٠٣] مقتبس من: د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٦.

حقوق الاجانب"[١٠٤]. ومن الجدير بالذكر ان النقطة الاخيرة كانت موضع اهتمام شديد من رئيس الوزراء الايراني وذلك لوجود اعداد كبيرة من الارمن والاذربيجانيين والافغان، ولا سيما الروس ممن يعيشون في البلاد، ولكنهم لا يخضعون للقضاء المحلي[١٠٥]. كذلك اعلن البيان عن قرار الغاء المعاهدة الانكلو-فارسية تعبيرا عن القناعة بان الالغاء "سوف يزيل سوء التفاهم بين الشعبين"[١٠٦]. ولغرض ابعاد الشبهات عن التوجهات الحقيقية للحكومة الجديدة وارتباطها بالانكليز، عبر البيان عن رغبته في "اقامة علاقات ودية مع روسيا"[١٠٧]. ولغرض اكمال فصول المسرحية وقعت مع السوفيت معاهدة للصداقة[١٠٨]، دشنت مرحلة جديدة في العلاقات بين الطرفين، فبموجب بنود المعاهدة[١٠٩] تخلت روسيا السوفيتية عن جميع الامتيازات التي كانت الحكومة القيصرية السابقة قد حصلت عليها من ايران والاتفاق على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدين او تشجيع الجماعات

---

[104] "Documents on British Foreign policy, 1919-1939", First Series, Vol. XIII, P. 734.

[105] Ibid.

[106] Ibid.

[107] Ibid.

[١٠٨] كانت المفاوضات بشأن عقد معاهدة ايرانية-روسية قد بدأت منذ تشرين الاول عام ١٩٢٠ عندما تفاوض مشاور الممالك، سفير ايران في استانبول، وشيشرين، وزير الخارجية لروسيا السوفيتية بشأن عقد المعاهدة ونجح الطرفان في التوصل الى ذلك، الا ان المعاهدة ظلت بدون تصديق من قبل المجلس حتى انقلاب عام ١٩٢١. للتفاصيل راجع:

I.N.Zemskov and Others, OP. Cit., P. 135.

عبدالفتاح ابراهيم، على طريق الهند، بغداد ١٩٣٥، ص ٢٩٨-٢٩٩، رحيم زاده صفوى، ايران اقتصادى، جلد دوم، طهران، ١٩٣١، ص ١٨٤.

[١٠٩] راجع البنود وملحقاتها بالتفصيل في:

F.O., 371/6403, Confidential, British Government Archives, No-8, E 4270/2/34, Russo-Persian Treaty, February 26, 1921, P.33; N.Fatemi, OP. Cit., PP. 262-266; "الاستقلال"، ٦ شباط ١٩٧١، "العالم العربي" (جريدة)، بغداد، ٦ حزيران ١٩٢٥، حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج١، ص٦٢-٦٤.

او المنظمات المناهضة لهما[110]. والتزمت ايران من جانبها بعدم منح طرف ثالث امتيازات من شأنها تهديد امن وسلامة روسيا السوفيتية[111]. والغريب في الامر انه في الوقت الذي كان ضجيج حكومة ضياء الدين يتعالى حول الرغبة في الصداقة والتعاون مع السوفيت[112]، كان السفير السوفيتي المعين لدى طهران واقفا على الحدود ينتظر السماح بالدخول بعد ان اعلنت الحكومة الايرانية عدم امكانية منحه التصريح الا بعد تصديق المعاهدة[113]. وبعد فترة وجيزة اعلن رئيس الوزراء عن الغاء المعاهدة الانكلو-ايرانية لعام ١٩١٩[114]. وبعث ببرقيات الى جميع الولايات للاعراب عن سروره وغبطته لهذا الالغاء[115]. ولم ينس ان يخبر السفير البريطاني بان

[110] كانت للاحداث الداخلية الايرانية اثر كبير في دفع الحكومة الايرانية لمفاوضة السوفيت حول عقد المعاهدة، فعلى اثر توقيعها سحب السوفيت قواتهم وتأييدهم لجمهوريتي كيلان واذربيجان مما لعب دورا غير قليل في اسقاطهما.

[111] ظهر تأثير هذا البند في السياسة الايرانية في السنوات اللاحقة، لاسيما اثناء الحرب العالمية الثانية حينما احتل السوفيت االاجزاء الشمالية من ايران.

د. احمد باسل البياتي، اهمية موقع ايران الجغرافي لامن الاتحاد السوفيتي واثر ذلك في العلاقات السياسية بين البلدين ١٩١٨-١٩٤١، الموصل، ١٩٨٣، ص ١٥-١٦، د. مازن اسماعيل الرمضاني، الاتحاد السوفيتي وايران، ندوة (ايران الحاضر والمستقبل)، الحلقة الدراسية رقم (١)، رقم البحث (٥)، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية-الجامعة المستنصرية، ص ٣.

[112] من الجدير بالذكر ان بعض الدول مالت الى الاعتقاد بان الحكومة الايرانية الجديدة مناوئة للبريطانيين وذات توجهات (بلشفية) حتى ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية اعلنت بواسطة سفيرها في طهران "عن قلة الثقة بالحكومة الايرانية الحالية التي تبدو ذات توجهات بلشفية". كما توالت انتقادات الصحف الامريكية لها بهذا الصدد، الامر الذي جعل رئيس الوزراء الايراني يقترح بعث رسالة الى الصحف الامريكية لازالة مثل هذه الشكوك. للتفصيل انظر:

F.O., 371/6403, E 5100/2/34, Confidential, British Government Archives, No. 8, Norman to Curzon, Tel. 269, No. 1, April 30, 1921, P. 183.

[113] "Documents On British Foreign Policy, 1919-1939", Political Guide, London, 1963, P. 49.

[114] حسين مكى، مختصرى از زندكانى سياسى سلطان احمد شاه قاجار، ص ١٠٩،

G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, P. 19.

[115] حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج ١، ص ١٥٦.

هذا الالغاء كان "لذر الرماد في العيون" ومن "اجل فتح الطريق امام تكوين حكومة مركزية قوية ومتطلعة قدما"[١١٦].

في اثناء ذلك واصلت القطعات البريطانية انسحابها من الاراضي الايرانية ولم تبق لها الا كتائب صغيرة في قزوين في الشمال[١١٧]. وقد حاول احمد شاه، الذي كان مرتاعا من الاحداث المتتالية التي كادت تعصف بعرشه، بشتى الطرق والوسائل ابقاء تلك الكتائب البريطانية في ايران لتوفير الحماية له في مواجهة ما قد يتعرض له من اخطار، الا ان الحكومة البريطانية اعتذرت[١١٨] عن "عدم امكانية بقائها في فارس"[١١٩].

لم يكن الغاء المعاهدة مع بريطانيا يعبر عن النوايا الحقيقية لحكومة سيد ضياء الدين، فلم تمر سوى اسابيع حتى طلب الاخير من بريطانيا ارسال عشرين ضابطا لتنظيم الجيش، اضافة الى عشر مستشارين ماليين، و (لذر الرماد في العيون) فانه سيطلب خمسة عشر ضابطا سويديا لاستخدامهم في صفوف الجندرمة في الشمال[١٢٠]. وقد برر استخدام هؤلاء بانه على الرغم من عدم كفاءة ضباط الجندرمة السويديين الذين يخدمون هنا "ورغبته في استخدام بريطانيين" الا انه يعتقد "ان من الحكمة لا يفعل ذلك في الشمال "لعدم اثارة البلشفيك[١٢١].

---

[١١٦] مقتبس من:

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 118.

[١١٧] اكملت القوات البريطانية اخر انسحاب لها من الاراضي الايرانية في ايار عام ١٩٢١.

[١١٨] كانت للظروف المالية التي تمر بها الحكومة البريطانية اثر في ذلك، فقد بلغت المصاريف العسكرية في ايران خلال السنوات الثلاث الاخيرة (منذ نهاية الحرب وحتى ٣١/ ايار، نحو (٣٩) مليون من الليرات الانكليزية، والمصاريف غير العسكرية في هذه المدة، مع رواتب بعض القوات الايرانية، وقد دفعتها حكومة الهند ووزارة الخارجية (١٢) مليون ليرة انكليزية ونصف الليرة. انظر: "العراق" (جريدة) ،بغداد ، ٨ آب ١٩٢١.

119 "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", First Series, Vol. XIII, P. 739.

[١٢٠] جهانكيز قائم مقامى، تاريخ تحولات سياسى نظام ايران، ص ١٨١،

"Documents On British Foreign Policy, 1919-1939" First Series, Vol. XIII, P. 739.

121 "Documents On British Foreign Policy, 1919-1939", First Series, Vol. XIII, P. 739.

وعلى الرغم من رغبته في استخدام الامريكيين في صفوف الجندرمة، الا ان رئيس الوزراء اعرب عن مخاوفه من نشوء مشاكل دبلوماسية في حالات معينة، مثل طرد ضابط غير كفؤ، في حين لاتحدث مثل هذه الحالة مع السويديين الذين كانت بيدهم شؤون هذه القوة من قبل[١٢٢].

ولغرض عدم اثارة الدول الكبرى الاخرى، لاسيما فرنسا والولايات المتحدة، اقترح رئيس الوزراء استخدام مستشارين واربعة مساعدين فرنسيين في وزارة العدل، وفي الوقت نفسه تقرر ان يطلب من حكومة الولايات المتحدة اعارتها مستشارا للزراعة مع عشرة موظفين[١٢٣]. وفيما بعد طلب خبيرا ماليا امريكيا، الا ان حكومة الولايات المتحدة ردت على طلبه بالقول: "ان مسألة تجهيز المستشارين الامريكان يجب ان يعطل في الوقت الحاضر"[١٢٤]. كذلك قرر تسليم ادارة البريد والبرق الى الامريكان، ومع ان البريطانيين اعترضوا على ذلك الا انه اعتذر عن امكانية تغيير القرار، واكد للسفير البريطاني انه يحاول تعيين احد البريطانيين لادارة الشعبة الفنية فيها، لكنه يكون خاضعا للتعليمات التي تصدر من المشرفين الامريكيين على المؤسسة المذكورة[١٢٥]. واعرب في الوقت نفسه عن "رغبته في اشتراك الرأسمال البريطاني في المشاريع المقبلة"[١٢٦]. ولم يدع رئيس الوزراء الفرصة تفوته دون "تكرار تأكيداته بان سياسته تستهدف الحفاظ على المصالح الحيوية لبريطانيا"[١٢٧]، و "ان المصالح الرئيسية لبريطانيا في الوقت الحاضر تتركز في انقاذ ايران من البلشفيك"[١٢٨]. وان حرصه نابع من وفائه "للصداقة التي بين البلدين منذ قرون

---

[122] Ibid.

[123] Ibid.

[124] F.O., 371/16403, E 5100/2/34, Vonfidential, British Government Archives, No. 8, From Norman to Curzon, Tel. No. 269, No. 1, April 30, 1921, P. 183.

[125] Ibid.

[126] Ibid.

[127] Ibid.

[128] Ibid.

ثلاثة"[129]. واكد على انه اذا كانت حكومته قد اتخذت بعض الاجراءات تجاه بعض المصالح البريطانية، فان ذلك قد تم مراعاة للوضع الداخلي والظروف الدولية الاخرى و "ان المصالح البريطانية الثانوية يجب ان تكون خاضعة لمتطلبات السياسة التي لها فرصة جيدة للاحتفاظ بهدفها"[130].

كان واضحا منذ البداية انه ليس بوسع سيد ضياء الدين الاستمرار في لعبته السياسية مهما بلغت مهارته وحنكته. فقد واجهته صعوبات جمة كان ابرزها اشتداد الحركات الثورية في الشمال وانتشارها الى اجزاء اخرى من ايران، وعجز حكومته عن قمعها، مما ادى الى تأليب الاوساط اليمينية عليه. وبالرغم من ان حكومته اعلنت برنامجا طموحا لاصلاحات واسعة، الا ان شيئا من ذلك لم ينفذ، فقد جوبه بمعارضة قوى اجتماعية مختلفة بعضها مؤيد من قبل البريطانيين، والبعض الاخر من قبل الروس[131].

ولم يكن الوضع المالي لحكومته يبشر بالخير، فقد فشل في الحصول على قرض ضرائب بلدية جديدة، واصدار عملة ورقية جديدة يكون ضمانها قروض اجبارية على حساب واردات الاراضي الاميرية، الامر الذي افقد حكومته الكثير من الاعوان[132]. كما انه حاول ابتزاز المعتقلين السياسيين، وكان جلهم من الارستقراطيين، عن طريق مطالبتهم بمبالغ طائلة لقاء الافراج عنهم[133]. ولتمرير خطته هذه اشاع انه ينوي تقديم قسم من المعتقلين السياسيين الى المحاكم لتنفيذ

---

[129] "Documents On British Foreign Policy, 1919-1939", First Series, Vol. XIII, PP. 745-744.

[130] F.O., 371/6403, E 5100/2/34, Confidential, British Government Archives, No. 8, Norman to Curzon, Tel. No. 269, No, 1, April 30, 1921, P. 183.

[131] D.N.Wilber, Contemporary Iran, P. 70.

[132] D.N.Wilber, Iran under the pahlavis, P. 19; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 52.

[133] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٧.

O.S.Melikov, Untonovlenie dictaturi Riza Shah v Iran, Moscow, 1961, PP. 33-34.

حكم القانون بحقهم[134]، مما اثار استياء الاستقراطيين ضده، والذين خسرهم منذ البداية بحملة الاعتقالات الواسعة التي شنها ضدهم[135].

اما الاصلاح الاجتماعي والزراعي، الذي كثر الحديث عنه منذ البداية، فقد تبددت الامال حوله، ولم ينفذ منه شيء قط[136]. وتوترت الاوضاع داخل وزارته حتى ان مسعود خان، وزير الحربية، هدد في شهر آذار بتقديم استقالته، وقدمها فعلا في شهر نيسان[137].

وهكذا بدا واضحا ان سيد ضياء الدين قد فقد ثقة الجميع وبقى وحيدا في الميدان، ففضلا عن مقت الارستقراطيين له، وشكوك القوميين[138] فيه حول عمالته لبريطانيا[139]، وفشله في الحصول على ثقة احمد شاه[140]، فأن "العوام لم يحصلوا منه على خبز ارخص ووضع افضل"[141] حسب الوصف المعبر لاحد المؤرخين. والاهم من ذلك كله فشله في محاولاته "الايفاء بوعوده للوزير البريطاني"[142]. وبالطبع لم يحتاج الانكليز الى كثير عناء لادراك ان "بوسع سيد ضياء الدين ان يفعل القليل نسبيا لجذب الرأي العام وكسبه"[143].

---

134 “Documents On British Foreign Policy, 1919-1939”, First Series, Vol. XIII, P. 732.

135 D.N.Wilber, Iran under the Pahlavis, P. 19.

136 J.M.Upton, OP. Cit., P. 135.

١٣٧حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج١، ص٣٢٦،
D.N.Wilber, iran under the Pahlavis, P. 19.

١٣٨كان مصدق السلطنة (الدكتور مصدق) من ابرز المعارضين لوزارة ضياء الدين طباطبائي، اذ كان يشك منذ البداية في ارتباطاته بالانكليز، وظل حتى سقوطه (سيد ضياء الدين) يشكل مصدر قلق له. للتفصيل انظر: حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج١، ص ١٣٤-١٣٥،
P.Avery, OP. Cit., P.231.

139 M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 292; R.Cottam, OP. Cit., P. 189; J.C.Campbell, OP. Cit., P. 49.

١٤٠حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج١، ص ١٥٣.

١٤١د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٧.

142 D.N.Wilber, Iran under the Pahlavis, P. 19.

143 D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 52.

وبما لا مراء فيه ان سيد ضياء الدين قد بدا في ايامه الاخيرة في الحكم انه "قد فقد ثقة رضا خان وعليه ان يذهب"[١٤٤] على حد تعبير دونالد ولبر، وشجع الانكليز بدورهم هذا الاتجاه.

فكان من الطبيعي، والحال هذه، ان يبحث الانكليز عمن تتوفر فيه شروط افضل لتنفيذ المخططات البريطانية في ايران من وراء الستار، دونما اثارة شكوك الاطراف المختلفة في الساحة الايرانية. ولم يتوان رضا خان عن (التبرع) للاضطلاع بمهام هذا الامر، لاسيما بعد ان اصبح "الشخصية المهمة الوحيدة هناك"[١٤٥]، وبعد ان وجد في نفسه القوة اللازمة لازاحة ضياء الدين طباطبائي عن الحكم بعد سلسلة مناورات عرف كيف يمسك بخيوطها، ويوثق الجميع بها، مهدت له الطريق لاعتلاء عرش الطاووس.

---

[144] D.N.Wilber, Iran under the Pahlavis, P. 19.

[145] Ibid.

مناورات رضا خان للوصول الى السلطة

لم يكن الطريق امام رضا خان معبدا او سهلا للوصول الى ما يرنو اليه، بل كان دربه شائكا ومعقدا، تطلب حنكة ومهارة عاليتين في اختيار السبل التي يعتقدها ضرورية لكسب اللعبة السياسية التي شاركت فيها اطراف وقوى عديدة اختلفت في مشاربها واتجاهاتها. ولم يكن رضا خان يمتلك الشيء القليل من تلك (المؤهلات) لتجعله في النهاية الرابح الاول.

لم تمض سوى فترة قصيرة على تشكيل وزارة سيد ضياء الدين حتى بدأت الخلافات بين رئيس الوزراء ورئيس القوزاق تطفو على السطح. ففي الوقت الذي بدأ الجميع يتخلون عن سيد ضياء الدين، بعدما فشل في تحقيق الجزء الاكبر من مشاريعه (الطموحة)، اخذ رضا خان يسعى لفرض هيمنته، شيئا فشيئا، على المراكز المهمة في اجهزة الدولة، لا سيما الجيش. وعلى الرغم من انه لم يكن عضوا في الوزارة، فانه كان يحضر اجتماعاتها باستمرار ويبدى رأيه في كل صغيرة وكبيرة من اعمالها[1].

ورغم محاولات سيد ضياء الدين المتعددة لحمل رضا خان على عدم التدخل في امور لاتخصه، الا انه لم يفلح في ذلك. وكان الجيش بالدرجة الاولى موضع الخلاف بينهما. فقد حاول رضا خان ربط الجندرمة بوزارة الحرب بدلا من وزارة الداخلية، الامر الذي لم يوافق عليه رئيس الوزراء لانه رأى في ذلك تعزيزا لنفوذه المتزايد[٢]. واراد ان يصرفه عن فكرته بتعيينه وزيرا للحزب، دون ان يدري بانه بذلك يقدم فرصة ثمينة لمنافسه اللدود، فرحب رضا خان بالمنصب الجديد، لكن دون ان يتنازل

---

[1] D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 50; G. Lenczowski, Iran under the Pahlavis, P. 18.

[٢] "المقتطف" (مجلة)،القاهرة، الجزء الخامس من المجلد الثامن والستين، ايار ١٩٢٦، ص ٥١٠، جهانكيز قائم مقامى، تاريخ تحولات سياسى نظامى ايران، ص ١٨٤.

عن قيادته للقوزاق[3]. والنقطة الاخرى التي شكلت مصدر خلاف ايضا بين الطرفين هو مطالبة رضا خان بابعاد المستشارين الاجانب عن الجيش، فقد طالب بانسحاب احد عشر مدربا بريطانيا من اللواء القوزاقي، ورفض فكرة سيد ضياء الدين باستقدام خبراء بريطانيين آخرين لتطوير الجيش[4]. وبمرور الوقت تفاقمت الخلافات بين الاثنين وتأزم الوضع بينهما، ووصل الى الحد الذي بدأ فيه وزير الحرب يتهجم على رئيس الوزراء بكلمات غير لائقة[5]. وبدا واضحا لسيد ضياء الدين، بعد ان بات لا حول له ولاقوة، انه لا بد ان يخلي السبيل امام وزير الحرب القوى الذي لم يكن "جنديا غرا" كما تخيله في البداية[6]. فقد كانت السلطة الحقيقية بيده في العاصمة بفضل سيطرته الكاملة على اهم القطعات العسكرية في البلاد[7]. كما ان رضا خان احس بان حاجته الى وجود سيد ضياء الدين قد انتفت بعد ان حقق اتفاقه معه لغرض "التكتيك والتوقيت"[8] على حد تعبير الشاه محمد رضا بهلوي، فاخذ يوغر صدر الشاه ضده، واثمرت مساعيه حينما اصدر الشاه، بطلب من رضا خان فرمانا يقضي باقالة رئيس الوزراء[9]. وعلى اثره غادر طباطبائي طهران متوجها الى بغداد تحت حماية الانكليز[10].

---

[3] جهانكيز قائم مقامى، تاريخ تحولات سياسى نظامى ايران، ص ١٨٥.

[4] "المقتطف"، الجزء الخامس من المجلد الثامن والستين،١آيار ١٩١٦، ص٥١٠، صالح احمد العلي، المصدر السابق، ص ٣٣.

[5] ملك الشعراء بهار، تاريخ مختصرى احزاب سياسى، ص١٠١.

[6] R.Cottam, OP. Cit., P. 19.

[7] "Sovremenay Iran", P. 151.

[8] Mohammad Riza Pahlavi, Mission for my Country, P. 39.

[9] ملك الشعراء بهار، تاريخ مختصر احزاب سياسى، ص ١٠١.

[10] بعد ذهابه الى بغداد، غادرها الى اوربا حيث قضى فيها عدة سنوات ثم عاد للاستقرار في فلسطين وقضى فيها ردحا من الزمن، حيث انشأ مزرعة في بيت حانون بجوار غزة، عاش فيها حتى الحرب العالمية الثانية. واثناء تواجده في فلسطين حضر المؤتمر الاسلامي الذي عقد في القدس سنة ١٩٣١. وبعد سقوط رضا شاه عن العرش رجع الى ايران واسس حزب "اراده ملي" ودخل البرلمان نائبا عن يزد. وفي السنوات الاخيرة طرأ تبدل ملحوظ على افكاره السياسية لكنه مالبث ان ترك الحياة السياسية حيث اشترى مزرعة بضواحي طهران واستقر فيها حتى وفاته. للتفصيل عن هذه المرحلة من حياة ضياء الدين طباطبائي. راجع: "الاخاء" (مجلة)، طهران، مقابلة مع ضياء الدين طباطبائي نائب مدينة يزد، العدد ١٥٧٤ نيسان ١٩٦٦، ص ١١، ٣٦، د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني

وقد عد البعض الخطوة التي قام بها رضا خان بمثابة انقلاب ثان ينم عن الرغبة في احكام قبضته على الامور، واعتبروها عودة للوضع السابق على الانقلاب[١١]. وكانت تلك هي الخطوة الاولى لارتقاء رضا خان سلم السلطة. فعلى اثر سقوط الوزارة بدأت حملات النقد تتوالى على سياستها، وعلى شخص رئيس الوزراء بالذات، وحاولت ان تلصق بها سلبيات المرحلة الماضية، وتصور ما قام به رضا خان وكأنه انقاذ لايران من الوضع الذي كانت فيه، ولم يكن خافيا على احد ابعاد تلك الحملات الصحفية[١٢].

وسعى رضا خان، في سبيل تعزيز مواقعه، لاقامة تحالف مع الحزب الاصلاحي المحافظ الذي كان جله من الارستقراطيين، الذين الفوا فيما بعد اغلبية المجلس الرابع[١٣]. وقد ترجم هذا التحالف عندما قام رضا خان، وعلى اثر اقالة الوزارة، بالافراج عن المعتقلين السياسيين الذين كانوا لايزالون قابعين في السجون منذ الانقلاب، كما وعد رضا خان باجراء الانتخابات العامة[١٤]. وقد خيل للعديدين ان رضا خان سيكون رئيس الوزراء المقبل لكونه اصبح رجل الساعة القوي، ولان الانكليز يرغبون بمجيئه الى الحكم، الا ان احمد شاه، الذي لم يكن يميل كثيرا الى رضا خان، اعترض على ذلك[١٥]. فضلا عن ان رضا خان كان يعتقد ان الوقت لم يحن بعد لتولي تلك المسؤولية قبل ان ينتهي من تثبيت مركزه بصورة اكثر فعالية. فوقع الاختيار على مشير الدولة، ومن ثم مستوفي الممالك، الا انهما رفضا تولي هذا المنصب[١٦]. واخيرا استقر الرأى على احمد قوام السلطنة (شقيق وثوق الدولة)، واحد

والعرش الايراني، ص ٤٨-٤٩، محمد صبيح، المصدر السابق، ص ٨٨، ميشال سليمان، ايران في معركة التحرر الوطني والاستقلال، بيروت، ١٩٥٤، ص ١٩، محمود العابدي، ايران من كفاح الى نجاح، عمان، ١٩٥٩، ص٣٧، طلال مجذوب، المصدر السابق، ص ٢٩٢،

L.Elwell-Sutton, Modern Political Parties in Iran, 1914-1948, “Middle East Journal, Vol. III, Part, London, January, PP. 51-52.

[١١] همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٢.

[١٢] حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج١، ص ٣٣٠-٣٣٢.

[13] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 131.

[١٤] همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٢.

[١٥] حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج١، ص ٢٣٣.

[١٦] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٨.

الذين اعتقلوا مع من شملهم الاعتقال عند قيام الانقلاب، والذي كان يرتبط بصلات وثيقة مع الانكليز.

تألفت وزارة قوام السلطنة تقريبا من النخبة السياسية التقليدية، فالى جانب رئيس الوزراء، الذي اضافة الى منصبه، احتفظ بوزارة الداخلية لنفسه، فقد ضمت الوزارة محتشم السلطنة وزيرا للخارجية، ومستشار الدولة وزيرا مشاورا، وممتاز السلطنة للمعارف العمومية، ومصدق السلطنة للمالية، ومشار السلطنة للبريد والبرق. وعميد السلطنة للعدل، واديب السلطنة للفوائد العامة والتجارة والفلاحة، وحكيم الدولة للصحة[١٧]. اما وزارة الحربية فقد ظلت بامرة رضا خان. وقد اعلنت الوزارة الجديدة في منهاجها انها تروم تحقيق جملة من الاصلاحات الداخلية التي تستهدف تحقيق الاستقلال للبلاد[١٨]. كانت المهمة الملحة التي واجهت قوام السلطنة هي القضاء على الحركة الوطنية التي اشتد اوارها لاسيما في المناطق الشمالية من البلاد.

وخلال هذه الفترة كان النفوذ البريطاني مستمرا في الانحدار. وقد ابدى اللورد كرزن مخاوفه اثناء القائه خطابا امام مجلس اللوردات، من خطورة الوضع في ايران، واعترف بفشل سياسة حكومته في هذه البلاد[١٩]. وقد شكل سقوط وزارة ضياء الدين طباطبائي عاملا اضافيا في تدني شعبية بريطانيا في ايران، حيث "تزعزع موقفها واصبح سيئا" كما جاء في وثيقة بريطانية[٢٠]. فان المعارضين السياسيين الذي كانوا محتجزين من قبل ضياء الدين طباطبائي خرجوا من السجن، وشكلوا قوة جديدة معادية لبريطانيا، وبدأوا ينشطون لمعارضة النفوذ البريطاني "اينما وجد"، ومن اجل طرد المستشارين والبعثات البريطانية[٢١]. ونتيجة الاوضاع الاقتصادية الصعبة

---

[١٧]"العراق" (جريدة)، بغداد، ١٤ حزيران ١٩٢١.

[١٨]المصدر نفسه.

[١٩]حول الخطاب وردود الفعل الشعبية التي اثارها في ايران راجع:

I.O.R., L/P+S/10/1107, Tel. No. 182, From British leration Gulkak to F.O., September 16, 1921, PP. 1-3;

"العراق"، ٩ آب ١٩٢٠.

[20] F.O., 371/19025, E 11626, The Political Situation in Persia, December 7, 1923, P. 134.

[21] Ibid.

التي خلقها رحيل القوات البريطانية عن البلاد، وتوقف السيولة النقدية، زادت النقمة على الشركات التجارية البريطانية والتي اصبحت "مشبوهة في عيون الايرانيين" الذين اتهموا المصرف الشاهنشاهي الايراني بالتلاعب باسعار العملة خدمة للمصالح البريطانية، كما اتهمت المؤسسات البريطانية في ايران "بانها تحاول امتصاص دم البلد الفقير"[٢٢].

وتوالت الحملات الصحفية[٢٣] ضد السياسة البريطانية في ايران. فقد كتبت جريدة "ستاره ايران" (نجمة ايران) حول الازمات الوزارية المستمرة، التي تعاني منها البلاد، وتكرر تغيير الوزارات بين آونة واخرى، وتأثير ذلك على سير الامور في البلاد بصورة طبيعية، قائلة: "نحن نقدر الاضرار بسبب سقوط الوزارة بعد الاخرى، ماذا نفعل عندما تتمتع الوزارة بثقة جماهيرية، يكون هناك شخص اخر ليس قانعا بذلك (تقصد السفير البريطاني)، وان الشعب لا يتحمل وزارة تعتمد على مساعدة خارجية"[٢٤]. وحول اتهام بريطانيا للايرانيين بانهم رموا انفسهم في احضان الروس بعد توقيعهم لمعاهدة ١٩٢١ معها قالت الجريدة "نحن لا نرغب ان نقترب من احد الجيران ونبتعد عن الاخر، نحن لنا احترام مخلص لكلا الدولتين طالما تسمحان لنا وحدنا ان نقرر سياستنا ولا تتدخلان في الشؤون الداخلية، هذه هي رغبتنا و (صوت)[٢٥] الشعب... وان ايران تفضل الموت والدمار على الخضوع للاخرين[٢٦].

وابدت الاحزاب "الاشتراكية" نشاطا ملحوظا في هذه الفترة، لاسيما في الاجزاء الشمالية من البلاد[٢٧]. وبات هاجس الخوف من انتشار الدعاية البلشفية في ايران ومجيء حكومة مؤيدة لها تهدد المصالح البريطانية في الجنوب، اضافة الى مصالحها

---

[22] Ibid, PP. 133-135.

[٢٣] للتفاصيل عن تلك الحملات راجع:

I.O.R., L/P+S/10/1017, Tel. No. 182, From P. Loraine to F.O., September 16, 1921, PP. 14-30.

[24] Ibid, P. 12.

[٢٥] هكذا ورد في النص.

[26] I.O.R., L/P+S/10/1017, Tel. No. 182, From P. Loraine to F.O., September 16, 1921, PP. 12-13.

[27] F.O., 371/7805, Secret, From Office of the British Military Attacbo (Tehran) to H.B.M. Minister (Tehran), February 19, 1922, P. 38.

الاخرى في الهند والعراق، يشكل مصدر قلق جدى للاوساط الانكليزية الحاكمة[28]. وقد القى اللورد كرزن تبعات فشل السياسة الانكليزية في ايران على عاتق سفيره في طهران هيرمان نورمان فاستدعاه الى لندن وحل محله السير بيرسي لورين[29].

وقد حاولت بريطانيا ان تمارس ضغوطها على ايران بطرق عدة، فقد طالبتها بالديون المستحقة عليها[30]. وعادت الى سياستها التقليدية في اثارة النزعة الانفصالية لدى العشائر، لاسيما القوية منها كالبختيارية والقاشقائيين[31]. وعملت على الترويج لانشاء "اتحاد تعاهدى" في جنوب ايران[32]. بل ان بريطانيا بدأت تفكر حتى بالعودة الى روح اتفاقية عام ١٩٠٧ بترك الشمال والتركيز على الجنوب[33].

ولم يتوان وزير الحربية عن استغلال كل فرصة لتدعيم نفوذه، وخاصة في صفوف الجيش، فقد كان يبعث باعوانه من العسكريين كحكام لاقاليم البلاد المختلفة[34]. وقد حاول ضم الجندرمة نهائيا الى صفوفه، ولتحقيق ذلك حاول استمالة كبار ضباطه، ثم دعا الى توحيد زي الجندرمة مع صفوف الجيش الاخرى، الامر الذي اثار امتعاص رئيس الوزراء[35]. وكان يلح على الوزارة بشدة من اجل زيادة حصة وزارته من الميزانية العامة، وقد نجح في مسعاه هذا، فعلى سبيل المثال بلغت الاموال

---

[28] F.O., 371/ 7809, Secret, No. 489, From British Legation in Tehran to F.O., August 6, 1922, P. 80; F.O., 371/7803, Secret, No. 103, From British Legation in Tehran to F.O., February 20, 1922, P. 37; F. O., 371/7809, Tel. No. 348, From P. Loraine to F.O., September 21, P. 45; F.O., 371/7805, Confidential, British Government Archives, No. I, E 4712/6/34, From P. Loraine to Curzon, February 20, 1922, P. 28.

[29] Gordon Waterfield, Professional Diplomat Sir Percy Loraine of Kirkharlebt 1880-1961, London, 1973, P. 55.

[30] للتفصيل انظر:

F.O., 371/16949, The Future of Persia, October 1931, PP. 31-34.

[31] I.O.R., L/P+S/10/965, Translation Agreement. Anglo-Persian Oil Company, October 6, 1921, PP. 241-246.

[32] م. بروكس، المصدر السابق، ص ٤٩.

[33] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٩.

[34] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 292; D.N.Wilber, Contemporary Iran, P. 70.

[35] جهانكيز قائم مقامى، تاريخ تحولات سياسى نظامى ايران، ص ١٨٦-١٨٨.

المخصصة للجيش في ميزانية العام ١٩٢١ اربعة اضعاف المخصصات المدنية في تلك الميزانية[36]. كذلك جرى تخصيص ٤٩٪ من ميزانية الدولة العام ١٩٢٢ للصرف على القوات المسلحة في الوقت الذي كانت فيه عاجزة عن دفع رواتب موظفيها لاشهر طويلة[37]. ومما له مغزاه ان مخصصات التعليم في ميزانية تلك السنة لم تتجاوز ١٪، الامر الذي اثار استياء الطلاب والمعلمين الذي تظاهروا احتجاجا على ذلك ورفعوا خلالها شعارا يقول "لقد دفن التعليم"[38]، بل انه طلب من البنك الامبراطوري الفارسي تزويده بقرض بمبلغ مقداره (٢٠٠,٠٠٠) باوند وذلك لتعزيز قدرات الجيش في حملاته المتعددة في انحاء البلاد[39].

وقد فكر رئيس الوزراء بجلب مستشارين اجانب لتدريب الجيش، الا ان وزير الحربية اعترض على ذلك وتعذر بضعف الميزانية، وطالب بارسال الطلبة الى اوربا للتخصص في الامور العسكرية، وقد وافق رئيس الوزراء على مضض على تلك البعثات[40]. وخطا رضا خان خطوة اخرى بشأن توحيد القوى العسكرية في البلاد، فقد طالب بحل قوة مشاه جنوب فارس[41] التي انشأها الانكليز خلال الحرب العالمية الاولى وظلت مرابطة في جنوب البلاد لحماية حقول النفط الغنية والمصالح البريطانية الاخرى في المنطقة، وقد نجح في مسعاه، وهي الخطوة "التي ما كان بمقدور غيره فعلها، وما كان الانكليز يوافقون غيره عليها" على حد تعبير المؤرخ الفارسي جهانكيز قائم مقامي[42].

---

[36] J.M.Upton, Op. Cit., P. 46.

[37] جهانكيز قائم مقامي، تاريخ تحولات سياسي نظام ايران، ص ١٨٨، D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 59.

[38] د.كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٩.

[39] F.O., 371/6417, Tel. No. G 18, E 12426, From Bridgemon to F.O., November 7, 1921, P. 41.

[40] جهانكيز قائم مقامى، تاريخ تحولات سياسى نظامى ايران، ص ١٩١.

[41] لتفاصيل هذا الموضوع راجع: م. ر. خرار (شيرازى)، (دوران بهلوى) حاوى عمليات عمده اعليحضرت همايونى از ١٣٠٤ تا امروز با يك مقدمه، شيراز، ١٣١٤، ص ١٢٠-١٢٣.

[42] I.O.R., L/P+S/10/965, Tel. No. 1119, From the Hon'bl the Political in Bushire to Foreign Secretary to the Government of India in the Foreign and Political Department, July 11, 1921, P. 142;

ففي اواخر عام ١٩٢١ غادرت القوة البريطانية اماكنها وحلت وحدات من الجيش والجندرمة. وقد كان الانكليز يبدون الحذر بشأن انسحاب تلك القوة خوفا من احتمال تعرض حقول النفط الغنية الى هجمات رجال العشائر الايرانية المعادية، وعدم استطاعة الجيش الايراني صد هذه الهجمات. وقد تكررت هذه المخاوف في سلسلة البرقيات التي كان يبعث بها السفير البريطاني في طهران، والمقيم السياسي في بوشهر، الى وزارتي الخارجية والمستعمرات[٤٣].

ولم تمر فترة طويلة حتى بدأت حكومة قوام السلطنة تعاني من مشاكل عدة، فقد نشطت معارضة معظم الاحزاب السياسية لها، لاسيما "الاشتراكية" التي طالبت بازالة النفوذ الاجنبي وحماية استقلال البلاد، وشكلت هذه الاحزاب ماعرف باسم (الكتلة الوطنية) التي لعبت دورا ملحوظا في الحياة السياسية للبلاد خلال السنوات الثلاث اللاحقة التي سبقت وصول رضا خان الى العرش[٤٤]. كما شددت الصحف من انتقاداتها للوجود الاجنبي في البلاد، وطالبت بطرد المدير العام للخزينة البريطاني ارمجان سمث[٤٥]. وقد اثارت هذه الامور امتعاض الملحق العسكري البريطاني في طهران الكولونيل سوندرس الذي وصفهم، في لقاء له مع

جهانكيز قائم مقامى، تاريخ تحولات سياسى نظامى ايران، ص ١٨٨،

Hassan Arfa, Under Five Shahs, London, 1964, P. 285; J.Marlowe, Iran Ashort Political Guide, P. 52.

[٤٣] للتفاصيل انظر:

I.O.R., L/P+S/10/965, Confidential, E 50901/21, From J.R. Chancellor to F.O., December 24, 1921, P. 138; I.O.R., L/P+S/10/965, Confidential, From J.R. Chancellor to Churchill, November 30, 1921, P. 139; I.O.R., L/P+S/10/965, From J.E. Shockburgh to Downing Street, December 21, 1921, P. 140; I.O.R., L/P+S/10/965, Tel. No. 1119, From the Hon'ble the Political in the Beshire to the Foreign Secretary to the Government of India in the Foreign and Political department, July 11, 1921, P. 142; I.O.R., L/P+S/10/965, E 6545/170/34, From the Political Residenf in Ahwaz to the Foreign Secretary to the Government of India and Political department, June 13, 1921, P. 146.

[44] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, PP. 126-128;

د.كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٤٨.

[45] J.C.Campbell, OP, Cit., P. 94.

رضا خان، بانهم "مجموعة من الجهلة والمشاغبين سوف تحطم المشاريع التي بنيت بالعمل الشاق لصالح ايران"[٤٦]. ولم يتوان رضا خان عن التأكيد لسوندرس "بانه سيكون (اسعد شخص) لاخمادهما كليهما"[٤٧] واعاد الملحق العسكري العزف على نغمة الخوف من نشاط الاحزاب الثورية في البلاد، وخطرها على مصالح ايران، واعتبرها وسيلة لنشر الدعاية البلشفية وبدوره اكد له رضا خان بانه "سيكون (مسرورا) اذا نحن اعطيناه بصورة سرية اية تفاصيل عن نشاط هذه التنظيمات التي تضر بايران كثيرا"[٤٨]. وفي نهاية تقريره للسفير البريطاني وصف سوندرس موقف رضا خان بانه "ودي وحميم جدا"[٤٩].

كذلك فان الاوضاع المالية لحكومة قوام السلطنة لم تكن على مايرام، بسبب تزايد نفقاتها، لاسيما نفقات الجيش وعجز الميزانية المستمر. وعلى الرغم من انها طلبت قروضا من بريطانيا فان الاخيرة رفضت تزويدها بتلك القروض مالم توافق الحكومة الايرانية على بعض الشروط التي كانت تمثل عودة الى بعض بنود معاهدة ١٩١٩ المقبوتة[٥٠]. فقرر قوام السلطنة اللجوء الى الولايات المتحدة الامريكية للحصول على المعونة المالية باعتبار ان الولايات المتحدة لم تكن قد تبلورت لديها مطامح سياسية في ايران، ولكونها لا تضع شروطا مسبقة بالنسبة لتلك المعونة كما هو عليه الحال مع البريطانيين وحتى الروس[٥١].

---

[46] F.O., 371/7805, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 4712/6134, From P. Loraine to Curzon, February 20, 1922, P. 27.

[47] Ibid.

[48] Ibid, P. 28; F.O., 371/7805, Secret, Tel. No. C/55/1, From Office of the British Military Attache Tehran to H.B.M.Minister, Februry 19, 1922, P. 38.

[49] F.O., 371/7805, Confidential, British Government Archives, No. E 4712/6134, From P. Loraine to Curzo, February 20, 1922, P. 28.

[٥٠] للتفاصيل راجع:

F.O., 371, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 4712, From P. Loraine to Curzon, February 20, 1922, P. 28;

جهانكيز قائم مقامى، تاريخ تحولات سياسى نظامى ايران، ص ١٨٨، مصطفى الطباطبائي، المصدر السابق، ص ٦١-٦٢.

[51] T.A.Bryson, Op. Cit., P. 105;R. Cottam, OP. Cit., P. 190.

وعلى اثر ذلك بعث قوام السلطنة الى وزيره المفوض في واشنطن حسين خان علاء للتفاوض مع الشركات النفطية الامريكية حول امتيازات النفط في المناطق الشمالية الايرانية، وفعلا تم مبدئيا التوصل الى اتفاق مع شركة "ستاندر اويل" الامريكية يقضي بمنحها حق استثمار المنابع النفطية في الشمال مدة خمسين عاما مقابل تقديم قرض لايران من قبل الحكومة الامريكية بمبلغ خمسة ملايين دولار[٥٢]. ولم يكن ينقص تنفيذ الاتفاق سوى توقيع المجلس عليه، وفعلا عندما عرض الاتفاق على المجلس وافق عليه بالاجماع[٥٣]. والجدير بالذكر انه عندما نشر الاتفاق في الصحف قوبل بارتياح بالغ من جميع الاوساط، وتوالت برقيات التأييد الى العاصمة من مختلف الاقاليم الايرانية. وكان "الديمقراطيون" من اشد المناصرين لذلك الاتفاق[٥٤]. ولم تمض سوى ايام معدودات حتى سقطت وزارة قوام السلطنة بعد ان تفاقمت الخلافات بين رئيس الوزراء ووزير حربيته رضا خان الذي هدد عدة مرات بتقديم استقالته "لكثرة العراقيل التي توضع في طريقه"[٥٥]، الامر الذي اثار مخاوف السفير البريطاني لورين ووزير الخارجية البريطاني "من احتمال زيادة الدعاية البلشفية في ايران"[٥٦].

في ٢٢ كانون الثاني عام ١٩٢٢ الف مشير الدولة الوزارة الجديدة. وقد استمر تقريبا على نهج وزارة قوام السلطنة، خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، واستمرت سياسة التقارب مع الولايات المتحدة الامريكية. وقد كانت الولايات

---

[٥٢] "الاستقلال"، ٢٤ كانون الاول ١٩٢٣، ملك الشعراء بهار، تاريخ مختصرى احزاب سياسى، ص ١٩٥"

Y.Armajani, OP. Cit., P. 330; R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, A developing Nation in World Affairs, Virginia, 1966, P. 204.

[53] D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 60.

[٥٤] حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج١، ص ٣٦٠.

[55] F.O., 371/7809, Tel. No. 355, E 9844, From P. Loraine to F.O., September 24, 1922, P. 41; F. O., 371/7809, Tel. No. 242, E 9844/6/34, From P. Loraine to F.O., September 26, 1922, P. 43.

[56] Ibid.

المتحدة في تلك الفترة تدعو، وبقوة الى سياسة "الباب المفتوح"[٥٧]. والحقيقة ان الولايات المتحدة كانت منهمكة آنذاك في البحث عن مصادر نفطية جديدة في جميع انحاء العالم[٥٨]. ولم ينس الامريكيون ان يؤكدوا للحكومة الايرانية تمسكهم بهذه السياسة، ففي مذكرتها الى مشير الدولة اكدت الحكومة الامريكية ان "الولايات المتحدة مهتمة جدا بمبدأ" الباب المفتوح "وتولي موضوع ضمان امكانات للمصالح الامريكية في ايران مشابهة لتلك المصالح التي تتمتع بها اية امة اخرى بالغ اهتمامها". واكد رئيس الحكومة الايرانية في رده انه "سوف يبذل كل ما في وسعه من اجل ضمان هذا المبدأ"[٥٩].

ولم تجد الاحتجاجات البريطانية نفعا لحمل الحكومة الايرانية على اعطاء امتيازات نفط الشمال الى شركات بريطانية، فحاولت مرة اخرى اللجوء الى سياستها القديمة باثارة العشائر، واعادت من جديد ادعاءاتها حول حماية حقول النفط وضرورة الدفاع عنها[٦٠].

وعلى الرغم من ان رضا خان كان شكليا مرتبطا برئيس الوزراء، فانه كثيرا ما كان يتجاهله، ويسعى لتعزيز مواقعه. فاستطاع ربط الجندرمة نهائيا بوزارة الحرب وعزل رئيسه الكولونيل (كلروب) وعين احد اعوانه لادارتها[٦١]، ونجح في حمل البرلمان على الموافقة على ارسال عدد من الضباط الى فرنسا للتخصص في اكاديمياتها العسكرية رغم معارضة رئيس الوزراء والشاه الذي حاول ان يستخدم سلطته كقائد

[٥٧] "الباب المفتوح" مصطلح سياسي بدأت تنادي به الولايات المتحدة منذ العام ١٨٩٩ حينما دعت الى فتح ابواب الصين امام المصالح الامريكية اسوة بالدول الاخرى. وكررت هذا المبدأ عندما بدأت الشركات الامريكية تسعى للحصول على امتيازات نفطية، ولاسيما في منطقة الشرق الاوسط.

[58] R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 203.

[59] A.C.Millspaugh, The American Task in Persia, New York. London, 1925, PP. 316-317.

[٦٠] للتفاصيل عن هذا الموضوع راجع:

I.O.R., L/P+S/10/265, Confidential, Tel. No. 427, E 8441/7/34, From P. Loraine to Earl Balfour, July 8, 1922, PP. 187-188; F. O., 371/7816, Secret, British Government Archives, No. 1, Committee of Imperial Defence, May 19, 1922, PP. 95-96.

[٦١] جهانكيز قائم مقامى، تاريخ تحولات سياسى نظامى ايران، ص ٩٠-٩١.

عام للجيش[62]. وفي ذلك الحين كانت البلاد تعاني من ازمة حادة جراء نقص الحبوب، والعامة تشكو قلة الخبز، فاستغل رضا خان الوضع، وفي خطوة ذكية منه عين احد اعوانه من ضباط القوزاق لتنظيم توزيع الحبوب، مما زاد في ارتفاع شعبيته بين الناس[63]. وقام مائتا تاجر بابداء شكرهم لرضا خان عبر رسالة مفتوحة جاء فيها: "قبل ان ينقذنا زعيمنا المحبوب كانت امبراطورية ايران... تنحل بسرعة... وكانت البلاد مضحكة امام العالم كله. شكرا لامر الجيش، فنحن الان نتنقل بدون خوف... ونتمتع بثمار القانون والنظام"[64].

ومن الجدير بالذكر ان الصحافة نشطت في نقد الوزارة القائمة، وشككت في القادة الحقيقيين للانقلاب. فقد نشرت جريدة "ستاره ايران" مقالا ذكرت فيه ان المخطط الحقيقي للانقلاب هو نصرت الدولة، وانه يعتزم تنفيذ الانقلاب بمساعدة البريطانيين لولا ان الظروف عاكسته، واستغل رضا خان الفرصة ونفذ الانقلاب[65].

اثار ما نشرته الصحيفة استياء رضا خان. وبعد عدة ايام، وفي الذكرى الاولى للانقلاب نشر رده[66] في مقال مفعم بالحماس والوطنية وان لم يخل من التهديد، ذكر فيه انه هو المخطط الحقيقي للانقلاب، وهدد تلك الصحف التي تجاسرت على افتراض اي شيء يناقض ذلك[67]. فذكر في رده: " لا تخطئوا ولا تضيعوا انفسكم كالعميان بحثا عن مدبر الانقلاب. انني اعتبر من الشرف ان اوضح بانني انا المدبر الحقيقي للانقلاب. فانني انا الذي اخترت هذا الطريق، كذلك انا الذي لست نادما على ذلك"[68].

---

[62] "البلاد" (جريدة)، بغداد، ٢٤ نيسان ١٩٣٠،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 131; D.A.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 66.

[63] حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج١، ص ٣٦٠.

[64] مقتبس من:

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 131.

[65] حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، جلد دوم، تهران، ١٣٢٤، ص ٢٨.

[66] حول الرد الذي نشره رضا خان راجع:

D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, PP. 62-64.

[67] Lenczowski, Iran under the Pahlavis, P. 19.

[68] D.N. Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 63.

وقد شددت الصحف من انتقاداتها للاعمال غير المشروعة التي يقوم بها افراد من الجيش والجندرمة، اضافة الى الزيادات المستمرة في نفقات الجيش. فضلا عن تضاؤل امكانية ممارسة النشاط السياسي، وحرية الصحافة فعلى سبيل المثال كتب فروغي، محرر جريدة "طوفان"، : "هناك في ايران شخص واحد (يقصد رضا خان) يعلن ان كل من يسرق قرانا واحدا سوف بحكم عليه بالموت دونما محاكمة"[٦٩]. مما حدا بوزير الحربية الى نشر بيان شديد اللهجة الى مدراء الصحف مهددا فيه "بانه من الان فصاعدا سوف تحطم اقلام المخالفين وتقطع السنة المعارضين"[٧٠]. كما اتخذ رضا خان اجراءات صارمة لايقاف الصحف المتطرفة. فاغلق صحف "ستاره ايران" و "ستاره سورخ" (النجم الاحمر) و "حقيقت" و "طوفان"[٧١]. واضطر بعض الصحفيين الى اللجوء الى مسجد الشاه عبد العظيم في مشهد، في حين لجأ فروغي، الذي خصص رضا خان ١٠٠ تومان لمن يأتيه به الى السفارة السوفيتية[٧٢].

وقد كانت تلك الاجراءات، مع اخرى غيرها، مثار خلاف بين رئيس الوزراء ووزير الحربية. وكانت "القشة" التي قصمت ظهر العلاقات بينهما، ووصولها الى خط لا رجعة فيه عندما طلب وزير الحربية من رئيس الوزراء اغلاق احدى الصحف التي نشرت مقالا تنتقد فيه بعض ضباط الجيش، والا فانه (رئيس الوزراء) سيواجه امكانية منعه من دخول غرفة مجلس الوزراء.

فما كان من رئيس الوزراء (الضعيف) و (المهان) الا ان قدم استقالته من منصبه في ايار عام ١٩٢٢[٧٣]. وقد تألفت لجنة قوامها (١٢) عضوا مهمتها السعي لازالة الخلاف بين رئيس الوزراء ووزير الحربية والطلب من رئيس الوزراء سحب

---

[٦٩] همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٧،

D.N. Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 63

[٧٠] حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج٢، تهران، ١٣٢٤، ص ٢٨.

[71] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 131; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 63.

[٧٢] حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج٢، ص ٢٨،

D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 63.

[٧٣] "العراق"، ١٨ ايار ١٩٢٢، همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٧.

استقالته، الا ان الاخير رفض الامر تماما. وعندما وصل الخبر الى الشاه الموجود في باريس بعث ببرقية الى وزير الحربية يوصيه "بحفظ النظام اثناء الازمة الحاضرة"[٧٤].

تأخر تأليف الوزارة الجديدة حوالي الشهر تقريبا، وهو الامر الذي كان يوافق مخططات رضا خان، وكانت الاسماء المرشحة تدور حول مستوفي الممالك وقوام السلطنة، الا ان المجلس كلف الاخير بتشكيل الوزارة بعد ان حصل على خمسة وستين صوتا، في حين لم يصوت الى جانب مستوفي الممالك سوى خمسة عشر عضوا من اعضاء المجلس[٧٥]. واعلن رئيس الوزراء الجديد انه سيحاول معالجة الوضع الاقتصادي المتردي والبت في مسألة امتياز نفط الشمال. وشرع في معالجة القضية النفطية التي كانت مثار اختلاف شديد بين الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا. فقد توجس الانكليز خيفة من النفوذ الامريكي المتزايد في ايران، ونظروا اليه كمنافس مالي واقتصادي يهدد المصالح البريطانية[٧٦]. واثار حصول شركة "ستاندر اويل" على امتياز النفط في الشمال ثائرة البريطانيين الذين احتجوا بشده لدى وزارة الخارجية الامريكية على اعتبار ان امتياز نفط المناطق الشمالية سبق ان اشترته الشركة الانكلو-ايرانية من (خوستاريا)، الا ان المجلس رد على ذلك بالقول بان هذا الامتياز لم يصدق من المجلس حسب متطلبات الدستور، لذا فانها اصبحت لاغية وغير نافذة المفعول[٧٧]. ولكن الوضع الدولي لم يكن آنذاك يسمح للبريطانيين بمعارضة التغلغل الامريكي الى مالا نهاية لاسيما بعد ان اصر الامريكيون على التمسك بسياسة "الباب المفتوح"، وبعد ان نجحوا في الحصول على امتيازات نفطية مهمة في شركة نفط العراق[٧٨]. لهذا اتفقت الشركتان،

---

[٧٤] "العراق"، ١٨ ايار ١٩٢٢.

[٧٥] حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج٢، ص ٥٧.

[76] F.O., 371/16145, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 2423/455/34, From P. Loraine to Macdonald, February 11, 1924, P. 22.

[٧٧] هارفي اوكونور، الازمة العالمية في البترول، ترجمة عمر مكاوي، مراجعة الدكتور راشد البراوي، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٣٥٠،

Y.Armajani, OP. Cit., P. 330.

[78] = Raif H.Magnus, Documents on the Middle East, Washington, 1969, PP. 40-41;

"ستاندر اويل" و "الانكلو-ايرانية" على مبدأ المشاركة بالنصف بالنسبة لامتياز الشمال، الا ان المجلس رفض الاتفاق برمته، فلم يكن الايرانيون يرغبون في ان تكون للانكليز يد في المناطق الشمالية المحاذية للسوفيت[79]. فضلا عن "شعور الاشتباه القوي المتفشي في طهران نتيجة تجاربهم الماضية ازاء نوايا الانكليز واهدافهم"[80] حسبما اكد السفير الايراني حسين علاء لبعض الصحف الامريكية. اضافة الى ذلك كانت التحركات تجري بشأن امتياز نفط الشمال وقد اثارت استياء السوفيت الذين احتجوا بانه استنادا الى المادة (١٣) من المعاهدة السوفيتية-الايرانية الموقعة في ٢٦ شباط ١٩٢١ تعهدت ايران بان لاتمنح الامتياز الى طرف ثالث[81].

لم يكن السوفيت غافلين عن هذه التحركات، فقد شنت صحافتهم حملة واسعة ضد قوام السلطنة، واتهمته، هو ومساعديه، باستلام رشوة مقدارها ١٥٠ الف دولار لقاء التوقيع على الامتياز، في حين توالت مذكرات الاحتجاج السوفيتية على الحكومة الايرانية[82]. بل ان الروس شجعوا الدعايات التي طالبت بطرد قوام السلطنة من الحكم لكونه يخدم المخططات البريطانية[83].

كذلك فان المعارضة الايرانية احتجت بشدة على الاتفاق واتهمت حكومة قوام السلطنة بالعمالة لبريطانيا وبخيانة المصالح الوطنية العليا بعد ان فسحت المجال

هارفي اوكونور، امبراطورية البترول، تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز، ط١، بيروت ١٩٥٩، ص ١٢٠، د. طالب محمد وهيم، التنافس البريطاني الامريكي على نفط الخليج العربي ١٩٢٨-١٩٣٩، بغداد، ١٩٨٣، ص ٤٥.

[79] F.O., 371/7805, Confidentail, British Government Archives, No. 1, E 4712/6/34, From P.Loraine to Curzon, February 20, 1922, P. 27;

"الاستقلال"، ١٣ شباط ١٩٢٤، ;Y.Armajani, OP. Cit., P. 330 هارفي اوكونور، الازمة العالمية في البترول، ص ٣٥٠.

[80] ريتشارد اوكنور، المصدر السابق، ص ٢٥٣.

[81] Y.Armajani, OP. Cit., P. 330;

هارفي اوكونور، الازمة العالمية في البترول، ص ٣٥٠.

[82] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٥٠.

[83] I.O.R., L/P+S/10/1017, Confidential, British Government Archives, No. I, E III0/77/134, From P. Loraine to Curzon, December 11, 1922, P. 2;

هارفي اوكونور، الازمة العالمية في البترول، ص ٣٥٠.

"للشركتين الجشعتين" "ستاندر اويل" و "الانكلو-ايرانية" بتصيد "ثروة ايران وتقسيم الغنائم بينهما مناصفة"[٨٤].

لم تقتصر الحملات الصحفية على مهاجمة وزارة قوام السلطنة فقط، بل انها امتدت لتشمل الوجود البريطاني في ايران "كرد فعل تعبر عن شكوك سابقة" كما اكد السفير البريطاني في برقيته لوزير الخارجية[٨٥]، الامر الذي دفع السفير البريطاني لورين الى التدخل و "تحذير قوام السلطنة شفهيا وشخصيا ما لم تتخذ خطوات مناسبة لاخماد هذه التظاهرات"[٨٦]. بل ان السفير هدد بانسحاب الممثلين البريطانيين من ايران اذا لم يجر "احترام هيئة مفوضية صاحب الجلالة"[٨٧]. وقد عزا السفير البريطاني تلك الحملات الى الدعاية البلشفية التي "تغذيها روسيا عن طريق الاحزاب والصحف الموالية لها داخل ايران"[٨٨]. والجدير بالذكر ان الاحداث التي كانت قد شهدتها المنطقة، ولا سيما العراق، تركت صدى واسعا بين الاوساط الايرانية. فقد كان لوصول عدد من رجال الدين الشيعة من العراق على اثر فشل ثورة العشرين فيه، ومن ثم محاولة بريطانيا ربط العراق بمعاهدة جديدة، وغيرها من العوامل اثرها في تصاعد مشاعر الاستياء ضد البريطانيين، فقد القى العديد منهم خطبا وكلمات تندد بالسياسة البريطانية، وكان العديد منها تنتهي بتظاهرات بلغ عدد المشاركين في احداها ١٠,٠٠٠ الاف شخص رفعوا خلالها شعارات تنادي بـ

---

[٨٤] مقتبس من:
د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٥٠.

[85] F.O., 371/1809, Tel. No. 354, E 9836, From P. Loraine to F.O., September 24, 1922, P35.

[86] I.O.R., L/P+S/10/1017, Confidential, British Government Archives, No. I, E 1110/77/34, From P. Loraine to Curzon, December 11, 1922, P. 1.

[87] Ibid

[88] I.O.R., L/P+S/10/1017, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 1110/77/34, From P. Loraine to Curzon, December 11, 1922, P. 1; F. O., 371/7809, Tel. No. 242, E 9844/6/34. From P. Loraine to F.O., September 26, 1922, P. 43.

"الموت لانكلترا، والموت للانكليز" مما استدعى تدخل الشرطة لتفريق المتظاهرين بعد احتجاج القنصل البريطاني في مدينة مشهد[٨٩].

وفي خضم تلك الاحداث وصلت البعثة المالية الامريكية برئاسة الدكتور ارثر ملسبو[٩٠] التي كانت الحكومة الايرانية قد طلبتها لتنظيم شؤونها المالية والاقتصادية. وعلى عكس موقفهم من قضية الامتيازات النفطية، لم يثر الانكليز اي اعتراض على عمل البعثة التي وصفتها وثيقة بريطانية بـ "العصا المكسورة"[٩١]، دون المساندة البريطانية. الا انها على اية حال، شجعت الحكومة الايرانية على تأييد عمل البعثة ودعمها، وذلك "لان تنظيم الشؤون المالية مع سياسة رضا خان المركزية ستجعل البلاد تقف على قدميها من جديد، ويبعث الامل في احياء هذا القطر من جديد واعادة المال المدين لحكومة صاحب الجلالة"[٩٢].

لم تستكن الحملة الصحفية المناهضة لقوام السلطنة. وعلى الرغم من انه "قاوم كل الهجمات، ولم ينحن امام عاصفة من الشتائم في الصحف التي لو وجهت ضد شخصية مثل مشير الدولة لكان انعزل في بيته لوقت طويل"[٩٣]، على حد تعبير السفير البريطاني لورين. فانه لم يكن بامكانه تحمل انتقادات تلك الصحف الى ما لا نهاية، فحاول "شراء بعض الصحف" و "منع بعضها الاخر"، كما قدم الى المجلس

---

[٨٩] للتفاصيل راجع:

I.O.R., L/P+S/10/1017, From British Consulate General. Meshed to P. Loraine, December 26, 1922, PP. 1-4; I.O.R., L/P+S/10/1017, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 1110/77/34, From P. Loraine to Curzon, December 11, 1922, P. 1; I. O. R., L/P+S/10/1017, Tel. No. 27, E 2468/2468/34, From British Legation in Tehran to F.O., January 14, 1923, PP. 3-4; “The Near East”, December 4, 1922; R. Cottam, OP. Cit., P. 126.

[٩٠] للتفصيل حول مهمة البعثة، راجع:

J.C.Campbll, OP. Cit., PP. 94-95; D.N. Wilber, Riza Shah Pahlavi, PP. 68-69.

[91] F.O., 371/19025, E 11626, The Political Situation in Persia, December 7, 1923, P. 139.

[92] I.O.R., L/P+S/10/1017, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 1110/77/34, 1922, PP. 3-4.

[93] I.O.R., L/P+S/10/1017, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 1110/77/34, From P.Loraine to Curzon, Desember 11, 1922, P. 2.

مشروع تشكيل لجنة قضائية لمحاكمة الصحف التي تهجمت على الحكومة[٩٤]، الا ان كل ذلك، على ما يبدو، لم يجد نفعا، فما كان منه الا ان امر بغلق جميع جرائد العاصمة، ورد عمال المطابع على ذلك باعلان الاضراب، تساندهم في ذلك المعارضة[٩٥]. ولم يقتصر الاضراب على عمال المطابع، بل انه امتد ليشمل فئات اخرى طالبت رئيس الوزراء بتنفيذ وعوده التي اطلقها بشأن الاصلاحات عند توليه الحكم وفشل في تحقيق معظمها[٩٦]. واشتكى معتمد التجار في احدى جلسات المجلس من الاوضاع السائدة، وذكر ان التجار لم يعودوا يطيقون هذه الاوضاع، كما ندد بعض اعضاء المجلس باغلاق الصحف من قبل رئيس الوزراء[٩٧]. ومما زاد في زعزعة موقع رئيس الوزراء تفاقم الخلاف بينه وبين وزير حربيته الذي كان احيانا يتجاوز صلاحياته على الرغم من نصيحة السفير البريطاني له "بعدم التدخل في امور لا تخصه"[٩٨] و "الانغماس في امور خارجة عن نطاق مسؤولياته"[٩٩].

وجاء تأليف كتلة ائتلافية في المجلس هدفها عزل[١٠٠] رئيس الوزراء[١٠١] بمثابة خاتمة المطاف بالنسبة لوزارة قوام السلطنة. والاهم من ذلك ان وزير الحربية (رضا خان) "لم يعد مقتنعا بالطريقة التي يعالج بها صاحب السعادة (قوام السلطنة) الامور، وبدأ يبحث عن رئيس وزراء جديد، ولكنه ينتظر عودة جلالة الشاه"[١٠٢].

---

[94] Ibid.

[٩٥] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٥٠.

[٩٦] المصدر نفسه، ص ٥٠،

I.O.R., L/P+S/10/1017, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 1110/77/34, From P. Loraine to Curzon, December 11, 1922, P. 1.

[٩٧] حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج٢، ص ١١٢-١١٣.

[98] F.O., 371/7809, Very Urgent, Tel. No. 369, From P. Loraine to F.O., October 7, 1922, P. 177.

[99] I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, Tel. No. 243 From Minister (Tehran) to Consul (Ahwaz), October 15, 1922, P. 203.

[100] لم يؤيد قوام السلطنة من اعضاء المجلس سوى مدرس الذي كان يشبهه بـ(سيف حاد) لايمكن الاستغناء عنه مطلقا في الحرب. انظر: همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٧.

[101] I.O.R., L/P+S/10/1017, Confidential, British Government Archives, No. I, E 1110/77/34, From P. Loraine to Curzon, December 11, 1922, P. 1.

[102] Ibid.

وعندها لم يبق امام قوام السلطنة سوى تقديم استقالته وفعل ذلك في يوم ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٣.

رغم المركز القوي الذي كان قد وصله رضا خان فانه فضل التريث بعض الوقت قبل الاندفاع نحو الواجهة الامامية للسلطة. وادرك ان وجود وزارة تحظى بدعم العناصر "الديمقراطية الراديكالية" من شأنه تخفيف مشاعر الاستياء التي رافقت قيام الوزارات السابقة المتمثلة بالعناصر الارستقراطية الاقطاعية. فوقع الاختيار على مستوفي الممالك الذي كان يحظى بدعم العناصر اليسارية، واحتفظ رضا خان، كالمعتاد، بوزارة الحربية لنفسه، في حين احتل القوميون معظم الحقائب الوزارية الاخرى. وقد عزمت الوزارة على القيام ببعض الاصلاحات التي من شأنها تخفيف الوضع المتوتر آنذاك. فقد تمت الموافقة على زيادة التخصيصات للميزانية العسكرية للتخلص من الثورات العشائرية[١٠٣]. ولزيادة العائدات الحكومية فرضت ضرائب جديدة على الاراضي الاميرية، ورفعت نسبة الضرائب غير المباشرة[١٠٤].

كما اتخذت بعض الاجراءات لتطوير التجارة، والتخفيف عن الضائقة المالية. فدخلت الحكومة الجديدة في مفاوضات تجارة مع السوفيت لحل بعض القضايا التجارية المعلقة بين البلدين، وتم الاتفاق على افتتاح فرع للمصرف الروسي في طهران[١٠٥]. كذلك صادق المجلس باكثرية (٥٠) صوتا على لائحة تخول الحكومة الايرانية حق المفاوضة مع الشركات الامريكية بشأن امتياز نفط الشمال[١٠٦].

ومن المفيد الاشارة الى ان رضا خان في سعيه الحثيث لتطوير الجيش قدم مشروعا الى المجلس حول فرض الخدمة الاجبارية لمدة سنتين لكل شاب تجاوز الـ (١٨) عاما، الامر الذي اثار الجناح المحافظ في المجلس، لا سيما مدرس[١٠٧].

---

[103] A.Abrahamian, Iran between two Revelutions, P. 131.

[104] Ibid.

[١٠٥] "الاستقلال"، ٢٠ تموز و ١آب و ١٠ ايلول ١٩٢٣، "العراق"، ١ آب ١٩١٣، حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج٢، ص ١٨٢،

R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P.

[١٠٦] "العراق"، ١٦ حزيران ١٩٢٣.

[107] A.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 203-131.

واستغل الاخير[108] الفرصة لاثارة معارضة قوية داخل المجلس، واتهم وزير الحرب نفسه مشيرا الى التلاعبات بممتلكات الدولة والضرائب غير المباشرة التي تفرضها وزارة الحربية، وطالب باستقالة رئيس الوزراء[109].

كذلك لم يخف البريطانيون استياءهم من الوزارة بسبب موقفها من شركات النفط الامريكية، وعلاقاتها مع السوفيت. ففي ٢٠ آذار ١٩٢٣ نزل (٨٠٠) جندي بريطاني في الموانيء الجنوبية، واغتيل عدد من قادة الكتلة الوطنية، لم تكن ايادي عملاء بريطانيا بعيدة عنها، فتفجرت مشاعر الاستياء ضد الانكليز والوزارة في نفس الوقت[110]. وطالب المجلس باكثرية الاصوات حجب الثقة عن الحكومة، وطلب من رئيسها الاستقالة. الا ان الاخير رفض ذلك في بادىء الامر، فيما كان مدرس وكتلته يديرون حملة واسعة ضد مستوفي الممالك داخل المجلس وخارجه، الامر الذي اجبر رئيس الوزراء اخيرا على الاذعان الى طلب المجلس بتقديم استقالته[111]. ولم يكن لرضا خان، الذي كان يأمل في تشكيل الوزارة الجديدة، دور قليل في ذلك[112].

---

[108] كان مدرس مواطنا من اصفهان. درس في مدارسها ثم واصل دراسته في النجف الاشرف. بدأ اولى خطواته السياسية حينما تم اختياره ممثلا عن رجال الدين في اصفهان في المجلس الوطني. واثناء الحرب العالمية الاولى انضم الى حكومة كرمنشاه المؤقتة بصفته وزيرا للعدل. كان من اشد المعارضين لاتفاقية ١٩١٩. وعلى اثر انقلاب ١٩٢١ القي عليه القبض بامر من سيد ضياء الدين. وبعد مغادرته السجن اصبح عضوا في المجلس الوطني الرابع وقاد كتلة المعارضة ضد رضا خان. وعندما تسلم الاخير العرش فرض عليه الاقامة الجبرية منذ عام ١٩٢٧ حتى وفاته في عام ١٩٣٥، في ظروف غامضة. همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٦،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 152.

[109] همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٧،

A.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 131.

[110] مقتبس من: د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص٥١.

[111] "الاستقلال"، ١حزيران ١٩٧٣، همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٧.

[112] حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج٢، ص ٢٣٥. ويذكر المؤلف نفسه في كتابه انف الذكر ص ٢٣٦ ان العديدين نصحوا احمد شاه بتكليف رضا خان بتشكيل الوزارة الجديدة، الا انه، وخشية من نفوذه الذي كان يتزايد يوما بعد يوم، رفض هذا الرأي.

شكل مشير الدولة الوزارة الجديدة في ١٦ حزيران ١٩٢٣، والتي احتفظ فيها رضا خان بمنصبه كوزير للحرب الى جانب عدد من العناصر القومية. وقد حصلت الوزارة على ثقة المجلس الذي شارفت دورته الرابعة على الانتهاء[113].

لم يكن الوضع الذي واجهته الوزارة الجديدة بافضل من سابقتها. فقد ظل الوضع السياسي متوترا، وشهدت العاصمة طهران والمدن الايرانية الاخرى سلسلة من التظاهرات الجماهيرية التي طالبت بالغاء الوجود البريطاني[114]. وكما مر بنا لم يكن للوضع القلق السائد آنذاك تأثير قليل في زيادة مشاعر استياء الايرانيين من النفوذ البريطاني في بلادهم، لا سيما بعد وصول عدد من رجال الدين الشيعة العراقيين الذين نفتهم بريطانيا الى ايران[115].

وبدا حينذاك "ان شؤون ايران قد وصلت الى نقطة الانعطاف"[116] حسبما جاء في وثيقة بريطانية. واضطر السفير لورين الى ترك مقر عمله في طهران رغم محاولات رئيس الوزراء الطلب من بريطانيا" التريث ومنحه الفرصة لحسم جميع المشاكل المعلقة بين الحكومتين... بعد الانتهاء من المشاكل الحالية"[117].

لم يكن بامكان مشير الدولة الاستمرار في الحكم في ظل تلك الاجواء. وكانت تكهنات السفير البريطاني لورين في محلها عندما توقع عدم بقاء وزارة مشير الدولة طويلا، فقد كتب الى كرزن يقول: "في هذا البلد يكون من النادر ان يتنبأ احد عما سيحدث. على اية حال، انا واثق بان الوقت لن يطول لتأتي حكومة ايرانية

---

[113] D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 70.

[114] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص٥١.

[115] I.O.R., L/P+S/10/1017, From British Consulate General (Meshed) to P. Loraine, December 26, 1922, P. 1; F.C., 371/19025, E 1165, The Political Situation on Persia, 7 DEC, 1923, P. 136.

[116] F.O., 371/19025, E 1162, The Political Situation in Persia, 7 DEC, 1923, P. 136.

[117] F.O., 371/9025, Tel. No. 376, From P. Loraine to F.C., November 18, 1923, P. 120.

د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٥١.

لمساعدتنا. واذا ما حدث ذلك فسوف يكون من الطبيعي ان ابدي لها ترحيبا وديا شرط ان تقدم بعض البراهين الموثوقة تجاهنا"[١١٨].

وكانت تلك (البراهين) تتمثل في "حكومة مركزية قوية وثابتة تتمكن من مواجهة التغلغل الروسي وانتشار الدعاية الشيوعية وتحفظ النظام والقانون عبر الطرق التجارية وفي الحقول النفطية... وتوقف كل النشاطات المناهضة لبريطانيا من قبل العلماء والصحف"[١١٩]، وتحسم "بعض القضايا المعلقة بينها وبين حكومة صاحب الجلالة... حول تصفية الديون المالية"[١٢٠]. ولم ينس السفير البريطاني ان يؤكد "بان رضا خان يتجه نحو تحقيق تلك الاهداف"[١٢١].

ويبدو ان الوقت لم يطل حقا بلورين، فقد كان رضا خان يقف مستعدا لتسلم المهمة الجديدة. ولم يكن اما مشير الدولة، الذي اتهمه رضا خان باشتراكه في تدبير مؤامرة ضده، سوى التقدم باستقالته الى الشاه في يوم ٢٢ تشرين الاول ١٩٢٣ على الرغم من محاولات الاخير لحمله على البقاء في منصبه[١٢٢].

لقد كان الوضع السياسي للبلاد حينذاك غامضا. فقد حل المجلس الرابع "الذي كان يضم كتلة من الامراء والعلماء والمعارضين الذين اثبتوا مهارتهم في اللعبة السياسية، ولم يعملوا شيئا لازالة آثار النظام الفاسد"[١٢٣].

---

[118] F.O., 371/9025, Copy, E 9760/77/34, From P. Loraine to Curzon, October 1, 1923, P. 27.

[119] F.O., 371/19025, E 11626, The Political Situation in Persia, December 7, 1923, P. 142.

[120] F.O., 371/9025, Copy, E 9760/77/34, From P. Loraine to Curzon, October 1, 1923, PP. 27-28.

[121] F.O., 371/19025, E 11626, The Political Situation in Persia, December 7, 1923, P. 142.

[122] J. M. Upton, OP. Cit., P. 47.

ومن الجدير بالذكر ان "رضا خان اتخذ من ذلك ذريعة لالقاء القبض على عدد من خصومه السياسيين، من بينهم قوام السلطنة. للتفصيل عن ذلك راجع: "الاستقلال"، ١٢ تشرين الاول ١٩٢٣،

D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 70.

[123] F.O., 371/19025, E 11626, The Political Situation in Persia, December 7, 1923, P. 137.

اما موقف الصحافة والرأي العام فقد كان متذبذبا وغير مستقر[١٢٤]. فقد كان "الديمقراطيون" منقسمين على انفسهم، و "غير متجانسين"، فيما اكتفى "الاشتراكيون" باتخاذ موقف سلبي تجلى في "عدم التعاون مع الحكومات الجائرة"، وظلوا يتخبطون في متاهات الشعارات فقط"[١٢٥]. في حين ان المعارضة التي كان من المتوقع ان يثيرها رجال الدين في المجلس ضد تفرد رضا خان بالسلطة، لم يقدر لها الظهور بسبب حل المجلس[١٢٦]. ورغم وجود العديد من الاسماء المرشحة لتولي مسؤولية الحكم فانه، على ما يبدو، لم يكن احد منهم راغبا في تحمل اعباء تلك المرحلة العصيبة، فيما كان رضا خان يوالي صعوده رغم النكسات العرضية التي كان يتعرض لها بين الحين والاخر من خصومه ومنافسيه. وبدا واضحا انه لم يبق في الميدان "فارس" يستطيع الامساك بزمام الامور غير "رضا خان"، واضطر الشاه، الذي لم يكن ميالا لرضا خان، وعلى مضض[١٢٧] منه الى تكليفه بتشكيل الوزارة المقبلة بعد ان "صفيت الخلافات بينهما"[١٢٨]. وكانت تلك الخطوة "خيارا منطقيا" بعد ان كان رضا خان طوال السنوات الثلاث الماضية يدير سياسة الدولة من وراء الستار"[١٢٩].

وهكذا استفاق الجميع على خطر دكاتورية عسكرية كان رضا خان قد بدأ الخطوة الاولى لوضع البلاد على اعتابها منذ وقت ليس بالقصير. ورغم محاولات الجميع استباق الزمن، ومنع رضا خان من تحقيق اهدافه، فان الوقت كان قد افلت من

---

[124] Ibid.

[125] Ibid.

[126] Ibid.

[١٢٧] ذكر السفير البريطاني لورين في برقيته الى وزير الخارجية بانه تدخل لدى الشاه لتعيين رضا خان رئيسا للوزراء بعد ان اكد له حسن نوايا الاخير تجاهه. وضمنت هذه الخطوة، حسبما اضاف لورين، مجيء رئيس وزراء مؤيد للسياسة البريطانية. للتفصيل انظر:

F.O., 371/9025, Confidential, Tel. No. 349, E 10570, From P. Loraine to F.O., October 29, 1923, P. 83.

[128] F.O., 371/9025, Tel. No. 313, From P, Loraine to F.O., October 3, 1923, P. 31;

"العراق"، ١٥ آب ١٩٢٣.

[129] Robert Graham, OP. Cit., P. 54.

ايديهم، فقد كانت القوة التي تقف وراء رضا خان للسلطة متقنة لكل الحيل، فرضا خان لم يخدع ولم يبطىء من تقدمه. ولم يكن "مجرد" بهلوان متميز" كما توهم الكثيرون في البداية حسب تعبير بزهان جازاني[١٣٠]. فقد كانت قوته تتصاعد يوما بعد يوم، وعمل على تقوية مكانته الشخصية بشتى وسائل الترهيب والترغيب، واصبح اكثر قسوة تجاه خصومه ومعارضيه الذين القى بهم في خضم الفوضى [١٣١]. واثناء ذلك كانت النخبة السياسية التقليدية قد بدأت تنسحب من الميدان رويدا رويدا "فقوام السلطنة ووثوق الدولة غادرا الى المنفى ولا احد منهم يجرؤ على العودة الى البلاد بوجود رضا خان. مشير الدولة ونصرت الدولة، عم الشاه، غادرا الى اوربا، ولم يكن هناك ما يشير الى نيتهم بالعودة قريبا الى البلاد. فرمان فرما وعائلته باقون في ايران، ولكنهم مختفون عن الانظار. ورؤساء العشائر لم يعودوا متنفذين كما كانوا في السابق"[١٣٢]. فيما كان رضا خان يخطو، وبثقة متناهية، خطواته على درب الوصول الى العرش، ذلك الدرب الذي لم يكن معبدا فقط بالعنف والارهاب، بل ايضا بالعداوات المفتوحة مع مجموعات عديدة"[١٣٣]. وكانت تلك الخطوات بداية لتحقيق "انقلابه الثاني" الذي حظي (بمباركة) الانكليز. ففي البرقية التي ارسلها تشرشل الى لورين ذكر الاول ما نصه: "نأمل ان ينجح رضا خان في انقلابه (الثاني)، واذا ما بين نحونا عواطفه الودية، فانه يستحق منا كل

---

[130] B. Jazani, OP. Cit., PP. 112-113.

[١٣١] على الرغم من تعدد خصوم ومنافسي رضا خان، فانه كان يحظى باعجاب العديد منهم الذين رأوا في مزاياه الشخصية، والمنجزات الايجابية التي حققها في وقت قصير، لاسيما بعد الانقلاب على صعيد توحيد البلاد والقضاء على الحركات العشائرية ونفوذ الخانات الاقطاعيين امورا جديرة بالتقدير، فلاعجب ان نجد مدرس، العدو والمنافس اللدود لرضا خان يصرح في احدى المناسبات بانه لم يبق في البلاد سوى رجلان يتمتعان بالشجاعة السياسية والرجولة هما رضا خان وهو. انظر" همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٥.

[132] F.O., 371/19025, E 11626, The Political Situation in Persia, December 7, 1923, P. 140.

[١٣٣] مقتبس من:

E.Abrahamian: Iran between two Revolutions, P. 120.

مساعدة وحسب تمكننا... ان انقلابه يجب ان يحدث عفويا... نحن لسنا متضايقين من مجيء رضا خان الى السلطة"[١٣٤].

فقد توقع تشرشل ان "يؤسس رضا خان دكتاتورية عسكرية، ويجمد المجلس، ويغلق الصحف المحلية وبذا تنتهي مشاكل السير برسي لورين"[١٣٥]. وقد نجح رضا خان في تحقيق ذلك فعلا في السنوات اللاحقة.

فمنذ البداية كان رضا خان قد اخبر لورين "بانه سيعمل بايد ايرانية، اي خلق جيش قوي واعادة النظام وضمان استقلال ايران، في حين كان يرغب البريطانيون العمل بايد بريطانية، ويأمل (رضا خان) مقابل ذلك ان تتحلى بريطانيا بالصبر، وتتجنب التدخل"[١٣٦].

الف رضا خان وزارته الاولى في ٢٩ تشرين الاول ١٩٢٣ واختار، بذكاء، عناصر وزارته من بين الليبراليين القوميين كسليمان اسكندري رئيس "الحزب الاشتراكي"، وذكاء الملك (فروغي) من "حزب التجدد" وعناصر مستقلة اخرى كمصدق السلطنة وصور اسرافيل[١٣٧]. ومنذ اليوم الاول لتشكيل الوزارة طرح برنامجا مكثفا للاصلاحات واعلن ان ايران قد سقطت في هوة بسبب فقدان الامن والاستقرار الداخلي، ودعا الى الاعتماد على النفس ووضع حد للاعتماد على الاجانب الذي يجب ان "يتوقف فورا والى الابد"[١٣٨]. وحصل على مصادقة البرلمان على قانون التجنيد الاجباري، وقلص من نفقات البلاط، واعلن عن الغاء الالقاب الارستقراطية التي حصل عليها بعض الافراد لاعتبارات اجتماعية[١٣٩]. ولم يمر وقت

---

134 F.O., 371/7809, Tel. No. 73, From P. Loraine to F.O., October 7, 1922, P. 176.

135 Ibid.

136 G.Waterfield, OP. Cit., P. 74.

137 F.O., 371/19025, E 11626, The Political. Situation in Persia, December 7, 1923, P. 140;

"العالم العربي"، ١٦ نيسان ١٩٢٤،

E.Abrahamian Iran between two Revolutions, P. 132.

١٣٨ ميشال سليمان، المصدر السابق، ص ١٩،

D.N.Wilber, Contemporary Iran, P. 70.

139 E.Abrahamian Iran between two Revolutions, P. 132.

طويل حتى غادر الشاه، الذي كان متيقظا جدا لطموحات رضا خان، وخائفا على عرشه وحياته حسبما ذكر السفير لورين، الى اوربا بقصد "السياحة والعلاج"[١٤٠]، وبعد ان توقع لورين "بان لا يبقيا اصدقاء لمدة طويلة"[١٤١]. وعين اخاه وصيا على العرش، واخذ رضا خان تعهدا من الوصي، الذي كان اضعف من ان يستطيع الامساك بزمام الامور في تلك الفترة العصبية، بعدم التدخل في شؤون الدولة[١٤٢]. ومن المفيد الاشارة الى ان لورين عبر عن سروره البالغ بذلك "لانه توقع منذ البداية ان يكون رضا خان هو الحصان الرابح"[١٤٣].

اما انتخابات المجلس الخامس فقد شارفت على نهايتها، واستطاع رضا خان بشتى السبل والوسائل ان يضمن الاغلبية لمؤيديه. فقد كانت عملية التلاعب بالانتخابات والاساليب القسرية في فرض مرشحي السلطة واضحة للعيان، بل انه لم يتوان عن استخدام الجيش لارهاب الناخبين وخاصة في المناطق القبلية[١٤٤]. ففي كيلان، مثلا، ابعد مرشحو الجناح اليساري للقوميين كما اجبر كثير من البسطاء على التصويت لمرشحي السلطة تحت تهديد فرض الغرامة عليهم، كما منعت كثير من القبائل الرحل من العودة لمواطنيها لتحول دون اشتراكها في التصويت[١٤٥].

وسعى رضا خان، بعد ذلك، الى شراء ذمم العديد من اصوات المعارضة من السياسيين والصحفيين. فعمدت الصحف التي كانت تهاجمه حتى الامس القريب الى تدبيج المقالات في مدحه، ودأب الشعراء والكتاب رهبة او رغبة في كيل المديح له

---

[140] F.O., 371/9025, E. 10586, Tel. No. 350, From P.Loraine to F.O., October 29, 1923, P. 28;

"المفيد" (جريدة)، بغداد، ١٨ حزيران ١٩٢٥،

Paul Balta et, Claufine. Rulleau, OP-Cit., P. 114, G Waterfield, OP. Cit., P. 81.

[141] F.O., 371/9025, Tel. No. 313, From P. Loraire to F.O. October 3, 1923, P. 31.

[142] M.S. Ivanov, OP. Cit., P. 305.

[143] G. Waterfield, OP. Cit., P. 82.

[144] M.S. Ivanov, OP. Cit., P. 308; R. Cottam, OP. Cit., P.48; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 132.

[١٤٥] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٥٢.

جزافا، وغدوا يصورونه للجميع على انه "البطل المنقذ" لايران و "رجل الساعة" وأوصاف ونعوت شتى لا حصر لها[١٤٦].

وهكذا، وبعد ان مارس رضا خان لعبته السياسية مع الجميع، المحافظين، والمجددين، شرع، وبعد ان وجد في نفسه القدرة اللازمة، في العمل لازاحة العائلة القاجارية. ولم يتوان اعوانه عن تولي "المهمة" الجديدة، فبدأت الاصوات تتعالى وتنادي بشيء جديد لم تألفه البلاد من قبل، واخذت الدعوة (للجمهورية) تنتشر في كل مكان، والبرقيات تتوالى من مختلف انحاء البلاد وكلها تدعو لانشاء الجمهورية وازاحة العائلة القاجارية التي لم تجلب لايران سوى الذل والهوان. وتألفت جمعيات كانت مهمتها ابراز فضائل النظام الجمهوري، وتوافد العديد من سكان الاقاليم الى العاصمة وهم يتظاهرون من اجل الجمهورية[١٤٧].

وفي خضم تلك الاحداث بدأت الصخف تدلو بدلوها ايضا في الحملة الجديدة، فغدت تنشر المقالات التي تنتقد الشاه والعائلة المالكة، وتنكر على الشاه سفراته المتواصلة الى الخارج واهماله لشؤون البلاد[١٤٨]. فكتبت جريدة "ستاره ايران" مقالا افتتاحيا اكدت فيه: "ان المطالبة بالنظام الجمهوري هي فكرة عامة، ومبدأ اعتنقه جميع ابناء هذه البلاد"[١٤٩]. وفي مقال اخر ذكرت "ان الحكم الجمهوري هو انسب حكم يتفق مع الدين الاسلامي رغما عما يتقوله المدعون بالعلم ممن هم فئة قليلة ذات رواتب يريدون المحافظة على مراكزهم بهذه الواسطة" و " انه (الحكم الجمهوري) الاداة الوحيدة لانهاض الشعوب والذي لم تنهض اوربا الا بواسطته"[١٥٠].

---

[١٤٦] همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٧،

D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, PP. 75-76.

[١٤٧] "الاستقلال"، ٢١ آذار ١٩٢٤، "العراق"، ٨ كانون الثاني و ١ نيسان ١٩٢٤، "العالم العربي"، ٢٧ نيسان ١٩٢٤، محمد صبيح، المصدر السابق، ص ١٠٨،

Homa Katozain, The Political Economy of Modren Iran 1926-1979, London, 1981, P. 89; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 76; D.N.Wilber, Contemporary Iran, P. 71; M.S. Ivanov, OP. Cit., P. 308.

[١٤٨] "العراق"، ٥ آذار ١٩٢٤، "العالم العربي"، ٢٧ آذار و ٤ تموز ١٩٢٤، ملك الشعراء بهار، تاريخ مختصرى احزاب سياسى، ص ١٩٢.

[١٤٩] مقتبس من: "العالم العربي"، ١٥ آيار ١٩٢٤.

[١٥٠] مقتبس من: "العالم العربي"، ٢٣ نيسان ١٩٢٤.

وكتبت جريدة "شفق سرخ" تقول: "ان ايران تنحو منحى الدول الاخرى نحو الجمهورية، كالمانيا والنمسا اللتين غدتا جمهوريتين، وان ايران تتشوق كثيرا للجمهورية"[١٥١]. اما مجلة "ايران شهر" فقد كتبت في افتتاحية لها بعنوان "الجمهورية والثورة الاجتماعية": "اليوم نجد تقريبا كل اوربا، بما في ذلك روسيا، قد تبنت نظام الحكم الجمهوري، ولا شك لدينا في ان نظام الحكم الجمهوري هو افضل انظمة الحكم في الزمن المعاصر. وفي حين لا تساورنا الشكوك حول الجمهوريين والجمهورية، نقول ان الجمهورية ليست نهاية بحد ذاتها، ولكنها وسيلة لهدف اعلى — هدف القضاء على الاستغلال والاستبداد الامبراطوري والديني... بهدف قيادة الجماهير الى الثورة الاجتماعية"[١٥٢].

وما لبثت تلك الصحف، ولغرض مبيت، ان بدأت تنشر الاخبار عن اتصالات احمد شاه مع الشيخ خزعل وتحريض الاخير له ضد الحكومة المركزية[١٥٣]. وتمادت الصحف اكثر في حملاتها ضد احمد شاه حينما اخذت تنتقد علنا تصرفاته في الخارج التي لا تتناسب ومقامه الدستوري، فنشرت احدى الصحف صورة لاحمد شاه في باريس مرتديا قبعة قش اوربية ومحاطا بالفرنسيات. وكتبت الجريدة تحت الصورة: "هل يستحق هذا الشاه الركوع امامه"[١٥٤]. وبدأت الحملات الصحفية تشتد شيئا فشيئا وكلها تنتقد العائلة القاجارية وتذكر مثالبها وتطعن في شرعية حكمها للبلاد، وفي الوقت نفسه تبرز فضائل رئيس الوزراء رضا خان، ودوره في خدمة البلاد واهتمامه بشؤونها.

---

[١٥١] مقتبس من: محمد حسن اديب هدوى خراسانى، تاريخ بيدايش مشروطيت ايران، تهران، ١٩٥٣، ص ٤٢٨.

[١٥٢] مقتبس من:

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P.133.

[١٥٣] "العراق"، ٢٤ تشرين الاول ١٩٢٤،

M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 309; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 134.

[١٥٤] د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٥٢، محمود العابدي، المصدر السابق، ص ٣٧-٣٨،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 134.

في خضم تلك الحملات كان رضا خان يتظاهر باتخاذ موقف حيادي، وانه يترك تقرير الامور لابناء الشعب، ولم يشأ منذ البداية ان يكشف عن اوراقه بسرعة بانتظار ما ستسفر عنه الاوضاع التي كانت تتأزم بسرعة.

وسرعان ما امتدت الحملة من الصحف الى المجلس فقرر اعضاء حزب "التجدد" الذي كان في الواقع حزب رضا خان يؤيدهم "الاشتراكيون" الذين استطاع رضا خان كسب زعيمهم سليمان مرزا حينما ضمه الى اول وزارة شكلها، التقدم بمشروع قانون يهدف الى خلع الاسرة. في خضم تلك الاحداث، اتصلوا بالمفوضية البريطانية في طهران محاولين الحصول على دعم الانكليز لمشروع الجمهورية مقابل تقديم تسهيلات نفطية لهم وافشال المفاوضات النفطية التي كانت تجري بين شركات نفطية امريكية والحكومة الايرانية. الا ان الانكليز اصروا على تحقيق المطالب الانكليزية في ايران وهي "الاعتراف" الايراني بوجود (٢١) مليون باون من الديون غير الثابتة لبريطانيا، والسماح للانكليز بالتنقيب النفطي في بحيرة اورمية، وتقديم تسهيلات مصرفية"[١٥٥]. كما ان المناقشات كانت قد جرت داخل مجلس العموم البريطاني حول الضمانات التي ينبغي على الحكومة الايرانية تقديمها في حالة اعتراف الحكومة البريطانية بالحكم الجمهوري المزمع قيامه في ايران[١٥٦].

كان من الطبيعي جدا ان يعلن كبار رجال الدين معارضتهم للمشروع، لا سيما وان الحملة من اجل الجمهورية كانت تستهدف الحد من نفوذهم الى حد كبير، اضافة الى ان التطورات التي كانت تجري في تركيا آنذاك، وما رافقها من الغاء الخلافة واعلان علمانية الدولة، كلها اثارت مخاوفهم، مما جعلهم يقاومون الدعوة للجمهورية بضراوة[١٥٧].

---

[١٥٥] "الاستقلال"، ٢١ آذار ١٩٢٤،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 182; E.Abrahamian, The Crowd in Iranian Political, P. 188.

(في الترجمة العربية ص ٢٣٥-٢٣٦).

[156] F.O., 371/10145, :Translation From the Izvestiye" of March 14, 1924, P. 82.

[157] F.O., 371/10145, E 2331, Parliamentary Question, March 21, 1924, P. 36.

تحدد يوم ٢١ نوروز عام ١٩٢٤، اي مطلع السنة الايرانية الجديدة لاعلان النظام الجمهوري، وقد سبقته اجتماعات في المجلس لمناقشة قرار خلع الاسرة القاجارية. ومن المفيد الاشارة الى ان المجلس الخامس كان يهيمن عليه انصار رضا خان، فكان "حزب التجدد" يستحوذ على اربعين مقعدا، و "الاشتراكيون" بين ستة عشر وسبعة عشر معقدا. اما المعارضون، وبضمنهم رجال الدين بزعامة مدرس[١٥٨]، فكانوا يحتلون اربعة عشر مقعدا[١٥٩].

اجتمع المجلس عدة جلسات، وبدا واضحا كما لو ان مناصري الجمهورية سيفوزون بمبتغاهم، الا ان المشروع احبط للمعارضة القوية التي جوبه بها من قبل مناهضي الحركة الجمهورية، فضلا عن ان الشارع الايراني كان يغلي كالمرجل بالتظاهرات واعمال الشغب والحشود التي تألفت من كلا الجانبين، الجمهوريين والملكيين[١٦٠]. فقبل ثلاثة ايام من انعقاد المجلس للبت في مسألة الجمهورية احتشد حوالي ثمانية الاف من زعماء النقابات من انصار الملكية الذين نظموا اضرابا عاما في السوق، ومن ثم توجهوا نحو المجلس ليقدموا لاعضائه التماسا للسماح لهم بالتكلم في المجلس[١٦١]. وفي الوقت نفسه كان كبار رجال الدين ولا سيما مدرس، يلقون الخطب والتصريحات التي تمجد الملكية وتستقبح الجمهورية. وفي احدى الخطب

---

[١٥٨] للتفاصيل راجع"

Nikki, R. Kddie, Iran: Religon, Political and Society, P. 100; Mohammad Riza Pahlavi, Mission for my Country, P. 39; W.H.Forbis, OP. Cit., P. 43; S. Irfani, OP. Cit., P. 63.

[159] G.Hossein Razi, Genesis of Party in Iran: Acase Study of the Interaction between the Political system and Political Parties, “Iranian Studies”, P. 68.

[١٦٠] "الاستقلال"، ٢٥و ٢٦ آذار ١٩٢٤، كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص ٧٩٣-٧٩٤، E.Abrahamian, The between two Revolutions, PP. 133-134; E.Abrahamian, The Crowd in Iranian Political, P. 200.

همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٨.

[161] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, PP. 133-134. E.Abrahamian, The Crowd in Iranian Political, P. 200

; D. N. Wilber, Contemporary Iran, P.71. (في الترجمة العربية، ص ٢٤٨).

اعلن مدرس "ان اي اعتداء على الملكية هو اعتداء على الشريعة المقدسة"[١٦٢]. وقد بدأ مدرس وانصاره بشن حملة تقريع واسعة ضد رئيس الوزراء الذي اتهموه بالتجاوز على الدستور والملكية الدستورية واهانة المجلس، وقدموا الى المجلس اقتراحا بالحد من تدخلات رئيس الوزراء، الا انه لم يصادف نجاحا وذلك لان اغلبية المجلس كانت مؤلفة من انصار رضا خان، فضلا عن ان قسما من الاعضاء تخوفوا من انتقام رضا خان[١٦٣]. وكانت الحادثة التي زادت فتيل المظاهرات اشتعالا حينما تناهي الى سمع المحتشدين امام بناية المجلس خبر ضرب مدرس، والذي يبدو، كما تؤكد ارجح المصادر، انه كان مفتعلا من قبل مدرس نفسه لاسباب معلومة، من قبل احد اعضاء المجلس (الجمهوريين) فخرجت مسيرات جماهيرية حاشدة ضمت حوالي ٣٠ الف شخص تجمعوا في ساحة بهارستان وهي تهتف: "نريد الاحتفاظ بدين آبائنا، لا نريد جمهورية، نحن اهل القرآن، لانريد جمهورية"[١٦٤].

ولم يقف (انصار) الجمهورية مكتوفي الايدي، فقد نظم نحو ثلاثمائة من ذوي "القمصان الحمر" مظاهرة مضادة برعاية "حزب التجدد" و "الحزب الاشتراكي"، كان من ضمنهم بعض موظفي الحكومة الذين اعطوا اجازة لذلك اليوم لكي يتسنى لهم "التعبير" عن تعاطفهم مع الجمهورية[١٦٥]. واثناء ذلك كان رضا خان قد وصل الى بناية المجلس، وعندما رأى تلك الجموع المحتشدة امر حرس المجلس بتفريقها، مما ادى الى هياج المحتشدين، فحدثت اشتباكات جرح فيها بعض المتظاهرين وسمعت طلقات نارية خارج بناية المجلس، وحدث تراشق بالحجارة، بل ان

---

[162] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, PP. 133-134.

[١٦٣] همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٨،

H. Katouzain, OP. Cit., P. 90.

[١٦٤] "العراق"، ١نيسان ١٩٢٤، طلال مجذوب، المصدر السابق، ص ٢٩٤، همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٨،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 134;, في الترجمة العربية، ص ٢٤٩ ; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 78.

[165] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 134; E.Abrahamian, The Crowd in Iranian Politics, P.200. (وفي الترجمة العربية ص ٢٤٩) ; H.Katouzian, OP. Cit., P. 84;

رضا خان نفسه امطر بقسم منها، وجرى اعتقال قسم من المتظاهرين[١٦٦]. وقد اثار تصرف رضا خان بدخوله المجلس واعطاء اوامره للجند لتفريق المتظاهرين، حنق رئيس المجلس الذي استشاط غضبا بسبب انتهاك الجنود لحرمة المجلس، ودخل في جدال مع رضا خان الذي ترك المكان غاضبا الى خارج بناية المجلس[١٦٧].

ادرك رضا خان، الذي كان يراقب الموقف عن كثب، ان الامور قد تتكور بشكل قد يقلب كل مخططاته، لاسيما وان موقف الجيش لم يكن محسوما حسبما تؤكد المصادر البريطانية الموثوقة، فعلى الرغم من تأييد القوزاق لموضوع الجمهورية، فأن قوات الجندرمة، وبخاصة كتيبة اراك التي كان يقودها الجنرال جان محمد، كانت "تبدي معارضة شديدة للجمهورية... وهي باقية في المعسكرات بانتظار اية تطورات اخرى"[١٦٨]، في حين ان موقف عناصر الجيش في الاقاليم لم يكن حاسما وان كان "من المحتمل انهم يساندون رضا خان"[١٦٩]. عندئذ قرر الاخير الدخول في مساومة مع قادة المعارضة، وبعد مناقشات مستفيضة اتفق الطرفان على ان يتنازل رضا خان عن فكرة الجمهورية مقابل ان يمنحوه تأييدهم الكامل[١٧٠]. وفعلا ظهرت نتائج المساومة بسرعة، فقد اوعز رضا خان الى اعوانه في المجلس، وهم الاغلبية، بان يسحبوا مشروعهم المقدم الى المجلس لاعلان الجمهورية، واطلق سراح (٢٠٠) من المتظاهرين. وفي الوقت نفسه وعدته المعارضة بالا تقوم باية دعاية لاحمد شاه وللملكية القاجارية[١٧١].

---

166 همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٢٩٤.

167 D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 78; H. Katouzain, OP. Cit., P.89; R.Cottam, OP. Cit., P. 127;

همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٨.

168 F.O., 371/10145, Sector, Tel. No. 14, From P. Loraine to the War Office, March 27, 1924, P. 72.

169 Ibid.

170 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 134; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 79.

171 D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 79; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 134.

لم تنطل مناورات رضا خان على الكثيرين، لاسيما المثقفين الذين ساندوه في البداية، وادركوا ان كل تلك الضجة المفتعلة حول الجمهورية كانت الخطوة الاولى لتحقيق طموحات رضا خان في الحكم، وبدأ العديد منهم ينفضون من حوله، لاسيما بعد ان وجه رضا خان ضربات ماحقة للحركة الوطنية في البلاد، فاخمد بعضها بقسوة، واستطاع شل بعضها الاخر لحين من الوقت، الامر الذي اثار استياء العناصر الديمقراطية. فعلى سبيل المثال كتب الشاعر والصحفي عشقي مير زادة على صفحات جريدة "قرن بيستوم" (القرن العشرين) مقالات شديدة اللهجة ضد رئيس الوزراء، ونظم قصيدة حول الاحداث الاخيرة في المجلس قال فيها عن رضا خان بكثير من التهكم "ليس بالورود قذفوه بل بالحجارة" مما كانت سببا رئيسيا في اغتياله فيما بعد على يد "مجهول"[١٧٢]. وقد اشترك في تشييعه ثلاثون الف مواطن، وجرت اشتباكات بينهم وبين الشرطة، جرح فيها بعضهم واعتقل بعضهم الاخر[١٧٣].

وبمناسبة ذكرى مقتل خياباني المأساوي نشر ملك الشعراء بهار قصيدة ابنه فيها بقوله: "اذا ما بدأ دم (خياباني) البريء بالفوران، فان ايران برمتها سترتدي كفنا احمر"[١٧٤].

كان لابد لرضا خان من اتخاذ خطوة اكبر باتجاه المساومة مع كبار رجال الدين لاسيما وان رصيد حزبه في المجلس (التجدد) كان اخذا بالهبوط[١٧٥]. فاعلن فجأة عن عزمه على زيارة قم والالتقاء بكبار رجال الدين هناك، وبعد مداولات طويلة ومساومات من كلا الطرفين رجع رضا خان الى طهران حيث نشر بيانا مطولا جاء فيه: "ايها المواطنون: اثبتت التجربة ان على رجال الحكم ان لا يعترضوا على الرأي العام. ولهذا السبب فان الحكومة الحالية لم تقف يوما ضد مشاعر الشعب. ان هدفي هو حماية الاسلام وعزه وصون استقلال ايران ومصالح الوطن والامة. وان من يقف

---

[١٧٢] للتفاصيل عن ذلك راجع: "الاستقلال"، ١٩ آب ١٩٢٤، "العراق"، ٤تشرين الاول ١٩٢٤، حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، ج٢، ص ٣٦٥،

H.Katouzain, OP. Cit., P. 89; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 87.

[173] H.Katouzain, OP. Cit., P. 89; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 87.

[١٧٤] مقتبس من: همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٤.

[١٧٥] "الاستقلال"، ٢٤ آذار و ٢١ آب ١٩٢٤.

ضد هذه الاهداف سوف يعتبر عدوا للبلاد وسوف يعاقب بشدة... وعندما زرت قم تبادلت الرأي مع القادة الدينيين وارتأينا ان من الافضل لمصلحة البلاد صرف النظر عن فكرة الجمهورية. وان الجهود يجب ان توجه نحو الاصلاحات... وتحقيق استقلال البلاد"[١٧٦].

وكانت خطوات الطرف المقابل بمستوى المساومة، فقد نشر اربعون من كبار الساسة اليمينيين، والذين كانوا معارضين لرضا خان، بيانا اعربوا فيه عن تأييدهم له[١٧٧]. وفي الوقت نفسه بدأت الصحف، التي كانت حتى الامس القريب تطبل للجمهورية، تنشر المقالات التي تطعن في النظام الجمهوري وعدم ملائمته لوضع ايران في المرحلة الحاضرة[١٧٨].

لقد رأت المعارضة ان اخفاق دعوة الجمهورية كانت ضربة ساحقة لنفوذ رضا خان السياسي، ولم يدر بخلدها ان الانسحاب التكتيكي لرئيس الوزراء من ساحة المواجهة، وفي وقت مبكر، كان مناورة ذكية منه بعد ان ادرك ان موازين القوى لن تكون في صالحه اذا ما استمر في دعم المنادين بتحقيق الجمهورية. ويبدو ان المعارضة، ولاسيما مدرس، قد افرطت كثيرا في ثقتها بالنجاح الذي حققته في افشال الحركة الجمهورية، وتلك كانت غلطتها القاتلة، فقد شرع رضا خان يعد لجولة جديدة في صراعه ضد خصومه ظهرت آثارها في الاحداث اللاحقة.

في صبيحة ٧ نيسان ١٩٢٤ استدعى رضا خان بعض وزرائه، وعدد من كبار الضباط، وبعد ان تحدث طويلا عن منجزاته وخدماته للبلاد، اعلن عن عزمه على الاستقالة من مناصبه والذهاب الى كربلاء والنجف، وقد حاول الوزراء والضباط اقناعه بالتراجع عن فكرته، الا انه رفض ذلك بيد انه، ونزولا عند رغبتهم، قرر مغادرة طهران والذهاب الى قرية رودهان التي تبعد ٢٨ ميلا عن طهران[١٧٩]. ولم

---

[١٧٦] للتفاصيل راجع: تاريخ بيست ساله ايران، ج٢، ص ٣٤٣-٣٤٤،

D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 79.

[١٧٧] محمد صبيح، المصدر السابق، ص ١٠٨،

"The Near East", No. 688-Vol. XXVI, July 17, 1924, P. 58.

[178] O.S.Melikov, OP-Cit., P. 78.

[179] F.O., 371/10145, Tel. No. 107, E 3138, From Ovey to F.O., April 7, 1924, P.89;

ينس قبل مغادرته ان يبعث برسالة الى رئيس المجلس[180] والى قادة الجيش يسلمهم (الامانة) حيث ذكر في ختام رسالته لهم "استودع الجيش اليكم واستودعكم الله"[181].

وفي اليوم نفسه عقد المجلس اجتماعا رجا فيه رضا خان العودة عن قراره. واثناء انعقاده استلم المجلس برقية من احمد شاه يعلن فيها عن سحب ثقته من رضا خان[182]. وبعد مناقشات مطولة بعث رئيس المجلس ببرقية جوابية الى احمد شاه تحمل تواقيع (٦٨) عضوا من المجلس يعلنون فيها ثقتهم المطلقة برضا خان[183].

ويبدو انه كان هناك اعتقاد بين العديد من الساسة بان البلاد لا زالت بحاجة الى رضا خان في تلك الظروف، لذا قرر المجلس تشكيل لجنة ضمت (١٢) عضوا من بينهم مستوفي الممالك ومشير الدولة ومصدق السلطنة، زاروا رضا خان وحثوه على استئناف عمله في طهران[184].

وفي الوقت نفسه كان قادة الجيش قد اعلنوا عن عزمهم على الزحف الى العاصمة مالم يتم عودة قائد الجيش الى تولي المسؤولية من جديد[185]. بل ان قائد القوات الغربية امير اقتدار اعطى مهلة (٤٨) ساعة للمجلس ليعيد النظر فيما اذا كان سيتعاون مع "السردار سبة" (قائد الجيش) او لا، والا فانه سيزحف بقواته الى

محمد جواد مشكور، تاريخ ايران زمين از روزكار باستان تا عصر حاضر، ص ٣٩١،

D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 81; H. Katouzain, OP. Cit., PP. 89-90; D.N.Wilber, Contemparary Iran, P. 71.

[180] للتفاصيل راجع:

D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, PP. 81-82.

[181] Ibid, P. 81; S.A.Rizvi, OP. Cit., P. 218.

[182] D.N.Wilber, Contemporary Iran, P. 71; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 82.

[183] D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 82.

[184] "العالم العربي"، ١٣ نيسان ١٩٢٤،

D.N.Wilber, Contemporary Iran, P. 71; H.Katouzain, OP. Cit., P. 90.

[185] D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 84;

كارل بروكلمان، المصدر السابق، ص ٧٩٤، سليم واكيم. العلاقات العربية الايرانية عبر التأريخ، بيروت، ١٩٦٧، ص ١٦٦.

العاصمة[186]. وارسل من همدان رسالة الى رضا خان يرجوه فيها العودة لانقاذ البلاد[187].

استقبل رضا خان اعضاء اللجنة، وبعد اسهب في الحديث عن خدماته للبلاد، وعن حاجة البلاد اليه قرر ان يفرغ مافي جعبته حينما بين للوفد عدم امكانيته الاستمرار بالعمل دون تعاون الشعب الايراني معه[188].

بعد بضعة ايام الف رضا خان وزارته الجديدة التي كان اغلب اعضائها من كبار العائلات الارستقراطية والغنية، وبعضهم كان معروفا بارتباطاته بالانكليز امثال مشاور الدولة ومستشار الدولة ومعتضد السلطنة، وفي محاولة منه لكسب رؤساء القبائل القوية ضم السردار اسعد رئيس قبائل البختيارية الى وزارته ايضا. وقد طرحت الوزارة في برنامجها ضرورة اقامة علاقات حسنة مع الحكومات الصديقة وتوحيد الموازين والمقاييس ووضع سجلات للوثائق الرسمية وتأسيس شركة للطيران والاهتمام بتطوير التعليم وغيرها[189].

هكذا بدأ رضا خان يقترب من العرش بسرعة، ومما ساعده على ذلك اكثر تصديه للحركات العشائرية والتسيب الاقطاعي، الامر الذي كان يهم كثيرا اوساطا واسعة من المجتمع الايراني.

---

[186] D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 84.

[187] Ibid.

[188] Ibid, PP. 83-84; D.N.Wilber, Contemporary Iran, P.71.

[189] "العالم العربي"، ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٤، "الاستقلال"، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٤، D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 84.

القضاء على الحركات العشائرية وتوطيد السلطة المركزية

كان من الطبيعي جدا، ان يولي رضا خان، وهو يرنو بابصاره نحو العرش، المسألة العشائرية جانبا كبيرا من اهتمامه. وهو موضوع يقتضي تناوله بشيء من التفصيل. لكونه ساعد، والى حد كبير، في تعزيز رصيد رضا خان السياسي والعسكرى وعبدت امامه الطريق للوصول الى العرش. فقد دأب رضا خان ومنذ توليه لوزارة الحربية في اول وزارة شكلت بعد انقلاب عام ١٩٢١، على السعي لتقوية السلطة المركزية وتمتين وحدة البلاد. وما كان بامكانه تحقيق ذلك دون الاصطدام بنفوذ رؤساء العشائر والقبائل القوية التي كانت تنظيماتها وتشكيلاتها شبه العسكرية بمثابة دولة داخل الدولة الايرانية.

وما كان بامكان رضا خان ان يقبل ذلك الوضع، فهو كقومي متطرف كان يسوءه هذا التجزؤ الذي بلغ حد الانحلال في جسم الدولة. هذا من جهة، ومن جهة اخرى ما كانت لطموحات رضا خان ان تتحقق في فرض دكتاتوريته العسكرية على البلاد، وهو الهدف البعيد لسياسته، دون كبح جماح تلك العشائر وجلبها الى طاعة الحكومة المركزية[١].

لقد كانت وسيلة رضا خان الرئيسة في تحقيق تلك المهمة هي الجيش الذي سعى منذ البداية لاحكام سيطرته عليه، والذي نجح خلال فترة وجيزة في توحيده وتزويده بالمعدات الحديثة، وطلب في سبيل تحقيق ذلك، كما ذكرنا في حينه، القروض من الانكليز حتى غدا الجيش الايراني "اكثر كفاءة من أي جيش اخر كان لفارس منذ عدة سنين، وربما من عهد نادر شاه" حسبما اكد لورين لكرزن في احدى برقياته السرية بهذا الخصوص[٢].

1 I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, From P. Loraine to F.O., Januray 10, 1923, P.174; I.O.R., L/P+S/10/933, Tel. No. 156, From P. Loraine to I.O., May 23, 1923, P. 81; R.Cottam, OP. Cit., P. 98.

2 F.O., 371/6417, Tel. No. 8, E 12426, from Bridgeman to F.O., November 7, 1921, PP. 41-42.

وكخطوة اولى في سياق تنفيذ سياسته المركزية طالب رضا خان العشائر بدفع ما عليها من ضرائب للخزينة المركزية، وفي خطوة لاحقة سعى الى تجريدها من السلاح ليضع تلك العشائر تحت السيطرة المباشرة للحكومة المركزية[٣].

كان من الطبيعي جدا ان يقاوم رؤساء العشائر والقبائل تلك السياسة الرامية الى الاطاحة بنفوذهم القوي الذي كانوا يستمدونه بالدرجة الاساس من استقلالهم الذاتي عن حكومة طهران. فتارة لجأوا الى رفع السلاح بوجه رضا خان، ونجحوا في حالات غير قليلة في اسر كتائب من الجيش النظامي. وتارة اخرى استنجدوا بـ (اصدقائهم) البريطانيين، لاسيما بالنسبة لعشائر الجنوب[٤]، التي كان رؤساؤها يرتبطون بشبكة علاقات واسعة مع الانكليز، لاسيما شركة النفط الانكلو-ايرانية التي كانت تدفع اعانات سنوية لهم مقابل الحفاظ على امن المنشآت النفطية الموجودة في مناطقهم. وكثيرا ما استخدمتهم الشركة لاثارة القلاقل في وجه السلطة المركزية عندما كان يبدر منها ما يتعارض مع مصالحها[٥].

وكان الانكليز بدورهم يرقبون هذا الوضع بقلق بالغ خوفا على مصالحهم الحيوية لاسيما في الجنوب[٦]. وقد اتبعوا في البداية سياسة مزدوجة في هذا المجال، فلم يتخلوا عن صداقتهم التقليدية مع رؤساء العشائر المتنفذة حتى "لا نتهم باننا

---

[3] I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, From P. Loraine to F.O., January 10, 1923, PP. 174, 176; I.O.R., L/P+S/10/933, British Government Archives, No. 1, No. 128, From P. Loraine to F.O., April 30, 1923, P. 109; F.O., 371/9025, Secret, From B.H. A (Teheran) to War Office, September 25, 1923, P. 17; N. Keddie, Iran: Religon, Politics and Sosiety.

[4] I.O.R., L/P+S/10/933, British Government. Archives, No. 1, Tel. No. 309, From P. Loraine to F.O., August 22, 1922, P. 625; I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, From P. Loraine to F.O., January 1923, P. 176.

[5] I.O.R., L/P+S/10/933, British Government Archives, No. 1., Tel. No. 128, From P. Loraine to F.O., April 30, 1923, P. 110; I.O.R., L/P+S/10/933, Tel. No. 94, From P.Loraine to F.O., May 5, 1923, PP. 115-116; I.O.R., L/P+S/10/1104, English Intrigues in Persia, October 10, 1924, PP. 36-37.

[6] I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, From P. Loraine to F.O., January 10, 1923, P. 173.

ضحينا باصدقائنا القدامى"[7] حسبما ذكر لورين في برقية له الى وزارة الخارجية ولكنه اكد على ان المراهنة عليهم هي "كالمراهنة على فرس خاسر، لان الخانات قد فقدوا معنوياتهم، وهم معروفون بنزاعاتهم العائلية، في حين ان البعض منهم انضم الى صف وزير الحربية "[8] كما اكد في برقية اخرى. وفي الوقت نفسه غض الانكليز النظر عن نشاطات رضا خان في سعيه الى بسط نفوذ السلطة المركزية، لاسيما وان الاخير كان ذكيا في تبرير سياسته آنفة الذكر بتأكيده على رغبته في ضمان المصالح البريطانية، وثقته في رغبة بريطانيا في "فارس قوية ومستقرة" تكون اكثر نفعا للمصالح البريطانية[9].

وقد كان موقف الانكليز ذاك مرتبطا والى حد بعيد بسياستهم في ايران فبعد ان كانت مصالحهم تقتضي التعامل مع قوى محلية متعددة، وجدوا بعد حين من الوقت، ونتيجة لظروف ارتبطت بعوامل داخلية وخارجية مختلفة ضمن الواقع الايراني، ان مصلحتهم تقتضي تشجيع اقامة سلطة مركزية توحد البلاد[10]. وقد حدد لورين هذه السياسة عندما ذكر "اننا يجب ان لا ننسى الى الابد ان طهران هي المعيار الابعد لعلاقاتنا مع فارس... وعلى المدى الطويل اكثر من السيادة المحلية لاية محميات اخرى"[11]. واكد لورين ايضا على ان رضا خان، ونتيجة لتزايد نفوذه اصبح "العنصر الوحيد الثابت في الوضع العام هنا وان اختفاءه سيكون بالتأكيد مقدمة لانتشار نفوذ معين[12] يكون معاديا للامبراطورية البريطانية"[13].

---

[7] Ibid.

[8] I.O.R., L/P+S/10/933, British Government Archives, No. 1, Tel. No. 128, From P. Loraine to F.O., April 30, 1923, P. 110.

[9] I.O.R., L/P+S/10/933, Tel. No. 156, From P. Loraine to I.O., May 23, 1923, P. 81.

[10] I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, From P. Loraine to F.O., January 10, 1923, P. 175; “Sovremenay Iran”, P. 151.

[11] I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, From P. Loraine to F.O., January 10, 1923, P. 173.

[12] اغلب الظن انه يقصد نفوذ البلاشفة.

[13] I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, From P. Loraine to F.O., January 10, 1923, P. 178.

ومن الجدير بالذكر ان رضا خان قد حظي خلال سعيه لتحقيق سياسته تلك بمساندة فئات واسعة من الاوساط القومية التي كانت ترى في تفكك البلاد احد الاسباب الرئيسية لتأخرها[١٤]. فضلا عن دعم الاوساط الملاكية البرجوازية المتنفذة التي رأت في تلك الحركات، لاسيما في الاقسام الشمالية من البلاد، تهديدا لمصالحها الاقتصادية وامتيازاتها الواسعة هناك[١٥].

ولم تكن الصورة التي واجهت رضا خان خلال السنوات الاربع التي سبقت اعتلاءه العرش تبدو مشرقة. فعلى الرغم من نجاحه في القضاء على الحركات التي نشبت في كيلان واذربيجان وخراسان، فان الانتفاضات العشائرية والحركات المحلية استمرت في الاقاليم المختلفة، الامر الذي تطلب منه تجهيز سلسلة من الحملات العسكرية لقمعها.

ففي شباط عام ١٩٢٢ قام انصار خياباني بانتفاضة جديدة في وجه حكومة طهران يقودهم الضابط لاهوتي[١٦] الذي كان يتزعم قوات الجندرمة في الشمال. فطالبوا بابعاد رضا خان عن الجيش وتحقيق الديمقراطية للبلاد ودفع رواتب الجندرمة المتأخرة[١٧]. واستطاع لاهوتي السيطرة على مدينة تبريز والقبض على حاكمها العسكري. الا ان قوات القوزاق مالبث ان حاصرت المدينة، وبعد القصف المدفعي الذي استمر عشر ساعات، استسلمت المدينة وهرب لاهوتي وعدد من اتباعه عبر الحدود الى الاتحاد السوفيتي[١٨].

---

[14] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, PP. 125-126.

15 J.M.Upton, OP. Cit., P. 156.

[١٦] للتفاصيل عن حياته راجع: ابو القاسم لاهوتي، خنت وطني، تعريب جواد الحسيني، بغداد ١٩٥٦.

[17] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 298; Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 119;

مصطفى الطباطبائي، المصدر السابق، ص ٥٩، حربي محمد، المصدر السابق، ص ٤٢.

[18] F.O., 371/7805, Confidential, British Archives, No. 1, E 4712/6/34, Colonel Saunders to P. Loraine. February 20, 1922, P. 28;

محمد تدين، اوضاع ايران درجنك اول، ص ٣٤٧،

M.S.Ivanov, OP. Cit., PP. 98-99; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 61; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 119.

وفي كيلان اعلن سيد جلال جمني، احد اتباع كوجك خان، بعد هربه من معتقله في طهران، قيامه في وجه السلطة المركزية، واشتبك عدة مرات مع القوات الحكومية تكبد فيها الطرفان خسائر كبيرة، الا ان القوات الحكومية استطاعت تشتيت القوات المناوئة والقبض على سيد جلال نفسه مع ثلاثة من اشقائه[١٩].

وفي عام ١٩٢٢ ثارت عشائر شاهسيفان واللر و قطعت الطريق بين مدن تبريز واردبيل واستارا، فوجه رضا خان قواته اليها وقمعها بقوة. فالقى بالعديد منهم في غياهب السجون، ونفذ حكم الموت بعدد اخر وصادر ممتلكاتهم التي انتقلت الى رضا خان وضباطه[٢٠]. وفي الوقت نفسه ثارت عشائر بلوجستان ايضا، فارسل رضا خان كتائبه العسكرية ضدها واجبرها على دفع الضرائب المتراكمة عليها[٢١].

وخلال الاعوام التالية (١٩٢٣-١٩٢٤) عاودت عشائر اللر انتفاضتها، فارسل رضا خان قواته لكسر شوكه هذه الحركة، واشتركت الطائرات الحربية لاول مرة في قصف القرى التابعة للعشائر، وتمكنت القوات الحكومية في ٧ حزيران ١٩٢٤ من احتلال خرم آباد، مركز لورستان، بعد قتال دام ٢٩ يوما[٢٢]. ولقطع دابر الحركة قام رضا خان بتهجير اعداد كبيرة من افراد هذه العشائر الى خراسان في الشمال الشرقي من البلاد بعد تجريدها من السلاح[٢٣].

---

[١٩] نوبخت، شاهنشاه بهلوى، ص ١٧٠-١٧١، احمد محمود الساداتي، المصدر السابق، ص ٦٣، مصطفى الطباطبائي، المصدر السابق، ص ٦١.

[20] F.O., 371/7805, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 4712/6/34, From Colonel Saunders to P. Loraine, February 20, 1922, P. 28; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 120; M.S.Ivanov, OP. Cit., PP. 303-304; J.M.Upton, OP. Cit, PP. 80-81.

[21] F.O., 371/7805, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 4712/6/34; From Colonel Saunders to P.Loraine, February 20, 1922, P. 28.

[22] I.O.R., L/P+S/10/1104, English Intriguesin Persia, October 10, 1924, P. 36; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 86; “The Near East”, No. 688, Vol. XXVI, July 17, 1924, P. 58; M.S.Ivanov, OP. Cit., PP. 303-304.

[23] F.O., 371/9025, Secret, From B.H.A (Tehran) to War Office, September 25, 1923, P. 17; M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 304.

وخلال الاعوام (١٩٢٤-١٩٢٥) انتفضت العشائر التركمانية في خراسان بوجه السلطة المركزية، الا ان الاخيرة تمكنت من السيطرة على زمام الموقف هناك وقمعت تلك العشائر بقسوة[٢٤].

وما كان بامكان رضا خان غض النظر عن العشائر القوية كالبختيارية التي "كانت تقف عائقا كالصخر امام رضا خان لتحقيق سيطرته العسكرية على البلاد" حسبما اكد لورين في برقيته لوزير الخارجية[٢٥].

وقد اتبع رضا خان سياسة المراوغة تجاه البختيارية ادراكا منه لطبيعة قوتها وارتباطاتها الوثيقة بالانكليز، فعسى في البداية الى سياسة التفاهم معها في محاولة لكسبها الى صفوف الحكومة المركزية. ويبدو انه لم ينجح في مسعاه كثيرا. عند ذاك قرر اللجوء الى الحسم العسكري، لاسيما بعد ان بدأت تلك العشائر تهاجم وحدات الجيش وترفض وجودها في مناطق نفوذها[٢٦]. ولم يتوان رضا خان عن استخدام شتى صنوف التنكيل والقسوة ضدها. فكانت كتائبه العسكرية تقوم بحرق المحاصيل والقرى العائدة للبختيارية، وتأخذ بعض رجالهم البارزين الى طهران كرهائن لديها[٢٧]. وفي مرحلة لاحقة، ولاستمالة زعماء هذه العشائر، بدأ بتعيين بعضهم في الادارات الحكومية. ولم يكن غريبا ان اختار رضا خان سردار اسد، احد زعمائهم البارزين واحد قادة الثورة الدستورية، لمنصب وزاري في اول وزارة ترأسها[٢٨].

وبينما كان رضا خان يوالي مساعيه في قمع العشائر الثائرة، والحركات التي نشبت في هذا الجزء او ذاك من البلاد، كان يرنو ببصره نحو المقاطعة الجنوبية. كان رضا خان يوالي مساعيه في قمع العشائر الثائرة، والحركات التي نشبت في هذا

---

[24] I.O.R., L/P+S/10/1104, English Interigues in Persia, October 10, 1924, P. 36; "المفيد"، ٢٦ تموز ١٩٢٤، "العالم العربي"، ١١و ٢٣ حزيران ١٩٢٥.

[25] I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, From P.174.

[26] I.O.R., L/P+S/10/933. British Government Archives, Tel. No. 309, From P. Loraine to F.O., August 22, 1922, P. 265, M. S. Ivanov, OP. Cit., P. 303.

[27] I.O.R., L/P+S/10/433, British Government Archives, Tel. No. 309 P. Loraine to F.O., August 22, 1922, P. 265.

[٢٨] "الاستقلال"، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٤، D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 84.

الجزء او ذاك من البلاد، كان يرنو ببصره نحو المقاطعة الجنوبية الغنية بمواردها النفطية والزراعية عربستان وشيخها خزعل الذي كان يعتبر في حكم المستقل بامارته. فقد كانت الادارات الفارسية المتعاقبة اعجز من ان تستطيع ان تمد سيطرتها الى هناك. وكان الشيخ خزعل كشخصية محلية متنفذة مثار اهتمام القناصل والوكلاء الانكليز المنتشرين في ارجاء منطقة الخليج العربي. وزاد هذا الاهتمام بعد الاكتشافات النفطية الكبيرة في عربستان، الامر الذي دفع بريطانيا الى الدخول في مفاوضات ثنائية مع خزعل، متجاهلة حكومة طهران[٢٩]. وتمكنت في عام ١٩١٢ من ان تستأجر جزءا من جزيرة عبادان لانشاء مصفاة البترول والسماح للسلطات البريطانية بحفظ النظام في منطقة العمليات النفطية[٣٠].

وسارت العلاقات بين الطرفين باطراد ملموس خلال سنوات الحرب العالمية الاولى. فقد قدم خزعل في سنوات الحرب العالمية الاولى خدمات مختلفة للبريطانيين اثناء حملتهم على بلاد ما بين النهرين، فضلا عن تعهده بحماية المنشآت النفطية في عربستان من الهجمات التركية والالمانية المحتملة، ومقابل ذلك تعهد السير برسي كوكس، نيابة عن الحكومة البريطانية، بحمايته من اي اعتداء او تجاوز على اراضيه او ممتلكاته من قبل الحكومة الايرانية[٣١]. كان من الطبيعي ان لا يستمر الوضع هادئا ومستقرا في عربستان بعد مجيء رضا خان الى الحكم وعزمه على مد نفوذ

---

[٢٩]مصطفى عبدالقادر النجار، التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ١٨٩٧-١٩٢٥، القاهرة، ١٩٧١، ص ٢٠٩-٢١٠،

J.Marlowe, The Gulf in the twentieth Century. P. Sykes, OP. Cit., P. 547.

[٣٠]قدري قلعجي، المصدر السابق، ص ٤٨٦،

R.Cottam, OP. Cit., P. 111.

[31] F.O., 371/10137, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 9752/263/34, From Ovey to Macdonald, October 25, 1924, P. 17.

"الاهالي"جريدة"، بغداد، ٢ تشرين الثاني ١٩٢٥،

Willam Theodore Strunk, The Region of Shaykh Khazal Ibn Jabir and the Suppression of the Principality of Arabistan. Astudy in British Imperialism in Southwesterm Iran 1897-1925, Indiana, 1977, PP. 282-283.

الحكومة المركزية الى ابعد نقطة في ايران، ووضع البلاد تحت سيطرة عسكرية مباشرة[٣٢].

بدأت اولى التحرشات بالشيخ خزعل عندما رفضت حكومة قوام السلطنة في عام ١٩٢٢ الاعتراف بالتسوية التي تمت في العام الذي قبله بشأن قضية الضرائب المستحقة على الشيخ منذ عام ١٩١٣، وطالبته بتسديد مبلغ اربعمائة وثلاثين الف تومان عن الضرائب المتأخرة[٣٣]. وابرقت الحكومة الى ممثل وزارة المالية الايرانية في عربستان لاستحصال المبالغ المذكورة، الا ان الشيخ اظهر تصلبا واضحا حيال هذا الرقم ورفض مناقشة هذا الامر مع مبعوث وزارة المالية مؤكدا انه غير مدين للوزارة باي مبلغ بعد دفعه الالتزامات المقررة[٣٤]، وان هذا الامر يعتبر تدخلا في شؤونه الداخلية ومناقضا للفرمان الشاهنشاهي الذي منح لابيه سنة ١٨٥٧، والذي اعترف فيه باستقلال الامارة الذاتي[٣٥]. بيد ان الحكومة الايرانية لم تتنازل عن مطالبها بشأن الحصول على ايرادات الضرائب المتأخرة، واعلنت عن عزمها على ارسال الجنود، الامر الذي اقلق خزعل والانكليز معا[٣٦]. وبدا واضحا ان مسألة الضرائب لم تكن الا ذريعة اتخذها رضا خان كوسيلة لاجراءاته العسكرية اللاحقة ضد الشيخ. فبعد فترة وجيزة بدأت اعداد من الجنود تتوجه صوب عربستان، مارة باراضي البختيارية واللر. وعلى الرغم من ان هدفها الظاهري كان حفظ الامن في

---

32 I.O.R., L/P+S/10/922, Confidential, Tel, No. 325, From P. Loraine to I.O., Augest 31, 1922, P. 253.

33 F.O., 371/10137, Confidential, British Government

حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، ج٥، بيروت، ١٩٧٠، ص ٢٠٢-٢٠٣.

34 I.O.R., L/P+S/10/33, Tel. No. 31, From H.M S. Consul (Ahwaz) to H.M S Minister, Januray 18, 1922, PP. 333-334;

حسين خلف الشيخ خزعل، المصدر السابق، ص ٢٠٣.

٣٥ انعام مهدي علي السلمان، حكم الشيخ خزعل في الاحواز ١٨٩٧-١٩٢٥، رسالة ماجستير، بغداد، ١٩٨٣، ص ١٥٨، د. مصطفى عبدالقادر النجار، التاريخ القومي لامارة المحمرة العربية "مع تسليط الضوء على الاطماع الفارسية"، دراسة تحليلية، بغداد، بلا، ص٩٢.

36 F.O., 371/10137, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 9752/263/34, From Ovey to Macdonald, October 25, 1924, P. 16; W.T.Strunk, OP. Cit., P. 345.

عربستان، حسبما ادعى رضا خان للسفير البريطاني، فان الهدف الحقيقي لم يكن خافيا على الشيخ والسفير الذي توقع ان تعود الحالة في شمال عربستان الى ماكانت عليه من فوضى في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى[٣٧].

وفي اثناء ذلك بوغت رتل ايراني في مضيق شليل في لورستان اسفر عن مقتل وجرح عدد كبير من الجنود. وحمل وزير الحرب، رضا خان البختياريين، حلفاء الشيخ خزعل، مسؤولية الحادث، وابرق الى الشيخ قائلا "انه لا يعده مشاركا للخانات ما لم يبلغه الشيخ عكس ذلك" في محاولة منه لبذر الخلاف بين الشيخ وخانات البختيارية[٣٨]. في حين واصل ارسال الكتائب العسكرية الى الجنوب، مما اثار استياء الشيخ خزعل الذي بعث ببرقية الى رئيس الوزراء الايراني ذكر فيها ان تصميم الحكومة على ارسال الجنود الى عربستان يعبر عن موقف غير ودي تجاهه[٣٩]. ورد رئيس الوزراء بان عدد الجنود المرسلين لا يتجاوز الـ (٢٠٠) جندي بعثوا الى هناك بعد موافقة الشيخ على ذلك لحفظ الامن والنظام[٤٠]. ولم يقتنع الشيخ بهذا الرد، فقد كانت الانباء المتواردة اليه تنبـيء عن نية وزير الحربية بزيادة عدد الجنود المرسلة الى عربستان لكي تصل الى (١٠٠٠) جندي[٤١]. وقد عبر الشيخ عن مخاوفه للقنصل البريطاني في الاحواز الذي ابرق الى السفير في طهران حول هذا الموضوع، وقد اجاب الاخير بان من الافضل للشيخ "ان يأخذ الامور ببساطة"[٤٢]. وفي الوقت نفسه حذر السفير رضا خان من مغبة سياسته تجاه الشيخ خزعل واحتمال حدوث مواجهة عسكرية بين قواته وبين رجال الشيخ مع ما يشكله ذلك من خطر على

---

37 I.O.R., L/P+S/10/933, Tel. No. 9, From Trever (Bushire) to Minister (Tehran), January 19, 1922, P. 344; G.Waterfield, OP. Cit., P. 81.

38 W.T.Strunk, OP. Cit., PP. 358-359.

39 I.O.R., L/P+S/10/933, Tel. No. 300, From Wallis (Ahwaz) to the resident (Bushire), July 31, 1922. P. 249.

40 I.O.R., L/P+S/10/933, Tel. No. 175, From Minister (Tehran) to Resident (Bushire), August 3, 1922, P. 250.

41 I.O.R., L/P+S/10/933, Tel. No. 1610, From Fitzatriok (Isfahan) to Minister (Tehran), August 4, 1922, PP. 251-252.

42 I.O.R., L/P+S/10/933, Tel. No. 233, From Minister (Tehran) to Wallish (Ahwaz), September 30, 1922, P. 214.

حقول النفط والمصالح البريطانية هناك، الا ان رضا خان وعده "بان لايفعل شيئا يعرض مصالحنا المشتركة للخطر"[٤٣]. غير ان رضا خان واصل تحرشاته بالشيخ خزعل بشكل آخر، فقد زادت تدخلات المعتمد الايراني المقيم في المحمرة، يسانده رضا خان، في الشؤون الداخلية للامارة محاولا تأليب خصوم الشيخ ضده، مما حدا بالاخير الى الابراق الى طهران طالبا سحبه وتعيين معتمد جديد بدلا منه. وقد دعم السفير البريطاني مساعي الشيخ بهذا الخصوص لكون المعتمد السابق كان قد خلق صعوبات جمة للسياسة البريطانية في الجنوب. وعلى اثر ذلك تم تعيين معتمد جديد كان معروفا بتأييده للبريطانيين، فضلا عن سعيه لاقامة علاقات حسنة مع الشيخ. ولتخفيف حدة التوتر بينه وبين الشيخ صرح رضا خان في اخر مقابلة له مع السفير البريطاني بانه "يكن عواطف ودية للشيخ"، وعندما ابلغ القنصل البريطاني في الاحواز ذلك الى الشيخ، عبر الاخير عن امتنانه ووعده "ببذل جهوده لاقامة علاقات ودية مع وزير الحربية"[٤٤]. وقد تراءى للسفير البريطاني ان فترة هدوء ستخيم على الوضع في عربستان، بيد ان الامور لم تكن هكذا. اذ سرعان ما بدأ رضا خان مناوراته من جديد. فقبل كل شيء سعى لتفتيت جبهة خصومه، وبدأ بخانات البختيارية واللر، فقد طالبهم بدفع مبلغ تعويض ضخم عن حادثة شليل، وفي الوقت نفسه اقحم الخانات انفسهم بنزاع حول اختيار حكام قبليين محليين[٤٥]. ونجح اخيرا في الحصول على وعد من خانات البختيارية لدعمه عسكريا ضد اللر، وهذا الامر كان يعني اذا ما نجح رضا خان في تحقيقه "ان الطريق الى عربستان سيكون مفتوحا امامه"، وهو "هدفه النهائي والرئيس"[٤٦]، حسبما اكد لورين ذلك

[43] I.O.R., L/P+S/10/933 to Consul (Ahwaz), September, 6, 1922, P. 227.

[44] I.O.R., L/P+S/10/933, Confisential, Tel. No. 234, From Minister (Tehran) to Consul (Ahwaz), October 15, 1922, PP. 203-204, I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, Tel. No. 249, From Wallis (Ahwaz) to Minister (Tehran), October 19, 1922, P. 204.

[45] I.O.R., L/P+S/10/933, British Government Archives, Tel. No. 128, From P.Loraine to F.O., April 30, 1923, P. 109; W.T.Strunk, OP. Cit., P. 372.

[46] I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, E 4392/1416/34, From the Under-Secretary of State to I.O., May 7, 1923, P. 107; I.O.R., L/P+S/10/933, Tel. No. 140, From P. Loraine to I.O., May 7, 1923, PP. 111. 112.

للخارجية البريطانية بصورة خاصة. واخيرا اعلن رضا خان عن عزمه على ارسال (٢٠٠) كتيبة من الجند عن طريق الاحواز "للتعاون مع الشيخ"[47]. وبدا واضحا ان رضا خان "مصمم على توجيه كل جهوده الى عربستان، ولكنه يرغب بتجنب الاضطرابات وتحقيق عملية الزحف بحذر"[48].

وازاء هذا الوضع طالب الشيخ الممثلين البريطانيين بتنفيذ التزامات بريطانيا تجاهه[49]. الا ان الموقف البريطاني كان مائعا. وكان ذلك نابعا من الاتجاه الجديد في السياسة البريطانية حيال الوضع الداخلي في ايران. فقد كان معروفا عن السياسة البريطانية في ايران انها كانت خلال الفترة الماضية تميل الى التعاون مع الحكام المحليين في سبيل ضمان مصالحها، وذلك لعدم وجود حكومة مركزية قوية تستطيع التعامل معها. ولكن الوضع قد تغير الان بمجيء رضاخان فقد ذكر لورين لكرزن "ان رضا خان سينجح خلال الاثني عشر او الثمانية عشر شهرا القادمة في اخضاع كافة البلاد تحت سيطرة الجيش"[50]، وان من الاجدى للمصلحة البريطانية التعامل مع سلطة مركزية قوية[51]. ومنذ البداية عرف رضاخان كيف يناور لورين عندما سأل الاخير "الايكون اكثر ملائمة لبريطانيا بان تتعامل مع سلطة مركزية واحدة من التعامل مع زمرة من الشيوخ المحليين الجشعين"[52]، وكان رد لورين بالايجاب "شريطة ان يكون الحكم المركزي راسخا ومتينا"[53] لهذا عندما ابرق كرزن

---

47 I.O., L/P+S/10/933, Tel. No. 157, From P.Loraine to F.O., May 25, 1923, P. 66.

48 Ibid.

49 I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, Tel. No. 193, E5829, 416/34, From P.Loraine to Curzon of Kedleston, May 1, 1923, P. 39; I.O.R., L/P+S/10/933, Tel. No. 187, From P. Loraine to F.O., June 13, 1923, P. 42.

50 I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, From P. Loraine to F.O., January 10, 1923, P. 174.

51 Ibid, P. 175.

52 I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, Tel. No. 325, From P.Loraine to I.O., August 31, 1922, P. 253; W.T.Strunk, OP. Cit., P. 362.

53 I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, Tel. No. 325, From P. Loraine to I.O., August 31, 1922, P. 254; W.T.Strunk, OP. Cit., P. 361.

الى لورين بوجوب وضع زورق او زورقين حربيين في اعالي نهر الكارون لتهدئة مخاوف الشيخ، وتذكير رضا خان بتعهدات بريطانيا للشيخ، وعدم موافقتها على استخدام القوة العسكرية ضده، اجاب لورين ان ذلك سيخلق "عداء مكشوفا مع الحكومة الايرانية، وهو الامر الذي يجب تجنبه بكل الوسائل"[٥٤]. فضلا عن ان تلك التعهدات اعطيت في وقت "لم يكن لايران جيش يستحق الذكر، اما الان فان لديها قوة متماسكة بادارة شخصية حيوية مسيطرة"[٥٥]. واكد لوزير الخارجية ان رئيس الوزراء الايراني وعده بتأخير، او ايقاف ارسال القطعات العسكرية الى عربستان، فضلا عن تعهد رضا خان بعدم اثارة الوضع هناك[٥٦].

بيد ان استياء الشيخ تفجير ثانية عندما اثير موضوع الضرائب التي كان ينبغي على الشيخ دفعها للحكومة المركزية، وكان واضحا ان الحكومة مصممة هذه المرة على تسوية هذا الامر، فقد رافق الوضع تحركات عسكرية من قبل رضا خان[٥٧]. وقد ادى تأزم الوضع بين الشيخ والحكومة الايرانية الى تدخل السفير البريطاني الذي قام بزيارة شخصية الى المحمرة، وضغط على الشيخ لتسوية المسألة بالطرق السلمية لان من الافضل له "ان يكون صديقا لصديقنا" مؤكدا له ان رضا خان لا يحمل اية نوايا شريرة تجاهه[٥٨].

وبعثت الحكومة العقيد ماك كورماك، مدير الاملاك الاميرية في وزارة المالية، الى عربستان لغرض تسوية هذه المسألة. واخيرا تم الاتفاق في ٢٥ تشرين الثاني

---

54 I.O.R., L/P+S/10/933, Tel. No. 1847, E 5061/1416/34, From F.O. to I.O., May 30,1923, P. 62.

55 I.O.R., L/P+S/10/933, Confidential, Tel. No. 193, E 5829/1416, From P. Lorain to Curzon of Kedlston, May 1, 1923, P. 39.

56 I.O.R., L/P+S/10/933, P. 49;

57 F.O., 371/10137, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 9725/263/34, From Ovey to Macdonald, October 25, 1924, PP. 16-17; W.T.Strunk, OP. Cit., PP. 385-386;

حسين خلف الشيخ خزعل، المصدر السابق، ص ٢٠٣-٢٠٤.

58 F.O., 371/10137, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 9752/263/34, From Ovey to Macdonald, October 25, 1924, P. 16; G.Waterfield, Op Cit., P. 81; W.T.Strunk, OP. Cit., P. 387.

١٩٢٣[٥٩] بين الطرفين تعهد فيها الشيخ بدفع (٥٠٠٠٠٠) تومان عن ضرائبه المتأخرة يدفع (١٠٠,٠٠٠) تومان منها مقدما، ويوزع الباقي على شكل اقساط سنوية متساوية خلال عشرين سنة، ويعهد الى الشيخ بجمع ايراداته غير المباشرة، غير ان معتمدا ماليا سيبقى في المحمرة باعتباره "موظف تفتيش" لجميع انحاء عربستان[٦٠]. وعلق لورين بعد توقيع الاتفاقية قائلا بان: "هذه الاتفاقية ستثبت بانها حجز الزاوية للوضع المستقبلي في عربستان"[٦١].

وتأكيدا لحسن نيته تجاه الحكومة المركزية قام الشيخ خزعل باهدائها سيارتين مصفحتين، فضلا عن عدة سيارات سياحية لامر سرية عربستان، ومنحه اموالا للمستشفيات في ديزفول وشوستر، وحث اتباعه[٦٢] على قبول النظام الجديد[٦٣].

لم تستمر توقعات لورين طويلا، اذ سرعان ما بدأت تحرشات رضا خان من جديد. فقد اعلن عن عزمه على ارسال موظف (كاركوزار) الى عبادان يمثل وزارة الخارجية ويشغل منصب نائب الحاكم العام هناك. كما منح احتكار الملح في اقليم الشيخ من قبل وزارة الاشغال العمومية الى احد المواطنين العراقيين دون استشارة الشيخ، واتخذت الخطوات لتخمين بساتين الشيخ لغرض فرض ضرائب اضافية عليها. وسعى آمر القوات الايرانية في عربستان الى اثارة المتاعب الداخلية للشيخ وحرض احد ابنائه لاغتيال والده واعدا اياه بالحلول محله[٦٤]. وقد الح الشيخ مرات عديدة على

---

[٥٩] من الجدير بالذكر ان معظم المصادر العربية التي كتبت حول هذا الموضوع، واستنادا الى كتاب حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، ج٥، تحدد ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٢ الموافق ٤ ربيع الثاني ١٣٤٢ تاريخا لتوقيع الاتفاق في حين ان المصادر البريطانية، وبضمنها الوثائق الرسمية التي تخص تلك الفترة تحددها بـ ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٢، وهو الاصح لدى معادلة التاريخ الهجري بما يقابله في الميلادي.

[60] F.O., 371/10137, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 9752/263/34, From Ovey to Macdoland, October 25, 1924, P. 17; W.T.Strunk, OP. Cit., P. 289.

[61] W.T.Strunk, OP. Cit., P. 289.

[٦٢] كان رضا خان قد اصبح آنذاك رئيسا للوزراء بعد تنحية مشير الدولة.

[63] F.O., 371/10137, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 9752/263/34, From Ovey to Macdonald, October 25, 1924, P. 17.

[64] Ibid; W.T.Strunk, OP. Cit., PP. 390-391.

عقد اجتماع شخصي بينه وبين رضا خان للتداول في المسائل التي تعتبر موضع خلاف بين الطرفين و "لكي يتم تحالف حقيقي بينهما، ويكون بعدها مستعدا لمساعدة سردار سباه، وحتى تأمين وصوله الى العرش ان رغب في ذلك"[٦٥]. الا ان رضا خان، وكعادته دائما، كان يتجنب الاجتماع بالشيخ، ويهمل الاجابة على برقياته[٦٦].

وفي وسط التضليل السياسي الذي كان يمارسه رضا خان مع الجميع، خصومه في طهران، والبريطانيين والشيخ خزعل، وصلت الشيخ في تموز ١٩٢٤ رسالة من رضا خان ينبئه فيها بان ملكية الاراضي التي بحوزته الان سبق وان صدر فرمان بالغائها من قبل مظفر الدين شاه عام ١٩٠٣. وبناء على ذلك فان هذه الاراضي ستعود الى ملكية الدولة، واي فرمان سيصدر بعد هذا التأريخ يجب ارساله الى طهران للبت فيه[٦٧].

وكانت التقارير الواردة الى الشيخ من طهران تفيد بان رضا خان يحمل نوايا شريرة تجاهه، وان "سردار سباه وامير الغرب يخططان للاطاحة بالشيخ حالما يسمح الوضع في لرستان للقوات لدخول ديزفول"[٦٨]. وتفاقمت هذه الشكوك اكثر بسبب الدعايات المستمرة ضد الشيخ من قبل الحاكم العام في عربستان[٦٩].

وشنت صحافة العاصمة حملة دعايات واسعة ضد الشيخ زعمت فيها قيام الاخير بنشاطات غير مشروعة من قبيل اتصاله باعضاء في المجلس من المعارضين لسياسة رضا خان وتزويدهم بالمال، وتزويد عشائر اللر بالسلاح وتحريضها ضد الحكومة المركزية، والسعي لفصل عربستان عن ايران[٧٠]. وفي الوقت نفسه اوفد رضا

---

65 F.O., 371/10137, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 9752/263/34, From Ovey to Macdonald, October 25, 1924, P. 17.

66 F.O., 371/10137, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 9752/263/34, From Ovey to Macdonald, October 25, 1924, P. 17.

67 Ibid; W.T.Strunk, OP. Cit., P. 396; G.Waterfield, OP. Cit., P. 83.

68 F.O., 371/10137, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 9752/263/34, From Ovey to Macdonald, October 25, 1924, P. 17.

69 Ibid.

٧٠ انعام مهدي علي السلمان، المصدر السابق، ص ١٦٣.

W.T.Strank, OP. Cit., P. 398.

خان اعوانه الى عربستان لجمع المعلومات عن ظروف الاقليم واحواله العامة[٧١]. وبدا واضحا ان رضا خان لم يكن امينا في تنفيذ وعوده للشيخ بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لامارته وبان الشيخ يشعر ان "سردار سباه لم يكن اهلا للثقة"[٧٢]. وحاول حث البريطانيين على التدخل لصالحه، الا انه كان يجابه "بتفسير غير مقبول لديه على كتاب الضمان الذي اعطى له من السير برسي كوكس"[٧٣].

وامام تلك الظروف لم يكن امام الشيخ من مخرج سوى اللجوء الى تحالفاته القبلية. فاتصل بزعماء العشائر العربية في عربستان، واوضح لهم نوايا الحكومة الايرانية ضدهم، وسعيها لتجريدهم من ممتلكاتهم واموالهم التي ورثوها من اجدادهم منذ اجيال "فاذا كانوا مستعدين ان يقسموا اليمين للدفاع عن بيوتهم، فهو مستعد ان يموت معهم"[٧٤].

قوبل عرض الشيخ خزعل بالايجاب من زعماء العشائر العربية الذين اعلنوا عن تحالفهم معه. ثم ما لبث ان انضم اليه يوسف خان، زعيم البختيارية، وامير مجاهد خان لورستان، وغلام رضا خان والي بشتكوه. وتم الاعلان عن تشكيل "حلف السعادة" او اتحاد القبائل الجنوبية[٧٥]. ومنح الشاه، المقيم في باريس، الحلف شرعيته، في الوقت الذي تواترت فيه الانباء عن وصول سالار الدولة، عم الشاه الذي كان

---

[٧١] ناجح علي رحيم الخياط، الاحواز. دراسة تاريخية ١٩٢٥-١٩٤٥، رسالة ماجستير، كلية الاداب-جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ٥١.

[72] F.O., 371/10137, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 9752/263/34, From Ovey to Macdonald, October 25, 1924, P. 17.

[٧٣] "الاستقلال"، ٥ تشرين الثاني ١٩٢٤.

[74] F.O., 371/10137, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 9752/263/34, From Ovey to Macdonald, October 25, 1924, P. 17;

"الاستقلال"، ٧ ايلول و ٥ تشرين الثاني، ١٩٢٤،

W.T.Strunk, OP. Cit., P. 398.

[٧٥] مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لامارة عربستان، ص ٢٣٥، غريغوري بوندرافسكي، الخليج العربي بين الامبرياليين والطامعين في الزعامة، موسكو، ١٩٨١، ص ٦٩،

W.T.Strunk, OP. Cit., P. 405.

منفيا خارج ايران منذ سنوات، الى الاحواز واعلانه عن تأييده للشيخ خزعل[٧٦]، الامر الذي اثار مخاوف رضا خان. والامر الاخر الذي اثار استياء رضا خان اكثر ورود برقية من الشيخ الى المجلس في طهران يتهم فيه رضا خان بانتهاكه لقوانين البلاد، وتجاوزه على حقوق الامة، وسعيه لاغتصاب السلطة، وتخطي حدود مركزه، والتطاول على مركز الشاه[٧٧]. رافقت ذلك حملة واسعة شنتها بعض الصحف العراقية التي كانت تميل الى تضخيم الاخبار وتهويلها، الامر الذي عرف رضا خان كيف يستغله داخليا ويصور الشيخ خارجا عن طاعة الحكومة المركزية ويسعى الى تفكيك اوصال البلاد[٧٨].

عند ذاك صمم رضا خان على ارسال جيوشه الى عربستان، فتحركت قواته العسكرية من طهران صوب عربستان عن طريق اصفهان، لتتحرك من هناك نحو شيراز من خلال اراضي البختياريين ثم تعسكر بعد ذلك في بهبهان[٧٩].

اثار تحرك رضا خان العسكري مخاوف البريطانيين من احتمال تعرض حقول النفط، والمنشآت النفطية الاخرى في الجنوب، الى خطر المصادمات العسكرية التي ستنشب بين الطرفين[٨٠]. فبعث السفير البريطاني في طهران بوساطة وزارة الخارجية الايرانية مذكرتين الى رضا خان عندما كان معسكرا في شيراز تضمنتا توسط الحكومة البريطانية لحل النزاع بين الطرفين دون اراقة الدماء، وتذكير رضا خان

---

٧٦ "المفيد"، ١٩ تشرين الاول ١٩٢٤، "الاستقلال"، ١٩ تشرين الاول، ١٩٢٤، "العالم العربي"، ١٠و ١٨ تشرين الاول و ٥ تشرين الثاني ١٩٢٤، احمد كسروى، تاريخ بانصد ساله خوزستان، تهران، ١٣١٢، ص ٢٦١.

٧٧ "يادداشتهاى رضا شاه"، ص ٥٦.

٧٨ "العالم العربي"، ٥ كانون الاول ١٩٢٤، "ياداشتهاى رضا شاه، ص ٥٨. وفي الترجمة العربية، ص ٥٥-٥٦، مصطفى عبدالقادر النجار، التاريخ السياسي لامارة عربستان، ص ٢٣٦.

79 F.O., 371/1013, Memorandum, From British Legation in Tehran to F.O., October 24, 1924, P. 21;

احمد كسروى، تاريخ بانصد ساله خوزستان، ص ٦٣.

80 I.O.R., L/P+S/10/965, Tel. No. 286, From Ovey (Tehran) to F.O., November 10, 1924, P. 15.

بتعهدات بريطانيا للشيخ، الا ان رضا خان رفض المذكرتين، وطلب سحبهما لان ذلك يعتبر تدخلا في الشؤون الداخلية لايران[٨١].

وعلى الرغم من التحذيرات البريطانية واصل رضا خان تقدمه نحو بهبهان، في جنوب عربستان، في حين خرجت قوات اخرى من خرم آباد نحو شمال عربستان وجرت اولى المناوشات على حدود الامارة بين القوات الايرانية ورجال الشيخ. وعند وصوله بهبهان نشر رضا خان بلاغا[٨٢] الى اهالي عربستان ذكر فيه ان سبب مجيئه الى عربستان هو رفع الظلم والعبودية التي يفرضها الشيخ[٨٣].

اضطر الشيخ خزعل اخيرا الى ان يعلن انفصال امارته نهائيا عن ايران، وبعث رسله الى مختلف ارجاء الامارة يحث عشائرها للدفاع عن استقلال الامارة بوجه مطامع رضا خان، واعلن عن تشكيل فرق عسكرية سميت باسم "شباب حزب السعادة"، واستطاع تعبئه ٢٥ الف رجل من القادرين على حمل السلاح في الامارة[٨٤].

اضافة الى ذلك فقد ارسل مبعوثيه الى العلماء والاعيان في ايران والعراق يعلمهم بنوايا رضا خان في اذلال العرب وتهديد وجودهم. كما رفع شكوى الى عصبة الامم يدعوها للتدخل لحمل رئيس الوزراء الايراني للتوقف عن اعماله المعادية للامارة[٨٥]. وفي الوقت نفسه قدم جملة مطاليب الى الممثلين السياسيين لبريطانيا طالبهم فيها بالايفاء بتعهداتهم له، وان يضمنوا له جلاء الجيوش الايرانية

---

[٨١] "يادداشتهاى رضا شاه"، ص ١٠٧-١١٠.

[٨٢] راجع نص البلاغ في: "يادداشتهاى رضا شاه"، ص ١٠٤-١٠٦ (وفي الترجمة العربية ص ١٠٤-١٠٧).

[٨٣] مصطفى عبدالقادر النجار، التاريخ السياسي لامارة عربستان، ص ٢٤٠-٢٤١،
D.N.Wilber, Contemporary Iran, P. 72.

[84] F.O., 371/10137, 1, E 9752/263/34, From Ovey to Macdonald, October 25, 1924, P. 18; G.Waterfield, OP. Cit., P. 88;
د. مصطفى عبدالقادر النجار وفؤاد الراوي، عربستان وشخصيتها العربية، مجلة "الخليج العربي"، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، البصرة، ١٩٨١، ص ٢٠.

[٨٥] د. مصطفى عبدالقادر النجار، التاريخ القومي لامارة المحمرة العربية ص ٩٧، ماهر اسماعيل الجعفري وضياء احمد جمعة، الاحواز، بغداد، بلا، ص ٧٩،
W.T.Strunk, OP. Cit., P. 416.

عن عربستان، وتأييد الفرمانات التي يحملها، والابقاء على الواردات التي كان يتقاضاها كما هو الحال في السابق، ومنح الامان لاصدقاء الشيخ وحلفائه[٨٦].

والواقع ان الانكليز لم يستطيعوا ان يفوا بتعهداتهم للشيخ لانهم كانوا قد بدلوا الفرس الذي راهنوا عليه لفترة من الوقت بعدما شخصوا مضمون النظام الجديد الذي انشأه رضا خان[٨٧]. ولم تتعد اجراءاتهم نطاق العمل السياسي، بل انهم حذروا الشيخ مرات عديدة من مغبة تحشيده لرجال العشائر وتهيئة السلاح التي تشبه "الاستعداد للحرب"[٨٨] حسبما ذكر القنصل البريطاني في الاحواز.

واثناء ذلك وصلت الشيخ برقية من رضا خان تمتليء بالوعيد والتهديد "فزادت النار حطبا" على حد قول السفير لورين، وبدا حينذاك واضحا ان العلاقات بين رضا خان والشيخ خزعل وصلت الى طريق مسدود، واعلن الشيخ تصميمه على المقاومة حتى النهاية[٨٩].

استمرت قوات رضا خان بالتقدم صوب عربستان. وقد بعث رضا خان الى الشيخ عند وصوله الحدود الشمالية للامارة برسالة يدعوه فيها الى الحضور الى مقر قيادته لغرض التباحث في الامور التي تشكل موضع خلاف بين الطرفين، الا ان الشيخ اعتذر قائلا بأن صحته وشيخوخته لا تسمحان له بذلك، واوفد اليه نجله الشيخ عبدالكريم[٩٠]. بعد عدة ايام وصل رضا خان الى الاحواز، العاصمة الثانية لعربستان، والتقى هناك بالشيخ خزعل واكد للاخير اعتزازه بصداقته وحرصه على

---

[٨٦] د. مصطفى عبدالقادر النجار وفؤاد الراوي، عربستان. الارض. الشعب. السيادة، بغداد، ١٩٨٢، ص ٣٨، د. مصطفى عبدالقادر النجار، التاريخ القومي لامارة المحمرة، ص ٩٨،

W.T.Strunk, OP. Cit., P. 405.

[٨٧] د. مصطفى عبدالقادر النجار، امارة المحمرة. دراسة لتاريخها العربي ١٨١٢-١٩٢٥، بغداد، ١٩٨١، ص ٣٣،

B.Jazani, OP. Cit., P.12

[88] F.O., 371/10137, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 9752/263/34, From Ovey to Macdonald, October 25, 1924, P. 18.

[89] Ibid.

[٩٠] علي نعمة الحلو، المحمرة مدينة وامارة عربية، بغداد، بلا، ص ١٢٣-١٢٤، مصطفى عبدالقادر النجار، التاريخ القومي لامارة المحمرة العربية، ص ١٠٠،

W.T.Strunk, OP. Cit., P. 451.

ضمان سلامته وحفظ مقامه[91]. ثم غادر الاحواز الى المحمرة، والتقى ثانية بالشيخ في قصره بالفيلية.

رغم كل ذلك استمر رضا خان في تطبيق خطته المرسومة بالنسبة لعربستان. فقد عين الجنرال فضل الله خان زاهدى قائدا للحامية الايرانية التي شكلت في عربستان على اثر اعلان الاحكام العرفية فيها، وتشكلت محكمة خاصة باسم "محكمة الصحراء"، اعضاؤها من العسكريين لاستجواب المتهمين وتنفيذ الحكم في الحال[92]. وعلى اثر ذلك غادر رضا خان المحمرة الى العراق لزيارة العتبات المقدسة[93].

لقد بات واضحا ان مركز الشيخ خزعل بات يميل للتضعضع، لاسيما بعد ان انتفضت بعض العشائر العربية ضده، وكان لرضا خان واعوانه يد في ذلك[94]. كما ماتت معظم الادارات في الاقليم واحتلها مسؤولون ايرانيون عينهم رضا خان، وتولت الحكومة المركزية جمع الايرادات غير المباشرة، واحتلت المفارز العسكرية الفارسية اهم المراكز القبلية في الامارة[95].

لم يكتف رضا خان بما حققه لانه كان قد عقد العزم على تصفية نفوذ الشيخ نهائيا والحاق الامارة بايران، ولجأ في سبيل تحقيق ذلك الهدف الى اسلوب مراوغ. فبعد فترة من بقائه في الاحواز سرب الجنرال زاهدى معلومات عن تلقيه الاوامر بالانسحاب من المنطقة، وغادر الاحواز الى المحمرة ليبلغ الشيخ بذلك. واعلن عن عزمه على اقامة حفلة توديعية لهذا الغرض، ودعا الشيخ وابناءه اليها. ويبدو ان الشيخ كان يتوجس خيفة من النوايا التي يبيتها له رضا خان فعزم على الاعتذار عن الحضور، الا ان السير ارنولد ولسن، صديق الشيخ الحميم، طمأنه بهذا الخصوص.

---

[91] مصطفى عبدالقادر النجار، التاريخ السياسي لامارة عربستان، ص ٢٤٤.

[92] ماهر احمد الجعفرى وضياء احمد جمعة، المصدر السابق، ص ٨٠، د. مصطفى عبدالقادر النجار وفؤاد الراوي، عربستان وشخصيتها العربية، ص ٣٨-٣٩.

[93] احمد كسروى، تاريخ بانصد ساله خوزستان، ص ٢٧٣.

[94] "المفيد"، ١٥ تشرين الثاني و ٢ كانون الاول ١٩٢٤، علي نعمة الحلو، المحمرة مدينة وامارة عربية، ص ١٢٢، مصطفى عبدالقادر النجار، التاريخ السياسي لامارة عربستان، ص ٢٤٤.

[95] "المفيد"، ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٥،
W.T.Strunk, OP. Cit., PP. 460-461; D.N.Wilber, Contemporary Iran, P. 72.

وبعد ساعات من وصول الشيخ الى يخته، الذي اقيمت عليه الحفلة، وصل زورق فارسي محمل بالجنود الايرانيين صعدوا على ظهر اليخت والقوا القبض[٩٦] على الشيخ ونجله الشيخ عبدالحميد. وفي اليوم التالي سيقا مخفورين الى طهران برفقة القائد العام الجنرال زاهدي[٩٧]. وبذلك انتهى الحكم العربي في عربستان وضمت الامارة نهائيا الى ايران بعد ان ابدل اسمها ببلاغ عسكري الى "خوزستان"[٩٨]. اما بريطانيا فلم تحرك ساكنا لنجدة حليفها القديم، واكتفى سفيرها في طهران بالحصول الى وعد من رضا خان بعدم مس الشيخ بسوء، او التعرض لمتلكاته[٩٩].

ويعلق الكاتب الفرنسي جاك بيريبي على الوضع المأساوي الذي انتهى اليه الشيخ خزعل بالقول: "مات الشيخ خزعل في طهران محاطا بكل مظاهر الشرف، محروما في الوقت ذاته من كل حقوقه كأمير مستقل. اما اراضيه فقد ضمت الى الامبراطورية الفارسية... وكل ذنبه ان امارته قائمة في مكان استراتيجي بترولي في عالم اليوم، عالم البترول الذي لا يحفظ حقا ولا ذمة"[١٠٠].

---

[٩٦] لقد تعددت الروايات التي تحدثت حول هذا الموضوع، وبعضها لا يخلو من المبالغة. (راجع على سبيل المثال: "العراق"، ٢٩ نيسان ١٩٢٥، سليمان فيضي، في غمرة النضال، بغداد، ١٩٥٢، ص ٢٩٨-٢٩٩.

[٩٧] م. و. و. ملفات البلاط الملكي/ التسلسل ٧٣٨-و ع، رقم الملف ت /٢/٥/١، تقرير نيابة قنصلية العراق في المحمرة لشهر آذار ١٩٣١ الى وزارة الخارجية، الوثيقة رقم ٦٧، "العراق"، ٢ ايار ١٩٢٥، جبهة تحرير عربستان (الاحواز)، عروبة الاحواز وخرافات حكام ايران، بغداد، بلا، ص ١٣٣، د. مصطفى عبدالقادر النجار وفؤاد الراوي، عربستان وشخصيتها العربية، ص ٥٠،

W.T.Strunk, OP. Cit., P. 466.

[98] W.T.Strunk, OP. Cit., P. 461.

ومن الجدير بالذكر ان بعض المؤرخين اعتبر قضاء رضا خان على امارة عربستان انجازا وطنيا كبيرا لرضا خان. انظر:

R.Sanghvi, Arymehr, The Shah of Iran. Apolitical Biography, Edinburgh, 1968, P. 28.

[٩٩] "العالم العربي"، ٧ ايار ١٩٢٥، "العراق"، ١٩ ايار ١٩٢٥، "الاستقلال"، ١٤ تشرين الاول ١٩٢٦،

W.T.Strunk, OP. Cit., PP. 466-467.

[١٠٠] جان جاك بيريبي، الخليج العربي، تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز، بيروت، ١٩٥٩، ص ١١٠-١١١.

لم يستكن العرب في الامارة للهيمنة الايرانية فقاموا بعدة انتفاضات كانت اهمها ماعرف بـ "ثورة الغلمان" اشعل فتيلها اتباع الشيخ خزعل ردا على اسر زعيمهم، فقد استطاعوا احتلال الثكنات العسكرية الايرانية في المحمرة وهرب الجنود الايرانيون الموجودون هناك[١٠١]. الا ان السلطات العسكرية الايرانية استطاعت قمع تلك الانتفاضة بقسوة. وحملت الشيخ خزعل[١٠٢] مسؤولية ذلك وغرمته ٥ ملايين تومان واستحوذت على داره الشخصية لمدة احدة عشرة سنة[١٠٣]. وبقضائه على استقلال الامارة العربية تمكن رضا خان من توطيد سيطرته العسكرية في ارجاء البلاد في الوقت الذي تمكن فيه، وفي فترة قصيرة مدهشة لا تتجاوز السنوات الثلاث من قمع البؤر الرئيسية لحركة التحرر الوطني[١٠٤].

لم تقتصر مناورات رضا خان على رجال الدين وزعماءالعشائر وغيرهم من المتنفذين المحليين، بل امتد الامر ليشمل ايضا القوى الاجنبية المؤثرة فعلا في ايران، فبدون ذلك ما كان بوسع رضا خان، وفي ظروف ايران المحددة، ان يتفرد بالسلطة ويخضع العائلة القاجارية.

---

[١٠١] علي نعمة الحلو، من نضال شعب الاحواز. ثورات الشعب وانتفاضاته ١٩٢٥-١٩٥٠، مجلة "البصرة"، العدد العاشر، البصرة، آذار، ١٩٨١، ص ٦٥، د. ابراهيم خلف العبيدي، الاحواز ارض عربية سليبة، بغداد، ص ٦٨.

[١٠٢] بعد احتجازه في طهران، انتخب الشيخ خزعل نائبا في المجلس الايراني في دورته الخامسة، وظل مقيما في طهران حتى وفاته عام ١٩٣٦. ويقال ان مدير شرطة ايران خنقه وهو نائم في فراشه. وقد رفضت السلطات الايرانية نقل جثمانه الى النجف الاشرف في العراق. انظر: م. و. و. ملفات البلاط الملكي/ الملف رقم ة/٢/٥/١، التسلسل ٣٤٧-و ع، ٥/١، تقرير (سري) من القنصلية الملكية العراقية في تبريز لشهر حزيران ١٩٣٦ الى وزارة الخارجية، الوثيقة رقم ١٣٥.

[١٠٣] "العالم العربي"، ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٥، مصطفى عبدالقادر النجار، التاريخ السياسي لامارة عربستان، ص ٢٥٣،

W.T.Strunk, OP. Cit., P.

[104] R.Cottam, OP. Cit., P. 98.

مناورات رضا خان واتصالاته مع القوى الاجنبية عشية تسنمه العرش

اتسمت سياسة رضا خان في هذا الميدان المهم بقدر كبير من الذكاء والديناميكية، فهو ادرك منذ البداية ضرورة الا يغدو "العوبة في يد بريطانيا" كما توقع لورين في البداية، وان لايصبح "مخلبا" في ايدي الوزير السوفيتي في طهران كما صرح ارميتاج سمث، المستشار المالي البريطاني لدى ايران[1]. وقد حاول رضا خان في الوقت نفسه ان يستغل الورقة الامريكية الى اقصى حد ممكن.

فعلى اثر فشل "شركة ستاندر" الامريكية في الحصول على امتياز نفط الشمال نجحت "شركة سنكلير" الامريكية في التوقيع على اتفاق مع الحكومة الايرانية يخص الامتياز المذكور، ولم يبق الا تصديق المجلس عليه[2]. وصرح حسين علاء، وزير ايران المفوض لدى الولايات المتحدة الامريكية، بان تعاون حكومته مع الشركات الامريكية يستهدف "ابعاد السيطرة البريطانية والروسية عن ايران"[3]. وقد اثار توقيع الاتفاق المذكور معارضة قوية من "شركة النفط الانكلو-ايرانية، التي تمتلك اسهمها الحكومة البريطانية، و "شركة ستاندر اويل"[4]. وفي آذار ١٩٢٤ صادق المجلس على الامتياز، الامر الذي ادى الى غليان الماء في المرجل الدبلوماسي. فقد توالت مذكرات الاحتجاج البريطانية على

---

[1] G.Waterfield, OP. Cit., P. 75.

[2] "الاستقلال"، ٢٤ كانون الاول ١٩٢٣و ١٣ شباط ١٩٢٤، ريتشارد اوكنور، بارونات النفط، ترجمة يونس شاهين، مراجعة جلال كشك، بيروت، بلا تاريخ، ص ٢٥٣، د. خليل علي مراد، تطور السياسة الامريكية في منطقة الخليج العربي ١٩٤١-١٩٤٧، بغداد، ١٩٨٠، ص ٥٢٦

Y.Armajani, OP. Cit., P. 33.

[3] F.O., 371/16145, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 2423/455/34, From P. Loraine to Macdonald, February 11, 1924, P. 22.

[4] هارفي اوكونور، الازمة العالمية في البترول، ص ٣٥٠.

الحكومة الايرانية، كما شنت الصحف البريطانية، ولاسيما الامريكية الموالية لشركة "ستاندر اويل"، حملة صحفية واسعة ضد الحكومة الايرانية و "شركة سنكلير"، واتهمت وزير الخارجية الايرانية باستلام رشوة قدرها (١٠٠,٠٠٠) دولار لقاء التوقيع على الامتياز[٥]. ومما تجدر الاشارة اليه ان النيران شبت في اجزاء من بناية المجلس الايراني عندما كانت المناقشات تجري داخله للتصديق على الاتفاق، ونسب هذا العمل الى "مخربين مجهولين"[٦].

استمر رضا خان في سياسة موالاة الامريكيين فمنحهم سلسلة امتيازات لبناء السكك الحديد واستخراج المعادن، ووصل اثناء ذلك وفد تجارى امريكي من "شركة بلير" لدراسة امكانية منح ايران قرضا بضمان عائدات الكمارك، فاعترض البريطانيون على ذلك، واكدوا انهم لن يسمحوا بجعل واردات كمارك الجنوب، التي كانت تخضع لاشرافهم، ضمانة للقرض الامريكي[٧]. وبينما كان ممثل "شركة سنكلير" موجودا في ايران وقع حادث[٨] كان له ابلغ الاثر على موقف رضا خان الداخلي، فقد اغتيل وكيل القنصل الامريكي روبرت ايمبرى على يد متطرفين في احدى ضواحي طهران يوم ١٨ حزيران ١٩٢٤، واختلفت المصادر في تحديد الجهة المسؤولة عن حادث الاغتيال، فبينما اتهم اعداء رضا خان رئيس الوزراء بانه وراء تدبير الحادث ليلقي القبض على خصومه، اتهمت مصادر اخرى القاجاريين بانهم وراء الحادث. بينما اكدت معظم الصحف الايرانية ان الاصابع البريطانية لم تكن بعيدة عن الحادث، لا سيما بعد ان رفضت السفارة الانكليزية اقتراحا من رضا خان لتشكيل لجنة للتحقيق في حادث الاغتيال[٩]. ونتيجة موجة

---

[٥] المصدر نفسه.

[٦] د. طالب محمد وهيم، المصدر السابق، ص ٤٧،

Y.Armajani, OP. Cit., P. 331.

[٧] للتفصيل راجع:

F.O., 371/16145. Confidential, British Government Archives, No. 1, E423/455/34, From P. Loraine to Macdonald, February 11, 1924, P. 22.

[٨] للتفصيل عن حادث الاغتيال راجع:

D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, PP. 87-88; H. Katowzain, OP. Cit., P.90.

[٩] "المفيد"، ١٤ ايلول ١٩٢٤، "العراق"، ٢٥ تموز و ٢٦ آب و ٤ تشرين الاول ١٩٢٤، "العالم العربي" ٢١ تموز ١٩٢٤،

الاضطرابات التي رافقت الحادث اضطر رضا خان الى فرض الاحكام العرفية، وفرض قيود مشددة على الصحافة[١٠].

كذلك باشر رضا خان باعطاء سلسلة امتيازات للالمان ساعدت على استعادة نفوذهم القديم، لاسيما في اسواق ايران[١١].

كان الانكليز اثناء تلك الاحداث الدراماتيكية يرقبون الوضع في ايران، لان تلك الاحداث كانت تمس مصالحهم مباشرة سواء كان في ايران او في المنطقة. ففي ايار ١٩٢٤ اعلن اللورد كيرزن في خطاب له امام البرلمان البريطاني حول الاسباب الحقيقية لانحدار سمعة بريطانيا في ايران وموجة العداء الموجهة ضدها بانها ناتجة عن الشعور القومي المتطرف و "ان على البريطانيين ان يتعلموا كيف يهادنوا هذه الروح القومية[١٢]. ولم ينس كيرزن ان يثني في خطابه على جهود رضا خان الذي تمنى له "كل نجاح وموفقية"، ودعاه الى الاعتماد على المساعدة المالية البريطانية "التي افادت ايران فائدة كبرى"، و "على العواطف الودية التي تحفظها لها (لايران) حكومة صاحب الجلالة"[١٣]. وجاءت (العواطف الودية) تلك عندما سحب الانكليز قوتهم الموجودة في دوزداب لحراسة خط السكة الحديد الموجودة هناك وتخفيض الحامية الهندية على موانيء الخليج العربي بعد مفاوضات دارت بين الجانبين البريطاني والايراني، وسلموا دوائر البريد الموجودة في الجنوب الى الحكومة الايرانية، كما سحبوا حرسهم الخاص بحراسة ممثلياتهم الدبلوماسية المنتشرة في انحاء ايران[١٤]. كذلك مر بنا كيف ان الانكليز لم يبذلوا

D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, PP. 88-89; H. Katouzian, OP. Cit., P. 90.

[١٠] "العراق"، ٤ تشرين الاول ١٩٢٤، "العالم العربي"، ٢١ تموز ١٩٢٤،

H.Katouzain, OP. Cit., P. 90.

[١١] للتفصيل عن تلك الامتيازات راجع: "الاوقات العراقية" (جريدة)، البصرة، ٢٩ تشرين الاول ١٩٢٤، "الاستقلال"، ١٧ ايلول ١٩٢٥، العالم العربي"، ٦ تموز ١٩٢٤، ٦ حزيران ١٩٢٥،

S.L.Agaev, Germanski Impreialism v Irane, Moscow, 1969, PP. 14-27.

[١٢] "العالم العربي "، ١٧ ايار ١٩٢٤،

D.N.Wilber, Contemporary Iran, P. 71.

[١٣] "العالم العربي"، ١٧ ايار ١٩٢٤.

[14] F.O., 371/16145, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 2423/455/34, From P. Loraine to Macdonald, February 11, 1924, P. 24;

اية محاولات جدية لحماية الشيخ خزعل من تهديدات رضا خان المتوالية رغم تعهداتهم السابقة له".

على اية حال لم يكن رضا خان اقل تعبيرا في (عواطفه) تجاه المصالح البريطانية، فقدم تسهيلات مهمة لشركة الخطوط الجوية الانكليزية (الخطوط الجوية الامبراطورية) و بموجبه استطاع الانكليز استخدام الاجواء الايرانية في رحلات تبدأ من لندن وتنتهي بكراتشي بعد ان تمر عبر القاهرة[١٥]. ولايخفى ماكان لهذا الخط من اهمية كبرى بالنسبة لبريطانيا آنذاك، لاسيما بعد ان حصلت على حق الانتداب على اقطار عديدة في المنطقة، فقد كان بامكان هذا الخط ان يحول للاستخدامات العسكرية عند الحاجة. وخوفا من معارضة الرأي العام فأن المفاوضات جرت بين الطرفين حوله بشكل سرى في وزارة الخارجية الايرانية. كذلك سمح رضا خان بتجديد الامتياز للبنك الامبراطورى الايراني[١٦]. كما اوقف بعض الصحف المتطرفة التي كانت تهاجم السياسة البريطانية في ايران[١٧].

وفي الوقت نفسه اجرى رضا خان تعديلا وزاريا ادخل بموجبه في الوزارة بعض الساسة المعروفين بارتباطهم الوثيقة بالانكليز امثال قوام الدولة ونصر الدولة، وعهد للاول حقيبة وزارة الداخلية والاخير وزارة العدلية، الامر الذي اثار اعتراض بعض اعضاء المجلس، لاسيما زعيم حزب الاشتراكيين الذي وصف الاخير بانه خائن للدستور وغير جدير لتولي المسؤولية، وادى ذلك الى ارتفاع الاصوات داخل المجلس (ودارت الملاكمة) بين بعض النواب الاشتراكيين والنواب الحكوميين حسبما اوردته جريدة "العالم العربي" العراقية.

ولارضاء البريطانيين اكثر عمد رضا خان الى التقليل من اهمية علاقاته مع السوفيت والتي كانت قد شهدت تطورا ملحوظا خلال الفترة السابقة. واستغلت

"العراق"، ١٨ اذار ١٩٢٤، د. عبدالعزيز عبدالغني، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٤٧، الرياض، ١٩٨١، ص ٢١٣، احمد محمود الساداتي، المصدر السابق، ص ١٠٤.

[15] L.Agaev, Iran V Period Politicheskovo Krizisa (1920-1925), Moscow, 1970, P. 187.

[١٦] "العالم العربي"، ١٩ تموز ١٩١٤.

[17] O.R., L/P+S/10/1104, Tel. No. 157, E 228, From Loraine to F.O., March 26, 1925, P. 18.

الصحافة الاجنبية الاضطرابات الداخلية التي وقعت في ايران ابان تلك الفترة لتتهم السوفيت بموالاة احمد شاه، والاعراض عن تأييد رضا خان، الامر الذي حمل السوفيت على تكذيب الخبر بشدة والايعاز الى وكالة "تاس" بنشر بيان بهذا الخصوص دحضت فيه الادعاء المذكور واعلنت "بان الحكومة السوفيتية تعلن عن تمسكها الكامل بسياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية الايرانية، وتتمسك بعلاقات الصداقة والمودة مع حكومة رئيس الوزراء رضا خان"[١٨].

ان سياسة رضا خان في هذا المضمار اثمرت بسرعة، فلم يبق امامه سوى الخطوات الاخيرة الحاسمة لارتقاء العرش الايراني.

---

[١٨] "الاوقات العراقية"، ٢٣ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٥، "العراق"، ١٢ تشرين الاول ١٩١٥، S.L.Agaev, Iran V Period Politiche Skovo Krizisa, P. 188.

ارتقاء العرش

قرر رضا خان، بعد ان استتبت له الامور اثر قضائه على حركتي الشيخ خزعل في الجنوب وسمكو في الغرب، وبعد ان ضمن الاطراف الاجنبية ان يخطو خطوة ابعد لتحقيق مراميه. ففي ٨ شباط ١٩٢٥ اعلن امام المجلس انه قد وجد من المستحيل استمراره في عمله مع تدخل الشاه بواسطة نائبه في اموره، وانه لن يستطيع مواصلة اعماله دون اعادة النظر بموقعه وتخويله الصلاحيات الكافية ووضع النقاط على الحروف حينما طلب من المجلس منحه منصب القائد العام للقوات المسلحة، وحدد مدة اربعة ايام لاجابة طلبه[١]. وفعلا اذعن المجلس لرغباته وقرر، وبالضد من البند (٥٠) من الدستور الايراني الذي اكد على حق الشاه في ان يكون القائد العام للقوات المسلحة، تعيين رضا خان قائدا أعلى للقوات المسلحة مع منحه صلاحيات غير محددة[٢]. وكان ذلك يعني عمليا تجريد الشاه الذي "لم يعد يملك من امر بلاده شيئا"[٣] على حد تعبير موسى الموسوى، من قسم كبير من صلاحياته الدستورية. وكانت ايضا الخطوة الاولى التي سعى رضا خان عن طريقها الى فرض دكتاتوريته العسكرية على الجميع.

بعد عدة ايام زار رضا خان المجلس وشكر اعضاءه على قرارهم آنف الذكر، وبعد ان عدد منجزاته التي قدمها للبلاد، اقترح على المجلس دعوة الشاه للرجوع

---

[1] F.O.,371/10840, Confidential, Tel. No. 16, From P.Loraine to F.O., January 22, 1925, P. 25; M.S. Ivanov, OP. Cit., P. 310; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 92.

[٢] "العراق"، ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٥، "المفيد"، ٢١ ايار ١٩٢٥، M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 310; D.N. Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 93.

[٣] د. موسى الموسوي، المصدر السابق، ص ١٧٥.

الى البلاد من (سفرته الطويلة). واقترح ايضا تشكيل لجنة مؤلفة من (١٢) عضوا من المجلس لمساعدته في تحمل اعباء الحكم[٤]. وغدا منذ ذلك الوقت يتصرف كملك غير متوج. فكان يخاطب في المراسلات الرسمية بلقبه الجديد (بهلوى) كما ان كبار رجال الدولة والممثليات الاجنبية كانوا يحيطون رضا خان بالاهتمام والتقدير اثناء المناسبات والاحتفالات الرسمية وكأنه الحاكم الفعلي للبلاد، ويتجاهلون احمد شاه وولي عهده[٥].

ولتعزيز موقعه داخل الجيش، وعدم فسح المجال امام (طموحات) البعض من قادة الجيش، اعاد رضا خان ترتيب المواقع العسكرية داخل القوزاق والوحدات العسكرية الاخرى بما يضمن هيمنته ومراقبته الكاملة لجميع شؤون القوات المسلحة[٦]. وعلى اثر ذلك غادر الى اذربيجان في جولة جديدة لكسب الاصوات، وخاطب الاذربيجانيين بقوله" :جئت لازور سكان الاقليم المخلصين والنشطين ولاعبر عن امتناني لخدماتهم الجليلة للبلاد طوال الفترات الماضية"[٧]. ولم ينس ان يستصحب في طريق رجوعه الى طهران الجنرال عبدالله خان طهماسب، الحاكم العام لاذربيجان، تحسبا من استغلاله لشعبيته المتزايدة بين سكان الاقليم[٨].

رافقت تلك التحركات حملة شديدة ضد احمد شاه و "العائلة القاجارية المقوتة"، وظهرت نشرات ليلية تنتقد احمد شاه لاهماله شؤون البلاد، وتنكر عليه "التنقل من فندق لاخر ومن مدينة لاخرى في اوربا، وتقارن بين ماقدمه هو وعائلته لايران على مدى ما يزيد على القرن مع ما قدمه رضا خان خلال اربع سنوات[٩].

---

4 F.O., 371/10840, Tel. No. 60, E 1434, From P. Loraine to F.O., May 11, 1925, P. 41.

٥ "العراق"، ٣ كانون الاول ١٩٢٥، P.Sykes, OP. Cit., P. 54.

6 D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, PP. 102-103.

7 Ibid, P. 103.

8 Ibid.

9 Ibid, P. 104.

اثناء ذلك استلم رضا خان برقية من احمد شاه ينبئه فيها عن قرب[10] عودته الى ايران لمناقشة الامور مع (فخامة رئيس الوزراء) ورد عليه رضا خان بعد ايام بجواب لم يخل من كثير من الكياسة والذكاء[11].

اثار نبأ عودة الشاه، الذي انتشر بسرعة، رد فعل عنيف بين اوساط عديدة، ورافق ذلك ازمة شديدة جراء نقص الخبز سرعان ما استغلها خصوم رضا خان لزعزعة مواقعه، لاسيما بعد ان انطلقت جموع محتشدة في الشوارع وهي تهتف بشعار "الشاه والخبز"، وطالبت باقفال الاسواق[12]. واعتصم حوالي (١٧٠) متظاهرا بباحة السفارة السوفيتية[13] ، لكنهم اضطروا الى مغادرتها بعد ثلاثة ايام بضغط من مسؤولي السفارة[14]. استغل رضا خان تلك الاحداث فاعاد فرض الاحكام العرفية من جديد، وقام باعتقال مابين ٨٠٠-٩٠٠ شخص، وكان اغلبهم من مناوئيه ومن المتحمسين للعائلة القاجارية[15]. كانت تلك الانباء تصل احمد شاه

---

[10] من المثير للانتباه ان السفير البريطاني لورين، ظل يعتقد حتى اللحظات الاخيرة بعدم ممانعة رضا خان في عودة الشاه الى البلاد وانه "يرحب باية خطوة في هذا المجال" وهو الامر الذي اثبتت الاحداث اللاحقة عدم صحته، للتفصيل انظر:

F.O., 371/10840, Very Confidential, Tel. No. 53, E 1262, From P. Loraine to F.O., March 2, 1925, P. 38.

[11] "العراق"، ٢٥ حزيران ١٩٢٥، "العالم العربي"، ٢١ شباط ١٩٢٥،

D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 104.

[12] "الاستقلال"، ٣٠ ايلول ١٩٢٥، "العراق"، ٢٦ ايلول ١٩٢٥، "العالم العربي"، ٢٦ ايلول ١٩٢٥، "المقتطف"،الجزء الخامس من المجلد السابع والستين، ١ ديسمبر (كانون الاول ١٩٢٥)، ص ٥٣٨،

D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 105; S.L.Agayev, Iran V Period Politiche skovo Krizisa, P.188.

[13] تجدر الاشارة الى ان ازمة الخبر كانت مستفحلة الى درجة دفعت السوفيت، تعبيرا عن حسن نيتهم وتأييدهم لرضا خان، الى منح ايران (١٠٠,٠٠٠) رطل من الحبوب مجانا لمعالجة الوضع المتأزم. للتفاصيل راجع "الاستقلال" ٨ تشرين الاول ١٩٢٥، "العراق"، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٥،

S.L.Agayev, Iran V Period Politiche Skovo Krizisa, PP. 188. 189.

[14] D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 105.

[15] S.L.Agayev, Iran V Period Politiche Skovo Krizisa, P. 186.

تباعا وهو في اوربا، وقد اقترح عليه بعض مستشاريه التخلص من رضا خان لمعالجة الوضع، الا انه رفض الفكرة وصمم على العودة الى البلاد[16].

استغل رضا خان الفرصة فنشر نبأ عودة الشاه في طول البلاد وعرضها، الامر الذي اثار موجة احتجاجات عنيفة. فتوالت البرقيات من مختلف الاقاليم والمدن الايرانية تعلن تأييدها لرضا خان واقفلت الاسواق ابوابها في تبريز، ووردت الى المجلس برقيات تحمل تواقيع الشخصيات السياسية من مختلف انحاء البلاد تدعو الى انهاء الحكم القاجاري. واحتل التجار الاذربيجانيون الساكنون في طهران باحة المدرسة العسكرية، وخلال ساعات امتلأت الشوارع بالجموع المحتشدة التي اعلنت معارضتها لبقاء العائلة القاجارية، وانضمت اليها مجموعات اخرى اطلقت على نفسها اسم "المجموعة الزرادشتية" " المجموعة الارمنية" و "المجموعة اليهودية"[17]. وقد هدد قادة النقابات المهنية في تبريز، وبتشجيع من قائد الجيش المحلي، باقتطاع اذربيجان من ايران ما لم يبدل المجلس احمد شاه برضا بهلوي[18].

واثناء ذلك نشر حزب التجدد منهاجه باذلا الوعود السخية للجميع في محاولة لكسب الاصوات والتمهيد للخطوة المقبلة[19]. وكان ذلك يعني ان رضا خان اصبح عمليا قاب قوسين او ادنى من العرش، ولم يعد يحتاج ليضع اقدامه على اعتاب قصر كلستان والتربع على عرش الطاووس سوى بعض الخطوات التي عرف، كيف يرتبها بذكاء بعد ان "نجح في جعل البلاد بكاملها تحت سيطرته بواسطة الجيش. فضلا عن تمكنه من تحشيد جميع القوى السياسية حوله"[20] حسبما ذكر لورين في برقيته الى وزير الخارجية ماكدونالد، واكد السفير البريطاني" انه ما من شيء الان، سوى الموت، يستطيع ان يزحزح رضا خان عن موقعه او يمنعه من تولي سلطات اوسع قد يرغب بها سريعا"[21]. ولكن لورين عزا نجاح رضا خان "الى مساعدة

---

[16] D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 105.

[17] "العالم العربي"، ١ تشرين الثاني ١٩٢٥، سليم واكيم، المصدر السابق، ص ٦٦.

[18] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 134.

[19] حول منهاج حزب التجدد راجع: د. كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني، ص ٥٧.

[20] F.O., 371/16145. Confidential, British Government Archives, No. 1, E 2423/455/34, From P. Loraine to Macdonald, February 11, 1924. P. 23.

[21] Ibid.

حكومة جلالته... والا فان الصعوبات التي يواجهها ستبلغ ثلاثة اضعاف ما هي عليه الان... وتتلاشى فرص النجاح امامه نسبيا"[٢٢].

حاول رضا شاه قبل كل شيء جس نبض الانكليز ورد فعلهم تجاه خطواته اللاحقة، فاوعز الى وزير خارجيته مرزا حسن مشاور بالاجتماع بالسفير البريطاني ومعرفة رأيه بالوضع الحالي لايران ومدى تأييد الانكليز لاحمد شاه، وكان رد الانكليز دبلوماسيا جدا حينما اخبر لورين الوزير الايراني "بان حكومة صاحب الجلالة لا ترغب بالتدخل في الشؤون الداخلية لدولة صديقة"[٢٣].

وبعد ان اطمأن رضا خان الى موقف الانكليز التقى في اليوم التالي مباشرة مع السفير البريطاني وكرر للسفير تعهداته السابقة وبين له "انه عند موقفه من بياناته السابقة فيما يخص علاقات ايران بانكلترا"[٢٤].

لم تبق اذن سوى بعض الاجراءات الصورية لوضع الامور في اطارها المنطقي والواقعي بتنصيب رضا خان على العرش. وتولى حزب التجدد هذه المهمة. ففي اواخر تشرين الاول ١٩٢٥ قدم الحزب، مدعوما من معظم اعضاء المجلس والذين كان بعضهم حتى وقت قريب من معارضي رضا خان، اقتراحا يطالب بالغاء حكم الاسرة القاجارية وتفويض مهام الحكم مؤقتا الى رضا خان لحين انتخاب جمعية تأسيسية تأخذ على عاتقها تحديد شكل الحكم في البلاد[٢٥].

لقد اربك القرار المذكور الارستقراطيين الذين لم يتخيلوا ان الرجل الذي "اعتبروه جاهلا" قد قفز بسرعة فائقة الى المرتبة الامامية، وان طموحاته قد وصلت حتى الى العرش نفسه حسبما ذكر السفير لورين[٢٦].

---

[22] Ibid.

[23] “Documents on British Foreign Policy, 1919-1939”, Series IA, Vol.1, PP. 763-764.

[24] Ibid, P. 765.

[25] F.O., 371/10840, Confidential, British Government Archives, No. 8, E 8146/18/34, From Peters to Austen Chamberlain, December 19, 1925, P. 238;R. Sanghvi, Op. Cit., P 92; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 135; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P.106; H.Katouzian, OP. Cit., P. 91.

[26] G.Waterfield, OP. Cit., P. 74.

بعد يومين اجتمع المجلس للتصويت على مشروع القرار. واثناء المناقشات سعت المعارضة، ولا سيما مدرس، بيأس الى تأجيل الجلسة، الا ان مساعيها خابت ولم يثر الاعضاء اي اعتراض باستثناء اربعة منهم، وهم تقي زادة وحسين علاء ودولت ابادي ومصدق. اما مدرس فقد غادر القاعة غاضبا وهو يصرخ باعلى صوته انه حتى في حالة حصولهم "على مائة الف صوت فان هذه الانتخابات لاتعتبر قانونية". ومن بين الجميع كان مصدق الوحيد الذي القى خطابا معتدلا، تحدث فيه بذكاء وبكثير من الدبلوماسية عن سبب معارضته لتخويل السلطة الملكية الى رضا خان قائلا: "ان تحويل السردار الى ملك دستوري ضعيف سيفقد البلاد قيادة سياسي قدير جدا، ولو انها حولته الى دكتاتور فأن ذلك سيكون ضد انجازات الثورة الفارسية (الثورة الدستورية)"[٢٧].

اما تقي زادة فعلق على ذلك بقوله: "تلك ايام لم يكن فيها الا ممثل واحد، اما الباقون فكانوا دمى بين يديه"[٢٨]. لقد ادرك مصدق، مع قليلين غيره، وببصره الثاقب مضامين الحدث الذي كان يعد له باحكام ومنذ فترة. لقد كان "تبديل رضا خان برضا شاه بطيئا ولكن مستمرا"[٢٩].

على اية حال جرى التصويت على القرار فايده (٨٠) عضوا في حين عارضه (١٥) عضوا فقط. وبموجب ذلك اصبح رضا خان رئيسا للحكومة المؤقتة لحين اجتماع الجمعية التأسيسية[٣٠]. وبذا انتهى حكم القاجاريين رسميا منذ ٣١ تشرين الاول ١٩٢٥. وعقب ذلك بقليل غادر ولي العهد قصر كلستان، حيث كان قابعا دون حول او نفوذ، متشحا بالسواد الى بغداد ومن ثم الى اوربا بعد زيارته للعتبات

---

[27] John Abbott, the Iranians. How they live and Work, London, 1977, P. 48; H.Katouzian, OP. Cit., P. 91.همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٩.

[٢٨] ابراهيم الدسوقي شتا، المصدر السابق، ص ٦١.

[٢٩] مقتبس من:

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 118.

[٣٠] "العالم العربي"، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٥، "العراق"، ٣ تشرين الثاني ١٩٢٥، "الاستقلال"، ١١و ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٥،

Kermit Roosevelt, Counter Coup, The Struggle for the Control of Iran, New York, 1979, P. 29; E. Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 135.

المقدسة في العراق[٣١]. وعلق لورين على ذلك بانه لم يشاهد "اشارة واحدة تدل على ندم لانهاء الامبراطورية القاجارية"[٣٢]. وبذلك اسدل الستار على فصل مثير في التاريخ الايراني.

اطلقت المدافع في طهران ايذانا بانتهاء العهد القديم وقيام حكم جديد، واصدر رضا خان اوامره باطلاق سراح المعتقلين السياسيين، واعلان العفو عن افراد الاسرة المالكة السابقة، وتخفيض ثمن الخبز ومنع بيع الكحول واعلان عطلة لمدة ثلاثة ايام[٣٣]. ونشر بيانا بالمناسبة الى الشعب ذكر فيه ما آل اليه الوضع في البلاد والاسباب التي حملته على التدخل لمعالجة تلك الاوضاع[٣٤].

لم تكن انتخابات المجلس التأسيسي اكثر من مهزلة، اذ لم تستغرق سوى اربعة اسابيع، وكان جل اعضائه من المؤيدين لرضا خان[٣٥]. ومن المفيد الاشارة الى البرقية التي بعث بها لورين الى وزارة الخارجية حول هذا الموضوع، فقد ذكر "بان رضا خان ينوي تاليف الجمعية التأسيسية بسرعة، وهو عازم على اقامة نظام نهائي للحكومة... ويأمل حسم هذا الامر خلال ثلاثة اسابيع تلافيا لتعقيدات داخلية وخارجية. وليس هناك ادنى شك بان رضا خان سيكون الشاه المقبل"[٣٦].

افتتح رضا خان المجلس التأسيسي في ٩ كانون الاول ١٩٢٥، ولم (يضيع) المجلس وقته حسبما ذكر لورين في رسالته الى تشمبرلن، فبعد مناقشات حامية الوطيس حول قضايا شكلية من قبيل تحديد لقب الشاه ومن يقوم بتقديم التاج الى الشاه، قرر المجلس في ١٢ كانون الاول خلع الاسرة القاجارية، وحرمان جميع افرادها

---

[٣١] "العالم العربي"، ٥ تشرين الثاني ١٩٢٥.

[32] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 135.

[33] Ibid; "The Near East and India", No. 765-Vol. XXIX, London, January 14, 1926, P. 37;. امين سعيد، ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم، القاهرة، ١٩٣٣، ص ٢٤٩.

[٣٤] حول البيان راجع: "العالم العربي"، ٧ تشرين الثاني ١٩٢٥.

[٣٥] "العالم العربي"، ٩ كانون الاول ١٩٢٥،

H.Katouzain, OP. Cit., P. 91; E. Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 135.

[36] F.O., 371/10840, Confidential, Tel. No. 353, From P.Loraine to F.O., November 3, 1925, P. 139.

من حق الادعاء بالعرش[٣٧] مستقبلا وانتخاب رضا خان شاها لايران بعد تعديل الفقرات ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠ من الدستور[٣٨]. ومن مجموع (٢٦٠) نائبا صوتوا مع القرار تحفظ ثلاثة فقط ضده وهم سليمان مرزا ونائبان اشتراكيان آخران برروا موقفهم بانهم مع انتخاب رضا خان، الا ان مبادئهم الاشتراكية تمنعهم من تأييد اقامة نظام ملكي جديد[٣٩]. وقد صرح سليمان مرزا فيما بعد انه قد خدع من قبل "القائد الوطني البرجوازي"[٤٠]. وقد علق لورين على تلك الاحداث قائلا: "بان اليسار اصبح عديم الرؤية مع رضا خان، لكن اليمين صار يرى بان رضا خان اصبح ملتصقا بعجلات عربته. ولكن الحاصل هو العكس، فقد شد رضا خان هؤلاء واولئك الى عجلات عربته هو"[٤١].

بعد ان ادى رضا شاه اليمين الدستورية في ١٥ كانون الاول عام ١٩٢٥، كلف فروغي بتأليف اول وزارة في عهده في ١٩ كانون الاول. وفي ٢٥ نيسان ١٩٢٦ جرى تتويجه[٤٢] في قصر كلستان بعد ان اختار زي نابليون بونابرت بعد اجراء بعض التعديل عليه بحضور كبار شخصيات الدولة السياسية والعسكرية وممثلي السفارات الاجنبية. ولم ينس رضا شاه (اختيار) السفير البريطاني لورين ليكون

---

[٣٧] بقي احمد شاه يعيش في باريس حتى عام ١٩٣٠، حيث توفي في المستشفى الامريكي اثر مرض شديد.

[38] "The Near East and India" No. 765, Vol. XXIX, January 1926, Islam Ansiklo Pedisi, Ina1-izzuddevle, Ikinci Baski, Istanbul, Milli Egitim Basimeviy P. 1026.

[39] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 135; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P.107.

[40] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 135; H.Katouzain, OP. Cit., P. 91.

[٤١] مقتبس من:

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 135.

[٤٢] للتفاصيل حول حفلة التتويج وخطبة العرش راجع:

"العراق"، ٢ شباط ١٩٢٦، د. عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ ايران السياسي في القرن العشرين، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٦٠-٦١،

"The near East and India", No. 765-Vol.XXIX, January 14, 1926, P. 37; D.N.Wibler, Riza Shah Pahlavi, PP. 113-116.

الناطق باسم الممثلين الاجانب في طهران لتقديم التهاني للشاه اثناء مراسم التتويج[٤٣].

كانت بريطانيا اول دولة تعترف بالنظام الجديد بعد ان اعرب رضا خان عن "رغبته الملحة في ان تكون حكومة صاحب الجلالة اول حكومة اجنبية تعترف به"[٤٤]. وبعد ان اطمأن تشمبرلن الى ان الاحداث التي جرت اخيرا في ايران "لم تسبب اي ضرر للمصالح البريطانية" عرف عن استعداد حكومته للاعتراف بالنظام الجديد[٤٥]. واعلنت لندن اعترافها رسميا في ٣ تشرين الثاني ١٩٢٥. وفي اليوم التالي اعترف الاتحاد السوفيتي[٤٦] بالنظام الجديد، وقرر رفع درجة تمثيله الدبلوماسي لدى ايران الى درجة سفارة[٤٧]. ولم تلبث ان توالت اعترافات الدول الاخرى، ففي ٧ تشرين الثاني اعترفت الولايات المتحدة الامريكية بالنظام الجديد، تبعتها فيما بعد دول اخرى[٤٨]. وبذا بدأ عهد جديد في ايران، كان لرضا خان بصمات واضحة في توجيه احداث الست عشرة سنة اللاحقة.

---

43 F.O., 371/11483, Confidential, Tel. No. 64, E1432/92/34, From P. Loraine to Austen Chamberlain, February 2, 1926, P. 173; F.O., 371/11483, Confidential, British Government Archives, No. 8, E 1432/92/34, From P. Loranie to Austen Chamberlain, March2, 1926, PP. 173-174; “The Near East and India’, No. 765-Vol. XXIX, January 14, 1926, P. 37; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, PP. 106-116.

44 “Documents on British Foreign Policy, 1919-1939”, Series IA, Vol. 1, P. 775.

45 Ibid.

٤٦ للتفصيل عن الموقف السوفيتي من وصول رضا شاه الى العرش راجع: والتر لاكور، الاتحاد السوفيتي والشرق الاوسط، تعريب لجنة من الاساتذة الجامعيين، بيروت، ١٩٥٩، ص ٩٥،
F.O., 371/10840, Confidentail, British Government Arcives, No. 8, E 8146/18/34, Peters to A. Chamberlain, December 19, 1925, P. 238.

٤٧ "العالم العربي"، ٢٢ كانون الاول ١٩٢٥، صالح احمد العلي، المصدر السابق، ص ٤٤.

٤٨ "العراق"، ١١ تشرين الثاني ١٩٢٥.

الفصل الثالث

التطورات الداخلية في ايران وتقويمها للفترة

١٩٢٦-١٩٣٣

اصلاحات رضا شاه
في المرحلة الاولى من عهده

شرع رضا شاه، منذ تبوئه العرش، في وضع برنامج اصلاحات مكثف شمل النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية، استهدف بواسطتها تعزيز سلطته من جهة، وترسيخ دعائم المجتمع الجديد الذي كان ينشده، وتقوية سيطرة الدولة على المجتمع من جهة ثانية.

١-في مجال الارض والزراعة

ومن هذا المنطلق اتخذ رضا شاه عدة خطوات لتحسين الوضع الاقتصادي للبلاد، فضلا عن انجاز سلسلة من المشاريع الاصلاحية في هذا المجال.

ففي مجال الزراعة التي ظلت تشكل العمود الفقري للاقتصاد الايراني طوال عدة قرون، حاول رضا شاه تحسين وضعية الفلاحين وبالتالي تحسين الانتاج الزراعي باصداره عدة قوانين لهذا الغرض، بيد ان العلاقات شبه الاقطاعية ظلت تسود القرية الايرانية وخدمت تلك القوانين مصالح كبار الملاكين بالدرجة الاولى[١]. فعلى سبيل المثال حاول رضا شاه استصلاح الاراضي المهملة التي تركت بورا لمدة طويلة عن طريق تمليكها للفلاحين شرط قيامهم باستصلاحها. غير ان نظرة بسيطة لواقع الفلاح الفقير كان يعني عجزه عن القيام بهذا الامر لافتقاره لرأس المال اللازم لذلك فكان من الطبيعي ان تقع تلك الاراضي بايدي كبار الملاكين لامتلاكهم الوسائل المطلوبة للقيام بذلك المهمة[٢]. ثم ان القانون المدني الذي صدر عام ١٩٢٨ والذي

---

[١] "دنيا" (مجلة)، دوره دوم، شماره‌ء سوم، آذرماه ١٣٣٩، ص٨٨،
M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 314; S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica---, P. 25; Richard. N.Frye, Persia, 1945, London, P. 99.

[٢] رحيم زاده صفوى، ايران اقتصادى، ص ٣٧٣، ز. ى. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٢٦٣،

حاول تنظيم العلاقة بين مالكي الارض والفلاحين لم يؤد في واقع الامر الى تحسين وضع الفلاح، بل عزز من سيطرة الملاكين على الارض اكثر من السابق[٣]. فالقانون كان ينص على تنفيذ شروط اتفاقية تقسيم الحصص الذي كان تقليدا معروفا في القرية الايرانية لاجيال عديدة، فقد كان يفترض ان يقسم المحصول بين الفلاح ومالك الارض على اساس خمسة عناصر وهي (١) الارض (٢) الماء (٣) البذور (٤) الادوات (٥) العمل[٤]. وعلى الرغم من ان القانون كان يفترض عقد اتفاق تحريري بين مالك الارض والفلاح لغرض تنظيم توزيع ناتج المحصول بين الطرفين وبموجبه يحصل الفلاح على ١/٥ المحصول لقاء كل عنصر من العناصر الخمسة[٥]، بيد ان واقع الحال كان يكشف عن عقم هذا الافتراض. فقد ظل الفلاح ملزما بتقديم نسبة معينة من المحصول كان يحددها مالك الارض، دونما الاخذ بنظر الاعتبار طبيعة الموسم الزراعي، والعوائق الطبيعية التي تعترض عملية الانتاج، التي كثيرا ما كانت تؤدي الى تلف الجزء الاكبر من المحاصيل الزراعية[٦]. وهذا يعني ان حصة الفلاح كانت تتدنى الى اقل من١/٤ المحصول[٧]. ومما زاد من تفاقم هذا الوضع انه نادرا ما كان ملاكو الارض يقومون بزراعة اراضيهم بانفسهم، بل ان العديد منهم لم يروا ارضهم الا لماما، وسكنوا في المدن وعهدوا بتلك الاراضي الى وسطاء او وكلاء استأجروا تلك الاراضي مقابل مبالغ مقطوعة يدفعونها لهم[٨]. والنتيجة كانت تعني ان استغلال الفلاح قد تضاعف على ايدي المستأجرين الجدد.

N.R.Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, P. 167.

[٣] "دنيا"، دوره دوم، شماره سوم، آذرماه ١٣٣٩، ص ٨٨.

[4] N.R.Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, P. 167; P.Avery, OP. Cit., P. 236; G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, PP. 95-96; R.N.Frye, OP. Cit., P. 100.

[5] N.R.Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, P. 168; D.N.Wilber, Iran under the Pahlavis, P 96.

[6] N.R.Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, PP. 167-168; M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 314.

[7] G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, P. 96.

[8] P, Avery, OP. Cit., P. 236.

وعلى الرغم من ان رضا شاه وجه ضربات قوية الى بعض ممثلي الارستقراطية القديمة، فانه في الوقت نفسه وزع مساحات واسعة من الاراضي الزراعية على انصاره الذين شكلوا قاعدة النظام الجديد من الضباط والموظفين والتجار والاقطاعيين غير المنحدرين من اصول ارستقراطية[٩]. واتخذ رضا شاه بعض الاجراءات التي ساهمت في زيادة نفوذ كبار الملاكين. فعلى سبيل المثال صدر قانون ينص على ان كل قرية مضت عليها فترة ثلاثين عاما بحوزة صاحبها تصبح ملكا خاصا له[١٠]. وهذا يعني اضفاء الشرعية على عمليات الاغتصاب والاستيلاء بالقوة على القرى، والتي تمت منذ منتصف القرن التاسع عشر[١١].

وقد وضع رضا شاه يده على كثير من الاراضي التابعة للدولة والاراضي الواسعة التي تعود للوقف، وتم تأجير كثير من هذا الاراضي الى وسطاء كانوا مسؤولين امام الحكومة لغرض ايفاء الضرائب المحلية. واتبع هؤلاء شتى الاساليب في جمع الضرائب، واثقلوا كاهل الفلاح بها، وكان الجزء الاكبر من تلك الضرائب يذهب الى جيوبهم[١٢].

حاول رضا شاه، وفي محاولة منه لتحديث الزراعة، ادخال الاساليب الزراعية الحديثة، وتحسين نوعية الانتاج. فللمرة الاولى جرى ادخال نظام المكننة الزراعية الى البلاد لتشجيع الفلاحين على استخدام المكائن والالات الحديثة في عمليات الانتاج. وصدر قانون باعفاء الالات المخصصة لهذا الغرض من الضرائب والرسوم لمدة عشر سنوات[١٣]، الا ان القليل من مالكي الارض استخدموا هذا النظام، وبقي الاعتماد

---

9 M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 313; S.L.Agaev, Iran: Vaneshnaya Politica…, P. 25; “Sovremenay Iran”, P. 152.

10 N.R.Keddie, Iran, Religon, Politics and Society, P. 167.

11 Ibid.

١٢"طوفان بهلوى"، بنكاه مطبوعات: مركز سارى، جابخانة شركت طبع كتاب، ص ٧٥، N.R.Koddie, Iran. Religon, Politics and Society, P. 167, R.N.Frye, OP. Cit., P. 99.

١٣كارنامه بزركان ايران، نشريه اداره كل انتشارات ورادبو، تهران، ١٩٦٢، ص ٤١٣، "العالم العربي"، ١٣ كانون الثاني ١٩٢٥، "العراق"، ١٤ كانون الثاني ١٩٢٥، N.R.Keddie, Roots of Revolution, P. 96; N.R.Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, P. 168.

على الاساليب البدائية والعمل اليدوي للفلاح سائدا في معظم الاراضي الزراعية لكون اجور العمل بالنسبة للفلاحين رخيصة جدا، وبالتالي ظل النظام القديم اكثر ربحا للاقطاعيين[١٤]. كذلك توسعت اعمال الري، وشقت القنوات في اجزاء عديدة من البلاد، بيد ان كلفة الكثير منها كانت باهظة وتتجاوز امكانيات الفلاح الذي ما كان قادرا على توفير القوت لعائلته الا بشق الانفس[١٥].

وفي عام ١٩٣٠ تم تأسيس قسم زراعي في البنك الوطني، تبعها تأسيس البنك الزراعي في عام ١٩٣١ لغرض تقديم القروض للاعمال الاروائية، وتوسيع زراعة المنتوجات الزراعية[١٦]. ومما يجدر ذكره ان اغلب قروض هذا البنك كانت من حصة الاقطاعيين الذين كانوا يحصلون عليها بشروط سهلة. فقد كان الاقطاعي يكتفي بدفع فائدة مقدراها ٤٪ سنويا للحصول على القرض، وبدوره كان يقوم بتسليف الفلاحين القروض مقابل نسبة كبيرة من الارباح التي غالبا ماكان الفلاح عاجزا عن تسديدها، وبالتالي يبقى تحت رحمة الاقطاعيين[١٧].

ولتحسين نوعية الانتاج تم استخدام نوعيات محسنة من البذور في الزراعة واستقدمت الحكومة خبراء زراعيين من الخارج لمعالجة المشاكل التي كانت تعيق تطوير الزراعة[١٨]. وتم ادخال زراعة محاصيل جديدة كالشاي والقطن والتبغ، فضلا عن اعفاء بعض المنتوجات الزراعية من الضرائب بهدف تشجيع زراعتها[١٩].

---

[14] M.S.Ivenov, OP. Cit., P. 313, N.R.Keddie, Roots of Revolution, P. 69.

[١٥] "طوفان بهلوى"، ص ٩٠.

R.N.Frye, OP. Cit., P. 99;

[١٦] عبدالله رازى همدانى، تاريخ ايران از ازمنه باستانى تا سال ١٣١٤ شمسى هجرى، تهران، ١٣١٧، ص ٨٢٢، "الزمان" (جريدة)، بغداد، ١٧ ايلول و ٧ تشرين الاول ١٩٣٠،

M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 313.

[17] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 313.

[١٨] "الاستقلال"، ٢٩ مارت ١٩٢٧،

H.Arfa, OP. Cit., P.289; G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, P.96; R.N.Frye, OP. Cit., P. 99.

[١٩] "العالم العربي"، ١١ تموز ١٩٢٩و ٢ كانون الثاني ١٩٣١، "الزمان"، ١٧ ايلول ١٩٣٠، "العراق"، ٣١ تشرين الاول ١٩٣٠، "الاخاء الوطني" (جريدة) ،بغداد، ٢١ آب ١٩٣١ و ١٢ آذار ١٩٢٤، "الاستقلال"، ١٢ حزيران ١٩٣٣.

ومنذ عام ١٩٢٩ كانت قد تأسست كلية زراعة في كرج التي تبعد (٥٠) ميلا عن طهران[20]. كذلك تم ارسال البعثات الزراعية الى الخارج لاعداد كوادر زراعية مؤهلة، فضلا عن انشاء المدارس الزراعية في عدد من القرى والارياف[21]. وفي عام ١٩٣١ تم تشكيل مجلس عال للزراعة هدفه رسم الخطط للاعمال والمسائل الزراعية المقترحة وتأسيس غرف زراعية في المراكز الرئيسية للاقاليم واجراء البحوث الخاصة بالشؤون الزراعية وغيرها[22]. كذلك صدر في العام نفسه قانون حظر فيه على الاجانب تملك اراض زراعية[23]. وفي عام ١٩٣٢ وضع برنامج مكثف لحماية الغابات، والمحافظة عليها[24]. ولمعالجة ماكان يحدث ايام المجاعات حينما تنقص الحبوب، امر الشاه ببناء سايلو كبير في طهران وسبعة سايلوات اخرى في مناطق اخرى من البلاد لتخزين الفائض من الحبوب[25].

وعلى الرغم من كل تلك الاجراءات، فان الانتاج الزراعي بقي متدنيا، فالجهود التي بذلت في هذا المجال كانت تخدم بالدرجة الاساس مصالح الاقطاعيين، ووقع العبء الاكبر من الضرائب على عاتق الفلاح الذي لم يجد دافعا لتحسين الانتاج. فقد ظل مدينا على الدوام لصاحب الارض. ففضلا عن حصة المشاركة التي كان على الفلاح دفعها، فانه كان يفتقر الى رأس المال اللازم لتجهيز ادوات الانتاج، بل وتجهيز ابسط حاجاته الحياتية الاخرى[26]. كذلك فأن الدولة بلجوئها الى احتكار انواع معينة من المحاصيل التي كانت تدر ربحا وافرا على الفلاح في بعض المناطق، كالتبغ والافيون حرمت الاخير من مصدر مهم لدخله[27]. كما ان استحواذ رضا شاه

---

[20] H.Arfa, OP. Cit., P. 289.

[21] "النهضة العراقية"، (جريدة) ،بغداد، ٢٥ حزيران ١٩٧٨، "الزمان"، ٢٣ ايلول ١٩٣٠، "العراق"، ٧ تشرين الاول ١٩٣٠.

[22] م.و.و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨- و ع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٥٥.

[23] محمد سعد الدين زايد، المصدر السابق، ص ١٢٩، طلال مجذوب، المصدر السابق، ص ٣٠٥-٣٠٦.

[24] G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, P. 96.

[25] H.Arfa, OP. Cit., P. 290.

[26] Ann.K.S.Lampton, Iandlord and Peasant in Persia, London, 1953, P. 209, G.Lenozowski Iran under the Pahlaves, P. 96; P.Avery, OP. Cit., P. 237.

[27] "العالم العربي"، ١٥ حزيران ١٩٢٦و ٢٣و ٢٦ اذار ١٩٢٩و ٢ كانون الثاني ١٩٣١، الدكتور زكي الصراف، ايران الحديثة ووجوه نهضتها الباهرة، "المقتطف" (مجلة)، القاهرة، الجزء الثامن من المجلد الثالث والتسعين، يوليو ١٩٣٨، ص ٢٤٥-٢٤٦، ز. ى. هرشلاغ، المصدر السابق، ٢٦٢.

على اخصب الاراضي الزراعية في البلاد ، لاسيما في المناطق الشمالية، منع زراعة محاصيل معينة خارج تلك الاراضي. فعلى سبيل المثال منع الشاه زراعة الرز الذي كان يمثل محصولا رئيسيا للفلاحين، ولم يسمح بزراعته الا في مازندران، حيث توجد عقاراته التي كانت تدر ارباحا وفيرة عليه[28].

ساهمت رداءة الطرق وتخلف وسائل المواصلات الزراعية في مضاعفة مشاكل الفلاح وصعوبات تسويقه للمنتوجات الزراعية[29]. وقد كتب الخبير الامريكي ميلسبو في تقرير له عام ١٩٢٧ عن الواقع الزراعي في القرية الايرانية مانصه: "ان العبء الرئيسي للضرائب قد نقل الى كاهل الفلاح بينما كانت كل الاعتبارات تتطلب رفع دخله ومستوى معيشته"[30].

وقد استمر الوضع هكذا حتى اواخر عهد رضا شاه.

وساهمت سياسة رضا شاه تجاه العشائر في الاضرار بالزراعة الى حد كبير. ففي سياق حملاته المتكررة ضدهم، ولغرض احكام هيمنته على البلاد بشكل تام وجه ضربات قوية لرؤساء العشائر[31]، فجرد البعض منهم من ممتلكاته، ونفذ حكم الموت بحق بعضهم الاخر، وصودرت ممتلكات اخرين[32]. واجبر الشاه العشائر على الاستقرار في اراض عينتها لهم الحكومة، واغلبها كانت غير صالحة للزراعة، فضلا عن منعهم من التنقل بين مراعيهم الصيفية والشتوية مما ادى الى موت اعداد كبيرة من الماشية والخيول[33].

---

[28] R.N.Frye, OP. Cit., P.99.

[29] ز.ى.هرشلاغ،المصدر السابق، ص ٧٦٢.

[30] المصدر نفسه.

[31] كانت سياسة القمع التي اتبعها رضا شاه ضد رؤساء العشائر مرتبطة الى حد كبير بانتماءاتهم القومية لشعوب ايران غير الفارسية وليست بسبب انتماءاتهم الطبقية. راجع:
عبد الهادي كريم سلمان، ايران في سنوات الحرب العالمية الثانية، رسالة ماجستير، بغداد ، ١٩٨٣، ص ٢٤.

[32] Alessandro Bausani, The Persians from the earliest days to the twentieth Century, London, 1971, P. 177; Arthur C.Millspaugh, Amercan in Persia Persia, New York, 1970, P. 25; J. Abbott, OP. Cit., P. 81.

[33] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 314; OP. Cit., P. 96.

٢-في مجال الصناعة

والواقع ان رضا شاه وجه اهتمامه الرئيس نحو محورين اساسيين هما الجيش والتصنيع، وهذا، ما كانت تعكسه الميزانية المخصصة للزراعة اذا ما قورنت بالتخصيصات الاخرى[٣٤]. لذا ظلت الزراعة تحتل مرتبة ثانوية في اهتمامات رضا شاه قياسا بالمجالات الاخرى[٣٥].

كان اهتمام رضا شاه الرئيس متجها نحو الصناعة، فقد اعتقد ان انشاء قاعدة صناعية متطورة في البلاد يحقق للبلاد استقلالها الاقتصادي والسياسي. وغالبا ما كان الشاه يردد: "ان الشعب الذي يحتاج الى عود الثقاب الاجنبي لاشعال شمعة في بيته، والى القماش الاجنبي لستر عورته، شعب لا يستطيع ان يغير واقعه"[٣٦]. ومن هذا المنطلق اتجهت نية الشاه نحو تصنيع الاقتصاد باسرع وقت وباكبر حجم ممكن[٣٧].

تميزت الصناعة الايرانية خلال العشرينات بكونها صناعات خفيفة، وبضعف مشاركة الراسمال الحكومي فيها، لذا كان لابد ان تتدخل الدولة لغرض تطوير تلك الصناعات[٣٨]. وفعلا تم في هذا المجال اصدار سلسلة قوانين بهدف تشجيع استثمار رأس المال الوطني في بناء منشآت صناعية. فسن قانون اعفيت بموجبه الالات والادوات المستوردة لاغراض الصناعة من الرسوم الكمركية[٣٩].

كذلك قدم بنك مللي (المصرف الوطني) قروضه للمؤسسات الصناعية التي انشأت حديثا[٤٠]. بيد ان التوجه الحقيقي نحو الصناعة الالية العصرية بدأ منذ عام ١٩٣٠. فعند افتتاحه الجلسة الاولى للدورة البرلمانية الثامنة للمجلس في كانون

[٣٤] ز. ی. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٢٦٢.

[35] S.A.Rizvi, OP. Cit., P. 226.

[٣٦] مردان خود ساخته، زير نظر: خواجه نورى. رضا شاه كبير، بقلم اعليحضرت محمد رضا شاه بهلوى، تهران، ١٣٣٥، ص ٢٧.

[37] R.K. Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 228.

[38] Ibid, N. R. Keddie, Roots of Revalution, P. 100.

[39] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 315; S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, P. 28.

[40] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 315; N.R. Keddie, Roots of Revolutions, P.101; D.N. Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 131; E.Abrahamin, Iran between two Revolutions, P. 146.

الاول ١٩٣٠ قال رضا شاه في خطاب له امام اعضاء المجلس: "نريد ان تعرف هذه الدورة البرلمانية في تاريخ البلاد باسم الدورة البرلمانية الاقتصادية"[٤١].

ولكن لعبت الازمة الاقتصادية العالمية التي تركت اثارها على اقتصاديات معظم دول العالم دورا سلبيا في هذا المجال.

تركزت ستراتيجية التصنيع في هذه الفترة على توسيع الاسهام الحكومي في مجال اقامة المشاريع الصناعية، وتكثيف استثمار راس المال العام فيها مع تقديم دعم فعال للمؤسسات الصناعية استنادا الى تجهيزات المواد الخام والسوق المحلية[٤٢]. ولغرض حماية الصناعة المحلية الفتية، لجأت الدولة الى فرض الرسوم الكمركية المرتفعة على المنتوجات الاجنبية المستوردة والتقليل الى حد كبير من استيرادها[٤٣]، في حين اعفيت المواد الخام المستوردة للاغراض الصناعية من الضرائب كليا او جزئيا[٤٤].

اسفرت الجهود الحكومية في هذا المجال عن ظهور شركات كبيرة في ميداني الصناعة والتجارة، كانت بعضها ملكا خاصا للحكومة في حين كانت ملكية البعض الاخر موزعة بين الحكومة وعدد من المستثمرين. فقد انشأت "الشركة الامبراطورية" والتي انيط بها الاشراف على عمليات تصدير واستيراد المنتوجات الصناعية وشركة "المنسوجات القطنية" التي احتكرت واردات المنسوجات

---

[41] D.N.Wilber, Iran Past and Present, New Jersy, 1958, P. 246.

(وفي الترجمة العربية بعنوان "ايران ماضيها وحاضرها، ترجمة د. عبدالنعيم محمد حسنين. مراجعة د. ابراهيم الشواربي، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١٤٩.

[٤٢] ز. ي. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٣٢٦،

M.S. Ivanov, OP. Cit., P. 317; Julian Bharier, Economic Development in Iran 1900-1970, London, 1971, P. 87; H.Katouzain, OP. Cit., P. 116

[٤٣] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠ ـوع، التقرير الدوري للمفوضية الملكية العراقية في طهران، الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية في ١ نيسان ١٩٣٣ في كتابها المرقم ٣٨٩ والمؤرخ في ١٧ نيسان ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٧٨، "العالم العربي"، ١٥ ايار ١٩٢٨،

(وفي الترجمة الفارسية ص ٨٤٣-٨٤٤)

P.Sykes, OP. Cit., P. 557

[٤٤] الدكتور فريدون فيروزي، العمال والنقابات العمالية في ايران، مجلة "دراسات الخليج والجزيرة العربية"، العدد الثاني، السنة الاولى، الكويت، ابريل ١٩٧٥، ص ٨٤.

القطنية[٤٥]. وصدرت سلسلة من القوانين لتنظيم عمل هذه الشركات. ففي عام ١٩٣١ صدر قانون حتم على جميع الشركات تسجيلها لدى وزارة الاقتصاد الوطني واتباع بعض التنظيمات المعينة. وفي عام ١٩٣٢ نفذت لائحة قوانين جديدة، ونظمت عملية انشاء شركات جديدة، وطريقة الاستثمار فيها[٤٦].

بدأ الدعم الحكومي للقطاع الصناعي يعطي ثماره بالتدريج. فقد ارتفع عدد المصانع الكبيرة التي تم بناؤها برأسمال حكومي الى ثلاثين مصنعا علاوة على مائتي مصنع صغير ساهم فيها القطاع الخاص[٤٧]. وفي الوقت نفسه نمت فروع عديدة من الصناعات التي كانت في الماضي غير قادرة على البقاء امام المنافسة الاجنبية، وظهرت صناعات اخرى جديدة، فان صناعة السكر، مثلا بدأت تشهد تطورا ملحوظا وتصاعدت وتائر انتاجه بسرعة بعد قيام الحكومة بانشاء مصنعين كبيرين في كهريزك وكرج[٤٨]. وقد اعتمد انتاج المصنعين على البنجر الذي يزرع بكثرة في المناطق الشمالية[٤٩]. ولغرض تأمين احتياجات البلاد من السكر شرع ببناء معامل

---

[45] D.N.Wilber, Iran Past and Present, PP. 247-248.

[٤٦] م. و.و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت ٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-و ع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الخاص لشهر ايار ١٩٣١ الى وزارة الخارجية العراقية برقم ٢٩٥ في ٢٢ حزيران ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٠٤،

D.N.Wilber, Iran Past and present, P. 246.

[47] N.RKeddie, Roots of Revolution, P. 100.

[٤٨] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، كتاب من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية المرقم ٢٩٥ في ٢٢ حزيران ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٠٦، م. و. و، الملف نفسه، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية الخاص بشهر حزيران ١٩٣١، الوثيقة رقم ١١٩، م. و. و،الملف نفسه، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٥٦، م. و. و، الملف ة/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية باخر ايلول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٩٣، "العالم العربي"، ٨ تشرين الاول ١٩٣٢، الاحاء الوطني"، ٢٣آب ١٩٣٤.

[٤٩] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٦-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آب المرقم ٣٩٦/٢/١/١٥٥ والمؤرخ في ١٨/٩/١٩٤٠، الوثيقة رقم ٢١٥، "الاخاء الوطني"، ١٣ آب ١٩٣٤.

اخرى تم استيرادها من مناشيء اجنبية مختلفة، لاسيما من فرنسا وجيكوسلوفاكيا[٥٠].

وشهدت صناعة النسيج ايضا تطورا ملحوظا[٥١]. وكفلت المصانع التي انشئت حديثا سد حاجة البلاد من المنسوجات القطنية[٥٢] والتي كان استيرادها من الخارج، لاسيما من روسيا، يكلف الخزينة الايرانية مبالغ طائلة من العملات الصعبة سنويا[٥٣]. فعلى سبيل المثال هبطت استيرادات هذه المنسوجات من الاسواق الروسية من ٢١ مليون روبل عام ١٩٣٠ الى ٨,٥ مليون روبل عام ١٩٣٢[٥٤].

ونظرا للحاجة الماسة لبعض مواد البناء الرئيسية كالاسمنت، سعت الحكومة في انشاء المعامل الخاصة بانتاج هذه المادة بخاصة وان المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة تتوفر بكثرة في بعض ارجاء البلاد، وعهد بانشاء تلك المعامل الى شركات اجنبية[٥٥]. كذلك جرى انشاء بعض الصناعات التي تعتمد على المواد الزراعية الاولية كصناعة تعليب الفواكه، واستخلاص الجوت بهدف تصنيعه، وانتاج الورق والنبيذ، ومعامل لاستخلاص الزيوت وانتاج السكائر[٥٦].

---

[٥٠] "العراق"، ٧ تشرين الاول ١٩٣٠، "الاستقلال"، ٢ اذار ١٩٣٣.

[٥١] حول انتاج هذه المعامل راجع: "العراق"، ١١ ايار ١٩٣٢، "الاخاء الوطني"، ١٣ آب ١٩٣٤.

[٥٢] من المفيد الاشارة الى ان الحكومة الايرانية، رغبة منها في تشجيع المنسوجات الوطنية، حتمت على جميع موظفيها، وعلى كافة ضباط وجنود الجيش ارتداء الملابس المصنوعة وطنيا. وكانت تعطي لكل عائلة يرتدي اربعة من افرادها ملابس من صنع محلي رداء بلا مقابل ومكافأة مادية. للتفاصيل راجع: م.و.و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٤/٢/، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط ركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش حول شكل الحكومة الايرانية وسياستها وادارتها واقتصادياتها برقم ١٨١٤٨ في ١/١٠/١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٩، و. و. خ، تقرير من نيابة القنصلية الملكية في المحمرة لشهر نيسان ١٩٣١ الى وزارة الخارجية، الوثيقة رقم ٣-٤.

[٥٣] "الاخاء الوطني"، ١٣ آب ١٩٣٤،

R.K.Ramazani, The Foreign policy of Iran, 1500-1941, P 228.

[54] R.K.Ramazni, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 228.

[٥٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-و ع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية بآخر ايلول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٩٣، "الاستقلال"، ١٣ شباط ١٩٣٤.

[٥٦] م. و. و،ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-و ع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقة رقم

ولاحياء الصناعات الحرفية التي كانت قد اصيبت بضربة قاسية خلال الفترة الماضية بسبب المزاحمة الاجنبية لها، تم انشاء مدارس خاصة للحرف، خصوصا لنسج السجاد[٥٧]. ووضعت مؤسسة حكومية خاصة في موقع السيطرة على انتاج السجاد وتسويقه[٥٨]. واعفيت بعض الحرف من الضرائب بهدف تشجيعها[٥٩].

وبغية تشجيع استثمار الثروة المعدنية، ولضعف الامكانيات الحكومية في هذا المجال، استدعي اصحاب رؤوس الاموال الاجنبية والمحلية للمساهمة في تمويل وتشغيل المناجم التي ثبت جدواها اقتصاديا. فعلى سبيل المثال خصصت دائرة الصناعة العامة مبلغ (٢٠) الف تومان لاستثمار منجم "شمشاك"، وهو من المناجم الكبيرة للفحم، كمشروع تجاري على ان يتم توفير المبالغ المتبقية والادوات والالات اللازمة لادارة المشروع عن طريق المستثمرين الذين يساهمون في المشروع[٦٠]. وقد ترتب على هذا التوسع في القطاع الصناعي ان ارتفعت الاستثمارات الحكومية في هذا المجال قياسا الى القطاعات الانتاجية الاخرى[٦١]. وبدأت الارباح التي تحققها الاستثمارات في هذا المجال تجذب اصحاب رؤوس الاموال من ملاك الاراضي والتجار والصناعيين، الذين بدأوا بتوظيف اموالهم في المشاريع الصناعية الخاصة والمختلطة. فعلى سبيل المثال بلغ عدد الشركات المسجلة في عام ١٩٣١-١٩٣٢ (٣٨) شركة، بلغ مجموع رساميلها (٤٧,٨) مليون ريال[٦٢]، وهو مبلغ يمثل، رغم

١٥٦، م. و. و، الملف ت/٤/٢/، التسلسل ٨٢٤- و ع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش حول شكل الحكومة الايرانية وسياستها وادارتها واقتصادياتها برقم ١٨١٤٨ في ١/١٠/١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٩، "الاخاء الوطني"، ١٣ آب ١٩٣٤،

J.A.Boyle, Persia history and herifage, London, 1978, P. 53.

[٥٧] عبدالله رازى همدانى، تاريخ ايران زمين، ص ٨٢١، "العراق"، ٧ كانون الاول ١٩٢٦، "البلاد"، ١٤ كانون الاول ٩٢٩.

[٥٨] ز. ى. هرشلاغ،المصدر السابق، ص ٢٦٦.

[٥٩] "العراق"، ٧ كانون الاول ١٩٢٦.

[٦٠] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨- وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٥٦-١٥٧.

[٦١] زى. هرشلاغ، المصدرالسابق، ص ٢٦٧.

[٦٢] زى. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٢٦٢، حميد صفري، المصدر السابق، ص ١٨.

تواضعه، نقلة نوعية في الحياة الاقتصادية لايران[٦٣]. وفي الوقت نفسه بدأت الشركات الاجنبية تقدم عروضها للحكومة لانشاء المصانع المختلفة في ارجاء البلاد. وفعلا حصلت هذه الشركات على الموافقات اللازمة وبدأت باقامة بعض المشاريع الصناعية[٦٤].

ونظرا لافتقار ايران الى الخبرات اللازمة لادارة معظم المشاريع الصناعية، اضطرت الى الاعتماد على الخبراء والفنيين الاجانب. ولتقليل الاعتماد على هؤلاء قامت بايفاد بعثات خاصة الى الخارج لتهيئة الكوادر الوطنية اللازمة لادارة المشاريع الوطنية بدلا من الاجانب[٦٥]. كما انشأت مدارس ومعاهد فنية متخصصة لاعداد الكوادر الوسطية في هذا المجال[٦٦].

وعلى الرغم من النجاحات المحدودة التي بدأ يحققها القطاع الصناعي خلال تلك الفترة، فقد بقي يعاني من بعض العثرات والاختناقات. فقد ظلت المصنوعات المنتجة محليا غير قادرة على اللحاق بمثيلاتها الاجنبية من حيث النوعية ورخص الاسعار[٦٧]. فرغم ان الدولة فرضت تعريفة كمركية عالية على البضائع الاجنبية الواردة الى البلاد لحماية المنتوجات الوطنية، فان المنتجين المحليين استغلوا ذلك لرفع اسعار بضائعهم وتحقيق مزيد من الارباح على حساب المواطن العادي الذي لم تكن قدراته الشرائية بمستوى اسعار تلك البضائع[٦٨].

ولعبت رداءة طرق المواصلات دورا اضافيا في عدم القدرة على تصريف المنتوجات الصناعية ونقلها بين اجزاء البلاد. فضلا عن ان الجهاز الاداري المشرف على ادارة كثير من المؤسسات الصناعية كان جهازا بيروقراطيا غير مجرب[٦٩].

---

[٦٣] في الثلاثينات كان كل ثمانين ونصف ريال يعادل باون استرليني واحد.

[٦٤] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/١، التسلسل ٧٣٩-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية باخر ايلول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٩٢.

[٦٥] "العراق"، ١١ ايار ١٩٣١، "الاخاء الوطني"، ٢٥ تموز ١٩٢٣،
G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, P. 94.

[٦٦] "العراق"، ١١ ايار ١٩٣٢.

[67] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 320; J. Bharier, OP. Cit., P 87>

[68] N.R.Keddie, Roots of Revolution, P. 101.

[69] P.Avery, OP. Cit., P. 242; J. Bharier, OP. Cit., P. 87.

واذا ما اضفنا الى ذلك ان العديد من هذه المؤسسات كانت ملكيتها تعود لرضا شاه نفسه[٧٠]، وعهد بادارتها الى عدد من اعوانه المقربين الذين افتقروا الى الخبرة والكفاءة اللازمتين، لاتضحت لنا الصورة كاملة في سبب الازمات التي عانى منها القطاع الصناعي الذي ظل حتى منتصف الثلاثينات يحقق دخلا متواضعا للاقتصاد الوطني.

٣-التجارة الخارجية والمسائل المالية والموقف من الامتيازات الاجنبية

وفي ميدان التجارة الخارجية جرت تحولات مهمة تركت آثارا واضحة على الاقتصاد الايراني. ولم تكن للظروف الخارجية دور قليل في الاجراءات الحكومية التي ادت الى احداث تلك التحولات، فنظرة بسيطة على حركة التجارة الايرانية منذ القرن التاسع عشر وحتى نهاية العشرينات من القرن العشرين تلقي الضوء ساطعا على دور القوى الاجنبية في اغراق السوق الايرانية بمنتوجاتها التي كانت اغلبها تمثل بضائع استهلاكية كالنسيج القطني والسكر والشاي التي لم يكن بوسع ايران تصنيعها او انتاجها في تلك الظروف[٧١].

ترتب على هذه السياسة تخلخل الميزان التجاري حتى بلغ مقدار العجز فيه في اواخر العشرينات حوالي (١٠) ملايين جنيه استرليني سنويا[٧٢]. وكان هذا العجز بالكاد يغطى جزء منه بالعائدات التي كانت تأتي من شركة النفط الانكلو-ايرانية[٧٣]، في حين تدهورت قيمة العملة الايرانية الى نصف بل وثلث قيمتها في تلك الفترة[٧٤].

---

[٧٠] على سبيل المثال فقد كان اكبر محل للقطن في البلاد، ويقع في مازندران، في قلب منطقة زراعية اشتهرت بانتاجها الوفير من هذا المحصول، تعود لملكية الشاه نفسه. كما انه امتلك اسهم العديد من الشركات والمؤسسات الصناعية. فالشركة الامبراطورية، مثلا، والتي انشأت لغرض دعم المشاريع الصناعية كان رأسمالها يتألف من (٥) ملايين ريال يمثلها (٥) الاف سهم كان رضا شاه يمتلك منها (٢٠٠٠) سهم. للتفصيل راجع:

Journal of the Royal Asian Society", Vol.XXXIII, 1936, P.349; D.N.Wilber, Iran Past and Present, P. 247.

[71] Amin Banani, The Modernization of Iran 1921-1941, California, 1961, P. 129.

[٧٢] ز. ى. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٢٦٧.

[٧٣] المصدر نفسه.

[٧٤] المصدر نفسه.

وجاءت ازمة الكساد العالمي لتزيد من مشاكل الميزان التجاري الذي كان اصلا يعاني من عجز كبير، فضلا عن التدهور الكبير لقيمة العملة المحلية بشكل حتم على الدولة التدخل لمعالجة الازمة التي باتت تتفاقم بشكل كبير[٧٥]. وكانت الخطوة الرئيسة التي اقدمت عليها ايران في هذا المجال هي فرض سيطرتها الكاملة على التجارة الخارجية. ولهذا الغرض شرعت "قانون احتكار التجارة الخارجية" الذي نص على ان تكون قيمة الاموال الموردة الى البلاد معادلة الى قيمة الاموال المصدرة منها[٧٦]. وعلى هذا الاساس تأسست احتكارات خاصة بالدولة لاستيراد السلع الضرورية كالشاي والسكر والمنسوجات القطنية، وفي الوقت نفسه احتكرت صادرات القطن والجوت والرز والسجاد، وهي السلع الرئيسة للتجار الايرانيين[٧٧]. وفي خطوة لاحقة شرع "قانون رقابة التحويل" الذي حتم على التجار الراغبين بالتصدير الحصول على جواز خاص يخولهم حق تصدير واستيراد السلع شريطة ان تكون قيمة السلع المصدرة من قبلهم معادلة للسلع المستوردة ان لم تكن اكثر. علاوة على ذلك فقد كان عليهم ان يودعوا ارصدتهم من العملة الصعبة في

---

[٧٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية الخاص بشهري تموز وآب ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٤٢-١٤٣،

A.Banani, OP. Cit., P. 130; R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 229.

[٧٦] للتفاصيل عن القانون وبنوده راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، لائحة القانون الملحق بقانون احتكار التجارة الخارجية، الوثيقة رقم ١٤، م. و. ، الملف نفسه، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزراة الخارجية العراقية الخاص لشهري تموز وآب ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٤٣، م. و. و، الملف ت/٤/٢، التسلسل ٨٢٤- وع، تقرير سرى من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش المرقم ١٨١٤٨ والمؤرخ في ١/١٠/١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٩، م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في (خرم شهر) الى وزارة الخارجية العراقية لشهر مارت ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٣٣-٣٤.

[٧٧] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير سري من القنصلية العراقية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية لشهر تشرين الاول ١٩٣٤، برقم ٣/٣١٦ وتاريخ ١٠/١١/١٩٣٤، الوثيقة رقم ١٠٨،

J.Bharier, OP. Cit., P. 86; D.N.Wilber, Riza shahpahlavi, P. 143.

المصرف الوطني الذي كان يفرض عليها سعر شراء يبلغ احيانا نسبة ٥٠٪ الى ١٠٠٪ اعلى من سعر السوق[٧٨]، الامر الذي اثار استياء شديدا لدى التجار[٧٩]. في سبيل التخفيف من هذا الاستياء اتخذت الترتيبات اللازمة للسماح للتجار باستخدام ٥٠٪ من ارصدتهم المودعة لدى المصرف الوطني للتعامل بها في المجالات التجارية، في حين يبقى النصف الاخر تحت تصرف الحكومة[٨٠]. وبغية تطبيق هذه القوانين قسمت وزارة الاقتصاد الى ثلاث دوائر عامة تحت اشراف رئيس الوزراء وهي دائرة التجارة العامة، ودائرة الزراعة العامة، ودائرة الصناعة العامة. وعهد بادارة كل من هذه الدوائر الثلاث الى رئيس مستقل بصفة معاون وزير له حق حضور جلسات البرلمان واجتماعات مجلس الوزراء[٨١]. ولتسهيل المعاملات التجارية، انشأت اول غرفة تجارة في العاصمة طهران عام ١٩٣١، تبعتها غرف تجارية اخرى في الاقاليم والمدن الايرانية المختلفة[٨٢].

وفي مجال تنشيط التجارة الخارجية، ولمحاولة الحصول على شروط افضل في الاسواق العالمية تم اللجوء الى اتباع نظام المقايضة مع الاقطار الاخرى. وقد تجلى ذلك في العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفيتي[٨٣]، الشريك الرئيسي للتجارة

---

[٧٨]م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٥٨،

"Foreign Relations of the United States. Diplomatic Papers 1934", Vol. II, Washington, 1951, P. 888; P. Avery, OP. Cit., P. 241; J.Bharier, OP. Cit., P.

[٧٩]م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨- وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية المرقم ٢٩٥ في ٢٢ حزيران ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٠٨، م. و. و، الملف نفسه، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية الخاص بشهر حزيران ١٩٣١، الوثيقة رقم ١١٢.

[80] P. Avery, OP. Cit., PP. 241-242.

[٨١]م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية الخاص بشهر حزيران ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٢٢.

[٨٢]"الاخاء الوطني"، ٢١ آب ١٩٣١،

A.Banani, OP. Cit., P. 131.

[٨٣]الواقع انه كانت قد عقدت عدة اتفاقيات بين الطرفين منذ منتصف العشرينات تنص على تبادل البلدين تصدير واستيراد المنتوجات والسلع بطريقة المقايضة. للتفاصيل راجع:

الايرانية حتى اواسط الثلاثينات. فقد كان السوفيت اكبر مشتر[٨٤] بالنسبة لايران، حيث كانت الاسواق الروسية المجال الطبيعي لتصريف الفائض من المنتوجات الزراعية الغنية في شمال ايران[٨٥]. بيد انهم في الوقت نفسه كثيرا ما كانوا يلجأون الى فرض قيود تجارية مشددة على المنتوجات الايرانية، الامر الذي ادى الى تذمر التجار الايرانيين[٨٦]. كذلك ادى نظام المقايضة والرسوم الكمركية المرتفعة الى تقليص كميات السلع الروسية، خصوصا الاستهلاكية التي كانت تضر الاسواق الايرانية بسبب رخص اسعارها[٨٧].

ادى احتكار الحكومة لصادرات بعض السلع في تنشيط الميزان التجاري. فعلى سبيل المثال بلغت وارداتها من احتكار الافيون[٨٨]، التي كانت تمثل احد عناصر

"الاوقات العراقية"، ٢٨ اكتوبر ١٩٢٦، "العالم العربي"، ٢٩ تشرين الاول ١٩٢٦و ١١ ايلول ١٩٢٧،

Robert Wesley Davenport, Sovet Economic Relations With Iran 1917-1930, Michigan, 1953, PP. 120-121.

[٨٤] للمزيد من التفاصيل حول حجم الصادرات الايرانية الى روسيا راجع:

F.O., 371/11484, Tel. No. 33, E 21431, From P. Loraine to F.o., February 1, 1926, P. 205.

[٨٥] صادق نشأت ومصطفى حجازي، صفحات عن ايران، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٨٩.

A.Banani, OP. Cit., P. 130.

[٨٦] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل، ٧٤٠-وع، تقرير دوري مرسل من قبل المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية في ١ نيسان ١٩٢٣ برقم ٣٨٩ في ١٧ نيسان ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٧٥،

"The Near East and India", No. 774, Vol. XXIX, Thursday 18, 1926, P. 321; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 145.

[٨٧] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية خاص بشهري تموز وآب ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٤٢،

F.O., 371/10141, E 3780, Anglo-Persian Cusoms Tariff, April 29, 1924, P. 191; "The Journal of the Royal Central Asia", Vol. XXIII, 1936, P. 349.

[٨٨] في عام ١٩٣١ طلبت لجنة من عصبة الامم من الحكومة الايرانية تخفيض زراعة الافيون تدريجيا لما يشكله من خطر على الصحة العامة وتعويضها بزراعة منتوجات اخرى،غير ان الاخيرة جعلت استجابتها لهذه التوصية مشروطة بأن تقوم الدول الاخرى بتجميد حصص الاستيراد ، وبخفض الرسوم

التصدير الرئيسة، في سنة واحدة (١٩٣٠-١٩٣١) ٤٧٧، ٧٢٢، ٣٦ قران، والسكر والشاي ٩٠٨، ٨١٤، ١١ قران، والتبغ ٣٠٧، ٠٤٥، ٦ قران[٨٩].

وعلى الرغم من الانتقادات الكثيرة الدولية والمحلية، التي وجهت الى الاجراءات الحكومية في هذا المجال، لاسيما الى قانون انحصار التجارة، الا ان تلك الاجراءات ساهمت الى حد ما في تخفيض العجز في الميزان التجاري، خاصة بعد ان نجحت في تقليص استيراد البضائع الاستهلاكية كالسيارات والالات الكهربائية التي لم تكن نسب استيراداتها تتناسب مع وضع البلاد الاقتصادي، ولا القوة الشرائية للمواطنين، في حين زادت استيرادات المكائن والالات الصناعية[٩٠]. كذلك اسهمت الاموال الناجمة عن احتكار السكر والشاي في تمويل بناء السكة الحديد التي بوشر بانشائها آنذاك، ومد الطرق بين اقاليم البلاد، فضلا عن تمويل وانشاء صناعات جديدة[٩١]. بيد ان تلك المكاسب كان يقلل منها الصعوبات التي رافقت تطبيق تلك القوانين. فعلى الرغم من انه بعد صدور القانون ارتفعت السيولة النقدية ضمن السوق الداخلية، الا ان هذا الارتفاع لم يكن تعبيرا حقيقيا عن نمو في حجم النقد المتداول، او نشاط تجاري فعال، بل لعجز التجار عن تمويل عملاتهم او تصريف بضائعهم في الخارج بدليل ان السجاد، مثلا، الذي ارتفعت اسعاره في

الكمركية على السلع الايرانية كالسجاد، وهو الامر الذي لم تقبل به الدول الاخرى لطبيعة الوضع الاقتصادي العالمي آنذاك. للتفاصيل راجع:
ز. ى. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٢٦٧-٢٦٨،

P. Avery, OP. Cit., P. 238.

[٨٩] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٥٧، "الاستقلال"، ٢٦ مارت ١٩٢٩.

[٩٠] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية خاص بشهر حزيران ١٩٣١، الوثيقة رقم ١١٩-١٢٠،

“The Journal of the Royal Central Asian Society”, PP. 348-349.

[٩١] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/ ٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٥٦.

الداخل، ظلت اسواقه الخارجية تعاني من الكساد[٩٢]. كذلك فان نظام المقايضة الذي اتبعته ايران لم يكن دوما في صالحها، فقد كانت استيراداتها غالبا ما تتجاوز صادراتها بكثير لاعتمادها الكلي على الاسواق الخارجية في تجهيز التكنولوجيا اللازمة بسبب الطبيعية المتخلفة لبنيتها الاقتصادية[٩٣].

وساهم احتكار الحكومة لبعض السلع، وفرض الرسوم الكمركية العالية على بعضها الاخر في رفع اسعارها من قبل المنتجين، ووقع عبء ذلك بالدرجة الاساس على الطبقات الفقيرة التي كان مستوى مداخيلها متدنيا اصلا[٩٤]. لذلك فلا غرابة والحال هذه ان انتشرت عمليات التهريب عبر الحدود، وراجت تجارة السوق السوداء، مما حدا بالحكومة الى سن قانون "الاموال الممنوعة" في حزيران عام ١٩٣٢[٩٥]. غير ان تلك الاجراءات لم تسفر عن تحقيق نتائج تذكر في هذا المجال، فقد استمرت عمليات التهريب والتجارة غير المشروعة، بل وتفاقمت في الفقرات اللاحقة.

وفي المجال المالي اتخذ رضا شاه خطوات مهمة على هذا الصعيد تركت اثارا مهمة على الوضع الاقتصادي في البلاد. ففي عام ١٩٢٨ تأسس "بنك ملي ايران" (المصرف الوطني) برأسمال قدره عشرون مليون ريال، واستدعي الدكتور

[٩٢] م. و. و،ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، بعض ملاحظات القنصلية الملكية العراقية في تبريز عن الحالة التجارية في شهري آذار ونيسان سنة ١٩٣١ (سرى)، الوثيقة رقم ٩٣-٩٥، م. و. و، الملف نفسه.

[93] A, Banani, OP. Cit., PP. 131-132.

[٩٤] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، بعض ملاحظات القنصلية العراقية عن الحالة التجارية في شهري آذار ونيسان سنة ١٩٣١ (سري)، الوثيقة رقم ٩٣، م. و. و، الملف نفسه، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية خاص بشهر حزيران ٩٣١، الوثيقة رقم ١٢١،

The Journal of the Royal Central Asian Society: P. 349; James Alban Bill, The Politics of Iran. Groups, Clasdded, and Modernization, Columbus, Ohio, 1972, P.16.

[٩٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، تقرير من المفوضية الملكي العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية باخر ايلول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٩١-٩٢، م. و. و، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير سري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية للمدة المنتهية بكانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٦،
F.O., 371/7805, Anotes of the Persian Communist Party in Tahran, PP. 145-155.

ليندبلينت (LINDBLENT) الالماني ورئيس المصرف البلغاري لتنظيم المصرف وادارة شؤونه[٩٦].

وفي عام ١٩٣٠ اضيف فرع زراعي للمصرف. وبعد عام اخر تأسس مصرف زراعي لتقديم القروض للفلاحين قام فيما بعد بتقديم المساعدات المالية لاصحاب المشاريع الصناعية ايضا[٩٧]. وقد توسعت نشاطات المصرف الوطني الذي غدا بمثابة البنك المركزي للدولة، حتى اصبح له بحلول عام ١٩٣٢ (١٤٧) فرعا او توكيلا في مختلف انحاء البلاد، كما كان له مندوبون في عشرين دولة اوربية تقريبا[٩٨].

وكانت الخطوة المهمة الاخرى هي تبديل العملة الايرانية (القران) التي كانت تعتمد الفضة كأساس لها. وقد ساهمت الازمة الاقتصادية العالمية، وانخفاض اسعار الفضة في الاسواق العالمية وما تركه ذلك من اثر في انخفاض شديد في قيمة العملة الايرانية في اقدام ايران على تلك الخطوة[٩٩]. واوكلت الى المصرف الوطني اصدار العملة الجديدة بعد ان سحبت هذا الامتياز من "المصرف الشاهنشاهي" الذي كان قبل ذلك، يدير الشؤون المالية للبلاد، ويصدر الاوراق النقدية المتداولة[١٠٠].

---

[٩٦] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٤/٢، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش المرقم ١٨١٤٨ والمؤرخ في ١/١٠/١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٨، "العالم العربي"، ٢٠ آذار ١٩٢٠و ١٠ ايلول ١٩٣٤، "الاخاء الوطني"، ١٠ ايلول ١٩٣٤،

Ahmad Minai, Economic development under the Reign of Reza-Shah (1926-1941), Minchigan, 1961, P. 158.

[٩٧] و. و. خ، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥، تقرير من نيابة القنصلية الملكية العراقية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣١، الوثيقة رقم ٤، فتح الله همايونز، مردبزرك ايران، ص ١٤٢،

S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, P. 317.

[٩٨] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٤/٢/، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش برقم ١٨١٤٨ والمؤرخ في ١/١٠/١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٨، "العالم العربي"، ٢٠ آذار ١٩٣٠،

D.N.Wilber, Iran Past and Present, P. 263.

[٩٩] "البلاد" ١١اذار ١٩٣٠، "الاخاء الوطني"، ١٠ايلول ١٩٣٤، احمد محمود الساداتي، المصدر السابق، ص ١٤٩-١٥٠.

[١٠٠] "الاخاء الوطني"، ١٠ ايلول ١٩٣٤،

واعتمدت العملة الجديدة المسماة (الريال البهلوي) الذهب كأساس لها[١٠١]. وقام المصرف الوطني وللمرة الاولى، باصدار ملايين الريالات من الاوراق النقدية الجديدة مع ما يقابلها من وحداتها التي تالفت من مسكوكات وسبائك ذهبية وفضية وبرونزية ومن النيكل[١٠٢].

واتخذت مجوهرات التاج الامبراطوري العائدة للاسرة المالكة السابقة كغطاء فعال لدعم العملة الجديدة، فضلا عن الكميات الكبيرة من الذهب التي اشترتها وزارة المالية من خارج البلاد[١٠٣]. وبغية المحافظة على الذهب الموجود في الداخل منعت الحكومة بيع او اخراج الذهب الى خارج البلاد[١٠٤].

وضمن سياق تحسين الوضع المالي للبلاد عهدت الى الخبير الامريكي ملسبو، الذي كان قد وصل ايران منذ عام ١٩٢٢، صلاحيات واسعة لتنظيم المالية، وزيادة ايرادات الحكومة من الضرائب[١٠٥]. ولم تكن صورة الوضع الاقتصادي والمالي الذي

Vahid F.Nowshirvani and Robert Bildner, Direct Foreign Investmont in the Non-Oil Sectors of the Iranian Economy, Iranian Studies, Numbers 2-3, 1977 P. 70; H.Katouzain, OP. Cit., P. 12.

[١٠١] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨، تقرير من نيابة قنصلية العراق في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آذار ١٩٣١، الوثيقة رقم ٦٣، "البلاد"، ١١ آذار ١٩٣٠.

[١٠٢] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير نيابة قنصلية العراق في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آذار ١٩٣١ الوثيقة رقم ٦٣، م. و. و، الملف نفسه، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية خاص بشهر حزيران ١٩٣١، الوثيقة رقم ١١٨، "الاخاء الوطني"، ١٠ ايلول ١٩٣٤.

[١٠٣] "الاخاء الوطني"، ١٥ تموز ١٩٣١، مذكرات شاه ايران المخلوع، ترجمة "مركز دراسات الخليج العربي" بجامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٠، ص ٢٣.

[١٠٤] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٤/٢، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش برقم ١٨١٤٨ والمؤرخ في ١/١٠/١٩٣٢،الوثيقة رقم ١١٩، و. و. خ، الملف ت/٢/٥، تقرير من نيابة قنصلية المحمرة في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣١، الوثيقة رقم٥، "نداء الشعب" (جريدة)، بغداد، ١٢ كانون الاول ١٩٣١.

[١٠٥] الدكتور نوري عبدالبخيت السامرائي، من تاريخ النفوذ الامريكي في ايران، "مجلة الخليج العربي"، البصرة، العدد الاول، المجلد الخامس عشر، ١٩٨٣، ص ١٥٢-١٥٣، R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 209.

جوبه به ملسبو تبدو مشرقة، فقد "وجد دلائل هبوط الاعمال في كل مكان في ايران. فالمؤسسات المصرفية والتجار اعلنوا افلاسهم، وملاك الاراضي الاثرياء غدوا مفلسين. والصناعات التي كانت مزدهرة اصبحت كاسدة... علاوة على الفساد، وسوء الادارة والعجز في الميزانية والضرائب غير المدفوعة"[١٠٦]. وقد علق الايرانيون آمالا كبيرة على جهود ملسبو لمعالجة هذا الوضع. فقد صرح له احد الايرانيين الذي كان في استقباله لدى وصوله الى طهران قائلا: "انت آخر طبيب يأتي الى فراش موت شخص مريض، فلو فشلت فان المريض سوف يموت، وان نجحت فسوف يعيش انني لا اصفق لوصولك، ولكنني ساصفق عند نجاحك"[١٠٧].

نجح ملسبو خلال فترة قصيرة نسبيا في تحقيق انجازات مهمة على صعيد زيادة العائدات الحكومية. فعلى سبيل المثال زادت عائدات الكمارك من (٩١) مليون ريال الى (٤٢١) مليون ريال[١٠٨]. وينطبق القول نفسه على عائدات ضريبة الدخل التي اعيد تنظيمها. وكان لامتداد نفوذ الحكومة المركزية، والتي كان لرضا شاه اليد الطولى فيها، الى الاقاليم والمدن البعيدة اثر كبير في زيادة تلك العائدات[١٠٩].

اسهمت تلك العائدات في تمويل المشروعات الحكومية وتخفيف العجز في الميزانية العامة[١١٠]. بيد انه لم يقدر لجهود ملسبو ان تستمر. فقد كان العنصر المسؤول عن مجيئه ودعمه خلال تلك المدة[١١١]، هو العنصر نفسه الذي كان وراء مغادرته

---

[١٠٦] مقتبس من:

R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 210.

[107] Ibid.

[108] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 148.

[109] Ibid; R. K. Ramazani, The Foreign Policy of Iran 1500-1941, P. 210; H. Katouzain, OP. Cit., P. 113.

[110] H.Katouzain, Op. Cit., P. 2111.

[١١١] يرجع البعض السبب الرئيس لانهاء عمل البعثة الامريكية في ايران الى الخلاف الذي نشب بين رضا شاه والدكتور ملسبو حول زيادة النفقات المخصصة للجيش، ورفض الاخير لهذه الفكرة، مما دفع رضا شاه الى الايعاز الى المجلس الخامس بعدم الموافقة على تجديد عقد المستشار المالي الامريكي الذي كان ينتهي في عام ١٩٢٧. وقد نفذ الامر دون تأخير. في حين يذكر السفير الامريكي في طهران، الذي قابل الشاه لمعرفة اسباب انهاء عمل البعثة، ان رضا شاه صرح له بان ملسبو كان يتصرف بما هو خارج نطاق صلاحياته، ويقدم تقارير غير مقنعة او غير دقيقة عن الوضع المالي والاقتصادي للبلاد مما كان يترك اثرا سيئا لدى الراي العام الايراني. للتفاصيل راجع:

لايران[١١٢]. ونعني به رضا شاه الذي لم ينظر بارتياح الى صلاحيات ملسبو الكثيرة. فقد صرح قائلا: "لايمكن ان يكون هناك شاهان في هذه البلاد. وسأكون انا الشاه الوحيد"[١١٣].

وعلى اثر مغادرة البعثة الامريكية لايران، تم التعاقد مع موظفين بلجيك لادارة وتنظيم الكمارك[١١٤]. وفي الوقت نفسه استدعي خبراء ماليون المان ليعملوا كمستشارين ماليين لدى الحكومة[١١٥].

وفي عام ١٩٣٠ اتخذت خطوة مهمة اخرى على هذا الطريق، فقد وافق المجلس، وللمرة الاولى، على قانون ضريبة الدخل الذي سيخول الحكومة حق استيفاء حصة من ارباح الشركات الاجنبية والماليين الاجانب على النحو المفروض على التجار الايرانيين[١١٦]. فاسهمت تلك الخطوة في زيادة العائدات الحكومية من الضرائب المفروضة على المؤسسات والمشاريع الصناعية.

ولتحقيق الاستقلال الاقتصادي والسياسي، وللتقليل من النفوذ الاجنبي الذي كان ممتدا الى مرافق عديدة في البلاد، شرع رضا شاه في اتخاذ الخطوات اللازمة لالغاء الامتيازات الاجنبية. ففي عام ١٩٢٧ اشعرت ايران الدول ذات العلاقة بهذا الموضوع بان جميع الاتفاقيات ذات الامتيازات الخاصة ستلغى بعد عام من تاريخ الاشعار، وستعقد بدلها معاهدات جديدة[١١٧]. وكانت تلك الخطوة تعني بريطانيا

"Foreign Relations of the United States, Diplomatic Papers 1943" Vol. IV, Washington, 1964, P. 521; Yanar Alexander and Allan Nanes, The United States and Iran. A Documentary History, University Publicions of America, 1980, PP.41-44.

[112] "Foreign Relations of the United states. Diplomatic Papers 1943", Vol. IV, The Near East and Africa, Washington, 1964, P. 521; R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 211.

[113] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 143; D.N.Wilber, Contemporary Iran, P. 73.

[١١٤] "العالم العربي"، ٢٠ آذار ١٩٣٠.

[١١٥] "العالم العربي"، ١٠ تموز و٦تشرين الاول ١٩٢٧.

[١١٦] "العراق"، ١٠ نيسان ١٩٣٠.

[١١٧] "الاستقلال"، ٢٩ مايس ١٩٢٧.

اكثر من غيرها، لكونها الدولة ذات المصالح الاكبر في ايران فاحتجت مع عدد من الدول الاخرى على الخطوة الايرانية[١١٨]. بيد ان ايران كانت عازمة على تنفيذ مسعاها بهذا الخصوص، فاعلنت في ١٠ ايار ١٩٢٨ عن الغاء تلك الامتيازات رسميا، وتعهدت للدول ذات العلاقة بتقديم ضمانات خاصة لعدم الاضرار بمصالحها ومصالح رعاياها في ايران شريطة قيام تلك الدول بالاعتراف بالقانون الجديد[١١٩].

وعلى اثر صدور القانون اتخذت ايران عدة خطوات بغية وضعه موضع التنفيذ، فاقدمت على الغاء المحاكم الخاصة التي كان يشرف عليها القناصل الاجانب في ايران وبموجبه اصبح على جميع الاجانب الخضوع للقضاء المحلي في الحالات التي تستوجب مثولهم امامها[١٢٠]. كذلك شرعت بوضع تعريفة كمركية جديدة بعد ان كانت الرسوم المفروضة على البضائع الاجنبية الواردة الى ايران لاتتجاوز الـ (٥٪). وبموجب التعريفة الجديدة كان يحق لايران فرض النسبة التي تريدها على البضائع التي تردها من الدول الاخرى. وبغية انعاش التبادل التجاري مع الدول الاخرى اتخذت من مبدأ الدولة ذات الرعاية الافضل اساسا لمعاملاتها التجارية معها، وبموجبه كانت بضائع هذه الدول تتمتع بانخفاض الرسوم الكمركية المفروضة عليها شريطة قيام الاخيرة بتطبيق المبدأ نفسه على الصادرات الايرانية[١٢١].

R.Bullard, Britin and, the Middle East…, P. 123, H.Amir Sadeghi, OP. Cit., P. 43.

118 F.O., 371/13057, Confidential, British Government Archives, No. 8, E 2133/47/43, From R. Clive to Austen Chamberlain, April 23, 1928, P. 18;

"النهضة العراقية"، ٢٣ نيسان ١٩٢٨، "العالم العربي"، ٦ ايار ١٩٢٨.

١١٩ صالح احمد العلي، المصدر السابق، ص ٨٧-٨٨،

R.Bullard, Britin and the Middle East, P. 125; H.Arfa, OP. Cit., P. 285.

120 H.Amirsadeghi, OP. Cit., P. 43; C.Skine, OP. Cit., P. 74; P. Sykes, OP. Cit., P. 556.

121 F.O., 371/13057, Confidential, Tel. No. 162, E 2133/17134, From R.Clive to Austen Chamberlain, April 6, 1928, P.18; F.O., 371/13057, Confidential, British Government Archives, No. 8, E 2133/47/34, R.Clive to Austen Chamberlain, April 23, 1928, P. 18; H.Arfa, OP. Cit., P. 282; P. Sykes, OP. Cit., P. 557.

وفي عام ١٩٢٨ عقد اتفاق بين ايران وبريطانيا سمح بموجبه للطائرات التابعة للخطوط الجوية الامبراطورية القادمة الى الشرق او الذاهبة منه بالهبوط على السواحل الايرانية المطلة على الخليج العربي[١٢٢]. وفي عام ١٩٢٩ حددت الحالات التي يجوز فيها للطائرات الاجنبية التحليق فوق الاراضي الايرانية، وكانت الخطوط الجوية الامبراطورية هي المتضررة من هذا الاجراء، عندما اشترطت الحكومة الايرانية ان يكون مسار هذه الخطوط على امتداد الجبال وعبر مدينة شيراز مما حمل البريطانيين على نقل مطاراتهم الى الساحل العربي من الخليج[١٢٣]. وكانت بريطانيا الى وقت الغاء الامتيازات الاجنبية مسؤولة عن اضاءة سواحل الخليج العربي، وعن القيام بالحجر الصحي للقادمين الى ايران. بيد انها سلمت اخيرا هذه المهام الى الحكومة الايرانية[١٢٤]. وفي خطوة لاحقة تم الغاء امتياز شركة التلغراف الهندو-اوربية، ونقلت ملكيتها الى الحكومة الايرانية[١٢٥]. كذلك تم تقليص عدد المستشارين والموظفين الاجانب العاملين لدى الادارة الايرانية وجرى الاستغناء عن اعداد كبيرة منهم، لاسيما البريطانيين[١٢٦]. وفي عام ١٩٣٠ انهيت عقود الموظفين البلجيك المسؤولين عن ادارة الكمارك[١٢٧]. وفي معرض تفسيره لهذه الخطوات قال رضا شاه في مقابلة صحفية اجريت معه: "ان على ايران ان تتعلم العمل بدون اجانب. وانها بعد سنوات قلائل سوف لن تكون لها ثمة حاجة بالخبراء والمستشارين الاجانب"[١٢٨].

---

[١٢٢] د. احمد باسل البياتي، المصدر السابق، ص ١٩،

R.Bullard, Britim and the Middle East…, p. 126.

[١٢٣] د. احمد باسل البياتي، المصدر السابق، ص ١٩،

R.Bullard, Britin and the Middle East…, p. 127, C.Shkrine, OP. Cit., P. 74.

[١٢٤] ر.م. بوريل، الخليج العربي، ترجمة مكي حبيب المؤمن، مراجعة الدكتور عبدالامير محمد امين، بغداد، ١٩٧٧، ص ٢٣،

R.Bullard, Britin and the Middle East…, pp. 125-126.

[125] J.Marlow, The Persian, Gulf in the twentieth Century, P. 103; C.Skrine, op. Cit., P. 74; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 143.

[126] J. Marlow, The Persian Gulf in the twentieth Century, P. 103; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 147.

[127] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 143.

[128] D.N. Wilber, Contemporary Iran, P. 73.

وبسبب كراهية رضا شاه، ونفوره الشديدين من الاجانب، وللتقليل الى اكبر حد ممكن من تأثيرهم داخل ايران، شرع سلسلة قوانين في هذا المجال. فبموجب القوانين الصادرة حظر على الاجانب تملك الاراضي والعقارات داخل البلاد. واتخذت التدابير اللازمة لاسترجاع الاراضي والممتلكات التي انتقلت الى ايد اجنبية خلال الفترات الماضية، واعادتها الى الايرانيين[١٢٩]. ومنع الاجانب، وبالاخص البعثات التبشيرية، من ادارة المدارس. كذلك منع عملية التنقل بين الاقاليم دون موافقة مسبقة من الشرطة[١٣٠]. وقد رغبت ايران، في محاولة منها للتقليل من نفوذ الشركات الاجنبية التي قدمت الى البلاد لانشاء المشاريع الصناعية والاشراف عليها، شراء بعض اسهم هذه الشركات عن طريق (المصرف الوطني) او (المصرف الزراعي-الصناعي)، لتضمن لنفسها السيطرة على ادارة هذه الشركات ومتابعة شؤونها[١٣١]. بيد انها لم توفق في ذلك.

٥-السياسة النفطية

على الرغم من النجاحات التي حققها رضا شاه في مجال الغاء الامتيازات الاجنبية كخطوة اولى على طريق تحقيق استقلال بلاده السياسي، والاقتصادي، الا انه فشل في قضية مهمة جدا، بل احدى اهم القضايا الحيوية بالنسبة للمصالح البريطانية في ايران، الا وهي قضية شركة النفط الانكلو-فارسية. والواقع ان ايران لم تأل جهدا وعلى امتداد سنوات[١٣٢] عدة لتعديل العلاقة غير المتكافئة بينها وبين

---

[١٢٩] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير سري من نيابة القنصلية الملكية العراقية في المحمرة لشهر نيسان ١٩٣١ الى وزارة الخارجية العراقية، الوثيقة رقم ٧٤، م. و. و، الملف نفسه، تقرير من نيابة القنصلية الملكية العراقية في المحمرة لشهر نيسان ١٩٣١ الى وزارة الخارجية العراقية، الوثيقة رقم ٢-٣، جاد طه، ايران وحتمية التاريخ، القاهرة، بلا، ص ٩٢.

[130] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 143; T.Bryson, OP. Cit., P. 88.

[١٣١] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه وزارة الخارجية العراقية لشهر تشرين الاول ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١١٨-١١٩.

[١٣٢] حول محاولات ايران المستمرة لتعديل الامتياز عبر سنوات عدة راجع:

Lois Gregory, The Shah and Persia, Kert, 1952, PP. 127-128; J.Marlow, Iran Ashort Political Guide, PP. 85-85;

شركة النفط التي بقيت تمثل ارثا استعماريا يلقي بظله على جوانب الحياة كافة في البلاد حتى غدت بمثابة (دولة داخل دولة) وتمثل جزء لا يتجزأ من تاريخ ايران السياسي والاقتصادي، بل والاجتماعي[١٣٣].

ومنذ عام ١٩٢٨ بدأت العلاقة بين الحكومة الايرانية والشركة تدخل مجالا جديدا. فقد بعث الشاه بوزير بلاطه تيمور طاش الى لندن لاجراء مفاوضات مع ممثلي الشرطة بغية تعديل شروط الامتياز، بيد ان المفاوضات اخفقت بعد فترة قصيرة بسبب رفض الشركة للشروط الايرانية بشأن تعديل الامتياز[١٣٤].

وفي العام التالي وصل السير جون كادمن، المدير العام للشركة، الى طهران وتفاوض مع وزير البلاط لمناقشة مسودة امتياز جديد، واستمرت المفاوضات لغاية آب ١٩٣١ حينما ابلغ كادمن تيمور طاش بان موضوع تعديل الامتياز سوف لن ينظر فيه بعد الان لان مطالب الحكومة الفارسية تتجاوز ما يمكن ان تقبل به الشركة[١٣٥]. واقتصرت المفاوضات بين الطرفين على الطريقة التي يتم بموجبها حساب ارباح الشركة وتعيين حصة[١٣٦] ايران منها. وتوصل الطرفان الى توقيع اتفاق بينهما بهذا الشأن[١٣٧]. غير ان استياء الحكومة الايرانية مالبث ان تفجر من جديد عندما علمت ان حصتها من ارباح شركة النفط لعام ١٩٣١ بلغت ٣٠٠ الف باون مقارنة مع ١,٣٠٠,٠٠٠باون كانت قد استلمتها عن عام ١٩٣٠[١٣٨]. وتضاعف

د. صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٢٢، الاستثمارات الامبريالية في ايران، منشورات الثورة، بغداد، ١٩٧٢، ص ١٣-١٤.

[١٣٣] د. عبدالسلام عبدالعزيز فهمي، الاحتكارات الدولية وسياسة ايران البترولية، "مجلة السياسة الدولية"، العدد الثامن والعشرين، السنة الثامنة، ابريل ١٩٧٢، ص ١٦٢.

[134] L.Gregory, OP. Cit., P. 129;

سليم طه التكريتي، معركة النفط في ايران، بغداد، ١٩٥١، ص ٥٠.

[135] L. Gregory, OP. Cit., P. 129.

[١٣٦] كانت المادة العاشرة من عقد الامتياز الممنوح لدراسي تنص على ان تحصل الحكومة الايرانية على ١٦٪ من صافي الارباح للشركة بيد انه لم يتم بلوغ هذه النسبة مطلقا حتى الثلاثينات. بيارترزيان، الامتيازات النفطية الاولى، "مجلة قضايا عربية"، العدد الخامس، السنة الثامنة، بيروت، ايار ١٩٨١، ص ١٢.

[١٣٧] سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص ٥٠.

[138] F.O., 371/16078, “L’Iran”, October 24, 1932, P. 188.

استياؤها اكثر عندما علمت ان مقدار ما دفعته الشركة الى الحكومة البريطانية للعام نفسه (١٩٣١) كضريبة دخل بلغ ٨٠٠,٠٠٠[١٣٩] باون[١٤٠]. وعندما ابدت الحكومة الايرانية للشركة دهشتها من المصير الذي آلت اليه عائداتها من النفط تذرعت الاخيرة بانخفاض اسعار النفط عالميا بسبب الازمة الاقتصادية العالمية[١٤١].

وعلى اثر ذلك انطلقت حملات صحفية شديدة، كان معظمها بايعاز من الحكومة، تهاجم الشركة وسياسة التسويف والمماطلة التي تتبعها وتطالب بوضع حد لتحكمها في مقدرات البلاد[١٤٢]. واخيرا وضع رضا شاه حدا للامر عندما اعلن عن الغاء امتياز شركة النفط. فقد قام بزيارة فجائية لمجلس الوزراء الذي كان مجتمعا، ودون ان يجلس، طلب الملف الذي يحوي سجل المفاوضات بين الشركة والحكومة وامر باحراقها قائلا: "افسخوا امتياز هذه الشركة اللعينة وارفعوها عن رأسنا"[١٤٣].

وفي اليوم التالي ابلغ وزير المالية الايراني في مذكرة رسمية المدير العام للشركة قرار الغاء الامتياز، لان "امتياز دارسي المؤرخ في سنة ١٩٠١ لايصون مصالح الدولة ولا مصالح الامبراطورية الايرانية تأمينا فعليا" وان "الشركة لم تكتف فقط

---

[١٣٩] اي ان عائداتها لتلك السنة بلغت نسبة ١-٤ من عائداتها للعام السابق.

[140] F.O., 371/16078, "L'Iran", October 24, 1932, P. 188.

وحول الموضوع نفسه راجع:

J.Marlow, Iran Ashort Political Guide, PP. 53, 84.

[141] F.O., 371/1607, "L'Iran", October 24, 1932, P. 188; R.Cottam, OP. Cit., P. 204.

[١٤٢] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير شهري سري للغاية من المفوضية الملكية العراقية في طهران لشهر نيسان ١٩٣١ الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١١٨ في ٥ ايار ١٩٣١، الوثيقة رقم ٧٨، م. و. و، الملف نفسه، التسلسل ٧٣٩-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن قضية امتياز دارسي وفسخه في ١٣ كانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٠.

[١٤٣] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، كتاب من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١٦٥٥ في ١٢ كانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٩،

Bahman Nirumand, Iran. The New Imperialism in Action, New York and London, 1969, P. 32; D. N. Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 147.

بعدم القيام باية اجراءات عملية تأمينا لمصالح ايران المذكورة، بل ان هذه المصالح[١٤٤] الموجودة باليد قد اصبحت مفتوحة ونازلة الى حد اوطأ من قبل... وبناء عليه فالحكومة الايرانية... لم تجد الا وسيلة واحدة تحقق لها تلك الغاية وهي فسخ امتياز دارسي". ولم ينس وزير المالية ان يكتب في نهاية المذكرة عن استعداد الحكومة "منح امتياز جديد للشركة اذا كانت هذه مستعدة لتأمين مصالح الحكومة الايرانية"[١٤٥]. وبهذه المناسبة اعلنت العطلة في جميع الدوائر الرسمية مدة يومين. واقيمت الاحتفالات ومظاهر الزينة في ارجاء البلاد كافة[١٤٦].

رفضت الشركة الاعتراف بفسخ[١٤٧] الامتياز بدعوى ان الامتياز كان قد اعترف به من قبل حكومات ايرانية عديدة. ولم تشأ في بادىء الامر ان تطلب تدخل الحكومة البريطانية لاعتقادها بانه يمكن تسوية الموضوع مع الحكومة الايرانية

---

[١٤٤] يقصد عائدات النفط بالدرجة الاولى.

[١٤٥] م. و. و.، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، كتاب من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١٦٥٥ في ١٢ كانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ١٩. ولمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، كتاب سري للغاية من قنصلية العراق الملكية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية حول الغاء الحكومة الايرانية لامتياز شركة النفط الانكليزية-الفارسية، رقم ٦/٤٨٧ في ٣ كانون الاول ١٩٣٢ الوثيقة رقم ١١٣، م. و. و، الملف نفسه، كتاب سري من مفوضية العراق الملكية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٦١/٦/٤٩٤ في ٧ كانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٥، م. و. و، الملف نفسه، تقرير من المفوضية الملكية العراقية الى وزارة الخارجية العراقية عن قضية امتياز دارسي وفسخه في ١٣ كانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٠-١١١.

[١٤٦] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، كتاب سري للغاية من قنصلية العراق الملكية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية حول الغاء الحكومة الايرانية لامتياز شركة النفط الانكليزية-الفارسية، رقم ٦/٤٧٨ في ٣ كانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٣ ،م. و. و، الملف نفسه، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن قضية امتياز دارسي وفسخه في ١٣ كانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٠.

[١٤٧] تجدر الاشارة الى ان الشركة لم تفاجأ بمسألة فسخ امتيازها، لانها كانت تتوقع اقدام الحكومة الايرانية ومنذ سنوات على عمل بهذا الشأن. للتفاصيل راجع:

F.O., 371/13059, Britannic Government Archives, Confidential, Tel. No. 24, E 590/105/34, No. 1, From R.Clive to Auston Chamberlain, January 12, 1928, P. 59; F.O., 371/16078, Britannic Governments Document, Confidential, Tel. No. 336, E 4135/3880/34, From Hoave to John Simon, July 29, 1932. P. 144.

مباشرة ولان "المعركة ستكون على الاوراق فقط... وسوف لن يكون هناك اي تغيير ملموس في الموقف في حقول النفط"[١٤٨]. وهو الرأي الذي استأنست به وزارة الخارجية البريطانية[١٤٩] التي اعتقدت بان الايرانيين سوف "لايقدمون على اية خطوة قوية في هذا المجال"[١٥٠]. بيد ان تصميم الايرانيين على موقفهم في البداية على الاقل اثار استياء الحكومة البريطانية وادى الى توتر العلاقات بين الطرفين، فابلغت الحكومة الايرانية في مذكرة شديدة اللهجة بانها تعتبر عمل الحكومة الايرانية بفسخها امتياز شركة النفط الانكليزية-الايرانية امرا مخلا باحكام الامتياز ولايمكن القبول به. وطالبتها بسحب بلاغها الى الشركة بشأن فسخ الامتياز[١٥١]. وفي مذكرة ثانية الى الحكومة الايرانية ابلغتها فيه بانه اذا ما حدث اي تخريب او تدخل في شؤون الشركة، فان حكومة جلالته ستعتبر نفسها مخولة باتخاذ جميع الخطوات لحماية الشركة وصيانة حقوقها وعدم السماح باي تخريب او تدخل في نشاطها[١٥٢]. وحددت مدة اسبوع لسحب بلاغ فسخ الامتياز[١٥٣]. في الوقت الذي اوعزت فيه، وفي خطوة تحذيرية الى عدد من بوارجها الحربية للتوجه نحو الشواطيء الايرانية[١٥٤]. بيد ان

---

[148] F.O., 371/16078, E 6259, Cancellation of Anglo-Persian Oil Company, Concession, 1932, P. 207.

[١٤٩] كانت الحكومة البريطانية تملك القسم الاكبر من اسهم الشركة.

[150] F.O., 371/16078, E 6259, Cancellation of Anglo Persian Oil Company, Concession, 1932, P. 207.

[١٥١] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، كتاب من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية رقم ١٦٥٥ في ١٢ كانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٨، م. و. و، الملف نفسه، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية للمدة المنتهية بكانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٨، ميكائيل ركسن، النفط والسياسة الخارجية، ترجمة غضبان السعد، بغداد، بلا، ص ٥٦-٥٧.

[١٥٢] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، كتاب من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١٦٥٥ في ١٢ كانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٨، سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص ٥١.

[١٥٣] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، كتاب من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية رقم ١٦٥٥، في ١٢ كانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٨.

[١٥٤] هاكوب. ف. توريانتز، نفط ودماء، تعريب عبدالغني الخطيب، بلا، ١٩٦٢، ص ٧٠،

A. Saikal, OP.Cit., P.22,

الحكومة الايرانية لم تتزحزح عن موقفها. وردت على ذلك بارسالها مذكرة في ٣ كانون الاول ١٩٣٢ لخصت فيها التهم الموجهة الى الشركة[155]. عندئذ قررت الحكومة البريطانية رفع القضية الى محكمة العدل الدولية لحسم الخلاف بين الطرفين. غير ان ايران رفضت هذا الامر باعتبار ان الشركة تخضع للقوانين المحلية في بلد ذا سيادة. ومع هذا فان بريطانيا تمسكت بموقفها وعرضت الخلاف على مجلس عصبة الامم، وما لبثت ايران ان ابدت موافقتها على حضور جلسات المناقشة[156].

وبينما كانت المناقشات تدور في عصبة الامم كانت هناك مفاوضات سرية تجري بين اللورد جون كادمن والممثلين الايرانيين انتهت بتوقيع اتفاقية جديدة بين الطرفين في ٢٨ نيسان ١٩٣٣[157].

وبموجب الاتفاقية الجديدة تم تمديد الامتياز لمدة ثلاثين عاما اخرى، اي الى عام ١٩٩٣، كما حددت منطقة الامتياز بـ (١٠٠,٠٠٠) ميل مربع، واصبحت حصة ايران السنوية من الارباح الصافية ٢٠٪ بعد ان كانت ١٦ ٪. وترتب على شركة النفط ايضا ان تدفع (٤) شلنات عن كل طن من النفط يباع او يصدر الى الخارج، وان لا تنخفض الضرائب دون (٧٥٠,٠٠٠) باون سنويا. ولتسوية المشاكل المعلقة بين الشركة والحكومة الايرانية دفعت الاولى للاخيرة مبلغ مليون باون. كما سمح للحكومة بتعيين ممثل عنها للتعاون مع الشركة من اجل مراقبة الحسابات. كذلك تعهدت الشركة بتدريب عدد من الطلبة الايرانيين في المؤسسات النفطية في خارج البلاد[158].

---

[155] حول هذا الموضوع راجع:
ال. بي، الول ساتن، رضا شاه كبير يا ايران نو، ترجمة عبدالعظيم صبوري، طهران، ١٣٣٥. ش، ص ٤٥٤.

[156] ال. بي. ساتن، رضا شاه كبير يا ايران نو، ص ٤٥٧،
Anthony Eden, Memoirs, London, 1960, P. 191; Richard N. Frye, The Near East and the Grest Powers, New York, 1969, P. 119-120.

[157] L.Gregory, OP. Cit., P. 131.

[158] للتفاصيل حول هذا الموضوع راجع: ال. بي. الول ساتن، رضا شاه كبير يا ايران نو، ص ٤٥٧-٤٦٣، محمد حسنين هيكل، ايران فوق بركان، القاهرة، بلا، ص ٣٥،
B.Nirumand, OP. Cit., PP. 30-34; J.Marlow, The Persian Gulf in the twentieth Century, PP. 126-132.

وعلى الرغم من ان بعض بنود الاتفاقية الجديدة لاتخلو من كسب بالنسبة للحكومة الايرانية فان دراسة تمحيصية للبنود الاخرى تكشف بجلاء ان ماظفرت به الشركة من مكاسب كانت تفوق كثيرا ما حصلت عليه ايران. فعلاوة على تمديد الامتياز فان الشركة حصلت على حق شراء اراضي وبناء سكك حديد، وموانيء جديدة وخطوط تلفون وتلغراف ومطارات ومحطات اذاعة. كما احتفظت بحقها في ان يكون لها بوليس خاص ومدارس خاصة بها[١٥٩].

ولقد اثير الجدل كثيرا حول السبب الحقيقي الذي دفع رضا شاه لاثارة موضوع حساس كهذا بالنسبة للمصالح البريطانية. فقد اعتبرها البعض مناورة قصد بها الشاه تقوية وضعه الداخلي، واظهار نفسه بثوب الوطني الذي يقف ضد المصالح الاجنبية. اذ من غير الممكن الاعتقاد بان رضا شاه لم يكن يعرف مسبقا ردود الفعل البريطانية العنيفة بشأن قضية حيوية وخطيرة تمس ستراتيجيتها في ايران والشرق الاوسط، وتشكل بادرة تدفع اطرافا اخرى في المنطقة لاتخاذ موقف مشابه لموقف ايران، وهو الامر الذي لم يكن يقبل به الانكليز مطلقا. كما ان التصريحات التي ادلى بها عدد من الساسة الايرانيين الذين لعبوا دورا مؤثرا اثناء المفاوضات النفطية، بعد مرور سنوات على توقيع الاتفاق، تكشف الموقف الحقيقي لرضا شاه من تلك القضية. فقد صرح تقي زادة[١٦٠] رئيس الوزارة الايرانية التي وقعت اتفاقية ١٩٣٣، في البرلمان الايراني في كانون الثاني سنة ١٩٤٩ بانه لم يكن له اي خيار في المصادقة على تلك الاتفاقية او عدمها، وانه لم يعط له اي مجال لبحث مسألة تمديد الاتفاقية، وانما كان عليه ان يضع توقيعه عليها ليس الا. واضاف قائلا"... وهو مستحيل كلية لنا نحن الذين كنا نلعن لمدة ثلاثين سنة اولئك الذين منحوا هذا الامتياز في الاصل ان لا نضع انفسنا في وضع نلعن بسببه لمدة خمسين سنة بسبب

---

[159] M.S.Ivanov, OP. Cit., PP. 328-330.

[١٦٠] حسبما تذكر بعض المصادر الايرانية ان شركة النفط الانكلو-ايرانية كافأت العناصر التي لعبت دورا فعالا في تسوية النزاع بين الشركة والحكومة الايرانية، لاسيما تقي زادة رئيس الوزارة الايرانية ابان تلك الفترة وحسين علاء سفير ايران في باريس بان خصصت لهم رواتب سنوية تدفع اليهم باستمرار. سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص ٥٤.

الموافقة على ذلك..."[١٦١]. ويأتي قول جون كادمن ليضع النقاط على الحروف اكثر بما لا يترك مجالا للجدل حينما ذكر بعد ابرام الاتفاقية بان "الشاه، والشاه فقط، جعل الاتفاقية ممكنة"[١٦٢].

ولعل مما له مغزاه بهذا الصدد ان الشاه مالبث بعد فترة وجيزة من توقيع الاتفاقية ان زج بتيمور طاش، اقرب اعوانه المخلصين، في السجن حيث مات فجأة. وحسبما كشفت الوثائق المتاخرة فان الاخير كان قد طالب بزيادة حصة ايران من عائدات شركة النفط[١٦٣].

٦-في مجال المواصلات

وفي مجال المواصلات كانت الخطوة الرئيسية للشاه هي بناء شبكة من خطوط السكك الحديد تمتد من شمال البلاد حتى جنوبها. وكان اقدام الشاه على هذه الخطوة نابعا من جملة اسباب، فتحقيق تنمية اقتصادية شاملة كان يتطلب ادماج المقاطعات في الحياة الاقتصادية للبلاد. وكان هذا يعني توفر شبكة مواصلات كفوءة لضمان تحقيق الاكتفاء الذاتي بين اقاليم البلاد المختلفة حيث كان بالامكان نقل الفائض من منتوجات الشمال الزراعية بسهولة الى المناطق الجنوبية التي كانت تتعرض لازمات غذائية حادة نتيجة الجفاف. علاوة على سهولة توصيل المعادن والمواد الخام الضرورية للصناعة الى المؤسسات الصناعية التي بدأت بالانتشار في ارجاء مختلفة من البلاد[١٦٤]. ولم تكن الغاية العسكرية من انشاء هذا الخط غائبة ذهن رضا شاه، فربط المقاطعات، لاسيما البعيدة منها بالعاصمة، يقوي من قبضة السلطة المركزية عليها، ويسهل تحركات الجيش في تلك المناطق[١٦٥].

---

[١٦١] المصدر نفسه، ص ٥٢، د. راشد البراوي، حرب البترول في العالم، ط١، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٧٦.

[162] K.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 150.

[163] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 330.

[١٦٤] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/١/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من نيابة قنصلية العراق الملكية في المحمرة لشهر آذار ١٩٣١ الى وزارة الخارجية العراقية، الوثيقة رقم ٦٣، ز. ى. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٢٦٤.

R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 229; W.V.Emanuel, The Wild Asses A Journey through Persia, London, 1939, P. 152.

[١٦٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من نيابة قنصلية العراق الملكية في المحمرة لشهر آذار ١٩٣١ الى وزارة الخارجية العراقية، الوثيقة رقم ٦٣.

ولعل هذا يفسر سر المعارضة القوية من قبل العشائر القاطنة في الاراضي التي كان سيمتد فيها المشروع[١٦٦]. ولكن الهدف الاهم للشاه كان اضعاف الصلات التجارية والاقتصادية بين ايران والاتحاد السوفيتي لاسيما بالنسبة للمناطق الشمالية التي كانت تقليديا تعتبر سوقا مفتوحة امام تجارة الجارة الشمالية[١٦٧].

بدأ رضا شاه في تحقيق مشروعه الطموح منذ مطلع ايار ١٩٢٥ عندما سن المجلس قانونا يخول الحكومة حق احتكار السكر والشاي، وتخصيص الارباح الناتجة عن ذلك الاحتكار لانشاء السكك الحديد[١٦٨]. وفي آذار ١٩٢٦ وافق المجلس على الخطط الانشائية المتعلقة بالمشروع. وفي ١٧ تشرين الاول ١٩٢٧ بدأ التنفيذ الفعلي للمشروع[١٦٩].

لقد اثيرت تكهنات[١٧٠] عديدة حول قدرة ايران على انجاز مشروع ضخم كهذا بسبب جسامة المبالغ التي يتكلفها، والتي تبلغ ملايين الدولارات، فضلا عن الجدوى الاقتصادية للمشروع. فقد ارتأى البعض[١٧١] ان بناء طرق برية تربط الاقاليم

R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 229; H.Katouzain, OP. Cit., P. 116; Ahmad Mahrad, Die neuen groben Verbindungswege in Iran und ihr Einflub auf die english-iranischen Beziehungen, Oktober 26, 1939, PP.373-374.

[١٦٦] د. عبدالسلام عبد العزيز فهمي، المصدر السابق، ص ٨٢.

[١٦٧] د. كمال مظهر احمد، صفحات من تاريخ العلاقات الايرانية السوفيتية، ص ٧،

R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, PP. 220-221.

[168] "The Near East", No. 737, Vol. XXVII, June 25, 1925, P. 671; D.N.Wilber, Iran Past and Present, P. 273;

(وفي الترجمة العربية ص ١٧٠).

R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 230.

[١٦٩] "العراق"، ١١ شباط ١٩٢٦، "العالم العربي"، كانون الثاني ١٩٢٧،

D.N.Wilber, Iran Past and Present, P. 273.

R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 230.

[١٧٠] حول هذا المشروع راجع: "النهضة العراقية"، ١١ ايار ١٩٢٨، "العالم العربي"، ٧ ايار ١٩٢٧و ٢٢شباط ١٩٣٤، "العراق"، ٢٤ كانون الاول ١٩٢٩، "نداء الشعب"، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٠، "الاخاء" (جريدة)، البصرة، ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٧،

N.Katouzain, OP. Cit., P.115; N.R.Keddie, Roots of Revolution, P. 100.

[١٧١] كان الدكتور مصدق من ابرز المعارضين للمشروع، لانه رأي ان تكاليفها الباهظة سيقع عبؤها على كاهل الطبقات الفقيرة.

الرئيسة في البلاد سيكون افضل واقل كلفة ويؤدي بالتالي الى تخفيض كلفة النقل الداخلي. غير ان الاعتبارات العسكرية والستراتيجية لدى رضا شاه تغلبت في نهاية المطاف ونفذ المشروع.

تألف المشروع من قسمين رئيسيين، الاول يبدأ من بندر شاه على بحر قزوين مارا بساري من على جبال البرز حتى يصل طهران، اما القسم الثاني، وهو الخط الجنوبي، فكان يبدأ من بندر شاهبور على الخليج العربي وينتهي بديزفول شمال عربستان[١٧٢].

لم يشأ رضا شاه ان يعهد بالمشروع الى جهة اجنبية واحدة، بل آثر الاتفاق مع شركات ذات جنسيات مختلفة. فقد عهد بانشاء القطاع الشمالي الى شركة المانية، في حين تعهدت شركة امريكية بانجاز القسم الجنوبي[١٧٣]. وقد كان رضا شاه مصمما على بناء الخط دون اللجوء الى مساعدات خارجية، حيث صرح قائلا: "توجد خيوط ملحقة بجميع القروض الاجنبية، و (في قبولها) سنكون ملزمين بان نصبح خاضعين لنفوذ تلك الدول"[١٧٤].

وعلى هذا الاساس تم تمويل المشروع محليا من احتكار السكر والشاي ومن الضرائب الاخرى التي فرضت كرسوم على الطريق وبعض السلع الاخرى، فضلا عن المنح الحكومية وقروض المصرف الوطني[١٧٥]. وعلى حد تعبير الخبير الاقتصادي

---

[١٧٢] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/١٠، التسلسل ٩٨٤-وع، الوثيقة رقم ١٤٥، "الاخاء الوطني"، ٥ ايلول ١٩٣٢). (وفي الترجمة الفارسية، ص٨٨٤).

P. Sykes, OP. Cit., P. 557.

[١٧٣] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من نيابة قنصلية العراق الملكية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آذار ١٩٣١، الوثيقة رقم ٦٣، م. و. و، الملف نفسه، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٥٥،

T.Bryson, OP. Cit., P. 88; P. Sykes, OP. Cit., P. 755.

(وفي الترجمة الفارسية، ص ٨٤٥).

A.Mahrad, OP. Cit., P. 376.

[174] D.N.Wilber, Contemporary Iran, PP. 73-74.

[١٧٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من نيابة قنصلية العراق الملكية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية لشهر اذار ١٩٣١، الوثيقة رقم ٦٣، م. و، و، الملف نفسه، تقرير من مفوضية العراق الملكية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول

جوليان بهاريار (JULIAN BHARIER) كان بناء الخط "يقف شاهدا كأحد الامثلة الكلاسيكية للاستثمار في بلاد نامية"[١٧٦].

وفي تشرين الثاني ١٩٢٩ اكمل الالمان بناء قطاع بندر شاه- ساري في الشمال، في حين افتتح الامريكان قطاع بندر شاهبور-ديزفول في الجنوب. غير ان الخلل الذي اصاب بعض اجزاء الخط، لاسيما في قسمه الجنوبي، وارتفاع تكاليف الانجاز قياسا لما هو مخطط له، ادى الى اعفاء الشركتين من العمل[١٧٧]. وعلى اثر ذلك عهد بالعمل الى "شركة كامباكس" (KAMBAXAS CONSORTIUN) المتحدة، والمؤلفة من عدة شركات اوربية. كما اوكل تنفيذ اجزاء الخط الى عدد من المقاولين المحليين والاجانب[١٧٨]. وحتى عام ١٩٣٣ كانت الاجزاء الرئيسة من الخط قد اكمل بناؤها. ووصولا الى عام ١٩٣٨ كان الخط الحديدي[١٧٩] العملاق (TRANS IRAN) قد انتهى العمل فيه بعد ان كلف مبالغ طائلة تراوحت بين ١٥٠ مليون الى ٢٠٠ مليون دولار. واحتاج مده بطول ١٣٩٤ كيلو متر خلال مناطق جبلية وعرة

وتشرين الاول، ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٥٦، م. و، و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير دوري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية في ١ نيسان ١٩٣٣ في كتابها المرقم ٣٨٩ والمؤرخ في ١٧ نيسان ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٧٦، محمد جواد مشكور، تاريخ زمين، ص ٣٩٦،

Antbony Smith, Apersian Quarter Century, London, 1977, P. 84; R.K.Ramazani, OP. Cit., P. 32.

[176] A.Smith, OP. Cit., P. 84.

[١٧٧] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من نيابة قنصلية العراق الملكية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية لشهر اذار ١٩٣١، الوثيقة رقم ٦٣،

P. Sykes, OP. Cit., PP. 557-558.

(وفي الترجمة الفارسية ص ٨٤٥)،

A.Smith, OP. Cit., P. 84; T.Bryson, OP. Cit., P. 88.

[١٧٨] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من نيابة قنصلية العراق الملكية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية لشهر اذار ١٩٣١، الوثيقة رقم ٦٣،

R.K. Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 230; A. Smith, OP. Cit., P. 84; W.V.Emanuel, OP. Cit., P. 152.

[١٧٩] من سخرية القدر ان هذا الخط قدم خدمات جمة للحلفاء في سنوات الحرب العالمية الثانية لنقل الامدادات العسكرية والاقتصادية الى السوفيت، الذين عزلوا صاحب المشروع رضا شاه بالاتفاق مع البريطانيين.

وشائكة[١٨٠]، بناء (٤) الاف جسر، و ٢٢٤ نفق بعضها يخترق بطون الجبال، و ١٤٩ محطة، اشتغل فيه اكثر من ٥٠ الف عامل و ٤٥٠ مهندس وخبير، وباستثناء الاخشاب فقد تم تجهيز جميع المواد الضرورية لبناء الخط من خارج البلاد ومن مناشيء اجنبية مختلفة[١٨١].

وفي الوقت نفسه اتسعت نشاطات شق الطرق، وازدادت امكانات نقل الاشخاص والبضائع بواسطها. فقد تم توسيع الطرق واعادة تجديدها، وبنيت طرق اخرى جديدة، فعلى سبيل المثال لم تكن ايران تمتلك حتى عام ١٩٢٠ اكثر من الفي ميل من الطرق البرية الصالحة لسير المركبات، غير ان هذا الرقم ارتفع الى عشرة اضعافه في الثلاثينات[١٨٢]. وقد ربطت تلك الطرق المدن الرئيسة في داخل البلاد، علاوة على بعض المدن الصغرى التي بدأ النشاط الاقتصادي ينتعش فيها[١٨٣].

وقد ساهم ذلك في انخفاض اجور النقل الداخلي، فضلا عن الاسراع في اجراءات النقل، فبينما كانت عملية نقل البضائع بين الموانيء الجنوبية وطهران تستغرق في عام ١٩٢٠ اكثر من شهرين، اصبحت هذه الرحلة تتم فيها بعد باقل من اسبوعين[١٨٤].

---

[١٨٠] حول الصعوبات الفنية والطبيعية التي جابهت المشروع راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/١٠، التسلسل ٩٨٤-وع، الوثيقة رقم ١٤٤-١٤٥، "الاخاء الوطني"، ٥ ايلول ١٩٣٢.

[١٨١] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/١٠، التسلسل ٩٨٤-وع، الوثيقة رقم ١٤٤، م. و، و، الملف ة/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر شباط ١٩٣٧، الوثيقة رقم ١٢، د. عبدالسلام عبدالعزيز فهمي، المصدر السابق، ص ٨٢،

R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 230; D.N.Wilber, Iran Past and Present, P. 274;

[182] Zalmay Khalizad, Security in Southern Asia. The Security of South West Asia, London, 1984, P. 67; H.Katouzain, OP. Cit., P. 116.

[١٨٣] "العالم العربي"، ١ كانون الثاني ١٩٣١،

Z.Khalizad, Op. Cit., P. 67; H. Katouzain, OP. Cit., P. 116.

[184] Z.Khalizad, OP. Cit., P. 67; J. Bharier, OP. Cit., P. 87.

وبغية تشجيع النقل الداخلي اتخذت عدة اجراءت منها اعفاء الشاحنات والحافلات من رسوم الطريق، وتخفيض اسعار الوقود، وتشجيع استيراد المركبات المستعملة للاغراض الاقتصادية[١٨٥].

وفي عام ١٩٢٥ اقدمت احدى المؤسسات الحكومية، وهي مؤسسة الخدمات الغذائية الحكومية، على خطوة مهمة حينما قامت باستيراد مائتي شاحنة لغرض نقل الفائض من المواد الغذائية الى المناطق التي تعاني من المجاعة[١٨٦]. وقد تبع هذا التوسع في النقل الداخلي زيادة عدد المركبات، فحتى عام ١٩٢٨، لم تكن هناك اكثر من ٦٠٠ مركبة في كل انحاء البلاد، ارتفع هذا العدد الى اربعة امثاله في منتصف الثلاثينات[١٨٧]. وقد جرى الاهتمام ايضا بتوسيع الموانيء بغية تسهيل وصول السفن اليها، وتشجيع النقل البحري. ومما تجدر الاشارة اليه انه تم في عهد رضا شاه ارساء حجر الاساس للعديد من الموانيء، كان اهمها ميناء بندر شاه[١٨٨] على الخليج العربي[١٨٩].

وشهدت الخدمات البريدية تطورا ملموسا بعد قيام الدولة بانشاء محطات لاسلكية لربط اجزاء البلاد مستعينة بالخبرة الاجنبية في هذا المجال. واسهمت سيطرتها على شبكة التلغراف الهندو-اوربية البريطانية ذات الكفاء العالية في تطوير الخدمات البريدية[١٩٠]. ووصولا الى منتصف الثلاثينات كانت الخدمات الهاتفية قد شملت معظم انحاء البلاد، كما مدت الخطوط الى البلدان المجاورة[١٩١].

---

[185] Ercand Abrahamian, The Crowd in the Persian Revolution I,"Iranian Studies", Vol. II, No. 1-4, 1969, P.71; J. Bharier, OP. Cit., P. 87.

[186] M. Amirsadegi, OP. Cit., P. 35.

[187] E.Abrahamian, The Crowd in the Persian Revolution I, P. 71; Z.Khalizad, OP. Cit., P. 67.

[١٨٨] تحول اسمه الان الى (بندر خميني).

[١٨٩] "العالم العربي"، ٦ كانون الثاني ١٩٣١.

[١٩٠] "العراق"، ١٦ تشرين الاول ١٩٢٦، محمد جواد مشكور، تاريخ ايران زمين، ص ٣٩٧، J.Bharier, OP. Cit., P. 87.

[١٩١] محمد جواد مشكور، تاريخ ايران زمين، ص ٣٩٧، J.Bharier, OP. Cit., P. 87; D.N.Wilber, Iran Past and Present, P. 276. (وفي الترجمة العربية ص ٢٠٧).

وفي مجال النقل منحت الحكومة "شركة جنكر" (JUNKER) الالمانية حق نقل البريد والمسافرين بين طهران وبعض المدن الايرانية، وبين ايران واوربا، فضلا عن قيام الشركة بتدريب عدد من الطيارين الايرانيين[١٩٢]. وبغية تهيئة كادر فني متخصص في هذا المجال تأسست في عام ١٩٣٠ المدرسة الجوية الملكية بعد ان قام الالمان بتهيئة المعدات اللازمة لانهاء المدرسة اضافة الى معلميها[١٩٣].

٧-الشؤون الثقافية والاجتماعية والصحية والعمرانية و الموقف من المؤسسة الدينية

اولى رضا شاه الامور الاجتماعية والثقافية جانبا كبيرا من اهتمامه. وعلى الرغم من انه لم يكن صاحب نظريات سياسية، ولم تكن الكثير من اعماله الاصلاحية مدروسة بشكل جيد، الا انه كان يعتقد اعتقادا جازما بان تحقيق تقدم اجتماعي وثقافي ملموس يستوجب اتخاذ خطوات، قد تعتبر جريئة بمقاييس ذلك الوقت، ولكنها ضرورية لاعادة التركيب الاجتماعي والثقافي وفق منظور جديد. وكانت خطواته تلك تتعلق بناحيتين مهمتين هما وضع المرأة الاجتماعية، ونفوذ المؤسسة الدينية. وقد عمل رضا شاه دون هوادة من اجل تحقيق هذين الهدفين، وهاجم بقسوة، وما امكنه ذلك، اية قوة تقف في سبيله.

لقد اعتبر وضع المرأة في ايران عقبة كأداء تقف حائلا دون مجاراة روح العصر. لذا تركزت جهود رضا شاه في هذا المجال على ثلاثة محاور، الغاء الحجاب (الجادر)، احداث تغييرات في قوانين الزواج والطلاق، توسيع فرص التعليم امام المرأة[١٩٤].

لقد كان (الجادر) يعتبر الرمز الاجتماعي للباس المرأة، ولا يمكن رؤية المرأة في الطريق من دونه وكان هذا الوضع مثار انتقادات عنيفة من قبل العديد من

---

[١٩٢] "الشرق الادنى" (مجلة)، القاهرة، العدد ٦٢، السنة الثانية، ٩ يناير ١٩٢٩، ص ١٨.

[١٩٣] "العالم العربي"، ١٥ تشرين الثاني ١٩٣٠.

[194] Eliz Sanasarian, The Women's Rights movement in Iran, New York, 1982, P.60.

المثقفين الذين بدأوا حملة واسعة في الصحف ضده[195]. كما بدأت بعض نساء الطبقتين العليا والوسطى بالظهور، دون حجاب في الاجتماعات الخاصة. وفي اواخر العشرينات كانت العديد من نساء كبار الشخصيات والمسؤولين قد تركن لبس الحجاب علنا[196].

ومما هو جدير بالذكر ان زوجة رضا شاه اقدمت في عام ١٩٢٨ على خطوة لها مغزاها حينما قامت بزيارة ضريح السيدة فاطمة في قم دون ارتداء الجادر التقليدي. واثار هذا العمل امتعاض رجال الدين هناك، وانتقد احدهم الملكة علنا، وطلب منعها من زيارة الضريح، وعندما وصل الخبر الى اسماع رضا شاه سارع بالمجيء الى المدينة ودخل الضريح، دون ان ينزع حذاءه، وضرب رجل الدين بسوط عقابا له على (تطاوله) على مقام الملكة[197].

واتجهت جهود رضا شاه ايضا نحو اجراء تغييرات في القوانين الشخصية التي تخص امور الزواج والطلاق، فقد سن مجموعة قوانين نصت على تحديد سن الزواج بثمانية عشر عاما للفتى وستة عشر عاما للفتاة، وحظرت على الرجل تعدد الزوجات، ومنحت المرأة حق الطلاق ضمن شروط محددة[198]. وبغية التشجيع على الزواج، سن قانون حتم على كل موظف في الدولة الزواج خلال مدة معينة حددها القانون، او ترك الخدمة الوظيفية في الدولة[199]، كذلك اوجب القانون تسجيل جميع عقود الزواج الدائمية والمؤقتة، لدى المحاكم المدنية التابعة لوزارة العدل[200].

---

[195] Guity Nashat, Women and Revolution in Iran, Colorado, 1982, P. 26; Azar Tabari and Nahid Yeganeh, The Shadow of Islam, The Women's movement in Iran, London, 1982, P. 10.

[196] "الزمان"، ١٥ آب ١٩٢٧.

[197] عن هذا الموضوع، راجع: اعليحضرت همايون محمد رضاه بهلوى شاهنشاه ايران، مأموريت براى وطنم، تهران، بلا، ص ٣١٤.

[198] للتفاصيل عن هذه القوانين راجع:

م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية الخاص بشهري تموز وآب ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٢٧-١٣١،

E.Senasarian, OP. Cit., P. 61; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavis, P. 143.

[199] "الاستقلال"، ١١ كانون الثاني ١٩٢٧.

[200] E.Sanasarian, OP. Cit., P. 16; G.Nashat, Op. Cit., P. 26.

وقد شجع رضا شاه التعليم النسوي، بيد ان العقبة الرئيسة التي واجهته في هذا المجال هي الافتقار الى الكوادر التعليمية المؤهلة للقيام بهذه المهمة، فضلا عن النظرة الاجتماعية السائدة تجاه هذا النوع من التعليم[٢٠١]. فحسب الاحصاءات الرسمية لعامي ١٩٣٢-١٩٣٣ كانت المدارس المخصصة لتعليم الاناث لا يتجاوز عدد اصابع اليد، واغلبها مدارس خاصة انشأت من قبل بعض العناصر الليبرالية. وارتفعت هذه النسبة في اواخر العشرينات نتيجة للدعم الحكومي لها. غير ان تغييرا ملحوظا لم يطرأ على نسبة المتعلمات بين الاناث الا بعد منتصف الثلاثينات عندما افتتحت العديد من المدارس والمعاهد الحكومية في العاصمة وبعض المدن الاخرى[٢٠٢].

وعلى الرغم من بعض النجاحات التي حققها رضا شاه على صعيد تغيير واقع المرأة، الا انه جوبه بعقبات كثيرة. فعلى سبيل المثال لم يكن وضع الشارع الايراني، فضلا عن معارضة رجال الدين، يسمح لرضا شاه بتطبيق اجراءات عنيفة في قضية مثل نزع الحجاب. فمثل تلك الاجراءات كانت تعرضه لانتقادات مريرة، علاوة على الاصطدام بالمؤسسة الدينية التي لم يكن من مصلحته الاصطدام بها وهو في بداية مجيئه للحكم. وحتى بعض النجاح الذي حققه في هذا المجال ظل محدودا. فعلى سبيل المثال كانت المرأة التي تتجول خارج البيت دون حجاب تتعرض للشتم والضرب من قبل الرجال والنساء الاخريات، لا بل ان المرأة السافرة في شمال طهران لم تكن تجرؤ على الظهور هكذا في جنوبها[٢٠٣]. وفي العديد من المدن الايرانية كان ظهور النساء دون حجاب مدعاة لنشوب اضطرابات خطيرة تستوجب تدخل رجال الشرطة، وتسفر عن سقوط العديد من القتلى والجرحى كما حدث في تبريز عام ١٩٢٨[٢٠٤]. كما ان القوانين الشخصية التي صدرت لتنظيم الحياة الاجتماعية لم يجر تطبيقها، في احيان كثيرة، بشكل صحيح. فقد ظلت عقود الزواج في الارياف والمدن الصغيرة تتم لدى

---

201 E.Sanasarian, OP. Cit., P. 61; G.Lenczowski, Iran Under the Pahlavis, P. 97.

202 E.Sanasarian, OP. Cit., P. 61.

203 Said Amir Arjomand, From nationalism to Revolutionary Islam, London. 1984, P. 203; G.Nashat, OP. Cit., P.26.

204 G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, P. 97.

رجال الدين بسبب عدم وجود محاكم مدنية هناك. كما ان بعض بنود القوانين الخاصة بهذه الامور كانت تخضع لتفسيرات واجتهادات خاصة، ويتم التحايل عليها سواء من قبل الافراد او ممن يوكل اليهم امر تنفيذها[٢٠٥].

كانت هذه الاجراءات وغيرها الخطوة الاولى التي بدأ بها رضا شاه حربه ضد المؤسسة الدينية، وهي خطوة اكتنفتها كثير من الصعوبات بحكم الوضع شبه المستقل الذي كانت قد اكتسبته هذه المؤسسة منذ عهد القاجاريين، لاسيما في العهد الصفوي. ولئن كان موقف رضا شاه منها قد اتسم في البداية بالمساومة فلانه ادرك بدهائه ان سطوة هذه المؤسسة ونفوذها اكبر وابعد من ان يستطيع تجاوزها في غضون تلك الايام. ولكن عندما استتبت له الامور، ووجد في نفسه القوة اللازمة، غدا هذا النفوذ هدفا رئيسيا لهجومه، ولم يتوان عن ضربه، لاسيما انه كان قد كسب دعم اوساط عديدة رأت في هيمنة رجال الدين عائقا في سبيل خلق دولة عصرية موحدة ونظام مركزي متين[٢٠٦].

بدأ رضا شاه اجراءاته لتحجيم سلطة رجال الدين عندما شرع في الاطاحة بالكثير من امتيازاتهم القضائية. وقد عهد بوزارة العدل الى (دافار) خريج الحقوق من سويسرا، الذي شرع باعادة تنظيم الوزارة على اسس عصرية[٢٠٧]. وخلال عام ١٩٢٦ تم تشريع قانون جزائي. وفي عام ١٩٢٨ شرع ايضا قانون مدني. وقد كانت اغلب مواد القانونين منبثقة عن القانون المدني الايطالي، ولا سيما الفرنسي[٢٠٨]. وفي عام ١٩٣٢ وجهت ضربة جديدة الى نفوذ رجال الدين حينما شرع قانون نص

---

[٢٠٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية الخاص بشهري تموز وآب ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٣١،

E.Sanasarian, OP. Cit., P. 61; G.Nashat, Op. Cit., P.26.

[206] R.Cottam, OP. Cit., PP. 146-148.

[٢٠٧] "آينده" (المستقبل) (مجلة)، مجلد دوم، شهريور، تهران ١٣٠٦ ش، ص ٢٠٥-٢٠٦.

[208] H.Arfa, OP. Cit., P. 288; G.Lenczwski Iran under the Pahlavis, P. 92; N. R. R. Keddie, Roots of Revolution, P. 95.

على تسجيل الوثائق الرسمية وحقوق نقل الملكية لدى المحاكم المدنية فقط. وكان هذا يعني فقدان رجال الدين موردا مهما كان يدر عليهم مبالغ كبيرة[٢٠٩].

وانشأت المحاكم المدنية في الريف والاقاليم ومحكمة عليا في العاصمة، علاوة على ذلك اعطي القضاة صلاحية تقرير اي القضايا تنظر بها المحاكم الدينية، وايها تنظر فيها المحاكم العلمانية[٢١٠]. وترتب على ذلك ان اصبحت مهمة رجال الدين تقتصر على القضايا الشخصية التي تخص الزواج والطلاق والارث وما لبثت هذه الامور ان اصبحت، بدورها بعد فترة وجيزة، من مهام المحاكم المدينة[٢١١]. وجراء فقدان رجال الدين لجانب كبير من امتيازاتهم، وبالتالي مواردهم، تحول العديد منهم الى موظفين رسميين لدى الدولة، سواء في المحاكم المدنية او الهيئات القضائية الاخرى، وغدوا يستلمون رواتبهم منها[٢١٢]. غير انه حتى في هذه الحالة تقلصت صلاحيتهم الى حد كبير. فمثلا لم تكن العقود الموقعة من قبلهم تصبح قانونية ما لم تحظى بموافقة الموظف الرسمي المعين من قبل الحكومة[٢١٣]. كما تم ضرب نفوذ رجال الدين في مجال مهم للغاية، وهو مجال التعليم بعد ان سيطرت الدولة على الكثير من المدارس التي كانت، في السابق، خاضعة لاشراف رجال الدين. وتبع ذلك تقليص عدد الدارسين في هذه المدارس[٢١٤].

---

209 H.Arfa, Op. Cit., P. 289; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 140.

٢١٠ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٤/٢/، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش، رقم ١٨١٤٨ في ١/١٠/١٩٣٢، الوثيقة رقم ١٢٠،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 140.

211 R.Cottam, OP. Cit., P. 149.

212 Edmond Bosworth and Carole H. Herbrand, Qajer Iran Political Social and Cuitural Change 1800-1925, Edinburgh, 1983, P. 138; G. Lenczowski, Iran under the Pahlavis, P. 92.

213 H.Arfa, Op. Cit., 289.

214 S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, P. 23; R.N.Frye, Persia, P. 95.

ومنذ عام ١٩٢٨ فرض رضا شاه على رجال الدين ارتداء الملابس العصرية، لاسيما القبعة البهلوية، ومنع لبس العمامة او الزي الديني الا بتصريح خاص من الحكومة، ولم يكن هذا التصريح يمنح الا لعدد قليل جدا من رجال الدين[٢١٥].

ادرك رضا شاه ان قدرا كبيرا من الهالة التي يتمتع بها رجال الدين تكمن في سيطرتهم على كثير من المناسبات الدينية، لذا صمم على تدمير الشحنة العاطفية التي كانت تكتنف هذه المناسبات. ففي عام ١٩٢٩ اصدر الشاه مرسوما منع بموجبه التجمعات العامة ومراسم العزاء التي كانت تقام في بعض المناسبات الدينية[٢١٦]. وقلص عدد ايام العطل الدينية ووضع عوضا عنها رموزا جديدة كالاحتفالات بعيد ميلاد الشاه والمناسبات القومية[٢١٧]. وترافق ذلك كله مع حملة دعائية تصف رجال الدين "كشلة من الرجعيين في المجالين السياسي والاجتماعي يقفون في سبيل الاصلاح... ولايهمهم ان يبيعوا البلاد الى الاجانب لاسيما البريطانيين"، وتطالبهم "بان يكفوا عن العيش في ظل الخرافات". وكانت بعض هذه الحملات تدعو الايرانيين الى العودة الى دين زرادشت، والرجوع عن الاسلام و "قطع العلاقات الروحية مع آل البيت والائمة ومن يواليهم بداعي ان محمدا (ص) وآل بيته واصحابه هم الذين سببوا تقويض الامبراطورية الايرانية"[٢١٨]. ومن المفيد الاشارة

---

[٢١٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، كتاب سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٢٤٤/٦ في ٢٤ آب ١٩٣٢ الوثيقة رقم ٤٨، م. و. و، الملف ت /٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري للغاية من القنصلية الملكية العراقية فى تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر شباط ١٩٣٦، الوثيقة رقم ٣.

[٢١٦] د. محمد عبدالغني سعودي، ايران. دراسة في جذور الصراع، دار القبس، بلا، ص ٣٢، R.Cottam, OP. Cit., P. 149; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 141.

[٢١٧] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهري تشرين الاول وتشرين الثاني ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٧٦، R.Cottam, OP. Cit., P. 149.

[٢١٨] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٤/٢، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش رقم ١٨١٤٨ في ١/١٠/١٩٣٢، الوثيقة رقم ١٢١.

الى ان رضا شاه قام بالغاء عادة ايرانية قديمة وهي "البست" اي حق اللجوء الى المساجد والاضرحة والاحتماء بها[٢١٩].

وفي خطوة لاحقة قام بفتح الجوامع الرئيسة في اصفهان وبعض المدن الاخرى امام السياح الاجانب من غير المسلمين، ومنع تأشيرات الخروج الا في حالات الحج الى المدينة المنورة ومكة وكربلاء والنجف[٢٢٠]. ومنع الدراويش من دخول المدن. وفوق ذلك نصب لنفسه تماثيل في الساحات الرئيسة للمدن مما ادى الى امتعاض رجال الدين[٢٢١].

ادت تلك الاجراءات الى فقدان رجال الدين لمعظم نفوذهم السياسي والقانوني والاجتماعي. ولم يكن مستغربا ان يبدي السفير البريطاني في طهران قلقه الشديد من تلك الاجراءات. فقد كتب الى وزير خارجيته بقول بأن: "الشاه يحطم قوة الملالي... وبات الان لا يوجد شيء يعوض عن الدين سوى وطنية مزيفة قد تموت مع الشاه تاركة وراءها الاضطراب"[٢٢٢].

لذا كان من الطبيعي جدا ان يقف رجال الدين موقف المعارض من اصلاحات رضا شاه التي رأوا فيها علامات خطر تؤذن بانتهاء سطوتهم التي اكتسبوها منذ قرون. بيد ان الشاه كان واثقا من قوته كل الثقة، مصمما على عدم التنازل قيد شعرة عن هدفه الرامي الى تحجيم نفوذ رجال الدين. وقد نجح في ذلك الى حد كبير، فقد ابعد، من تجرأ على ابداء المعارضة، الى المدن البعيدة داخل البلاد، ونفى

---

[219] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 140.

[٢٢٠] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، التسلسل ٧٤٠-وع، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير القنصلية الملكية في كرمنشاه لشهر مارت ١٩٣٣ الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١٣٢/ س في ٢٦ مارت ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٦٧،

H. H.Vreeland, Op. Cit., P. 25; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 141.

[221] R. N. Frye, Persia, P. 95.

[٢٢٢] مقتبس من:

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 41.

البعض الاخر الى خارجها، وقمع آخرين[٢٢٣]. وقد اتخذت سياسته هذه مدى ابعد ظهرت نتائجها في السنوات اللاحقة.

وفي سعيه الحثيث لادخال تغييرات على النمط الاوربي، فقد شجع طرائق واساليب الحياة الاوربية التي بدأت تظهر ملامحها شيئا فشيئا في المدن الايرانية[٢٢٤]. ولتحقيق ذلك اقدم على خطوات مهمة في هذا المجال كان الغرض منها هو نقل مظاهر الحياة الاوربية الى ايران. ففي عام ١٩٢٨ اصدر المجلس قانون الزي الموحد الذي حتم على جميع الايرانيين ارتداء الملابس الاوربية والتخلي عن ملابسهم القومية التقليدية[٢٢٥]. وفي كلمة له ذكر رضا شاه "انني مصمم على جعل الايرانيين جميعا يرتدون نفس الملابس، واذا ما توقف سكان شيراز وتبريز والاخرون عن ارتداء الملابس المتباينة، فلن تعود هناك ثمة فروق بينهم"[٢٢٦]. وظهر الشاه في احدى المناسبات مرتديا قبعة شبيهة بقبعة الضباط العسكريين في الجيش الفرنسي. ومنذ ذلك الحين غدا لبس هذه القبعة التي اصبحت تعرف باسم (قبعة بهلوي)، اجباريا على جميع الايرانيين[٢٢٧].

وكانت سياسة رضا شاه في هذا المجال محاولة منه لخلق مجتمع متناسق وتذويب الهويات القومية، الامر الذي لم يقدر له النجاح المطلوب لانه كان يتعارض مع الواقع والمنطق، حيث كتبت الـ (NEAR EAST) الانكليزية حول ذلك قائلة:

---

[٢٢٣] م. و. و، الملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، التقرير الشهري السري للغاية لشهر نيسان ١٩٣١ من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١١٨ في ٥ ايار ١٩٣١، الوثيقة رقم ٥٢، مهدي بازركان، الحد الفاصل بين الدين والسياسة، ترجمة فاضل رسوم، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٤-٢٥،

R.Cottam, OP. Cit., PP. 148-149.

224 Stephen H, Longrigg, The Middle East. Asocial Geography, Second Editham, London, 1970, P. 78; N.R.Keddie, Roots of Revolution, P. 97.

225 D.N.Wilber, Contemporary Iran, P. 74; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 143.

226 D.N.Wilber, Contemporary Iran, P. P.74.

[٢٢٧] م. و، و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، كتاب سري من القنصلية الملكية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية رقم ٢٤٤/٦ في ٢٤ آب ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٤٨، محمد جواد مشكور، تاريخ ايران زمين، ص ٤٠٤.

"ان وحدة الشكل قد تساعد على الاتحاد وان كان الفرق معروفا جيدا لدى السلطات في طهران"[٢٢٨].

وفي خطوة لاحقة قام رضا شاه بالغاء الالقاب العسكرية والمدنية التي كان يحملها ممثلو الاسر الارستقراطية القديمة، واقر بدلا منها القابا جديدة اعتمدت اسم العائلة اساس لها[٢٢٩]. واتخذ لنفسه لقب (بهلوي)، ثم طلب من المجلس منحه لقبه العسكري (سردار سباه)، وقام بوضع القاب جديدة لافراد العائلة المالكة الجديدة[٢٣٠].

وفي خضم موجه الحماس القومي جرت محاولات لاصلاح اللغة الفارسية وتنقيتها من الكلمات الدخيلة، وتولى المجمع العلمي الايراني (فرهنكستان) هذه المهمة[٢٣١]. وظهرت دعوات ترمي لالغاء الاحرف العربية التي تكتب بها اللغة الفارسية واستبدالها بالاحرف اللاتينية، غير ان تلك الدعوات لم يكتب لها النجاح بسبب المعارضة التي جوبهت بها[٢٣٢]. وتحت شعار احياء امجاد ايران القديمة جرى الاهتمام بماضي ايران واثارها، واتخذ هذا الاهتمام عدة اشكال، فقد تم استبدال الاشهر العربية بالاشهر الفارسية القديمة[٢٣٣]. واعيد الاحتفال بالاعياد القومية

---

[٢٢٨] مقتبس من: "العالم العربي"، ١٠ آذار ١٩٢٩.

[٢٢٩] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١٠، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آب ١٩٣٥، الوثيقة رقم ٨٠، نوبخت، شاهنشاه بهلوي، ص ٢٣٣،٢٣٥،

"The Near East", No. 737-Vol. XXVII, June 25, 1925, P. 671.

[٢٣٠] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آب ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١٠٩، "الاوقات البغدادية"، ٢ شباط ١٩٢٨.

[٢٣١] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر ايلول ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١١١، عزرا اسبايز هندلر، يهود ايران كيانهم ومشكلاتهم، ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، ١٩٧٣، ص ١٠.

[٢٣٢] "الاستقلال"، ٣ حزيران ١٩٣١، "الشرق الادنى" (مجلة)، القاهرة العدد ٥٥، السنة الثانية، ٢١ نوفمبر ١٩٢٨، ص ١٢.

[233] M.S.Ivanov, OP, Cit., P. 323; A.Bausani, OP. Cit., P.177.

السابقة، فضلا عن الاحتفال بذكرى شعراء ايران الكبار[٢٣٤]. وجرى الاهتمام بالدراسة والتنقيب عن الاثار القديمة، وبدأت الصحف تسهب في الحديث عن تلك الاثار وتشجع المواطنين على زيارتها[٢٣٥]. وفي هذه الاجواء ظهرت افكار متطرفة تدعو لاعادة الدولة الساسانية القديمة، والزرادشتية، دين الفرس القديم، بزعم ان الاسلام "هو الذي اضر بايران واخرها عن التقدم الاجتماعي والعمراني والسياسي فاذا ارادت ايران اعادة مجدها الغابر وعزها المنتشر فخير لهما ان تترك هذا الدين (الاسلامي) وترتد الى دينها الزردشتي القديم"[٢٣٦].

كان قطاع التعليم من القطاعات التي حازت اهتماما غير قليل من لدن رضا شاه. فقد سعى الاخير لاقامة نظام تعليمي يعتمد الاسس الحديثة في المناهج والتدريس. وبغية تحقيق هذا الامر فقد تم توسيع شبكة المؤسسات التعليمية وتوحيد المناهج الدراسية، وغدا النظام التعليمي يتألف من ست سنوات للدراسة الابتدائية، وست اخرى للدراسة الثانوية[٢٣٧]. وترتب على هذا التوسع ارتفاع عدد التلاميذ في المدارس الايرانية الرسمية. فعلى سبيل المثال سجل خلال عامي ١٩٢٨-١٩٢٩ (١٣٨,٩٤٧) تلميذا اسماءهم في المدارس الابتدائية، فضلا عن

---

[٢٣٤] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر حزيران ١٩٣٤، الوثيقة رقم ٥٧، م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف نفسه، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آب ١٩٣٥، الوثيقة رقم ٨٨.

[٢٣٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، التسلسل ٧٤٢-وع، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آب ١٩٣٥، الوثيقة رقم ٨٦، م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٦، الوثيقة رقم ٨٩،

Roger Stevens, The Land of the great Sophy, Thrid Edition, Fakenham, Nor Folk, 1977, P. 90.

[٢٣٦] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٤/٢، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش، رقم ١٨١٤٨، في ١/١٠/١٩٣٢، الوثيقة رقم ١٢١.

[237] G.Lencznwski, Iran under the Pahlavis, P. 190.

٩٦٦١ آخرين سجلوا في المداري الثانوية[238]. ولتشجيع التلاميذ على مواصلة دراستهم الثانوية والعليا تم اقرار بعض الحوافز والامتيازات لخريجي هذه المراحل، لاسيما بالنسبة للخدمة العسكرية[239]. وبغية فرض اشراف حكومي فعال على النظام التعليمي، تأسس قسم التربية العامة، علاوة على وزارة التربية. وكانت مهمة الاولى الاشراف على التعليم الابتدائي والثانوي وبرامج الكبار واعداد المعلمين والكتب الدراسية والمناهج[240]. وقد تبع سيطرة الدولة على المدارس الدينية، انخفاض عدد هذه المدارس، وبالتالي انخفاض عدد الدارسين فيها[241].

وعلى صعيد المناهج الدراسية اتخذت المناهج وانظمة التعليم الفرنسية كنموذج لتطبيقها في المدارس الايرانية، واصبحت العلوم والفنون الحديثة تدرس لاول مرة في هذه المدارس[242]. ومما تجدر الاشارة اليه انه قد اعطيت لبرامج التعليم والتدريب الرياضي في المدارس اهمية فائقة، وادخل اليها النظام الكشفي، وصارت المباريات الرياضية التي تقام مرتين في العام، اجبارية بالنسبة للجميع. كما تم فرض الزي الموحد على طلبة المدارس كافة[243].

ومنذ عام ١٩٢٨ اقر المجلس قانون التعليم الاجباري لجميع الاطفال في سن الدراسة، بيد ان تطبيق القانون لم يجر بالشكل الصحيح بسبب الافتقار الى ابنية المدارس والنقص في اعداد المعلمين[244].

واقدمت الحكومة عام ١٩٢٨ على خطوة مهمة حينما قررت ارسال مئة طالب من المتفوقين سنويا في بعثات وزمالات دراسية الى اوربا، وارتفع هذا العدد الى مئة وخمسين طالبا في عام ١٩٣٠. وقد تعين هؤلاء بعد عودتهم الى البلاد في الخدمة

---

238 Ibid.

٢٣٩ محمد رضا شاه بهلوى، انقلاب سفيد، جلد اول، ١٩٦٥، ص ١٢٥

N.R.Keddie, Roots of Revolution, P. 97.

240 H.H.Smith and Others, OP. Cit., P. 166.

241 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 145.

242 R.N.Frye, Persia, P. 97; N.R.Keddie, Roots of Revolution, P. 97.

243 H.Arfa, OP. Cit., P. 291.

٢٤٤ "العراق"، ٢ شباط ١٩٢٧،

G.Lenczowski Iran under the Pahlavis, P.90.

الحكومية، وشكلوا نواة الفئة البيروقراطية الحديثة في الادارات الحكومية المختلفة[٢٤٥]. وكانت الخطوة المهمة الاخرى التي اقدمت عليها الحكومة في هذا المجال، عندما قررت اخضاع المدارس الاجنبية في البلاد للاشراف الحكومي. وقد بلغ عدد هذه المدارس حتى عام ١٩٢٩ حوالي (٥٠) مدرسة انشأتها البعثات التبشيرية الامريكية والاوربية منذ عهد القاجاريين[٢٤٦].

وفي عام ١٩٢٧ فرضت وزارة المعارف الايرانية على كافة المدارس الاجنبية ان يجري التدريس في مدارسها الابتدائية باللغة الفارسية فقط. وطالبت بادخال تدريس مواضيع الجغرافية واللغة العربية وتاريخ ايران وغيرها في المدارس المتوسطة، وحظرت على تلك المدارس تدريس المسيحية لطلابها من الايرانيين[٢٤٧]. وفي عام ١٩٣٣ منعت وزارة المعارف انشاء المدارس الخاصة من قبل الاجانب الا بتصريح خاص منها، ولمرحلة الدارسة المتوسطة فقط شريطة قيامها بتدريس المناهج التي تعينها لها الوزارة[٢٤٨].

وفي خطوة لاحقة تم استبدال اسماء جميع المدارس الاجنبية باسماء ايرانية[٢٤٩]. وعندما ابدت المدارس الاجنبية اعتراضها على تلك الاجراءات اغلقت الحكومة بعضها، في حين اضطر البعض الاخر منها الى ادخال مناهج وزارة المعارف[٢٥٠].

---

[٢٤٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية باخر ايلول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٩٦، "النهضة العراقية"، ٣٠ نيسان ١٩٢٨،

H.Arfa, OP. Cit., P. 291.

[246] Ghafur Sadeghy, An Historical Analysis of the development of the administrative structure of Higher Education in Iran From 1900-1971, Michigan, 1972, P. 73.

[247] H.Arfa, OP. Cit., P. 292; S.L.Agaev, Iran: Vreshnaya Political…, PP. 24-25.

[٢٤٨] "الاستقلال"، ١٢ حزيران ١٩٣٣،

T.A.Bryson, OP. Cit., P. 88.

[٢٤٩] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر تشرين الثاني ١٩٣٤، الوثيقة رقم ١٢٠.

[250] S.L.Agaev, Iran: Iran: Vneshnaya Political…, PP. 24-25, H. Arfa, OP. Cit., P. 292.

ورغم الاهتمام الذي اولاه رضا شاه لهذا القطاع، فقد ظل يعاني من مشاكل عديدة. فعلى سبيل المثال بقيت المدارس تعاني من نقص كبير في اعداد المعلمين المؤهلين. وكانت كلية تدريب المعلمين التي تأسست في عام ١٩١٨ هي الوحيدة في هذا المجال لغاية عام ١٩٣٤ عندما تقرر فتح معاهد اخرى لاعداد الكوادر التعليمية[٢٥١]. علاوة على ان الميزانية المخصصة للتعليم كانت تمثل مؤشرا منخفضا قياسا الى ما هو مخصص للقطاعات الاخرى كالجيش، والبريد والبرق على سبيل المثال، فطوال حكم رضا شاه لم تتجاوز الميزانية المرصودة للتعليم اكثر من ٤٪ من الميزانية العامة، وهي نسبة ضئيلة جدا قياسا الى واقع التعليم واهميته[٢٥٢].

وفي حقل الصحة العامة اتخذت الاجراءات اللازمة لرفع المستوى الصحي العام، واقامة جهاز جديد اشتمل على المؤسسات الطبية الحديثة، واطباء مؤهلين. والواقع انه منذ عام ١٩٢٣ كان معهد (باستور) قد تأسس في طهران، بيد ان افتقاره الى برنامج صحي واضح، فضلا عن الادارة السيئة حال دون ادائه لمهامه[٢٥٣]. وفي منتصف العشرينات كان مجلس الصحة العام، الذي اصبح النواة لمديرية الصحة العامة، فيما بعد، يشرف على قضايا التلقيح الاجباري ضد الجدري، والحجر الصحي، ومعالجة بعض الامراض المتفشية بين السكان[٢٥٤]. وكانت بلدية طهران ترتبط برئيس الوزراء مباشرة، ومسؤولة عن الصحة العامة ومراقبة تجهيز المدينة بالماء، ودور الايتام والاشراف على المرافق العامة.

ولم تقتصر تلك الخدمات على العاصمة وحدها، فقد تأسست اللجان الطبية في عدد من المدن الاخرى، كان يشرف عليها موظفون صحيون منحوا صلاحيات واسعة فيما يتعلق بالشؤون الصحية[٢٥٥].

---

[251] G.Lonczoeski, Iran under the Pahlavis, P. 90.

[252] H.R.Keddie, Roots of Revolutions, P. 97; H. Katowzain, OP. Cit., PP. 114-115.

[253] Michael E.Bonine and Nikki Keddie, Modern Iran, The Diculectics of Continuity and Change, New York, 1981, P. 69. H.Arfa, Under Five Shahs, P. 292.

[254] M.S.Bonine and N.Keddie, OP. Cit., P. 69.

[٢٥٥] ف. تالبرك، از كوش تا بهلوى، تهران، ١٩٤٦، ص ٩٥،

واولي اهتمام خاص لانشاء المستشفيات الحكومية. فقد كانت المستشفيات الوحيدة العاملة في ايران حتى اعتلاء رضا شاه العرش تقتصر تقريبا على تلك التي انشأتها البعثات التبشيرية البريطانية والامريكية منذ القرن التاسع عشر[٢٥٦].

كذلك تم اتخاذ تدابير معينة لاجازة الاطباء والصيادلة اذا ما ارادوا ممارسة مهنتهم، فقد تحتم على جميع الاطباء المستجدين ان يحملوا شهادات طبية معترف بها من كليات طبية اوربية. اما الذين لا يحملون هذه الشهادات فعليهم اجتياز امتحان خاص تعده المراكز الصحية يؤهلهم لممارسة مهمتهم[٢٥٧].

وبغية رفع كفاءة الاطباء الايرانيين، فقد تم ارسال عدد منهم للتدريب في المؤسسات الطبية في الخارج، علاوة على البعثات الدراسية التي كانت توفد سنويا. وقد ترتب على ذلك ارتفاع نسبة الاطباء المؤهلين قياسا الى عدد السكان. فعلى سبيل المثال كانت هذه النسبة تبلغ ١:٢٠٠٠ شخص في عام ١٩٠٤، ارتفعت في منتصف الثلاثينات الى ١:١١٠٠٠ شخص[٢٥٨].

ولتعزيز الاشراف الحكومي على هذه المؤسسات جرى دمجها في مديرية[٢٥٩] واحدة، والحقت بها جمعيات اسست لاغراض خيرية كجمعية الاسد والشمس (شعار الدولة الايرانية)، وجمعيات العناية بالامهات والاطفال[٢٦٠].

ومما تجدر الاشارة اليه انه قد جرى تأميم جميع المؤسسات الصحية الاجنبية في ايران بعد منتصف العشرينات. ومنذ عام ١٩٢٤ منع جميع الاطباء الاجانب لا سيما البريطانيون من ممارسة مهنتهم في البلاد. واقتصر استخدامهم على التدريب وبعض المجالات الصحية الاخرى، وبموجب عقد خاصة مع الحكومة[٢٦١].

M.S.Bonine and H.Keddie, OP. Cit., PP. 69-70.

[256] G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, P. 93.

[257] H.E.Bonine and N.Keddie, OP. Cit., PP. 71-72.

[258] J.Marlow, Iran. Ashort Political Guide, P. 62.

[٢٥٩] تجدر الاشارة الى انه لم تكن هناك وزارة للصحة في ايران حتى عام ١٩٤١.

[260] G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, P. 94; M.E.Bonine and N.Keddie, OP. Cit., P.96.

[٢٦١] م.و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٤/٢، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من رئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى الرئيس اركان الجيش، رقم ١٨١٤٨ في ١/١٠/١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٨،

ورغم الجهود التي بذلها رضا شاه في حقل الصحة العامة، فان المستوى الصحي العام ظل متدنيا. فقد ظلت العديد من الامراض السارية تفتك بالسكان. فعلى سبيل المثال حتى عام ١٩٣١ كانت الغالبية العظمى من سكان كرمنشاه تعاني من مرض الزهري. كما ان الادمان على الافيون ظل متفشيا بين اعداد كبيرة من السكان على رغم ما كان يتردد عن (الاجراءات القاسية) التي ستتخذها الحكومة لحمل الناس على تركها[٢٦٢]. ففي بلدة صغيرة مثل كرمنشاه حيث لم يكن عدد نفوسها يتجاوز ٤٠٠٠٠ نسمة كان يوجد (١٥) محلا عاما لتعاطي الافيون و (١٠) محلات لبيعه، وكل ذلك تحت سمع وبصر الحكومة وبأجازة منها[٢٦٣]. كذلك ظلت البلاد تفتقد الى مياه الشرب الصحية[٢٦٤]، او شبكة مجار لتصريف المياه[٢٦٥].

حظيت قضايا العمران الداخلي باهتمام ملحوظ من قبل رضا شاه. فقد استقدم الاخير مهندسين معماريين وبنائين من جنسيات مختلفة، لاسيما الالمان. وقام هؤلاء بوضع التصاميم لاعادة تخطيط المدن الايرانية على اسس حديثة. وافتتحت الشوارع العريضة الواسعة. وانتشرت الاحياء الجديدة في العاصمة والمدن الاخرى. واولي اهتمام خاص لانشاء البنايات الحكومية التي تعتمد في تصاميمها الفن المعماري الايراني القديم[٢٦٦].

F.O., 371/10145, Confidential, British Government Archives, No. 1, E 2423/455/34, From P. Loraine to Macdonald, February 11, 1924; M. E. Bonine and N.Kiddie, OP. Cit., P. 69.

[٢٦٢] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، كتاب سري من القنصلية الملكية العراقية، رقم ٢٤٤/٦ في آب ١٩٣٢، الوثائق رقم ٤٦، ٤٨، م. و. و، الملف ت/٤/٢، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش، رقم ١٨١٤٨، في ١/١٠/١٩٣٢،الوثيقة رقم ١١٨، "الاخاء الوطني"، ٢٦ تموز ١٩٣٣.

[٢٦٣] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير سري من القنصلية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية، الوثيقة رقم ٦٨.

[٢٦٤] لم تتزود طهران بمياه الشرب النقية الا في عام ١٩٥٦ في عهد محمد رضا بهلوي.

[265] "Journal of the Royal Central Asian Society", Vol. XXIII, 1936, P. 350.

[٢٦٦] للتفصيل عن هذا الموضوع راجع:

٨-تطوير القوات العسكرية

على الرغم من اهتمام رضا شاه بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية. الا انه اولى المؤسسة العسكرية[٢٦٧] اهتمامه الاكبر. فقد كان الجيش احد اهم الاعمدة التي ارتكز عليها نظام حكمه. وقد تظافرت عدة عوامل لدفع المؤسسة العسكرية الى الواجهة الامامية للحياة السياسية الايرانية. فقد كان العرش البهلوي ومنذ بداية تأسيسه، بحاجة الى جيش قوي يحميه، علاوة على ان تحقيق سيطرة مركزية فعالة كان يتطلب تهيئة جيش كفؤ وفعال لتحقيق تلك المهمة[٢٦٨]. وتعكس الزيادة المطردة في ميزانية الانفاق العسكري تلك الحقيقة. فعلى سبيل المثال بلغت التخصيصات للشؤون العسكرية بين الاعوام ١٩٢٨-١٩٢٣، ٤١,٨٪ من المجموع العام للميزانية لتلك السنوات[٢٦٩]. مع الاخذ بنظر الاعتبار ان معظم عائدات النفط لم تكن تسجل في الميزانية العامة، وكانت معظمها توجه ايضا للانفاق العسكري[٢٧٠].

ومنذ عام ١٩٢٥ سن قانون التجنيد الاجباري الذي فرض على كل شاب بلغ واحد وعشرين عاما الخدمة في القوات المسلحة، وعام واحد في خدمة الاحتياط لمن بلغ الثالثة والعشرين. ولم تقتصر الخدمة الالزامية على المدن فقط، بل شملت الاقاليم[٢٧١] ايضا وان بقيت العشائر بمنأى عن تطبيق هذا القانون لفترة اخرى من

Lenczowski, Russia, and the West in Iran 1918-1948, New York, 1949, P. 154.

[٢٦٧] سبق وان تطرقنا في الفصل الثاني الى جوانب من اهتمام رضا شاه بتوحيد الجيش وتسليحه عندما كان وزيرا للحربية ورئيسا للوزراء.

[٢٦٨] الدكتور رياض عزيز هادي، بعض العوامل المؤثرة في السياسة الايرانية، رقم البحث (٢) ندوة "ايران الحاضر والمستقبل" التي اقامها معهد الدراسات القومية والاشتراكية-الجامعة المستنصرية في العام ١٩٨١، الحلقة الدراسية رقم (١)، ص ٨،

Bruce Maynard Borthwick, Comparative Political of the Middle East. An Introduction, New Jersey, 1980, P. 196.

[269] H.Katouzain, OP. Cit., P. 114.

[270] J.Marlow, Iran Ashort Political Guide, P. 60; H.Amirsadeghi, OP. Cit., P. 33.

[٢٧١] على الرغم من مرور فترة على تطبيق القانون الا ان حوادث العصيان والهرب من الخدمة بقيت مستمرة في الاقاليم البعيدة، لاسيما بالنسبة للفلاحين. للتفاصيل راجع:
"الاستقلال"، ١٨ كانون الثاني ١٩٢٨، م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية الخاص بشهر حزيران ٣٩٣١، الوثيقة رقم ١١٧.

الزمن[٢٧٢]. وترتب على هذا التوسع ان ارتفع عدد الجيش النظامي بشكل ملحوظ. فبعد ان كان عدد هذا الجيش لا يتجاوز الـ (٢٥) الف في عام ١٩٢٥ ارتفع الى ٦٠ الف في نهاية عام ١٩٣١[٢٧٣]. وبغية رفع مستوى الكفاءة لدى الضباط كان يبعث المتفوقين منهم الى الاكاديميات العسكرية في فرنسا[٢٧٤]. وعلاوة على الكلية العسكرية في طهران انشئت المدارس العسكرية في عدد من المدن الايرانية المهمة[٢٧٥]. وانشئت مدارس خاصة بالجيش لتعليم المجندين القراءة والكتابة، وكانت ترفض ترقيات الضباط مالم يكن جنودهم متعلمين[٢٧٦]. كذلك اتخذت الترتيبات لانشاء عدد من المصانع العسكرية التي تغطي بعض مستلزمات الجيش من الملابس والبطانيات والاسلحة الخفيفة[٢٧٧].

وتم استيراد معدات الجيش واسلحة من مناشيء مختلفة. فالشاحنات العسكرية اتت من بريطانيا، والمدافع من جيكوسلفاكيا واسبانيا، والمصفحات والرشاشات من المانيا والسويد[٢٧٨]. ومنذ عام ١٩٢٤ كان قد وضع الاساس للقوة الجوية التي اعتمدت بالدرجة الاولى على البريطانيين في تجهيزها وتدريب كوادرها. ومنذ الثلاثينات تم الشروع في توسيع سلاح الطيران. ففي عام ١٩٣٣ تم الاتفاق مع

---

272 Elie Kedoure and Sylevia G.Haim, OP. Cit., P. 220, H.Amirsadeghi, Op. Cit., P. 33.

٢٧٣ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، التقرير الشهري السري للغاية من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣١، رقم ١١٨ في ٥ ايار ١٩٣١، الوثيقة رقم ٥٧.

٢٧٤ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٨، الوثيقة رقم ١٢٧،

Mohammad Riza Pahlavi, Mission for my Country, P. 41.

٢٧٥ م. و. و، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٨، الوثيقة رقم ١٢٨.

276 H.Arfa, OP. Cit., P. 291; G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, P. 95.

٢٧٧ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٤/٢، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث، (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش رقم ١٨١٤٨ في ١/١٠/١٩٣٢، الوثيقة رقم ١١٩.

278 H.Amirsadeghi, OP. Cit., P. 33; J.Marlow, Iran Ashort Political Guide, P. 60.

بريطانيا على شراء (٢٠) طائرة حربية وصلت ميناء بندر شاهبور ومن هناك نقلت بواسطة السكك الحديد الى طهران. اضيفت اليها في العام التالي (٣٠) طائرة اخرى مع (١٠) طائرات روسية. كذلك تم وضع الاساس لعدد من المطارات العسكرية في انحاء متفرقة من البلاد، ولمصنع تصليح الطائرات. وقد لعبت القوة الجوية الناشئة دورا ملحوظا في اخماد الحركات العشائرية وانتفاضات القبائل التي كانت تنشب بين الحين والاخر[٢٧٩].

وحظيت القوة البحرية باهتمام غير قليل من رضا شاه. فبعد احتلاله لعربستان عام ١٩٢٥ وجه اهتمامه نحو الخليج العربي، وبدأ بتطوير الموانيء الايرانية الواقعة عليه لاغراض تجارية وعسكرية. واستقدمت وزارة الحربية الايرانية ضابطين بحريين ايطاليين كمستشارين لها[٢٨٠]. وفي عام ١٩٢٧ ابتاعت من ايطاليا ايضا فرقاطتين لقوتها البحرية الجديدة المشكلة حديثا باسم " القيادة الجنوبية"[٢٨١]. كذلك اوصت المصانع الالمانية والايطالية لصنع عدد من السفن الحربية وبضعة زوارق بخارية مسلحة[٢٨٢]. وقد تم ارسال عدد من الطلاب الايرانيين الى الاكاديميات البحرية الايطالية للتدريب فيها[٢٨٣]. وكما اولي اهتمام خاص لانشاء القواعد البحرية، فاتخذت الاجراءات لبناء قاعدتين بحريتين احداهما في الشمال على سواحل بحر قزوين، والثانية في خرمشهر (المحمرة) افتتحت في عام ١٩٣٠[٢٨٤]. وتجدر الاشارة الى انه قد تم، ومنذ فترة مبكرة، الاستغناء عن جميع الخبراء والمدربين الاجانب في صفوف الجيش المختلفة، واستبدلوا بالكوادر الوطنية[٢٨٥].

---

[279] H.Amirsadeghi, OP. Cit., P. 33.

[٢٨٠] الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار واخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، البصرة، ١٩٨٤، ص ٢٠٤،

J.Marlow, Iran Ashort Political Guide, P. 60.

[٢٨١] الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار وآخرون، تاريخ الخليج العربي، ص ٢٠٤.

[٢٨٢] "العراق"، ٥ ايار ١٩٣٠، "الثغر"، (جريدة)، البصرة، ٢٤ نيسان ١٩٣٥.

[٢٨٣] امين سعيد، المصدر السابق، ص ٢٦١.

[٢٨٤] "العراق"، ١١ كانون الاول ١٩٢٩،

A.Rizvi, OP. Cit., P. 220.

[٢٨٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٤/٢، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش، رقم ١٨١٤٨، في ١/١٠/١٩٣٢، الوثيقة رقم ١٢٤.

لقد اهتم رضا شاه باقامة علاقة خاصة مع المؤسسة العسكرية، وربط نخبتهم بنظام حكمه. فقد وفر للضباط مستوى معيشيا مرتفعا وباعهم الاراضي باسعار رمزية، وبنى لهم ناديا فخما جدا في طهران. وخول القادة الكبار صلاحيات ادارية واسعة جعلتهم يتدخلون في صلاحيات حكام الاقاليم المحليين حيث اصبحت دفة الامور تسير من قبل هؤلاء القادة[٢٨٦]. وهكذا صار ولاء كبار الضباط والقادة ممزوجا باحساس بالمصلحة الشخصية[٢٨٧].

ولضمان ولاء الجيش بصورة مطلقة، الزم رضا شاه الضباط والجند اداء يمين الولاء للعرش البهلوي[٢٨٨]. ولم ينس زملاءه الاوفياء من القوزاق، بل عمل على ترقيتهم ومنحهم مناصب قيادية في الجيش الجديد، وهو الامر الذي كان يثير حفيظة الضباط الشباب الذين كانوا يعتقدون بانهم احق بها من اولئك الضباط[٢٨٩]. ومن المفيد ان نذكر بان الجذور الاجتماعية للجيش الجديد كانت متباينة، ولم يكن صعود وترقية اي ضابط يعتمد على جذوره الاجتماعية، عكس ما كان متبعا في السابق عندما كانت المناصب القيادية في الجيش حكرا على ابناء العائلات الارستقراطية، بل كان ذلك يقترن والى حد بعيد، بمدى الاخلاص والولاء للدكتاتور البهلوي[٢٩٠]. وكان رضا شاه يتعامل بشدة مع اية بادرة عدم وفاء من جيشه. فهو لم يتوان مثلا عن التخلص من زميله في القوزاق الجنرال حبيب الله شيباني عندما احس من الاخير بوادر التمرد[٢٩١]. وقد عمل على بناء سلسلة وافية وفعالة من القيادة، ذات التنظيم الدقيق والصارم، من مكتبه العسكري في البلاط الملكي مرورا برؤساء الاركان الى امراء المواقع وقادتها. وكان اتصاله مع هؤلاء يتم مباشرة، ولم يكن

---

[٢٨٦] م. و. و، الملف نفسه، الوثيقة رقم ١٢٤.

[287] H.Arfa, OP. Cit., P. 283.

[٢٨٨] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آب ١٩٣٥، الوثيقة رقم ٨٣.

[289] H.Arfa, Op. Cit., P. 283.

[290] Fred Halliday, Iran Dictatorship and Development London, 1979, P. 67.

[٢٩١] امين سعيد، المصدر السابق، ص ٢٦٥.

وزير الحربية غير واجهة شكلية، لذا ليس مستغربا قوله له: "انا وزير الحربية وانت وكيل عني فقط"[٢٩٢].

ولم يكن يسمح مطلقا لاي من القادة العسكريين بالحصول على نفوذ وشعبية، تعزز من مراكزهم. وكان يتم نقل اي قائد عسكري، الى موقع اخر، اذا ما احرز نجاحا في ميدان عمله[٢٩٣]، لذا كان منظرا مألوفا رؤية الشاه في ساعات الفجر الاولى وهو يتفقد الثكنات العسكرية، لاسيما حامية طهران. ولم يكن يتوان عن معاقبة كبار الضباط، وامام جنودهم مباشرة، اذا ما رأى من احدهم اهمالا في مظهره او تلكؤا في اداء الواجب[٢٩٤]. وقد ظل رضا شاه حتى اواخر عهده يرتدي البدلة العسكرية لكل المناسبات العامة. والاهم من ذلك انه ربي اولاده، لاسيما ولي عهده محمد رضا، ليصبحوا ضباطا فعالين في القوات المسلحة[٢٩٥]. والواقع ان الجيش اصبح الاداة السياسية ان لم تكن الوحيدة فيقينا الرئيسة، لحكم رضا شاه. وظل حتى اواخر عهده يعتقد ان الجيش هي المؤسسة "القومية" الوحيدة في ظل الغياب الفعلي للوحدة الوطنية وللبرلمان كمؤسسة قومية[٢٩٦].

---

[٢٩٢] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير سري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية رقم ١١٤٠ في ١٩/١١/١٩٣٤، الوثيقة رقم ٩٨.

[٢٩٣] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير سري من المفوضية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، برقم ٦٨٣ وتاريخ ٥ تموز ١٩٣٤، حول الوضعية الداخلية في ايران، الوثيقة رقم ٤٩،

Cheryl Benard and Zalmay Khalizad, The Government op God. Iran's Islamic Republic, New York, 1984, P. 55.

[٢٩٤] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٤/٢، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش، رقم ١٨١٤٨ في ١/١٠/١٩٣٢ الوثيقة رقم ١٢٤.

[295] Montila Banarsipass, Shah an shah The Monarchy of Iran, Delhi, 1979, P. 149; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 136.

[٢٩٦] حازم صاغية، المصدر السابق، ص ٥٠،

E.Kedoure and Sylevia G.Haim, OP. Cit., P. 220.

ايران في سنوات الازمة الاقتصادية العالمية
١٩٢٩-١٩٣٤

عانت المجتمعات الرأسمالية منذ القرن التاسع عشر من ازمات اقتصادية دورية ارتبطت اسبابها بعوامل وقوانين محددة مرتبطة بطبيعة النظام الرأسمالي نفسه. وتبدأ الازمة حينما تفقد النقود قيمتها الحقيقية، فتنخفض القوة الشرائية للمشترين فتعجز النقود عن مجاراة الخطى المتسارعة في الانتاج ويقود ذلك الى تكدس البضاعة وعدم القدرة على تصريفها.

وفي خريف عام ١٩٢٩ حدثت اكبر ازمة اقتصادية مر بها العالم حتى ذلك التاريخ سواء من حيث مداها والوقت الذي استغرقتها، او من حيث النتائج التي ترتبت عليها. ولم يبق بلد من بلدان العالم الرأسمالي والدول المرتبطة بعجلته، بمنجاة من آثار الازمة بشكل او بآخر وكل حسب درجة تطوره الاقتصادي. فكان من الطبيعي ان تظهر الازمة بشكل اعنف في البلدان ذات التطور الاقتصاي الاكبر من دائرة النظام الرأسمالي ومن ثم تنتقل الى الحلقات الاضعف. كذلك تشابكت اثار هذه الازمة بحيث لم تقتصر على جانب احادي كالصناعة مثلا، بل امتدت بدرجة او بأخرى الى مختلف النشاطات الاقتصادية الاخرى كالزراعة والمالية والتجارة.

تركت الازمة اثارا عميقة جدا على الاقتصاد العالمي فدراسة بسيطة لارقام الانتاج العالمي خلال سنوات الازمة تعطينا مؤشرات واضحة عن الاثار التي تركتها على هذا الصعيد. فقد انخفض الانتاج العام للفحم، مثلا، بمقدار يزيد عن ٣٠٪ والحديد والصلب اكثر من ٦٠٪، والقطن حوالي ٢٧٪ وبتحديد اكثر هبط الانتاج العالمي في سنوات الازمة الى ماكان عليه عام ١٩٠٨-١٩٠٩[١]. وهو مؤشر له مغزاه. واذا اردنا تحديد صورة الوضع الاقتصادي في البلدان الرأسمالية اكثر نجد

[١] الدكتور كمال مظهر احمد، العراق في سنوات الازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩-١٩٣٣)، تجربة اعادة كتابة تاريخ العراق المعاصرة، مجلة "افاق عربية"، العدد ٧، السنة الثالثة، اذار ١٩٨٣، ص ٢٠.

ان معدل الانتاج هبط في الولايات المتحدة الامريكية الى ماكان عليه في العام ١٩٠٥-١٩٠٦ وبالنسبة لانكلترا والمانيا الى العام ١٨٦٩-١٨٩٧. وتدنى مستوى الانتاج في بعض الحقول الاخرى الى مستوى اقل من ذلك[٢].

بدأت الازمة، كما سبق ذكره، في خريف عام ١٩٢٩ في الولايات المتحدة الامريكية باعتبارها اكبر بلد رأسمالي عندما بدأت اسعار البورصة في (وول ستريت) تسجل ارقاما مخيفة في انخفاضها. فدب الذعر بين اوساط رجال الاعمال الذين شرعوا في بيع رصيدهم من الاسهم خوفا من تردي اسعارها اكثر. واضطر اصحاب المشاريع الصناعية الى تقليل نشاطهم بسبب صعوبة الحصول على الاعتمادات المصرفية اللازمة. وترافق ذلك مع عجز المزارعين عن دفع الديون التي عقدوها مع المصارف بسبب تعذر تصريف انتاجهم من المحاصيل الزراعية[٣]. وهكذا بدأ النشاط الاقتصادي يدور في حلقة مفرغة. وترتب على ذلك بطء محسوس في النشاط الاقتصادي في البلاد. فعلى سبيل المثال انخفض الانتاج الصناعي عام ١٩٣٣ بمقدار ٤٦٪، بالقياس الى الانتاج هناك عام ١٩٢٩ واغلقت حوالي ١٣٥ الف معمل ومصنع وشركة امريكية ابوابها[٤].

اما في المجال الزراعي فقد سجلت مؤشرات الانتاج ارقاما منخفضة بشكل كبير. فقد هبط انتاج القمح الى اخفض مستوى له منذ اربعة قرون[٥]. وامتد هذا التأثير الى المصارف التي تعتبر من اهم ركائز الاقتصاد الرأسمالي. فلا غرو ان يعلن في اول كانون الثاني ١٩٣١ (١١) مصرفا افلاسه في يوم واحد. كما ان عدد المصارف الامريكية التي اشهرت افلاسها في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٩و ١٩٣٣ بلغ ما لايقل عن عشرة الاف مصرف من اصل (٢٥) الف مصرف كانت تعمل بنشاط كبير قبل ان تظهر بوادر الازمة[٦].

---

[٢] المصدر نفسه، ص ٢١.
[٣] بيير رونوفن، المصدر السابق، ص ٢٥٥-٢٥٦.
[٤] د.كمال مظهر احمد، العراق في سنوات الازمة الاقتصادية العالمية، ص ٢١.
[٥] بيير رونوفن، المصدر السابق، ص ٢٥٩.
[٦] المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

كانت المانيا اول دولة اوربية تمتد اليها اثار الازمة بعد الولايات المتحدة الامريكية، لكونها سبقت الدول الاوربية الاخرى في مجال التطور الاقتصادي، فقد تقلص الانتاج الصناعي الالماني بين الاعوام ١٩٢٩-١٩٣٢ الى النصف قياسا مع العام الذي سبق الازمة[7]. ومنذ منتصف ايار ١٩٣١ بدأ المودعون الاجانب، ولا سيما الامريكيون بسحب ودائعهم من المصارف الالمانية وفي غضون ثلاثة اسابيع غادر المانيا اكثر من مليار مارك من الاموال الاجنبية. واضطر مصرف الرايخسبانك، اكبر المصارف الالمانية الى استعمال احتياطية من القطع الاجنبي الذي بدأ يتناقص بسرعة كبيرة، حتى لم يعد باستطاعته تقديم الدعم للمصارف الاخرى. وبين تموز وتشرين الثاني ١٩٣١ انهارت عدد من المؤسسات المصرفية الالمانية الكبيرة واضطرت الحكومة الى التدخل فقررت اغلاق جميع المصارف الالمانية ولم تعاود تلك المصارف نشاطها الا تدريجيا[8]. ومما تجدر الاشارة اليه ان عدد العمال العاطلين في المانيا بلغ حتى عام ١٩٣١، ٥,٥٠٠٠٠٠ ملايين شخص وما لبث ان ارتفع هذا الرقم فيما بعد[9].

امتدت الازمة الى انكلترا، وفرنسا وان كانت بنسبة اقل مما هي عليه في الولايات المتحدة الامريكية والمانيا. فقد تراجع الانتاج العام في انكلترا في سنوات الازمة الى ماكان عليه عام ١٨٩٦-١٨٩٧. واضطرت العديد من المعامل والمصانع والمصارف الى اغلاق ابوابها وتقلصت التجارة الخارجية الى حد كبير. وللتخفيف من اثر ذلك لجأت الحكومة الانكليزية الى رفع الغطاء الذهبي عن الجنيه الاسترليني مما ادى الى انخفاض قيمته بشكل ملحوظ[10]. وفي سنوات الازمة ارتفع عدد العمال العاطلين عن العمل حتى بلغ عام ١٩٣١، ٢٢٪ من المجموع الكلي[11]. وتكررت

---

[7] وليام شيرر، تاريخ المانيا الهتلرية. نشأة وسقوط الرايخ الثالث، تعريب خيرى حماد، ط٢، بيروت ١٩٦٦، ص ٢٥٧.

[8] بيير رونوفن، المصدر السابق، ص ٢٥٧-٢٥٨.

[9] بيير رونوفن، المصدر السابق، ص ٢٦٠.

[10] المصدر نفسه، ص ٢٥٨، د. كمال مظهر احمد، العراق في سنوات الازمة الاقتصادية العالمية، ص ٢٤.

[11] بيير رونوفن،المصدر السابق، ص ٢٦٠.

الصورة نفسها في فرنسا تقريبا، وان كان ذلك بصورة اقل من غيرها من الدول الراسمالية[١٢].

لم تقتصر اثار الازمة على الدول الرأسمالية المتقدمة بل امتدت ايضا الى البلدان المتخلفة التي ترتبط بدرجة او باخرى بالسوق الرأسمالية، فقد ادى تقلص استيرادات الدول الصناعية من منسوجات تلك البلدان الى انخفاض معدل اسعارها الى حوالي نصف ماكان عليه قبل حدوث الازمة، وادى هذا بدوره الى انخفاض القدرة الشرائية لها فقل شراء منسوجات الدول الصناعية[١٣].

كان من الطبيعي ان يترك ذلك اثره على التجارة الدولية التي انخفض مستواها الى حوالي ثلث ما كانت عليه قبل انفجار الازمة[١٤]. ومما زاد في تفاقم الوضع ان كثيرا من الدول لجأت الى فرض رسوم كمركية عالية على استيراداتها من الخارج وتخصيص اقل ما يمكن من العملة الصعبة للتجارة الخارجية، مما ادى الى انخفاض الميزان التجاري بين الدول المتطورة اقتصاديا من جهة وبينها وبين البلدان المتخلفة من جهة اخرى[١٥]. كذلك ادى فقدان بعض العملات القوية كالجنيه الاسترليني والدولار الامريكي قدرتها على التأثير على قوة عملات البلدان الاخرى التي انخفضت اقيام عملاتها الى حد كبير[١٦].

ومما لا ريب فيه ان آثار الازمة شملت جميع الفئات والطبقات الاجتماعية بيد ان وطأتها كانت اشد على الفئات الكادحة والمتوسطة. ونظرة بسيطة الى سوق العمل اثناء سنوات الازمة كفيلة بالقاء الضوء على هذا الجانب. فحتى عام ١٩٣٢ ارتفع عدد العاطلين عن العمل في الدول الرأسمالية الى حوالي ٣٠ مليون عاطل، مع العلم انه لا تتوفر احصاءات دقيقة عن عدد العاطلين في البلدان المتخلفة في سنوات الازمة[١٧]. كما ان الحكومات في الدول الراسمالية في محاولة منها لاقتصاد

---

[١٢] المصدر نفسه، ص ٢٥٨.
[١٣] د. كمال مظهر احمد، العراق في سنوات الازمة الاقتصادية العالمية، ص ٢١.
[١٤] بيير رونوفن، المصدر السابق، ص ٢٦٠.
[١٥] المصدر نفسه، ص ٢٧٥-٢٧٦.
[١٦] د. كمال مظهر احمد، العراق في سنوات الازمة الاقتصادية العالمية، ص ٢٢.
[١٧] بيير رونوفن،المصدر السابق، ص ٢٦٠.

النفقات لجأت الى التقتير في رواتب الموظفين واجور العمال مما ادى الى تدني القوة الشرائية لهؤلاء الى حد كبير[١٨].

كان من الطبيعي ان تترك الازمة الاقتصادية اثارا عميقة على الاوضاع الداخلية للدول الراسمالية علاوة على العلاقات السياسية فيما بينها. فاضافة الى التناقضات الاجتماعية التي تعمقت فان العديد من الدول الرأسمالية شهدت تحولات سياسية هامة كان ابرزها، بلا شك، وصول الحزب النازي في المانيا الى الحكم عام ١٩٣٣ بعد ان عرف هتلر كيف يستغل ازمة الكساد التي قاسى منها الالمان الكثير. في حين شهدت فرنسا مظاهرات تنادى بالفاشية. اما في انكلترا فقد عانى حزب العمال من انتفاضات خطيرة وعلى مستوى قيادته.

وعلى الصعيد الدولي توتر الوضع من جديد بعد ما قامت اليابان بضغط من ازمتها الاقتصادية باحتلال منشوريا في عام ١٩٣١ الامر الذي كان مثار استياء الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا اللتين كانت لهما مصالح تجارية كبيرة في الشرق الاقصى غير انهما لم تفعل شيئا بسبب ظروفها الداخلية آنذاك[١٩]. فلا غرو ان هيأت العوامل آنفة الذكر، مع اخرى غيرها متراكمة، الاساس لاندلاع حرب عالمية جديدة.

لقد اثارت الازمة، التساؤلات لدى اوساط عديدة في المجتمعات الراسمالية التي بدأت تشكك في امكانية استمرار (الرخاء) الذي تشدق به كبار الرأسماليين ولفترة طويلة بل وبات العديدون يتساءلون عن قدرة النظام الرأسمالي نفسه على الاستمرار بعد ان هزت الازمة، اعمدته الرئيسة وفي الوقت نفسه غدا، وللمرة الاولى الحديث عن (الاقتصاد الموجه) اي تدخل الدولة في توجيه النشاط الاقتصادي، مبدأ آمن به الكثير من الاقتصاديين لاسيما في اوربا بعد ان كانت الحرية الفردية هي محور النشاط الاقتصادي في المجتمعات الرأسمالية.

كان من الطبيعي جدا ان لاتقتصر آثار الازمة الاقتصادية العالمية على الدول الراسمالية المتطورة فقط، بل ان اثارها امتدت الى كثير من اقطار العالم المختلفة،

---

[١٨] المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

[١٩] أ.ج.ب. تايلور، المصدر السابق، ص ٨٥-٨٦.

المرتبطة بالسوق الرأسمالية بشكل او بآخر. وكانت ايران احدى هذه الاقطار التي تركت الازمة اثارا واضحة على اقتصادها. فقد تعرضت الصناعة الايرانية الهزيلة والقائمة بالدرجة الاساسية على العمل اليدوي الى هزات عنيفة. وادت الازمة الى غلق العديد من المشاريع الصناعية وتدهور حالة الحرفيين نتجت عنه اعداد كبيرة من العاطلين عن العمل[٢٠]. فان صناعة السجاد مثلا، التي كانت تؤلف اهم مصدر لدخل البلاد من العملات الصعبة، اذا استثنينا النفط الذي لم تكن تستلم ايران من عائداته الا شيئا يسيرا، شهدت تراجعا ملحوظا في سنوات الازمة بسبب امتناع الدول الاخرى عن استيرادها ورفع الرسوم المفروضة عليها، لاسيما في الولايات المتحدة الامريكية التي كانت تبتاع حوالي نصف ماتصدره ايران من السجاد[٢١]. فتوقفت العديد من معامل السجاد عن العمل واضطرت الى تسريح عمالها[٢٢].

عانت الزراعة، بدورها من صعوبات جمة، فقد ادى انخفاض الطلب في الاسواق العالمية على المنتوجات الزراعية الى تقليص المساحات المزروعة، هذا من جهة[٢٣]. ومن جهة اخرى هبطت اسعار تلك المنتجات الى اخفض مستوى لها حتى ذلك الوقت. فعلى سبيل المثال هبط سعر الخروار[٢٤] الواحد من الحنطة الفاخرة الى ريال وعشرة تومانات[٢٥] فقط بعد ان كان سعرها يبلغ ٢٥ ريالا. وينطبق الشيء نفسه على الشعير الجيد الذي هبط سعره بصورة ملموسة[٢٦]. وفي غضون شهر واحد من

---

[20] S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, P.135.

[٢١] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، بعض ملاحظات القنصلية الملكية في طهران عن الحالة التجارية في ظرف شهري اذار ونيسان سنة ١٩٣١ (سري)، الوثيقة رقم ٩٥، د. زكي حسن، ايران الحديثة ووجوه نهضتها الباهرة، ص ٢٤٤.

[٢٢] "الزمان"، ٢٧ تشرين الاول ١٩٣٠.

[23] S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, P. 135; M.S.Ivanov, Op. Cit., P. 326.

[٢٤] الخروار يعادل ٣٠٠ كيلو غراما عراقيا تقريبا.

[٢٥] التومان: عملة ايرانية متداولة والتومان الواحد يساوي ١٠ ريالات.

[٢٦] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر مارت ١٩٣٣، رقم ١/١٣٢ ش في ٢٧

عام ١٩٣١ انخفضت اسعار المنتجات الزراعية الى ٢٠ بالمائة قياسا الى اسعارها عشية الازمة[٢٧].

واذا ما علمنا ان الدول الرأسمالية لجأت في ظروف الازمة الى فرض اسعار عالية على سلعها مع تخفيض اثمان المواد الخام المحلية المستورة من ايران وغيرها من البلدان المتخلفة، والتي كانت المنتجات الزراعية تؤلف معظمها، لتبين لنا مقدار الضرر الذي اصاب المزارعين الايرانيين في تلك السنوات[٢٨].

ولم يؤد انخفاض اسعار المنتجات الزراعية الى تنشيط سوقها الداخلية بسبب ضعف القدرة الشرائية للسكان. لذا كانت البضاعة تبقى مكدسة في الاسواق لاتجد من يشتريها. ولم تتوان الاوساط الحاكمة عن اتخاذ اجراءات شكلت عبئا اضافيا على الفلاحين والمنتجين الصغار. ففي محاولة لحمل الفلاحين عبء الازمة ضاعف ملاكو الاراضي من الاتاوات والضرائب المفروضة عليهم[٢٩]. بل ان الحكومة لم تتورع، وفي تلك الايام العصيبة عن فرض الرسوم الباهظة على الرز المصدر الى الخارج، والذي كان متكدسا بكميات كبيرة في الاسواق، وذلك لتسهيل تصريف الرز المنتج من مزارع الشاه الواسعة في مازندران[٣٠].

وفي سنوات الازمة تدهورت التجارة الخارجية الايرانية بشكل واضح. فخلال السنوات الثلاث الاولى من الازمة تقلص حجم التجارة ثلاث مرات. اما عجز الميزان التجاري فقد زاد الى الحد الذي اصبحت فيه البلاد امام خطر كارثة مالية اقتصادية. ففي عام ١٩٢٩-١٩٣٠ بلغ الاستيراد ٧٢٪ من التبادل التجاري مقابل

مارت ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٦٤، م. و. و، الملف نفسه، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١٨٨.

[٢٧] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع،تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٥٨.

[28] S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, P. 136; N.R.Keddie, Roots of Revolution, P. 106.

[29] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 326; S.L.Agacv, Iran: Vneshnaya Politica…, P. 135.

[٣٠] م. و. و، ملفات البلاك الملكي، الملف ت/٢/٥/، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير دوري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية في ١ نيسان ١٩٣٣، رقم ٣٨١ في ١٧ نيسان ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٧١.

٥٩,٤٪ في عام ١٩٢٨-,١٩٢٩ وازداد العجز التجاري خلال هذه الفترة من ٢٢٤,٤ مليون قران الى ٣١٠,٢ مليون قران والذي كان يمثل ٢٧٪ من التجارة. وادى العجز التجاري الى تدهور النظام المالي للبلاد[٣١].

وقد تفاقمت الازمة بالنسبة لايران بسبب محاولات الدول الرأسمالية رمي ثقل الازمة على كاهل شعوب الدول المتخلفة. ففي عام ١٩٢٩-١٩٣٠، وبالمقارنة مع العام الذي سبقه زادت كل من انكلترا والولايات المتحدة الامريكية صادراتها الى ايران مع الاحتفاظ بنفس الحجم من وارداتها منها، مع الاخذ بنظر الاعتبار ان مستوى الاسعار بالنسبة لايران قد تضاعفت عن السنة التي سبقت ظهور الازمة[٣٢]. فقد زادت انكلترا صادراتها من ٢٩٠ مليون الى ٣٢٠٠ مليون قران، والولايات المتحدة من ٣٩ مليون الى ٧٣ مليون قران[٣٣].

وعلى الرغم من ان الدول الرأسمالية الاخرى، كالمانيا وفرنسا، زادت من وارداتها قليلا من ايران، الا ان صادراتها اليها ارتفعت بصورة كبيرة بلغت بالنسبة لالمانيا ٢٨٪ وفرنسا ٥٢٪[٣٤]. ومثال واحد فقط يعطي مؤشرا واضحا عن المدى الذي تركه هذا الوضع على الميزان التجاري. فعلى سبيل المثال اضاف التبادل التجاري مع انكلترا فقط الى الميزان التجاري الايراني عجزا مقداره ٢١٥ مليون قران[٣٥] في عام ١٩٢٩-١٩٣٠[٣٦]. ومما زاد الطين بلة بالنسبة لايران تدهور قيمة العملة الايرانية في هذا الوقت الى اقل من ١/٣ مستواها وهو اعلى من المعدل العالمي بكثير، على اثر قرار الحكومة الانكليزية بسحب الغطاء الذهبي عن الباون

---

[٣١] حميد صفوي، المصدر السابق، ص ١٨،
S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, P. 136.

[32] S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, P. 136; N.R.Keddie, Roots of Revolution, P. 107.

[33] S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, P. 136.

[34] Ibid.

[٣٥] القران: احد الاسماء القديمة المتداولة للعملة الايرانية وهو يعادل ريالا واحدا.

[36] S.L.Agaov, Iran: Vneshnaya Politica…, P. 136.

وتحويله الى عملة ورقية[37]. فعلى سبيل المثال كان ٤٨,٥ قران يساوي عام ١٩٢٨/١٩٢٩ جنيها استرلينيا في حين اصبح في عام ١٩٢١/١٩٣٢ الجنيه الاسترليني الواحد يساوي(١٠٠)قران[38]. وبعد ان كانت الليرة الانكليزية الذهبية تساوي مائة وعشرة قرانات، اصبحت بعد تحويلها الى ورقية لاتساوي اكثر من مائة وثلاثة قرانات مع ان الانخفاض الذي حصل في سعر الليرة الورقية عن الذهبية قد قارب الاربعين في المائة[39]. وفقدت ايران خلال عام واحد فقط، ١٩٣٠-١٩٣١، من قيمة اوراقها النقدية ما يقابل ١١٩٩٠٤٢٩ تومانا، مما يعكس مبلغ الهبوط الذي انحدرت اليه العملة الايرانية[40]. ومما زاد من مبلغ خسارة ايران اكثر انها كانت قد وضعت جميع احتياطيها من الذهب في المصارف الانكليزية، على امل اتخاذها قاعدة للعملة الجديدة التي كانت تنوي اصدارها آنذاك[41]. علاوة على انها كانت قد وضعت معظم وارداتها المستحصلة من شركة النفط الانجلو-ايرانية، والتي كانت تستلمها على شكل باونات، في المصارف الانكليزية في لندن كاحتياطي لعملتها الجديدة ايضا باعتبار ان تلك الباونات لاتفرق عن الذهب بشيء استنادا الى قانون الحكومة الانكليزية لسنة ١٩٢٥ القاضي بالرجوع الى اساس الذهب في عملتها،

---

[37] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٥٩-١٦١.

[38] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية باخر ايلول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ١٦٠.

[39] م. و. و، الملف نفسه، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير سري للغاية من المفوضية الملكية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية في ١٥ كانون الثاني ١٩٣٣، الوثيقة رقم ١١٩، م. و. و، الملف نفسه، تقرير دوري مرسل من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية في ١ نيسان ١٩٢٣، رقم ٣٨٩ في ١٧ نيسان ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٧٢.

[40] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية الخاص بشهري تموز وآب ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٤٢.

[41] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثائق رقم ١٥٩-٦٠، ١٦٧.

ذلك الاساس الذي نص احد شروطه المهمة على بيع وشراء وتوريد الذهب بصورة حرة[٤٢].

وقد كانت الحكومة الايرانية تعتقد ان بامكانها سحب هذه المبالغ[٤٣] من المصارف الانكليزية متى ارادت ذلك. بيد انها اصطدمت بقرار الحكومة الانكليزية القاضي بمنع صدور الذهب بسبب هبوط مقدار الاحتياطي لها، اضافة الى انها كانت قد حددت مدة معينة لانتهاء عدم الاخذ بالمقياس الذهبي في العملة الانكليزية[٤٤]. فاذا ما ارادت ايران سحب احتياطيها الذهبي من المصارف الانكليزية فان ذلك يعني خسرانها[٤٥] لحوالي ٢٠ بالمئة من قيمتها بعد تحويلها الى عملة ورقية[٤٦]. وقد فكرت الحكومة الايرانية ان تحول تلك المبالغ الى المصارف الامريكية والفرنسية بعد تحويلها الى دولارات وفرنكات، غير ان ذلك كان يعني ايضا التضحية بثلاثين في المائة من قيمة تلك المبالغ على اعتبار ان قيمة الباون بالنسبة للدولار الامريكي والفرنك الفرنسي كان قد نزل ما يقارب الـ٣٠ بالمائة[٤٧]. وفي كلتا الحالتين كانت ايران تخسر مبالغ جسيمة جراء ذلك.

ولقد كانت اجراءات الحكومة الانكليزية مثار انتقادات[٤٨] عنيفة من جانب الصحف الايرانية التي "انتقدت انكلترا بسبب انانيتها وعدم اكتراثها بمصالح البلاد الاجنبية التي اعتمدت على عملتها "وكتبت جريدة "ايران" في عددها

---

[٤٢] م. و. و، الملف نفسه، الوثيقة رقم ١٥٩.

[٤٣] بلغت قيمة تلك المبالغ حوالي سبعة ملايين باون.

[٤٤] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٥٩-١٦٠، ١٦٧.

[٤٥] اشترطت الحكومة الايرانية، وفي محاولة منها للتقليل من خسارتها، على التجار الموردين او المصدرين ان يشتروا منها باونا انكليزيا بسعر عال او يبدلوا لها باوناتها بفرنكات ودولارات بالسعر الذي حددته هي، الامر الذي سبب اضرارا بالغة للتجار.

[٤٦] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٢١، الوثيقة رقم ١٦٧.

[٤٧] م. و. و، الملف نفسه، الوثيقة رقم ١٦٠.

[٤٨] كانت تلك الانتقادات بايعاز من الحكومة.

الصادر في ٣٠ ايلول تتساءل "عما اذا كان يحق لبلد متمتع بثقة العالم قاطبة ان يستغل[٤٩] هذه الثقة وهذا الاعتماد بسهولة لخدمة مصالحه الخاصة من غير ان يهتم ابدا بمصالح وخيارات الدول الاخرى"[٥٠].

حاولت الحكومة معالجة آثار الازمة بطرق مختلفة. فلجأت في البداية الى فرض الرقابة على التحويل الخارجي، ونتج عن ذلك ان قلت النقود الاجنبية وبالتالي قلت الاستيرادات، مما ادى الى ارتفاع اسعار المنتجات الاجنبية الى ضعف اسعارها الحقيقية[٥١]. وعلى الرغم من ان الحكومة كانت ترمي من وراء هذا القانون الى تنشيط الصادرات، ونجحت في تحقيق ذلك نسبيا، الا ان انعكاس هذا القانون على مختلف الفئات والطبقات كان واسعا بحيث ان ما كانت تكسبه الحكومة من زيادة الصادرات كان يدفعه الايرانيون بشراء البضائع المرتفعة الاسعار[٥٢]. وتجدر الاشارة الى ان تأثير هذا القانون لم يقتصر على البضائع الاجنبية بل امتد ليشمل اسعار بعض المنتجات المحلية التي تضاعفت اسعارها بشكل كبير[٥٣]. غير ان الحكومة اضطرت في نهاية المطاف الى التخلي عن هذا القانون بتأثير الضغوطات الاجنبية، ولاسيما الانكليزية، وادى ذلك الى تدهور قيمة العملة الايرانية اكثر من ذي قبل.

---

[٤٩] ورد في النص (يستعمل).

[٥٠] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقتان رقم ١٥٩و ١٦٧.

[٥١] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير شهري سري للغاية لشهر نيسان ١٩٣١ من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١١٨ في ٥ ايار ١٩٣١، الوثيقة رقم ٥١، م، و، و. الملف نفسه، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية خاص بشهري تموز وآب ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٤٢.

[٥٢] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير شهري سري للغاية من المفوضية الملكية العراقية في طهران لشهر نيسان ١٩٣١ الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١١٨ في ٥ ايار ١٩٣١ الوثيقة رقم ٥١، م. و. و، الملف نفسه، تقرير عن الحالة التجارية في ظرف شهري كانون الثاني وشباط ١٩٣١، الوثيقة رقم٩.

[٥٣] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير شهري سري للغاية من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣١، رقم ١١٨ في ٥ ايار ١٩٣١، الوثيقة رقم ٥١.

لجأت الحكومة الى وسيلة اخرى لخلق ميزان تجاري اكثر استقرارا. فعمدت الى احتكار التجارة الخارجية منذ عام ١٩٣١، وبذلك فرضت هيمنتها على كافة النشاطات الاقتصادية في البلاد. وقد انعكست اثار تلك الاجراءات في مجالي التصدير والاستيراد.

فنتيجة شحة النقود، وانخفاض القوة الشرائية لدى السكان تقلص استيراد البضائع الاجنبية، حتى الاساسية منها كالاقمشة القطنية والصوفية، علاوة على ان اسعارها قد تضاعفت عن ذي قبل[٥٤]. وقد ظهرت آثار تلك الاجراءات بشكل واضح في العمليات التجارية في البلاد، فان الحكومة باجبارها التجار على تصدير بضائع مساوية لما يستوردونه تسببت في خسائر فادحة بالنسبة للتجار دفعت بالعديد منهم الى اشهار افلاسهم[٥٥]. وكان شيئا طبيعيا انتشار سوق المضاربات لشراء وبيع العملة، كما نشطت تجارة التهريب بسبب عجز السلطات عن مراقبة نقاط الحدود، وراجت تجارة السوق السوداء تحت سمع وبصر السلطات، مما ادى الى ارتفاع الاسعار ارتفاعا فاحشا[٥٦]. بل ان الحكومة نفسها كثيرا ما كانت تغض النظر عن عمليات المتاجرة بوثائق التصدير التي راجت سوقها بين التجار بكثرة، لقاء مبلغ من المال قد يصل ثمنه الى نسبة العشرة وحتى العشرين في المائة من قيمة الاموال الموردة طالما كانت السلطات تحصل على رسوم عالية جراء بيعها لتلك الوثائق مع علمها ان هذه الاثمان الزائدة تضاف على قيمة البضائع الداخلة الى البلاد وتخرج بالنتيجة من جيب المستهلك الايراني[٥٧]. وقد وصفت وثيقة عراقية[٥٨]

---

[٥٤] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير دوري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية في ١ نيسان ١٩٣٣، رقم ٣٨٩ في ١٧ نيسان ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٧٢.

[٥٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١٨٨.

[٥٦] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية عن سياسة ايران المالية لشهر شباط ١٩٣٢،الوثيقة رقم ٢٦-٢٧،

F.O., 7805, Notes of the Persian Communist Party in Tehran, PP. 154-155.

[٥٧] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير شهري سري للغاية من المفوضية الملكية العراقية الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣١، رقم ١١٨ في ٥ ايار ١٩٣١، الوثيقة رقم ٥١.

الحالة الاقتصادية في ايران آنذاك بقولها: "... اما من الوجهة العامة فالحالة الاقتصادية في ايران زادت حراجة والمعيشة قد اصابها ترفع وغلاء في الاسعار، كما ان الاعمال التجارية قد اصبحت لا خير منها والتي فيها نفع فانه يحصل بجهود عظيمة ومصاريف باهظة تألف (تؤلف) الرشوة والهدايا قسما عظيما منها لترويج الاعمال المطلوبة"[٥٩].

اتخذت الحكومة بعض الاجراءات لمعالجة اثار الازمة الاقتصادية بيد ان تلك الاجراءات لم تسفر عن نتيجة تذكر[٦٠]. فقد عقدت عدة اتفاقيات تجارية مع السوفيت[٦١] بغية تصريف المنتجات المكدسة، لاسيما في المناطق الشمالية، واسهمت هذه الخطوة في التخفيف من الازمة التي كانت تشل الحركة التجارية في البلاد. ومن الجدير بالذكر ان ايران استطاعت بموجب هذه الاتفاقيات الحصول على بضائع روسية باسعار مخفضة بالمقارنة مع مثيلاتها المستوردة من الدول الرأسمالية الاخرى[٦٢]. كذلك اتفقت مع بعض الشركات الامريكية لحصر استيراد انواع معينة من السلع لتلك الشركات كالسيارات وادواتها مقابل تعهدها بشراء مقدار معين من

---

[٥٨]اسهبت الوثائق العراقية الرسمية كثيرا في الحديث عن الاحوال الاقتصادية والمالية لايران خلال سنوات الازمة الاقتصادية.

[٥٩]م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية للمدة المنتهية بكانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٧.

[٦٠]وصفت وثيقة عراقية الاجراءات التي كانت تقوم بها الحكومة الايرانية لمعالجة الوضع الاقتصادي بانها "شبيهة بحركة المذبوح فتارة تعمل شيئا ما... وتارة تنقض ما عملته وتمضي الايام والسنين ولم تتقدم الحالة نحو التحسن شبرا واحدا". م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير دوري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية في ١ نيسان ١٩٣٣، رقم ٣٨٩ في ١٧ نيسان ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٧٢.

[٦١]زادت قيمة التبادل التجاري بين السوفيت وايران للعام ١٩٣٠ عن ٢ مليار روبل على اثر عقد عدة اتفاقيات تجارية بينهما. "العالم العربي"، ٣ كانون الثاني ١٩٣١.

[٦٢]للتفاصيل عن هذا الموضوع، راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٦٥، م. و. و، الملف نفسه، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية للمدة المنتهية بكانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٨، "البلاد" ١١ شباط ١٩٣٠.

الصادرات الايرانية[63]. وفي الوقت نفسه تشكلت شركة تجارية رسمية بأسم (الشركة التجارية الايرانية) اعلنت بانها ستتكفل بتأمين الصادرات الى الخارج للتخفيف عن كاهل التجار، فضلا عن عزمها على تقديم العديد من التسهيلات للاسراع في تنشيط الحركة التجارية في البلاد[64].

وكمحاولة من الحكومة لتقليص الاستيراد، والتقليل من تسرب العملة الصعبة الى الخارج لجأت الى بناء سلسلة من مشاريع الصناعات التي لم تكن تفي بالحاجة المحلية، لذا ظلت الاسواق تشكو من فقدان العديد من الحاجات الاساسية علاوة على الرسوم والضرائب الباهظة التي فرضت عليها بحيث لم يكن بمقدور المواطنين شراءها بسبب ضعف القدرة الشرائية لديهم[65].

لعبت شركة النفط الانجلو-ايرانية دورا سلبيا في سنوات الازمة الاقتصادية ففي ذروة ايام الازمة لجأت الى تخفيض العائدات التي كانت تدفعها الى الحكومة الايرانية بحجة الكساد الذي اصاب سوق النفط العالمي وانخفاض اسعاره نتيجة لذلك[66]. وكما سبق ان ذكرنا فقد هبطت العائدات التي دفعتها الشركة الى الحكومة الايرانية. في عام ١٩٣١، وفي ذروة ايام الازمة الى ٣٠٠ الف باون فقط بعد ان كانت تبلغ ١,٣٠٠,٠٠٠ باون[67]. واذا ما علمنا ان تلك العائدات كانت تشكل المصدر الرئيس من واردات ايران من العملة الصعبة لادركنا مدى العبء الذي اضافته سياسة الشركة على ميزانية البلاد.

---

[63] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية للمدة المنتهية بكانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٩، م. و. و، الملف نفسه، تقرير دوري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية في ١ نيسان ١٩٣٣، رقم ٣٨٩ في ١٧ نيسان ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٧٢.

[64] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية بكانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٧.

[65] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية الخاص لشهري تموز وآب ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٤٣، N.R.Keddic, Roots of Revolution, P. 106; B.Jazani, OP. Cit., P. 14.

[66] F.O., 371/16078, "L'Iran", October 24, 1932, P. 188; R.Cottam, OP. Cit., P. 204.

[67] F.O., 371/16078, "L'Iran", October 24, 1932, P. 188.

ولتوضيح الصورة اكثر نشير الى ان العائدات[٦٨] التي حصلت عليها الحكومة البريطانية من الشركة للسنة نفسها بلغت ٨٠٠ الف باون مما يدل على مدى استهانة الشركة بمقدرات البلاد في تلك الظروف العصيبة ومحاولتها الحصول على ارباح طائلة على حساب الشعوب الاخرى[٦٩].

واسهم خروج رؤوس الاموال الاجنبية من البلاد، بعد تخلي كثير من الشركات والمؤسسات الاجنبية عن اعمالها بتأثير الكساد الذي شل النشاط الاقتصادي والمالي فيها، في خلق صعوبات اضافية لميزانية الدولة[٧٠].

لعبت سياسة النظام الضريبية دورا ملحوظا في زيادة العبء على الفئات الكادحة. فمنذ الايام الاولى للازمة لم تتوان السلطات عن فرض انواع مختلفة من الضرائب ودونما ادنى مراعاة لوضع هذه الفئات. فان قيام الدولة بانشاء مشاريع ضخمة كمشروع السكك الحديدية التي شرعت بانشائها منذ عام ١٩٢٧ كان يتطلب اموالا باهظة جمعتها من الرسوم الباهظة التي فرضتها على بعض السلع الاساسية للمواطنين[٧١]. فعلى سبيل المثال كان سعر[٧٢] الكيس الواحد من السكر البلوري المستورد من العراق يبلغ ١١٥٠ فلسا بقياس تلك الايام، بيد انه كان يصل الى المستهلك بعد ان يكون سعره قد بلغ ٤٦٠٠ فلسا، وهذه الزيادة نشأت عن الرسوم الكمركية والرسوم الاخرى التي كانت تستوفيها الحكومة، مما جعل اسعار تلك السلع ترتفع ارتفاعا فاحشا بحيث بلغ سعر الكيلو الواحد منه ٧٥-٨٠ فلسا

---

[٦٨] كان هذا المبلغ يمثل فقط الضرائب التي دفعتها الشركة الى الحكومة البريطانية ويضاف الى ذلك المبالغ الاخرى التي كانت تدفع كاجور لادارة وموظفي الشركة علاوة على ان الارباح الحقيقية للشركة لم تكن تعلن ابدا.

[69] F.O., 371/16078, “L’Iran”, October 24, 1932, P. 188.

[70] D.Jazani, OP. Cit., P. 13.

[٧١] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية عن سياسة ايران المالية في ٨ شباط ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٢٧، م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف نفسه، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١٨٨.

[٧٢] كانت الاسواق الايرانية تعتمد في معظم استهلاكها على السكر السوفيتي، بيد ان السوفيت كانوا يمتنعون احيانا عن تزويد ايران بتلك السلعة. ونتيجة لذلك كانت ايران تعمد الى شراء السكر من التجار العراقيين.

عراقيا[٧٣]. وهو مبلغ كبير ماكان بامكان الكادح الايراني دفعه في تلك الايام. والانكى من ذلك ان الحكومة عندما وجدت ان عائداتها ستزيد في حالة حصر استيراد تلك المادة بالتجار بعد دفعهم لرسوم مضاعفة، لم تتوان عن تخويل الاخيرين استيراد وبيع السكر في الاسواق الايرانية على الرغم من الارباح الفاحشة التي بدأوا يجنونها على حساب المستهلكين[٧٤].

ولدت تلك الاوضاع استياء واضحا لدى الطبقات والفئات الاجتماعية الدنيا التي بدأت الضائقة الاقتصادية تضيق الخناق عليها اكثر من اي وقت مضى. فخلال السنتين الاولتين للازمة انخفض مستوى المعيشة، الذي كان متدنيا اصلا، بمقدار ٣٠-٤٠٪[٧٥]. وادى تدهور الانتاج الزراعي ومحاولات الملاكين الجشعة في حمل الفلاحين عبء الازمة الى تنامي افقار الفلاحين وتدهور اوضاعهم الى حد كبير[٧٦]. كذلك تدهور وضع العمال بسبب الازمة الاقتصادية بشكل ملموس بعد ما ساءت ظروف العمل، وتقلصت الاجور الى اقل حد ممكن بحيث كان على العامل ان يعمل ضعف عمله ليحصل على ثمن سلعة ضرورية يريد شراءها. كذلك تفاقمت البطالة بشكل متزايد[٧٧]. وقد عبرت الفئات المذكورة عن استيائها في سلسلة من الانتفاضات والاضرابات[٧٨] التي شهدتها انحاء متفرقة من البلاد، غير ان نظام رضا شاه تمكن من قمعها بقسوة والقى بالقائمين عليها في غياهب السجون[٧٩].

---

[٧٣] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية عن سياسة ايران المالية في ٨ شباط ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٢٧، م. و. و، الملف نفسه، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر تشرين الثاني ١٩٣٤، الوثيقة رقم ١٢١.

[٧٤] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية عن سياسة ايران المالية في ٨ شباط ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٢٧.

[٧٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية الخاص بشهر حزيران ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٢١، S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, P. 135.

[76] S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica… P. 135; M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 236.

[77] S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, P. 135; N.R.Keddie, Roots of Revolution, P. 106.

[٧٨] سنتطرق الى تفاصيلها لاحقا.

[٧٩] يرفند ابراهيميان، عوامل القوة والضعف في الحركة العمالية ١٩٤١-١٩٥٣، "ايران ١٩٠٠-١٩٨٠"، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص ٧٣.

ومما تجدر الاشارة اليه ان الرواتب تدنت في سنوات الازمة، الى حد كبير، فعلى سبيل المثال كان راتب الجندي الايراني لايتجاوز السبع قرانات، وهو مبلغ زهيد يكاد لا يسد الرمق[٨٠].

ومما له مغزاه ان تلك الاوضاع بدأت تتفاقم الى الحد الذي دفع حتى بالصحف الموالية للنظام الى التشكي من الحالة الاقتصادية في البلاد، ومن الازمة المالية الاخذة بخناق الاهالي. فقد دعت "شفق سرخ" المواطنين "الى ان يقبلوا على الحرف الحرة والتجارة فيفيدون انفسهم وبلادهم"، وانتقدت تهالك الشباب "في سبيل الحصول على وظيفة في دواوين الحكومة".

وابدت صحيفة "ايران" اسفها "للكساد المخيم على كافة الاسواق وعلى حالة البلاد الاقتصادية الوخيمة، ودعت اصحاب رؤوس الاموال الايرانيين للاقتداء بالغربيين وترك الكلام جانبا" [٨١].

اشرت سنوات الازمة بروز العديد من الظواهر التي بدأ بعضها يلفت النظر بشكل واضح. فمنذ بداية الازمة باتت ظواهر الاختلاس واختفاء الحبوب من مخازن الدولة تتكرر بصورة ملحوظة، حتى اضطرت السلطات الى تشكيل لجان انضباطية للتحقيق في تلك الحوادث[٨٢]. كما عم الفساد واستلام الرشوة دوائر الدولة ومرافقها المختلفة. ولا يخلو من مغزى ان نشير الى ان تلك الظاهرة انتقلت حتى الى المحاكم وهيئاتها التحكيمية وموظفيها، وهي مؤسسات يفترض فيها ان تظل بعيدة عن مثل هذه الامور[٨٣]. كذلك استفحلت حوادث السلب والنهب والسطو على ممتلكات

Wolfgang Ritter, Der Iran under der, Diktatur des, Frank Furt, 1979, P. 31, M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 327.

[٨٠] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من نيابة قنصلية العراق الملكية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آذار ١٩٣١، الوثيقة رقم ٦١.

[٨١] مقتبس من: "الزمان"، ٥ ايلول ١٩٣٠.

[٨٢] للتفاصيل عن هذا الموضوع راجع: "العالم العربي"، ٢٠ تموز١٩٢٩، "العراق"، ١٦و ٢٤ كانون الاول ١٩٢٩، و ١١ آب ١٩٣٢.

[٨٣] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقريب من القنصلية الملكية العراقية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية عن سياسة ايران المالية في ٨ شباط ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٢٦، م. و. و، الملف نفسه، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر مارت ١٩٣٣، رقم ١٣٢/١ س في ٢٦ مارت ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٦٦-٦٧.

المواطنين والقوافل الحكومية التي تحمل المؤن والمواد الغذائية الى درجة باتت تشكل مصدر قلق كبير للحكومة[٨٤]. ولم يكن غريبا في مثل تلك الاحوال، وفي ظل تفاقم الضائقة الاقتصادية ان يرتفع استهلاك الافيون الى حد كبير كوسيلة للهرب من ضغوطات الحياة التي غدت تضيق الخناق على فئات وطبقات واسعة من المجتمع الايراني، وباتت ظاهرة الانتحار بالافيون تنتشر بشكل ملفت للنظر[٨٥].

مع حلول نهاية عام ١٩٣٢ بدا ان الازمة تختفي في اغلب الدول الرأسمالية وكان من الطبيعي ان ينعكس ذلك على ايران ايضا بحكم تبعيتها للسوق الرأسمالية، فقد شهد عام ١٩٣٣ ارتفاعا ملحوظا في الصادرات الايرانية، ولاسيما من المنتجات الزراعية. فعلى سبيل المثال زادت صادرات البلاد عن وارداتها في عام ١٩٣٣ بحوالي ٣٨ مليون ريال او ٣٨٠ الف ليرة انكليزية[٨٦]. غير ان بعض جوانب الازمة بقيت تترك آثارها على الحياة الاقتصادية للبلاد حتى سنوات لاحقة، مما تحول الى عبء اضافي على كاهل الناس في ظروف غياب الديمقراطية وتفاقم الاتجاهات الدكتاتورية لدى رضا شاه.

---

[٨٤] للتفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، كتاب سري للغاية من قنصلية العراق الملكية في المحمرة الى مفوضية العراق الملكية في طهران والمرسلة نسخة منه الى وزارة الخارجية، رقم ١٥٣/٦٩ في ٢٥ تموز ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٦٣، م. و. و، الملف نفسه، كتاب من قنصلية العراق في كرمنشاه الى مفوضية العراق في طهران وصورة منه الى وزارة الخارجية، رقم ٣٤٣ في ٦/٩/١٩٣٢، الوثيقة رقم ٧٢، م. و. و، الملف نفسه، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية باخر ايلول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٩٧، م. و. و، الملف نفسه، كتاب سري من قنصلية العراق الملكية في المحمرة الى مفوضية العراق الملكية في طهران، رقم ٣٥٩/٦٩ في ١٢ تشرين الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٨٥.

[٨٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر مارت ١٩٣٣، رقم ١٣٢/١ س في ٢٦ مارت ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٦٦.

[٨٦] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل، ٧٤٠-وع، تقرير دوري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٣٨٩ في ١٧ نيسان ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٧١.

نمو النزعة الدكتاتورية للنظام البهلوي

اتجه رضا شاه منذ تربعه على العرش الى تدعيم سلطته، واقامة نظام مركزي قوي ليصبح بالامكان تحقيق الاهداف التي كان يروم تحقيقها. وقد استند في تحقيق هدفه هذا على مرتكزات اساسية تمثلت في الجيش الجديد والبيروقراطية الحكومية ورجال البلاط. كانت الجندرمة، ولاسيما الجيش الاداة الرئيسة التي اعتمدها النظام الجديد "واهم عنصر في الامور السياسية"[1]. وتصف الوثائق شكل الحكومة ابان تلك الفترة بانها "دكتاتورية عسكرية بحتة، وان الجيش هو العامل الوحيد في تمشية امور الدولة السياسية والادارية"[2].

لذا كان من الطبيعي ان تعطى للقواد العسكريين في الاقاليم سلطات ادارية واسعة تجاوزت صلاحيات حكام تلك الاقاليم الذين غدوا بمثابة موظفين يسيرون شؤون اقاليمهم ولا يمكنهم تمشية الامور دون الرجوع الى القادة العسكريين[3]. فالجيش اصبح "هو الذي بيده دفة امور الدولة وهو الكل بالكل"[4].

---

[1] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٤/٢، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش، رقم ١٨١٤٨ في ١/١٠/١٩٣٢ الوثيقة رقم ١٢٤،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 149, R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 239.

[2] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٤/٢، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش، رقم ١٨١٤٨ في ١/١٠/١٩٣٢، الوثيقة رقم ١٢٤،

F.O., 371/16949, The Future of Persia, October 1931, P. 21.

[3] م. و. و، الملف ت/٤/٢، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش، رقم ١٨١٤٨ في ١/١٠/١٩٣٢، الوثيقة رقم

وقد تمكن رضا شاه عن طريق الجيش من قمع الحركة الديمقراطية وانتفاضات القبائل وتوطيد سلطة الادارة العسكرية في الاقاليم[٥]. وتمكن رضا شاه بهذه الطريقة من السيطرة بشكل كامل على النظام السياسي، وشل الحياة السياسية الى اقصى حد.

وفي مثل هذه الظروف كان من الطبيعي جدا ان يتحول البرلمان الى مجرد بيدق بيد الشاه. فقد كان الشاه هو الذي يحدد نتيجة اية عملية انتخابية، وبالتالي تركيبة المجلس وبذلك كان يضمن عدم وجود معارضة فعلية للنظام[٦]. وكان اسلوبه هو ان يرسم بمساعدة رئيس الشرطة صورة للمرشحين لانتخابات المجلس لوزير الداخلية، ويقوم الاخير بتمريرها الى الحاكم العام للاقليم. واخيرا يقوم الحاكم العام باعطاء القائمة الى المجالس الانتخابية المشرفة والمعينة من قبل وزارة الداخلية لمراقبة سير الانتخابات[٧]. مع العلم انه في بداية مجيئه الى العرش لم يدع فرصة تفوته دون ان يؤكد على اخلاصه للنظام البرلماني والمبادىء الديمقراطية. فقد اكد الفرمان الشاهنشاهي الذي اعلن في ١٦ كانون الثاني ١٩٢٦ عشية انتخابات المجلس في دورته السادسة (تموز ١٩٢٦-اب ١٩٢٨)، على منع اي تدخل من قبل السلطات، بيد ان هذا المبدأ لم يطبق قط. فقد جاءت الانتخابات باكثرية مطلقة من انصاره واعوانه. وفي مثل هذه الظروف كان من الطبيعي ان تغيب اية معارضة فعلية

١٢٤، م. و. و، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في خرم شهر الى وزارة الخارجية العراقية لشهر شباط ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٢٢.

[٤] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٤/٢، التسلسل ٨٢٤-وع، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي، ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش، رقم ١٨١٤٨ في ١/١٠/١٩٣٢ الوثيقة رقم ١٢٤.

[5] "Iran. Ochirk noveyshey…," P. 40.

[٦] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية الى وزارة الخارجية العراقية لشهر شباط ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١٥٨،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 138.

[7] Ibid; G.H.Razi, Genesis of Party in Iran: Acase study of the interaction Between the Political system and Political Parties, "Iranian Studies", P. 70.

للنظام[٨] وتوقف البرلمان عن اداء دوره كمؤسسة فاعلة، وعوضا عن ذلك اصبح غطاء جميلا "يغطي عراء الحكم العسكري" حسب التعبير الموفق لاحد الكتاب[٩]. ويدل ما كتبته صحيفة "اقدام" بعد الانتهاء من الانتخابات على طبيعة المجلس الذي جرى انتخابه، فقد كتبت تقول بان اعضاء البرلمان "اظهروا استعدادهم الخضوع التام كالجنود لاى امر" من رضا شاه[١٠]. وكتب الوزير المفوض البريطاني في تقرير له الى وزارة الخارجية يقول بان "المجلس الفارسي لايمكن اخذه على محمل الجد، فالنواب ليسوا وكلاء احرار كما هو الحال بالنسبة لانتخابات المجلس فعندما يريد الشاه ان يتخذ اجراء ما يقوم المجلس بتمريره، وعندما يعارض يسحب القبول فورا، وعندما لا يكون مهتما يقوم جدال طويل ليس من ورائه فائدة[١١]. وبطبيعة الحال كانت صحافة النظام تمتدح اسلوب الشاه، وتسخر من اعضاء المجلس الذين "يعيقون بمناقشاتهم الفارغة انجاز المشاريع المختلفة"[١٢].

وقد تركزت المعارضة البرلمانية في حزب "ايران جوان" (ايران الفتاة) الذي تألف من ممثلي الاجنحة "اليسارية" في حزبي "ترقي" و "تجدد" بعد ان بدأوا يرقبون بقلق بوادر نمو النزعة الدكتاتورية لرضا شاه وتزايد دور المؤسسة العسكرية في الحياة السياسية للبلاد[١٣]. غير ان تلك المعارضة لم تكن فعالة بسبب تقلص عدد المقاعد التي تمثلها، علاوة على ان البرامج التي طرحتها لم تكن تتجاوز مصالحها الضيقة[١٤].

ويبدو ان شكوك بعض الاوساط البريطانية لم تكن في محلها حينما ابدت، وبعد فترة وجيزة من تربع رضا شاه على العرش، مخاوفها بشأن الاسس التي يرتكز عليها

---

8 "Iran, Ochirk noveyshey…", P. 41; S.L.Agaev, Iran. Vneshnaya Politica…, P. 21.

9 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 138.

١٠ مقتبس من: "Iran. Ochirk noveyshey…," P. 4.

11 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 1933.

12 "Iran Ochirk noveyshey…, P. 41.

13 Ibid, P. 41; S.L.Agaev, Iran. Vnesehnaya Politica…, P. 21.

14 Iran. Ochirk noveyshey…, P. 41; S.L.Agaev, Iean. Vncsehnaya Politica…, P. 21.

النظام الجديد وتساءلت عن مدى قدرة الشاه الجديد على الصمود تجاه المعارضة. وبهذا الصدد كتب نيكلسون، القائم بالاعمال الانكليزي الى وزارة خارجيته في ٣٠ ايلول ١٩٢٦ مايلي "صحيح ان اعضاء البرلمان انتخبوا بامر رضا شاه، ولكنهم عندما اصبحوا في البرلمان انقلبوا عليه، ونحن لا نرى الان التعاون بل عداء قاسيا بين البرلمان والعرش. والجهاز الحكومي لهذا السبب خرج كليا عن الطريق، واذا لم يتمكنوا من اقناع الشاه بعقد الصلح مع المجلس الوطني يجب انتظار انقلاب جديد، اذا لم تكن ثورة"[١٥] اما جمبرلن وزير الخارجية، فقد توقع سقوط الشاه بسبب فقدانه الشعبية وانشغاله بشكوكه من وزرائه، الذين ربما يحصلون على نفوذ في البلاد. واكد جمبرلن على ان المستقبل هو الذي سيثبت "هل هو (رضا شاه) كفؤ لحمل الصولجان الذي حصل عليه"[١٦].

ورغم نزعته الدكتاتورية وعدم احتماله اية معارضة داخل الهيكل التشريعي للسلطة فانه لم يعطل الدستور، ولم يلغ المجلس، وكان يبعث بقراراته الى المجلس "لتصديقها"[١٧]. وبرجوعه الى الدستور كان قادرا على تأكيد شرعية حكمه على عكس القاجار الذين، كما كان يؤكد دائما، قد انتهكوا حرمة الدستور وخالفوا الاعراف البرلمانية[١٨]. ولاحتواء المعارضة البرلمانية واضفاء الصبغة "الديمقراطية" على حكمه فقد اوعز الشاه الى اعوانه بتشكيل حزب جديد باسم "ايران نو" (ايران الجديدة) ليصبح حزب الحكومة على غرار حزب الشعب الجمهوري في تركيا وكان شعار الحزب هو "الاخلاص للشاه وبذل الجهود نحو التقدم"[١٩] وجعل الحزب هدفه الرئيس مهاجمة الاستقراطية الاقطاعية (والاحلام الفارغة) لانصار النظام

---

[15] S.l.Agaev, Iran. Vneshnaya Politica…, P. 21.
[16] Ibid, P. 22.
[17] J.Marlow, The Persian, Gulf in the twentieth century, P. 102; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 138.
[18] J.Marlow, the Persian, Gulf in the twentieth century, P. 102.
[١٩] "العالم العربي"، ٢٣ ايلول ١٩٢٣، "الاستقلال"، ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٧،
G.H.Razi, Genesis of Party in Iran: Acase study of the interaction Between the Political Parties, Iranian Studies, P. 70.

الجمهوري[٢٠]. وسرعان ما ابتلع هذا الحرب الجديد اغلب التجمعات السياسية القائمة، واصبح بوقا للحكومة لتأييد وتنفيذ خططها وبرامجها[٢١].

وخلال الدورات الانتخابية الاخرى للمجلس، وبسبب تلاعب السلطة بنتائج الانتخابات فشلت المعارضة في تشكيل مجموعة فعالة داخل المجلس، فهيمن مؤيدو النظام على اغلبية المقاعد فيه[٢٢]. فعلى سبيل المثال كان مدرس قد وضع تحت الاقامة الجبرية. اما الدكتور مصدق[٢٣] الذي لم ينتخب منذ انتهاء الدورة السادسة لاية دورة انتخابية اخرى طوال عهد رضا شاه، فقد فضل الابتعاد عن النشاط السياسي[٢٤]. وهكذا كانت الوجوه نفسها تتكرر في كل دورة انتخابية بسبب سلوكها مسلكا معتدلا كان يوجب شكر وثناء الحكومة حسبما جاء باحدى الوثائق العراقية[٢٥].

وبذا تحول المجلس الى اداة طبيعة بيد النظام ولم يعد يمثل اكثر "من لجنة تسجل الاوامر التي تصدر من البلاط"[٢٦]. وتمكن الشاه بهذه الوسيلة من فرض ارادته على الجميع. فقد كان يختار وزراءه بنفسه، وفي حين كان العرف السياسي يقتضي ان يجري الشاه مشاورات سياسية مكثفة مع ساسة البلاد البارزين لتشكيل الوزارات فان رضا شاه كان يختار رئيس وزرائه والوزراء ثم يبعث باسمائهم الى المجلس للحصول على تصويت الثقة "الضروري"، وكان طبيعيا جدا ان يعطي المجلس (ثقته)

---

[20] "Iran. Ochirk noveyshey…" P. 43; N.R.Keddie, Roots of Revolution, P. 93.

[21] S.L.Agaev, Iran. Vncshnaya Politica…, P. 21.

[22] Ibid.

[٢٣] بقي الدكتور مصدق يعيش وحيدا في ممتلكاته، لحين خلع رضا شاه وعاود نشاطه السياسي بفعالية في عهد ابنه محمد رضا حينما تزعم حركة تأميم النفط الايراني في الخمسينات.

[٢٤] جنايات دو هزار و بانصد ساله شايان ايران، از انتشارات روزنامه راه اتحاد، شهريور ماه، ٣٥٠، ص ٨٥،

S.L.Agaev, Iran-Vneshnaya Politica…, P. 23; N.R.Keddie, Roots of Revolution, P. 93.

[٢٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، للمدة المنتهية بكانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٨.

[26] F.O., 371/16949, The Future of Persia, October 1931, P. 21.

المطلقة باختيار الشاه[27]. وهكذا غدا الشاه "مسيطرا سيطرة تامة على اعمال الوزارات، ولا تعمل الوزارة اي شيء مالم تحصل على موافقته وانها تستشيره بكل امورها صغيرة كانت ام كبيرة"[28]. وكانت الوزارة تبقى قائمة والوزراء يبقون في مناصبهم لحين فقدان ثقة الشاه بهم وليس ثقة المجلس[29]. ولم يكن هناك اسهل من تلفيق تهمة عدم الاخلاص للشاه لاقالة الوزراء او طرد النواب، الذين كثيرا ما كانوا يجردون من حصانتهم البرلمانية في عهد رضا شاه ولعله لم يجانب الصواب حينما صرح احد رؤساء وزراء رضا شاه بعد عدة سنوات قائلا "بما ان الشاه اصر على ان جميع الافعال التنفيذية يجب ان تتم المصادقة عليها من قبل الفرع التشريعي، بقي المجلس للقيام بالاعمال التشريفاتية"[30].

ولكي يحكم سيطرته اكثر عمد رضا شاه الى اغلاق الصحف المعارضة، بل وحتى التي كانت تتجرأ وتنتقد احيانا بعض الامور العامة[31]. لذا كان من الطبيعي ان تتقلص عدد الصحف الايرانية حتى غدت تعد على اصابع اليد، فرضت عليها رقابة حكومية مشددة[32]. ولم يعد من عمل لتلك الصحف سوى التطبيل للنظام والثناء على منجزاته، وتصف وثيقة عراقية الوضع الذي آلت اليه الصحافة في عهد الشاه كما يلي: "ان الصحافة هنا برمتها تقريبا معاضدة للحكومة الحالية ذلك لان جميع الصحف المعارضة قد اخفت صوتها ولان الصحافة الحالية مع انها تلاحظ في اعمال الحكومة الحاضرة كثيرا من الاغلاط وتذكر الحكومة بها في بعض

---

27 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 138.

٢٨ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٤/٢، تقرير سري من الرئيس الاول ابراهيم بن حمدي ضابط الركن الثالث (الاستخبارات) الى رئيس اركان الجيش، رقم ١٨١٤٨ في ١/١٠/١٩٢٢، الوثيقة رقم ١٢٤.

29 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 138.

30 Ibid.

31 Y.Armajani, OP. Cit., P. 333; H.H.Smith and Others, OP. Cit., P. 329.

٣٢ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر تشرين الاول ١٩٣٤، الوثيقة رقم ١٠٢، احمد عبدالكريم الصحافة الايرانية، بغداد ١٩٧٢، ص ١٠.

الاحيان لكنها تقايس دائما الوضع الحالي الذي اوجدته هذه الحكومة بالوضع السابق لاعتلاء الشاه الحالي عرش ايران"[٣٣].

وبعد ان عزز موقعه، ووجد في نفسه القوة اللازمة التي تمكنه من مواجهة اعدائه ومنافسيه، لم يتوان عن مهاجمة العناصر التي تحالفت معه او ساندته في ارتقائه للعرش، والتي اثبتت ولاءها له وبضمنها الاحزاب. كاشفا بذلك القناع عن انتهازيته ومراوغته للجميع[٣٤]، فبعد ما استخدم دعم الاشتراكيين له في المجلس اثناء مواجهته لكتلة مدرس والعلماء وهو في بداية طريقه للعرش، انقلب عليهم فجأة بعد ان احس ان الحاجة منهم قد انتفت، فاجبر سليمان اسكندري، زعيم الحزب على الاستقالة[٣٥]. وفي انزلي، مثلا، شجعت الشرطة جماعة دينية على الهجوم على مسرح اشتراكي، على اساس انه عند تمثيل احدى المسرحيات، ظهرت ممثلة على المسرح. وفي طهران وقفت الشرطة تتفرج على جماعة متعصبة وهي ترجم جمعية النساء الوطنية وتحرق صحف الجمعية[٣٦]. اما الاحزاب الاخرى فقد تلاشت تدريجيا. فقد انضم حزب (ايران الفتاة) الى حزب (ايران نو) وعجز الاخير عن ان يلعب دوره الفعال كأداة سياسية للنظام الحاكم، لذا فقد دعم الشاه وتوقف عن النشاط في نهاية عام ١٩٢٨[٣٧]. اما حزب ترقي والذي شكل على غرار حزب موسوليني الفاشي، وكان من اشد مناصري الشاه فقد بدأت الشكوك تدور حول احتوائه على (مشاعر جمهورية) خطيرة[٣٨]. بيد ان الهدف الرئيس لهجوم رضا شاه تركز على الشيوعيين الذين كان يعتبرهم الاداة الرئيسية للتدخل الاجنبي[٣٩].

---

[٣٣] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية الخاص بشهر حزيران ١٩٣١، الوثيقة رقم ١١٨.

[34] F.O., 371/10840, Confidential, British Government Archoves, No. 8, E 8146/18/34, From Peters to Austen Chamberlain, December 19, 1925, P. 238.

[35] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 189, R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 239.

[36] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 139.

[37] G.H.Razi, Genesis of Party in Irani Acase Study of the interaction between the Political system and Political Parties, “Iranian Studies”.

[38] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 139.

[39] R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 239.

كان المرتكز الاخر، المهم لسياسة الشاه بعد تأكيد نفوذه السياسي هو توجهه نحو معالجة المسألة العشائرية. فقد كان ينظر دوما الى العشائر التي حافظت على نمط خاص من الحياة لعدة قرون، كأهم عائق امام تطور البلاد، وبالاحرى امام فرض سلطة الحكومة المركزية على الاقاليم، وهو الهدف الرئيسي الذي كان يروم الى تحقيقه كخطوة على طريق تثبيت سلطته الدكتاتورية[٤٠]. وكانت العشائر بالنسبة اليه عبارة عن عناصر غير منتجة وخارجة على القانون، "وهمج اميين، تركوا او نسيوا في حالتهم الطبيعية الاولى"[٤١]. لذا جرد الحملات العسكرية ضدها وقام بنزع سلاح معظمها. كما فرض الخدمة العسكرية الالزامية على ابنائها[٤٢]. وتجدر الاشارة الى ان رضا شاه وزع قواته العسكرية على الاقاليم حسب اهميتها او بالاحرى حسب درجة النفوذ العشائري في تلك الولايات ومدى ما تشكله من تهديد للسلطة المركزية. وبما يضمن عدم تشتيت جهود الجيش[٤٣] وفي محاولة للسيطرة على تحركات هذه العشائر ومنع هجرتها السنوية واحرق مراعيها فافقد الرعاة جانبا كبيرا من قطعانهم، بل وفقد بعضهم حياته بسبب الصعوبات التي تعرضوا لها. كما اجبرت الحكومة بعضهم على السكن في قرى عصرية هيأتها لهم[٤٤]. ولجأت السلطات الى سياسة التهجير لنقل العديد من العشائر من مناطقها الاصلية الى مناطق اخرى داخل البلاد[٤٥]. لذا لم يكن غريبا ان يتحول هؤلاء الى وقود لكل حركة معادية للشاه[٤٦]، بيد ان رضا شاه لم يجازف، وهو في مستهل حكمه، بالاصطدام بالعشائر القوية، لذا اتبع معها سياسة ذكية اتسمت بالمراوغة والتسويف. فقد كسب هذه

---

[40] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 312; H.Amirsadeghi, OP. Cit., P. 34.

[41] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 141.

[٤٢] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٦٥، "العراق"، ٢٧ ايار ١٩٣٢، و٢٢ ايلول ١٩٣٠.

[٤٣] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، كتاب سري للغاية من القنصلية العراقية الملكية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية، برقم ٣٢/٣٨١ والمؤرخة في ٥ حزيران ١٩٣٥، الوثيقة رقم ٢٢٧.

[44] S.H.Fisher, Social forces in the Middle East, NewYork, 1966, P. 38.

[45] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 312.

[٤٦] د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر ص ٢٥٤.

العشائر بواسطة ربطهم بعجلة النظام من جهة، ومن جهة اخرى اتجه الى ضرب هذه العشائر بعضها بالبعض الاخر فعندما احتاج الى دعم البختياريين اثناء محاربته للشيخ خزعل واللر والبلوش قرب رؤساء البختيارية منه، فاعطى وزارة الحرب الى جعفر قولي خان (سردار اسعد) ومنصب (البيك)[٤٧] الى سردار محتشم وهؤلاء جميعا من العائلة الايلخانية، في حين اعطى منصب الخان الى سردار محتشم، رئيس عائلة الحاج الايلخانية المنافسة خلال ١٩٢٧-١٩٢٩[٤٨]. وعندما انتفت حاجته الى الوحدات البختيارية المجندة انقلب على حلفائه السابقين واشعل نار الخلافات بينهم،[٤٩] فعلاوة على اثارة الخلافات بين السائلين المتنافستين، فقد اجج الخلافات بين فروع البختيارية المختلفة. ففي حين شدد من الضرائب المفروضة على الهفت لنغ، فقد سجل الاراضي الزراعية باسم جهاز لنغ واوجد مقاطعة ادارية خاصة بها رأسها احد خاناتهم[٥٠]. لذا عندما ثارت الهفت لنغ عام ١٩٢٩ ساند الجهار لنغ الحكومة، وعلى اثرها قام رضا شاه بتجريد الهفت لنغ من سلاحها، كما سجن رؤساءها وامم حصصهم من البترول واجبرهم على بيع اراضيهم الى التجار المحليين[٥١]. وعندما فرغ من هؤلاء التفت نحو الجهار لنغ، فقام بتجريدهم من السلاح ووضعهم تحت الادارة العسكرية في حين قلصت مساحة مقاطعة البختيارية والحقت بالاقاليم المجاورة والغيت مناصبهم كالخان والبيك عام ١٩٣١ مع حذف الالقاب العشائرية الاخرى[٥٢].

وقد ادى تقليص سلطات الخانات السياسية وحرمانهم من كثير من مواردهم، اثر منعهم من جمع الضرائب وغيرها من المهمات التي كانوا بمثابة وسطاء فيها، الى

---

[٤٧] لقب تستعمله العشائر البختيارية، يشير الى مساعد الايلخان، فوزي خلف شويل، المصدر السابق، ص ٨٣.

[٤٨] "ايلخان" لقب تستعمله القبائل التركية ليشير الى رئيس القبيلة، واستعمله القاجار في القرن التاسع عشر في تعيين القادة القبليين، خاصة كبار خانات البختيارية والقشقائي. انظر: المصدر نفسه.

[49] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 141.

[50] Ibid, PP. 141-142.

[51] Ibid, P. 142.

[52] Ibid, Cene R.Carwaite, Khans and Shahs. Adocumentary analysis of the Bakhtiyari in Iran, Cambridge University Press, 1983, P. 139.

اثارة استياء هؤلاء، فقادوا سلسلة من الانتفاضات استمرت خلال العشرينات تقريبا[٥٣]. بيد ان رضا شاه قمع هذه الانتفاضات بقسوة، وتم اعتقال وابعاد العشرات من الخانات وحلت محلهم السلطات العسكرية والجندرمة التابعة لرضا شاه التي مارست سياسة القمع والنهب ضد افراد العشائر[٥٤].

وتزامنت هذه السياسة، مع اخرى حاول رضا شاه بواسطتها تذويب جميع القوميات ضمن الدولة البهلوية. وقد كانت هذه السياسة مرتبطة بطموحه الواسع في تغيير الامبراطورية التي كانت تضم قوميات متعددة، الى دولة موحدة بشعبها ولغتها وسلطتها السياسية[٥٥]. وقد انعكست سياسة التعصب القومي الذي ميز السياسة الداخلية لرضا شاه في ادعائه ان جميع الشعوب القاطنة في ايران من اصول غير فارسية، تعتبر امة ايرانية، تلك الامة التي لم يكن لها وجود في الواقع[٥٦]. كما انه اتبع سياسة (التفريس) تجاه هذه الشعوب، فقد فرض على مدارسها التعليم باللغة الفارسية، كما اغلقت معظم مدارسها ومطابعها، الامر الذي ادى بالنتيجة الى انخفاض نسبة المتعلمين بين ابناء هذه الشعوب[٥٧]. وكان يروم من سياسته تلك طمس الثقافة والتقاليد القومية لهم[٥٨]. وضمن السياق نفسه جرى تغيير اسماء العديد من المناطق في البلاد، فقد استبدلت اسماء عربستان بخوزستان

---

53 "Iran. Ochirk noveshey…", P.49.

54 M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 315; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 141.

55 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 142; M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 324.

56 M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 324.

٥٧ و. و. ح، كتاب من قنصلية العراق الملكية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية حول عدم استعمال اللغات الاجنبية في ايران، رقم س /٣٥٥٢/ ٣٥٥٢/ ٤ في ٦/٣/١٩٣٨، "طوفان بهلوي" ص ٨٣-٨٤.

58 M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 324.

وانزلي ببهلوي ولرستان بكرمنشاه، وتحولت كردستان الى غرب اذربيجان واورمية الى رضائية واستراباد الى جورجان الى غير ذلك من الاسماء[٥٩].

كما ان ابناء العديد من هذه المناطق منعوا من الرجوع الى مناطق سكناهم الاصلية بعد الخروج منها بهدف خلخلة الواقع القومي لتلك المناطق وتهجير السكان الفرس اليها[٦٠]. فعلى سبيل المثال هجرت في اذربيجان وعربستان اسر بكاملها وحلت محلها اسر فارسية، كما قدمت شتى الاغراءات للفلاحين الفرس كتوزيع الاراضي الخصبة والبذور عليهم واعفائهم من الضرائب لتشجيعهم على الهجرة الى المناطق الزراعية التي يقطنها ابناء القوميات الاخرى[٦١].

اما انتخابات المجلس فلم تراع فيها مطلقا الخصوصيات القومية والمحلية فبأستثناء الارمن واليهود لم يكن هناك ممثلون للقوميات او الفئات الاخرى في المجلس[٦٢]. كما ان الكوادر الادارية في مناطق هذه القوميات كانت جلها من الفرس الذين انتهجوا سياسة الاضطهاد القومي تجاه هؤلاء[٦٣]. لذا جاء قول احد المؤرخين معبرا حينما قال ان ايران غدت في عهد رضا شاه "معتقلا كئيبا للشعوب، حيث كانت تسحق الحقوق القومية للاقليات"[٦٤].

---

[59] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions. P. 143; T.W.Strunk, Op. Cit., P. 461.

[٦٠] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر مايس ١٩٣٦، الوثيقة رقم ١١٩، م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٢/١، التسلسل ٧٢٠-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١٣٤/٢٢، في ٢٠/٤/١٩٣٧، الوثيقة رقم ١٣٥.

[٦١] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في خرم شهر الى وزارة الخارجية العراقية لشهر شباط ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٢٢، M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 312.

[٦٢] "الشرق الادنى" (مجلة)، القاهرة، العدد ٥٣، السنة الثانية، ٧ نوفمبر ١٩٢٨، ص ٨، طاهر الطناحي، الحياة البرلمانية في ايران وكيف قامت بدماء الاحرار، "الهلال" (مجلة)، الجزء التاسع، السنة ٤٧، اول يولية ١٩٣٩، ص ٨٨٨،

M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 324.

[63] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 324.

[64] Ibid.

اثارت سياسة رضا شاه الشوفينية رد فعل قويا لدى ابناء الشعوب غير الفارسية التي عبرت عن استيائها في سلسلة من الانتفاضات والثورات التي نشبت في اجزاء عديدة من البلاد. ففي عربستان عاودت العشائر العربية ثورتها ضد النظام. فبعد ثلاثة اشهر من احتلال المنطقة عسكريا، وفي ٢٢ تموز عام ١٩٢٥ ثار غلمان الشيخ خزعل واستولوا على مدينة المحمرة لفترة وجيزة وهرب الجنود الايرانيون الى جهات اخرى[٦٥]. غير ان القوات الايرانية، وبمساندة من بعض قطع الاسطول البريطاني في الخليج، تمكنت من استعادة المدينة والسيطرة على زمام الموقف من جديد[٦٦].

وعاود العرب في عام ١٩٢٨ ثورتهم من جديد، حينما اصدرت السلطات الايرانية مرسوما طلبت فيه منهم نزع اسلحتهم وتبديل الزي العربي وارتداء القبعة البهلوية وتخلي رؤساء العشائر عن املاكهم[٦٧]. وقد نجحت السلطات في استمالة بعض زعماء العشائر وبذلك تمكنت من قطع دابر هذه الحركة، والقاء القبض على زعيمها[٦٨]. وفي عام ١٩٣١ انتفضت عشيرة كعب تساندها العشائر الاخرى فيما عرف (بواقعة الفلاحية) ولم تتمكن السلطات من قمعها الا بشق الانفس[٦٩]. وتجدر الاشارة الى ان السلطات الايرانية اصدرت عدة مراسيم خلال هذه الفترة استهدفت فيها طمس الهوية القومية للشعب العربي في عربستان بعد ان حرمت على ابنائه التخاطب باللغة العربية وارتداء الملابس العربية. فعلى سبيل

---

[٦٥] على نعمة الحلو، من نضال شعب الاحواز، ثورات الشعب وانتفاضاته ١٩٢٥-١٩٥٠، مجلة "البصرة"، العدد ١٠، البصرة، ١٩٨١، ص ٦٥، ابراهيم خلف العبيدي، الاحواز ارض عربية سليبة، بغداد، ١٩٨٠، ص ٦٨-٦٩.

[٦٦] ابراهيم خلف العبيدي، الاحواز ارض عربية سليبة، ص ٦٨-٦٩.

[٦٧] الشرق الادنى "(مجلة)، العدد ٥٧، السنة الثانية، القاهرة، ٥ ديسمبر ١٩٢٨، ص ١٢، "العالم العربي"، ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٨، "الاوقات البغدادية"، ٢٣ كانون الثاني ١٩٢٨.

[٦٨] علي نعمة الحلو، الاحراز، قبائلها واسرها، ج٤، النجف، ١٩٧٠، ص ١٨٧.

[٦٩] حول تفاصيل هذه الواقعة راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، كتاب سري للغاية من نيابة القنصلية العراقية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٢٦١/ ٦ في ٤ نيسان ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٥-١٦، م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، كتاب سري للغاية من نيابة القنصلية الملكية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٢٨٣ في ١٢ نيسان ١٩٣١، حول واقعة الفلاحية، الوثيقة رقم ٢٧.

المثال حتى عام ١٩٣١ كانت لا توجد في المنطقة سوى ثلاث مدارس بامكانيات محدودة جدا[٧٠].

وقد ورد في تقرير رفعته المخابرات البريطانية الى وزارة خارجيتها حول الوضع في عربستان مايلي: "ان كافة العشائر غير راضية عن الوضع في عربستان، وانها تنتظر اية اشارة للثورة ضد الحكومة الايرانية وان الادارة الايرانية مكروهة تماما من الشعب العربستاني الذي يرى ان تغيير اسم الاقليم الى خوزستان قصد به القضاء على الشخصية العربية للاقليم"[٧١].

وفي كردستان عاود سمكو تحركاته ضد السلطة، بعد رجوعه من الاراضي العراقية[٧٢]. وعلى الرغم من الحملات العسكرية العديدة التي وجهتها الحكومة اليه الا انها لم تفلح في كسر شوكته. عندها لجأت الى اسلوبها التقليدي في المراوغة والخداع. وتمكنت في نهاية المطاف سنة ١٩٣٠ من استدراجه الى كمين نصب له وقتل غيلة بعد ان شغل السلطات في طهران سنوات طويلة[٧٣]. وتجدر الاشارة الى انه خلال تحركات سمكو وقعت اضطرابات بالقرب من مهاباد احتجاجا على سياسة السلطات في ارغام الاكراد على ارتداء الملابس الافرنجية ولبس القبعة البهلوية. فاضطرت الحكومة الى ارسال قوة عسكرية الى هناك. وتمكنت من قمع الحركة بعد ان اصيب قائد الحامية الايرانية في اذربيجان، واضطر عدد من قادة الحركة اللجوء الى الاراضي العراقية[٧٤].

---

[٧٠] و. و. خ ملفات البلاط الملكي، كتاب من قنصلية العراق الملكية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٢٥/٧٢ في ١٩ شباط ١٩٣٨ حول عدم استعمال اللغات الاجنبية في ايران، "السياسة"، ٢٦ شباط ١٩٣١.

[٧١] د. ابراهيم خلف العبيدي، عربستان وسياسة التفريس، "افاق عربية" (مجلة)، العدد ٣، السنة السادسة، بغداد، تشرين الثاني ١٩٨٠، ص ٢٧٢.

[٧٢] للتفاصيل راجع:

“Repory by His Britannic Majesty’s Government to the Council of the League of Nations on the administration of Iraq for the year 1927”, London, 1928, PP. 61-62.

[٧٣] د. عبدالرحمن قاسملو، مختصر تاريخ الحزب الديمقراطي الكردستاني الايراني(باللغة الكردية)، "نداء الشعب"، ٤ تشرين الثاني ١٩٣٠.

[74] “Report by His Majesty’s Government in the united kingdom of Great Britian and Northern Ireland to the Council of the Iraq for the year 1924”, London, 1930, PP. 39-40.

واعلن جعفر سلطان زادة، رئيس عشائر هورامان المعروفة، انتفاضته بوجه الحكومة في عام ١٩٣١، ورفض دفع الضرائب وتسليم سلاح عشيرته، وقد ساقت اليه الحكومة حملة عسكرية اضطرته الى الهرب الى الاراضي العراقية، وعلى اثرها قامت السلطات باعتقال اكثر من مائتين وخمسين شخصا من الذين كانت تشتبه بان لهم علاقة بالحركة كما فرضت اجراءات مشددة على اهالي المنطقة[٧٥].

وفي بلوشستان ثار امير دوست محمد خان في عام ١٩٢٩، وكبد القوات الحكومية خسائر فادحة جدا، بيد ان رضا شاه تمكن، وبدعم من الانكليز، من اخماد دابر هذه الحركة واسر زعيمها[٧٦].

امتدت آثار سياسة رضا شاه القمعية الى طبقات وفئات اخرى لتشمل العمال والفلاحين والحركة الديمقراطية في البلاد. وقد ادت تلك السياسة الى زيادة الزخم الثوري في البلاد التي شهدت موجة من الانتفاضات والتظاهرات التي كانت تعبر عن استياء تلك الفئات من الاوضاع المتردية التي كانت تعيشها. فقد تدهور وضع الفلاحين بسبب الاستغلال الاقطاعي وزيادة العبء الضريبي عليهم. وقد عبروا عن استيائهم في سلسلة من الانتفاضات العفوية. ففي عام ١٩٢٦ اندلعت انتفاضات فلاحية في اذربيجان وكيلا وسهوب تركمانيا[٧٧]. وكانت هذه الانتفاضات موجهة ضد سلطات الشاه والاقطاعيين، فرغم قوانينه الاصلاحية، في المجال الزراعي، فان النظام البهلوي ظل يحتفظ بجوانب اساسية، من العلاقات الاقطاعية السابقة[٧٨]. كما اندلعت موجة جديدة من الانتفاضات الفلاحية في خراسات عام ١٩٢٩. وفي مازندران في عام ١٩٣٠ حينما اعلن ما لايقل عن الفي فلاح

---

[٧٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، برقية سرية من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية من ٢١ تشرين الثاني ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٥٢، م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف نفسه، التسلسل ٧٣٩-وع، كتاب سري من القنصلية الملكية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٢٤٤/٦ في ٢٤ آب ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٤٤.

[76] F.o., 371/16949, The Future of Persia, October 1931, P. 19;

"العالم العربي"، ٢٠ شباط ١٩٢٩، محمد احمد حسن السامرائي، الاحزاب والحركات السياسية في ايران ١٩٥٠-١٩٧٨، رسالة ماجستير بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٥٠-٢٥١.

[77] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 325.

[٧٨] د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ٢٥٤.

مازندراني التمرد بسبب قطع المياه عن اراضيهم وتحويلها الى اراضي الشاه[٧٩]. ولم تتوان السلطة البهلوية عن استخدام شتى ضروب القسوة والتنكيل لقمع تلك الانتفاضات. فعلى سبيل المثال خلال الفترة من تموز الى كانون الاول ١٩٣٢ اعدم اكثر من (١٥٠) من المشاركين في هذه الانتفاضات، وحكم على المئات بالاشغال الشاقة المؤبدة، ونفي الى شرق البلاد عدد كبير من زعماء العشائر، وجرى التخلص من بعضهم في السجون[٨٠]. وقد كانت هذه الانتفاضات ينقصها التنظيم والترابط، الامر الذي سهل القضاء عليها[٨١].

ولم يكن وضع العمال بافضل من الفلاحين، فساعات العمل كانت طويلة جدا تمتد الى (١٥) ساعة في اليوم، والاجور كانت متدنية، كما افتقدت المعامل والمصانع الى ابسط الشروط الصحية، علاوة على ان تشغيل النساء والاطفال دون سن العمل وفي ظروف قاسية كان من الامور المألوفة[٨٢]. وقد شبه السفير البريطاني في برقية له الى وزارة الخارجية اوضاع العمال آنذاك بانها "شبه عبودية"[٨٣].

اسهمت هذه الظروف في زيادة استياء العمال الذين عبروا عنها في سلسلة من الاضرابات[٨٤] والتظاهرات التي عمت اجزاء عديدة من البلاد[٨٥]. غير ان رضا شاه اتبع سياسة قمعية في مواجهة هذه الفئة. ففي عام ١٩٢٦ قام بحل "المجلس

---

[79] A.E.Diomiu, and V.V.Tyubetskay, Iran V Godi Economicheskovo Crisia "Iran. Ochirk. Noveyshi Istorii", Moscow, 1976, PP. 106-109; M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 326.

[80] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 326.

[٨١] د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ٢٥٤.

[٨٢] "العالم العربي"، ٤ شباط و ١٧ ايار ١٩٢٨،

M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 327; S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, P. 135; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 162.

[٨٣] مقتبس من : يرفند ابراهيميان، عوامل القوة الضعف في الحركة العمالية، ص ٧٣.

[٨٤] كانت ايران من اكثر اقطار الشرق الاوسط تعرضا للازمات العمالية لكونها اقدم بلدان هذه المنطقة في مجال الصناعة النفطية وقيام هذه الصناعة في منطقة حارة بعيدة عن اي مركز حضاري، وتصرفات الادارة، ونشاط النقابات العمالية.

George Lenczowski, Oil and the State in the Middle East, Now York, 1960, PP. 10-11.

[85] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 327; S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, P. 135.

المركزي لنقابات العمال" وحظر جميع النشاطات النقابية[٨٦]. بل والانكى من ذلك انه حرم استعمال كلمة (عامل) التي كانت ترمزا بالنسبة اليه لشخص ينتمي الى اتحاد او نقابة عمالية[٨٧]. وبسبب القمع الذي مارسته السلطات ضد العمال والنقابات لجأت الاخيرة الى العمل السري وتنظيم الاضرابات[٨٨]. ففي عام ١٩٢٩ قامت تظاهرة للاحتفال بالاول من ايار ضمت حوالي (٩) الاف شخص. وفي السنة نفسها اضرب عمال النفط في عبادان مطالبين بزيادة الاجور، وتخفيض يوم العمل الى ثمان ساعات، وتأمين السكن وضمان حياة العمال الذين يفقدون القدرة على العمل[٨٩]. ومن الجدير بالذكر ان مطالب القائمين بالاضراب لم تقتصر على امور اقتصادية فحسب، بل تعدتها الى مطاليب سياسية من قبيل الاعتراف بالنقابات، واعتبار يوم اول ايار عيدا رسميا، واطلاق سراح المسجونين[٩٠]. وقد وفق العمال في الحصول على زيادة في الاجور، غير ان الاوساط البريطانية الحاكمة لم ترق لها تلك الامور، فتحركت بارجة انكليزية من البصرة الى ميناء المحمرة (خرمشهر) الايراني واشتركت مع قوات المشاة الايرانية في اخماد الاضراب بعد ان جرح العشرات من العمال والقي القبض على مئات اخرين[٩١]. ولم ينس وزير الخارجية البريطانية ان يهنيء الشاه على "سرعة وكفاءة سيطرته على الحادث"[٩٢] كما جرت اضطرابات عمالية في عام ١٩٣٠ في معمل الشخاط في تبريز وعمال السكك في مازندران[٩٣].

---

86 "sovremenay Iran", P. 96; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 139.

87 R.K.Ramazani, the Foreign Policy of Iran, 1500-1941, P. 239.

88 E.Abahamian, Iran between two Revolutions, P. 162.

٨٩ للتفاصيل راجع: الدكتور حسن محمد، مسألة النفط ومؤامرات الاستعمار في ايران، بغداد، بلا، ص٩، يرفند ابراهيميان، عوامل القوة والضعف في الحركة العمالية، ص ٧٣،

M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 327; W.Ritter, OP. Cit., P. 31.

٩٠ د. حسن محمد، المصدر السابق، ص ٩، يرفند ابراهيميان، عوامل القوة والضعف في الحركة العمالية، ص ٧٣.

٩١ "العالم العربي"، ١٠ ايار ١٩٢٩، د. حسن محمد، المصدر السابق، ص ٩-١٠، يرفند ابراهيميان، عوامل القوة والضعف في الحركة العمالية، ص ٧٣.

92 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 162.

٩٣ "دنيا" دوره دوم، شماره‌ء سوم، سال يازدهم، تابستان سال ١٣٢٩، ص ١٣،

W.Rittor, OP. Cit., P. 31; M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 327.

وفي عام ١٩٣١ توقف (٥٠٠) عامل عن العمل في مصنع النسيج في اصفهان مطالبين برفع مستوى الاجور وتحديد ساعات العمل ودفع الاجور عن ايام العطل. وردا على ذلك قامت السلطات باعتقال منظمي الاضراب، ومكث بعضهم في السجن حتى نهاية عهد الشاه. غير ان السلطات اضطرت الى اجابة بعض مطاليب المضربين[٩٤]. وردا على النشاط النقابي المتزايد قامت السلطات بين الاعوام ١٩٢٧-١٩٣٢ باعتقال اكثر من (١٥٠) من قادة العمال في شتى المدن الايرانية، حيث القي القبض على (٤٠) منهم في عبادان و (٣٠) في مشهد و (١٠) في اصفهان و (٢٠) في تبريز و (٣٢) في طهران و (٢٤) في قزوين[٩٥]. وبسبب القمع البوليسي للنظام اختفت كل اشكال النشاط السياسي. ولكن بدأت تبرز تدريجيا[٩٦]، وخلال الثلاثينات معارضة الفئة المثقفة، ولاسيما الموجودة منها في خارج ايران. ففي عام ١٩٣٠ قامت مجموعة من الطلبة الايرانيين في اوربا بعقد مؤتمر في طولون طالبوا فيه اطلاق سراح السجناء السياسيين، واقامة جمهورية، وادانوا رضا شاه كـ "اداة للامبريالية البريطانية"[٩٧]. وفي عام ١٩٣١ قامت مجموعة اخرى من طلبة الجامعات في ميونخ بالاشتراك مع اعضاء من الحزب الشيوعي الايراني الذين هربوا الى الخارج، باصدار نشرة دورية باسم "بيكار" (العاطل) غير ان رضا شاه نجح في اقناع الالمان بغلق الجريدة[٩٨]. ومن اجل تشديد قبضة الحكم الدكتاتوري وعدم فسح المجال امام اي نشاط سياسي علني، وحتى سري، حمل رضا شاه المجلس في عام ١٩٣١، على سن قانون لحماية (الامن الوطني)، وهو الذي عرف باسم (القانون الاسود)، وبموجبه حظر على التنظيمات والاحزاب كافة ممارسة اي نشاط ووضع عقوبات سجن

---

[٩٤] يرفند ابراهيميان، عوامل القوة والضعف في الحركة العمالية، ص ٧٣،
E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, PP. 162-163; “Sovremenay Iran”, P. 96.

[٩٥] "دنيا" دوره دوم، شماره سوم، سال يازدهم، تابستان سال ١٣٢٩، ص ١٣،
M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 327.

[96] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 139.

[97] Ibid, P. 154; G.H.Razi, Goncsis of Party in Iran, Acase stedy of the interaction between the Political syste and Political Parties, “Iranian Studies”, P. 70.

[٩٨] "دنيا" دوره دوم، شماره سوم، سال يازدهم، تابستان سال ١٣٢٩، ص ١٣،
E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 154.

تتراوح بين ٣و ١٠ سنوات لكل من ينتمي للتنظيمات التي تهدد (الملكية الدستورية) او التي تتكلم (بفكر[٩٩] المجموعات)[١٠٠]. ولم يسر، مفعول هذا القانون على الايرانيين في الداخل فقط، بل امتد الى الموجودين منهم خارج البلاد ايضا[١٠١]. وتحت ستار هذا القانون جرى اعتقال العشرات من العمال والطلبة والمثقفين والثوريين. غير ان المعارضة الطلابية في الخارج بقيت فعالة[١٠٢]. فقد ورد في النداء الذي وجهته "عصبة مكافحة الامبريالية" الى عمال العالم في ٢٠ تموز ١٩٣١، بان اكثر من الفي شخص من السجناء السياسيين يعانون من اعمال التعذيب الوحشية في السجون الفارسية، وان حكومة بهلوي لا تعترف بحقهم في المثول امام المحاكم. وان منظمات العمال التقدمية تتعرض لموجة ارهاب ضارية[١٠٣].

وقد شل هذا القانون الحياة الحزبية تماما، فلا غرو ان تأسست في عهد رضا شاه احزاب[١٠٤] لم يكن يعرف اسماء مؤسسيها او اعداد المنتمين اليها خوفا من بطش السلطة، واختفت تلك الاحزاب دون ان يعرف عنها احد شيئا[١٠٥]. كتب على الشعب الايراني ان يعمل ثم يتكتم" يملأ جدران العاصمة والمدن الايرانية الاخرى احتجاجا

---

[٩٩] كان يقصد بالدرجة الاساس الاحزاب الاشتراكية والحزب الشيوعي.

[١٠٠] م. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ت/٢/٥/١، تقرير من المفوضية الملكية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية الخاص بشهر حزيران ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٢٣،
W,Ritter, OP. Cit., P.31; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 154.

[١٠١] م. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية الخاص بشهر حزيران ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٢٣.

[١٠٢] د. حسن محمد، المصدر السابق، ص ١٠،
E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 154.

[103] M.S.Ivanov, OP., P. 328.

[١٠٤] حول هذه الاحزاب راجع د. محمد وصفي ابو مغلي، الاحزاب والتجمعات السياسية في ايران ١٩٠٥-١٩٧٩، جامعة البصرة، "مركز دراسات الخليج العربي شعبة الدراسات الفارسية، سلسلة ايران والخليج العربي رقم ١١، البصرة، ١٩٨٠، ص١٤-١٧.

[105] F.O., 371/13059, From the News Paper “cnehreh-Near” of Cairo, No. 8, October, 1927, P. 151;
"رستاخيز" (جريدة)، العدد ١٠٣٩، تهران، ٢٤ مهر ١٣٥٧، د. محمد وصفي ابو مغلي، الاحزاب والتجمعات السياسية، ص ١٥.

على اجراءات النظام التسلطي[١٠٦]. بل ان ارهاب السلطة امتد ليشمل كل ناحية من حياة المواطن الايراني، فقد فرضت اجراءات قسرية على تنقلاته وتحركاته، وفرضت رقابة مشددة على البريد، كما منع المواطنون من الاتصال بالاجانب او مراجعة الهيئات الدبلوماسية خوفا من تسرب انباء ما يجري داخل البلاد الى الخارج[١٠٧].

ومن المفيد الاشارة هنا الى ان الشاه ربما يكون قد احس بوطأة نظامه الدكتاتوري، فاعلن فجأة، في كلمة له امام المجلس في تشرين الاول عام ١٩٣٢، عن (رغبته) في وجود احزاب سياسية تعمل باتجاه تحقيق اصلاحات شاملة"، واردف قائلا "بان من المخجل ان يبقى المجلس بدون احزاب سياسية"[١٠٨]. وان وجود حزب سياسي معارض ضروري لتسير الحياة النيابية في مجراها الصحيح حسبما اوردته جريدة "شفق سرخ"[١٠٩] بيد انه ما من احد، سواء من اعوان الشاه او من معارضيه، داخل المجلس او خارجه، اخذ كلام الشاه على محمل الجد. فقد ادرك الجميع ان غاية الشاه من وجود احزاب (معارضة) ليست الا خطوة تكتيكية. وان الحزب المزمع انشاءه لن يكون سوى بوق لتمجيد النظام ولا شأن له بانتقاده[١١٠]. فعلى سبيل المثال اعلن الشاه امام عدد من اعضاء المجلس في مقابلة له معهم عن سروره

---

[١٠٦] "مذكرات شابور بختيار"، ترجمة دلال عبدالغني، منشورات" مركز دراسات الخليج العربي "بجامعة البصرة، شعبة الدراسات الفارسية، سلسلة ايران والخليج العربي رقم ٢١، البصرة ١٩٨٤، ص ٥١.

[١٠٧] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير سري للغاية من القنصلية الملكية العراقية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٨٨/٦ في ١٣ شباط ١٩٣٣، حول الجاسوسية الوثيقة رقم ٣٨، م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز لشهر كانون الثاني ١٩٣٥ الى وزارة الخارجية العراقية، الوثيقة رقم ١٤٧، م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز لشهر مايس الى وزارة الخارجية العراقية، الوثيقة رقم ١١٦.

[١٠٨] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية للمدة المنتهية بكانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ١٠،

D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 147; D.N.Wilber, Contemporary Iran, P. 76.

[١٠٩] مقتبس من: "نداء الشعب"، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٣٠.

[110] D.N.Wilber, Contemporary Iran, P.76.

منهم لانهم صوتوا على مشروع قانون تقدمت به الحكومة وامتدح اعضاء المجلس "لانهم نحوا في تجنب النقاشات عديمة الجدوى، واساليب التكتيك والخطابات التي تعيق سير المناقشات، كالتي يمكن ملاحظتها في اقطار اخرى[111].

كان احد المرتكزات المهمة الاخرى التي اعتمد عليها رضا شاه لتعزيز حكمه الديكتاتوري، هو البيروقراطية الحكومية، ورجال البلاط[112]. ورغم ان الحكم البهلوي كان يفترض فيه ان يقيم دعائم نظام جديد، غير انه لم يجر تغييرا كبيرا في الجهاز الاداري السابق. فقد مكثت العوائل الارستقراطية السابقة في البلاد، واستمرت في خدمة النظام الجديد. وقد الحق رضا شاه نفسه بالطبقة العليا باستحواذه على املاك واسعة وزواجه من نبيلة من اسرة القاجار. كما زوج ولي العهد الى احدى بنات الاسرة المالكة في مصر[113]. اما ابنته الكبرى (اشرف) فقد زوجها من اسرة (قوام الملك)، من كبار الملاكين في شيراز واحد الذين كانوا يتمتعون بنفوذ واسع بين العشائر هناك[114].

ومنذ الايام الاولى، وحتى قبل وصوله الى العرش، جمع حوله شبابا يعملون في الخدمة المدنية. وكان هؤلاء ذو مشارب ونزعات مختلفة، بيد ان العديد منهم كانوا يتمتعون بخلفيات ثقافية عصرية وغربية الاسلوب، وشكلوا فيما بعد، النخبة البيروقراطية للبلاد[115]. وقد اغدق على اعوانه من الارستقراطيين والبيروقراطيين المناصب العالية سواء في المجلس او الوزارات المشكلة وادارات الدولة المختلفة. فعلى سبيل المثال غدا ملاكو الاراضي يحتلون اكثر من ربع مقاعد المجلس. واذا ما اضيف الى هؤلاء الموظفون الكبار ورجال الاعمال من خارج البازار لارتفعت

---

111 Ibid, D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 147.

112 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 135; M.A.Cook, Studies in the Economic History of the Middle east, New York. Tornto, 1970, P. 312. P.L.Bander, Iran. Political development in a changing Society, California, 1962, PP. 66-68.

113 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 149.

١١٤ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، كتاب سري من المفوضية الملكية العراقية بطهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١١٨٧ في ١ تشرين الاول ١٩٣٦، الوثيقة رقم ١٥٧.

١١٥ همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٢.

النسبة اكثر[116]. كما ان اغلب الوزارات التي تشكلت ابان هذه الفترة كان معظم رؤسائها من النخبة المقربة من النظام[117].

وعلى الرغم من الامتيازات التي اغدقها رضا شاه على هذه الفئة فان حياتها لم تكن سهلة ومريحة على الدوام. فلم يكن الشاه يتوانى عن سحق اية محاولة قد تبدر من احد افرادها للحصول على نفوذ او شعبية قد تنافس نفوذه. وهو الامر الذي ماكانت نزعته الدكتاتورية لتسمح به مطلقا.

وتحت شعار عدم (الاخلاص للشاه) جرد افراد العديد من العوائل الارستقراطية من مناصبهم وممتلكاتهم، واجبر البعض منهم على بيع اراضيه باسعار رمزية، كما فقد البعض الاخر حريته وحتى حياته[118]. والواقع ان حقد رضا شاه كان كبيرا تجاه الطبقة الارستقراطية، فقد كان يعتقد ان نفوذ هذه الطبقة المعنوي نابع، والى حد كبير من غناها المادي الذي تمثل بالارض والممتلكات الواسعة، لذا كان جل همه تشتيت افراد هذه الطبقة بعيدا عن مناطق نفوذها[119]. وعلى الرغم من نجاحه، والذي كان يبدو باهرا، في تحقيق هذه المهمة، الا انه لو نظر الى الامر من زاوية بعيدة المدى، فان سياسة القوة التي اتبعت تجاه هؤلاء حملت في طياتها تراكمات اضافية ما فتئت ان تفجرت في نهاية العهد البهلوي، الامر الذي اكد وبجلاء ان "اسنان العشائر كانت لا تزال قوية وحادة" حسبما جاء في وثيقة بريطانية[120]. ولئن كانت هذه العشائر قد استكانت، نوعا ما، خلال حكم رضا شاه، فلان جهاز القمع البهلوي لم يكن يتوانى عن سحق اية محاولة قد تبدر منها.

ولم يكن تحرك رضا شاه في محاولاته لتعزيز سلطته الفردية تتجه نحو مسار واحد او ضد افراد او جماعات معينة، بل كانت تمتد لتشمل حتى حلفائه واعوانه ممن ساعدوه على تثبيت اقدامه سواء في مرحلة الوصول الى العرش او الذين ساروا في

---

116 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 149.

117 Ibid.

118 Ibid, P. 150.

119 م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٩-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية باخر ايلول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ٩٨.

120 F.O., 371/16949, The Future of Persia, October 1931, P. 23.

ركب النظام فساهموا في تثبيت اركانه. ولعل بعض المصادر الفارسية، التي تحدثت فيما بعد عن عهد رضا شاه، يمكن ان تقدم لنا تفسيرا لهذا النمط من السلوك حينما ذكرت بان رضا شاه "اعتقد... بان الجميع (يقصد النخبة البيروقراطية ورجال البلاط) يجب ان يخضعوا خضوعا تاما لارادته، وان لا يسمحوا لنزعاتهم الذاتية بالظهور، اما اولئك الذين قربهم الشاه اليه، فانهم لم يتوانوا عن بذل جهودهم لتحقيق رغباته. غير انه كان عليهم، في الوقت نفسه، ان لا يجعلوا من جهودهم تلك مشهورة جدا، تؤدي بالنتيجة الى حصولهم على نفوذ وشعبية واسعة"[١٢١]. وتبدو هذه السياسة واضحة في اختيار الشاه لرؤساء وزرائه، فاغلبهم، حسبما تصفهم المصادر، من العناصر التي لم تكن تتمتع بنفوذ او شخصية قوية يمكن ان تشكل تهديدا للنزعة الاستبدادية للشاه[١٢٢]. ولم يكن العهد ليطول بتلك الوزارات لتحقيق انجازات باهرة قد تقود الى ظهور شخصيات متنفذة تنافس النزعة الفردية للشاه[١٢٣]. فلم يكن الوزراء، وحتى رؤساؤهم سوى موظفين كبار لدى الشاه ينفذون اوامره بدون قيد ولا شرط. وكانت كلمته هي القول الفصل[١٢٤]. فقد "وضع رضا شاه نفسه في مركز الحياة السياسية والاقتصادية للبلاد"[١٢٥]. وغدت ايران "تحت حكم الرجل الواحد... رضا شاه"[١٢٦]. فخلال السنوات الاولى من حكمه عرف الشاه، وبذكاء مشهود له، كيف يقرب او يبعد العناصر التي تساعده في تدعيم حكمه او

---

[121] James A.Bill. Carl Leiden, The Middle East and Power, U.A.S, 1974, P. 134.

[١٢٢] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير سري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية رقم ٦٨٣ في ٥ تموز ١٩٣٤، حول الوضعية الداخلية والخارجية في ايران، الوثيقة رقم ٤٩،

F.O., 371/11481, E.4247/10/34, Tel. No. 1, From P. Loraine to Austen Chamberlain, June 15, 1926, P. 147.

[123] Marvin Zonis the Political Elite of Iran, Pritceton, 1971, P. 129.

[١٢٤] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير سري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية رقم ٦٨٣ في ٥ تموز ١٩٣٤ حول الوضعية الداخلية والخارجية في ايران، الوثيقة رقم ٤٩، د. نعمة السعيد، النظم السياسية في الشرق الاوسط، بغداد، ١٩٦٨، ص ٤٨٧.

[125] H.Amirsadeghi, OP. Cit., P. 28.

[126] F.O., 371/1649, The Future of Persia, October 1931, P. 27.

تلك التي يمكن ان تشكل مصدر تهديد له. وضمن هذا السياق يمكن تفسير الاسباب التي حملت الشاه على تحطيم او التخلص من عدد من اعوانه المقربين اليه من الذين كسبوا ثقة الشاه في البداية ثم فقدوها. تيمور طاش، ابن ملاك اراضي في خراسان، وخريج الاكاديمية العسكرية في بطرسبورغ، ومن المتكلمين بعدة لغات اجنبية، واحد المثقفين الليبراليين الذين ساندوا رضا شاه، ومنذ البداية، بقوة، كان وزير بلاطه منذ عام ١٩٢٦، واصبح موضع ثقته، فقد كان يتكلم باسمه ويحضر اجتماعات مجلس الوزراء، وطغى نفوذه حتى على نفوذ رئيس الوزراء. وحسبما تشير الوثائق "كانت الانظار ترمقه في اي محل حل فيه كأنه هو الحاكم بامره في هذا البلد"[١٢٧]. بل ان نفوذه المستفحل لفت حتى انظار الدوائر الاجنبية. فقد نشرت احدى الصحف الالمانية صورة لعربة محطمة يقودها جوادان احدهما يبدو ضعيفا متعبا ومنهوك القوى والاخر يفيض نشاطا وقوة. وكان الجواد الاول يمثل رضا شاه والثاني يمثل تيمور طاش[١٢٨]. وعندما وقع نظر الشاه على تلك الصورة استشاط غضبا من جراء ذلك. كما كانت الشائعات التي تصل الى الشاه والتي تنسب الى تيمور طاش قوله "بان وجوده في البلاط يمثل نعمة لايران وشاهها لان الامور بدونه لا تمشي قط"[١٢٩]، قد اثارت حفيظة الشاه ضده اكثر من ذي قبل. لذا كان من الطبيعي جدا ان يسعى الشاه للتخلص منه. وفجأة في عام ١٩٣٣[١٣٠] اتهم باساءة استعمال نفوذه، وبالسرقة

[١٢٧] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير سري للغاية من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية في ١٥ كانون الثاني ١٩٣٣. الوثيقة رقم ٢٠.

[١٢٨] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٦٦.

[١٢٩] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير سري للغاية من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية في ١٥ كانون الثاني ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٢١.

[١٣٠] حول الاتهامات التي وجهت الى تيمور طاش راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية للمدة المنتهية بكانون الاول ١٩٢٢، الوثيقة رقم ١٠-١١، م. و. و، الملف نفسه، تقرير سري للغاية من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية في ١٥ كانو الثاني ١٩٣٣، الوثيقة رقم ١٩-٢٢، م. و. و، الملف نفسه، تقرير دوري مرسل من المفوضية الملكية العراقية في طهران

والرشوة والتعاون مع جهات اجنبية، وتهم اخرى، وحكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات بعد محاكمة سرية استمرت اكثر من تسع عشرة ساعة. وبعد عدة اشهر، توفي بالسجن واعلن بانه اصيب "بنوبة قلبية"[١٣١] اودت بحياته[١٣٢]. اما سردار اسعد الذي ساند رجاله البختيارية ضد رضا شاه في الفترة من ١٩٢٣ الى عام ١٩٢٨، فقد عزل من منصبه كوزير للحرب منذ عام ١٩٣٣، وسجن بدون محاكمة مع عدد من خانات البختيارية بعد ان جرد بعضهم من حصانتهم البرلمانية[١٣٣]، بحجة اشتراكهم في مؤامرة اجنبية تهدد سلامة الدولة[١٣٤]. ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى اعلن عن (وفاة) سردار اسعد في السجن في حين ان الدلائل كانت تؤكد ان وزير الحرب قتل في زنزانته[١٣٥]. وقد برر رضا شاه فيما بعد موقفه من سجن زعماء البختيارية بانه

الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية في ١ نيسان ١٩٣٣، رقم ٣٨٩ في ١٧ نيسان ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٧٧.

[١٣١] حسبما تذكر وثيقة عراقية ان الشاه هو الذي اصدر امره بقتل تيمور طاش في سجنه، وان الاخير قد توفي نتيجة تسمم شديد او بالضرب المبرح على راسه. انظر: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية عن شهر ايلول ١٩٣٣، الوثيقة رقم ١١٧-١١٨.

[١٣٢] "الاستقلال"، ١٦ نيسان و ١٩ حزيران ١٩٣٣،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 150.

[١٣٣] للتفاصيل راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، برقية من المفوضية الملكية، العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية في ٤/١٢/١٩٣٣، الوثيقة رقم ١٢٦، م. و. و، الملف نفسه، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير سري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١ في ١/١/١٩٣٤، الوثيقة رقم ٥،

F.O.,371/17889, Confidential, Tel. No. 7, E 1297/40/34, Britannic Government Archives, From R.Hoare to John Simon, February 10, 1934, P. 35; F.O., 371/17889, Tel. No. 125, From British Legation in Tehran to F.O., March 11, 1934, P. 41.

[١٣٤] م. و. و، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع برقية من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية حول سجن وزير الدفاع واقاربه، الوثيقة رقم ١٢٦، م. و. و، الملف نفسه، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير سري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١ في ١/١/١٩٣٤، الوثيقة رقم ٥.

[١٣٥] م. و. و، الملف نفسه، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير سري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم س / ٤٥٧، في ١نيسان ١٩٣٤، الوثيقة رقم ١٣،

"ازالة لاخر اثر للاقطاعية"[١٣٦]. اما فيروز فرمان فرما والذي كان ذراع الشاه اليمني منذ عام ١٩٢٣، فقد طرد من منصبه كوزير للمالية بعد اتهامه بسوء توزيع عائدات الدولة، وظل منفيا في قرية خارج طهران حتى وفاته عام ١٩٣٨[١٣٧]. عبد الحسين ديبا، احد ملاك الاراضي الاغنياء، طرد من منصبه كوكيل الوزارة المالية بعد اتهامه باستغلال منصبه والاثراء غير المشروع وقتل في زنزانته وهو ينتظر المحاكمة[١٣٨]. وعلى حد قول احد المؤرخين ان هذه المعاملة الوحشية لم تمارس ضد من سقط من رجال الدولة حتى في ايام ناصر الدين شاه[١٣٩]. وحتى العديد من الفئة المثقفة، والذين ساندوا رضا شاه بقوة، وادركوا في وقت مبكر مضامين الهدف الذي يسعى رضا شاه الى تحقيقه في فرض دكتاتوريته على الجميع، حتى هؤلاء لم يسلموا من بطشه بعد ما ابدوا تصلبا واضحا ازاء قضايا الدفاع عن الحريات البرلمانية والشخصية ومسائل الديمقراطية. فقد احيل سليمان اسكندري على التقاعد في عام ١٩٢٧ بعد ان خدم فترة قصيرة كحاكم لكرمان. ومات فروغي، شاعر البلاد البارز، في مستشفى السجن. اما تدين، والذي لعب دورا فعالا في مساندة رضا شاه اثناء حركة الجمهورية، فقد سيق الى السجن بعد ان طرد من الوزارة لانه شكا من ضآلة الميزانية المخصصة للتعليم، والتي كان هو وزيرها،

F.O., 371/17889, Confidential, Tel. No. 7, E 1297/40/43, Britannic Government Archives, From R.Horare to john Simon, Fenruary 10, 1934, P. 34; F.O., 371/17889, E.2079, From R.Hoare to F.O., Tel. No. 44, April 3, 1937, P. 43; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 150.

[136] F.O., 371/1789, Confidential, Tel. No. 7, E 1297/40/34, Britannic Government Archives, From R.Hoare to John Simon, February 10, 1934, P. 35.

[١٣٧] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الثاني ١٩٣٨، الوثيقة رقم ١١٦، "العالم العربي"، ٦ نيسان ١٩٣٠،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 150.

[١٣٨] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية عن المدة المنتهية بكانون الاول ١٩٣٢، الوثيقة رقم ١٠-١١،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 150.

[139] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 1501.

قياسا لما هو مخصص لوزارة الحرب. علي دشتي، الكاتب والذي ساندت صحيفته "شفق سرخ" رضا شاه منذ عام ١٩٢٢، اودع في مستشفى للمجانين بعد ان جرد من حصانته البرلمانية[١٤٠]. اما خصومه فقد استطاع شل حركتهم بطريقة او باخرى، لا سيما بعد ان نجح في فرض الاقامة الجبرية على مدرس، وابعاد مصدق عن الحياة السياسية. اما سالار الدولة الذي ظل يشكل قلقا مستديما لرضا شاه، لا سيما وانه كان يتعاون مع العشائر الكردية التي كانت تتنفض بوجهه بين الحين والاخر، فقد نجح في اجباره على العيش في المنفى، تحت رقابة الانكليز، بعد ان خصص له راتبا شهريا.

وبسبب جشعه ونهمه في جمع الاموال كدس رضا شاه ثروة طائلة ليصبح اغنى رجل في ايران بعد ان كان يعيش على راتب ضئيل. وتحت ستار مختلف الاسباب امتلك الشاه مساحات واسعة من اخصب المناطق الزراعية في البلاد، ولاسيما مازندران، التي اصبحت بمثابة مقاطعة خاصة به، وغدا الشاه الملاك الاكبر في البلاد[١٤١]. فعلى سبيل المثال امتلك الشاه بين الاعوام ١٩٢٠-١٩٣٠ اكثر من ٢١٠٠ قرية[١٤٢]. وكان يستحوذ على تلك الاراضي اما من خلال الاستيلاء او البيع الاجباري الذي كان في حقيقته شكلا من اشكال الاستيلاء. ولم تكن ممتلكات اي شخص بمنأى عن المصادرة او الاستيلاء عليها اذا ما رغب الشاه فيها[١٤٣]. والذي كان يتجرأ ويمتنع عن بيع اراضيه كانت تلفق له شتى التهم، وتصادر اراضيه، حتى

---

[140] Ibid, P. 153.

[١٤١] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، كتاب من مفوضية العراق الملكية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٢٩٥ في ٢٢ حزيران ١٩٣١، الوثيقة رقم ١١٣، م. و. و، الملف نفسه، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر تشرين الاول ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٦٩، "دنيا" (مجلة) دوره دوم، شماره سوم، اذرماه، ١٣٣٩، ص ٨٨،

Faryadon Hovida, The Fall of the Shah, London, 1980, P.

[142] F.Haliday, OP. Cit., P. 107.

[١٤٣] م. و. و،ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر مارت ١٩٣٣، رقم ١/١٣٢ س في ٢٦ مارت ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٦٥،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 137.

اصبح شائعا القول بين الايرانيين "ويل للذي يكون ملكه مجاورا لملك الشاه"[١٤٤]. بل ان الشاه وضع يده حتى على الكثير من الاراضي التابعة للدولة او الموقوفة[١٤٥]. وعندما كانت تجري مصادرة اراضي بعض الملاكين او زعماء القبائل، كانت تلك الاراضي تنتقل الى حوزة رضا شاه او الى اعوانه من العسكريين وموظفي الدولة الكبار والاقطاعيين والتجار[١٤٦]. وقد كتبت القنصلية البريطانية بان الشاه اتهم كثيرين بالتآمر على الدولة، واستولى على قرى بتهمة اهمال الموارد الطبيعية الوطنية، وقضى على عدد من الفلاحين بمنع المياه عنهم[١٤٧]. وقد كان عدد كبير من المؤسسات والمشاريع الصناعية تعود ملكيتها للشاه نفسه فعلى سبيل المثال كان ثلثا رأس مال "البنك البهلوي" الذي كان بمثابة صندوق اقراض وتوفير للضباط، تعود لرضا شاه[١٤٨]. كما كان يجري انشاء او الاستثمار في العديد من المشاريع الصناعية، حتى لو ثبت عدم جدواها اقتصاديا للبلاد، طالما كان استثمار اموال الشاه فيها يدر عليه ربحا وفيرا. فلم يتوان الشاه عن طرد مدير الصناعة العام من منصبه حينما ابدى الاخير، في احدى المرات، اعتراضه على تشغيل احد المناجم التي كان الشاه يريد استثمار امواله فيها على الرغم مما كان يستوجبه من نفقات كبيرة لا مبرر لها[١٤٩]. وقد كانت ايرادات اراضي الشاه ومؤسساته ومشاريعه تمول تأسيس الفنادق الملكية والكازينوهات والقصور والشركات والمشاريع الاخرى. وكانت اغلب

[١٤٤] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٠-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر مارت ١٩٣٣، رقم ١٣٢/١ س في ٢٦ مارت ١٩٣٣، الوثيقة رقم ٦٥.

[١٤٥] م. و. و، الملف نفسه، الوثيقة نفسها،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 137.

[146] M.S.Ivanov, OP. Cit., P. 313.

[147] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 137.

[١٤٨] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري تموز واب ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٤٦، "طوفان بهلوي"، ص ٥٧.

[١٤٩] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع كتاب سري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٨٤٢ في ١٩٣٧/٨/٧ حول معاقبة مدير الصناعة العام، الوثيقة رقم ٥٧.

هذه المشاريع تدار من قبل العديد من رجال البلاط. وادى هذا بالنتيجة الى زيادة رواتب هؤلاء. فتوسع البلاط بذلك الى تركيبة عسكرية ثرية عقارية "تقدم المناصب والمستقبل المضمون المترف لاولئك الذين يقدمون خدماتهم الى الامبراطور البهلوي"[١٥٠].

واستعراض بسيط لسلوكيته واساليبه في العمل سواء اثناء ما كان يناور من اجل الوصول الى السلطة او بعد تربعه على العرض يكشف عن انه كان رجلا عمليا في اختيار الوسيلة وقاسيا في اختيار السبل التي يعتقدها ضرورية لتحقيق مطامحه. فعلاوة على صرامته التي كانت تبلغ احيانا حد الفظاظة، فقد كان قاسيا ومحجر القلب وشديد الرعب من وجود اعدائه لذا لم يتردد عن مباغتتهم وسحقهم كلما وجد الى ذلك سبيلا[١٥١]. ولم يكن هناك خط فاصل بالنسبة اليه بين ما هو شخصي وعام. فباعتراف احد اعوانه المقربين لم يكن الشاه يتردد عن سفك الدماء عندما كان يرى الامر ضروريا (لمصلحة البلاد)[١٥٢]. وكانت مصلحة البلاد تعني في الاغلب مصلحة الشاه في محاولاته المستميتة لتثبيت دعائم دكتاتوريته. وحسبما تصفه احدى الوثائق البريطانية "انه كان دوما يفتقد الشعور بالامان. وفي تقديره ان المراوغة والخدعة هما السلاحان المناسبان. انه يرتاب تماما من اي شخص يتوقع ان يصبح اكثر ذكاء منه. ولا يتردد في احالة اي قائد عسكري على المعاش اذا ما اثبت نجاحا في مجال عمله"[١٥٣]. وتمكن بواسطة شرطته السرية او الجندرمة من ان يثبت عيونه في شتى مرافق البلاد، وبذا ضمن عدم اتاحة الفرصة لمناوئيه باستغلال اي نقاط ضعف في نظامه[١٥٤]. والواقع ان رضا شاه كان يعتقد بان صرامته وشدته ضروريتان لبناء المجتمع الجديد الذي كان ينشده. وتروي المصادر الفارسية نفسها قصصا عديدة ومرعبة حول ما كان يلجأ اليه الشاه احيانا في معاقبة المتهاونين من رجالات الدولة، ففي واحدة من زياراته المفاجئة لاحدى الوزارات وجد ان معظم

---

150 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, P. 37.

[١٥١] همايون كاتوزيان، المصدر السابق، ص ٦٤.

152 H.Arfa, OP. Cit., P. 281.

[١٥٣] مقتبس من: J.A.Bill, OP. Cit., P. 35.

154 H.Arfa, OP. Cit., P. 287.

موظفي الوزارة، وبضمنهم الوزير، لم يحضروا الى الدوام في الوقت المحدد فامر مرافقيه باغلاق الباب ومنع المتأخرين من الدخول، وعندما حضر الوزير امسك به رضا شاه والقي به من النافذة[١٥٥]. لهذا لم يكن غريبا ان غدا اسمه مرادفا للارهاب والرعب بحيث "ركع الجميع امام سطوته "حتى ان الوزير" كان يخشاه وترتعد فرائضه "امامه" قبل المواطن العادي"[١٥٦]. وتعمق هذا النهج لدى الدكتاتور البهلوي في السنوات الاخيرة من عهده، وهو الموضوع الذي سنتطرق اليه في الصفحات التالية.

---

[155] W.Forbis, Op. Cit., P. 45.

[١٥٦] د. عبدالسلام عبدالعزيز فهمي، المصدر السابق، ص ٥٨.

الفصل الرابع

تطور الاوضاع الداخلية في ايران

للفترة ١٩٣٤-١٩٣٩

تميزت مرحلة ما بعد الازمة الاقتصادية بانها ابقت على التوجهات الرئيسة للمرحلة السابقة. وشهدت هذه المرحلة تطورا ملحوظا في بعض القطاعات الاقتصادية، لا سيما بعد ان ازيلت اثار الازمة الاقتصادية. علاوة على الاثار الاجتماعية والثقافية التي تمخضت عنها هذه الفترة.

١-تفاقم مشكلة الارض وتردي وضع الفلاحين

ففي مجال الزراعة استمرت التوجهات السابقة للنظام. ولم تسفر المحاولات التي جرت سابقا في تحسين وضعية الفلاح او زيادة الانتاج الزراعي. ففي دراسة اجريت عام ١٩٣٤ حول الوضع الزراعي في ايران تبين ان الاجراءات الحكومية التي جرت في مجال الاصلاح الزراعي اسهمت، وعلى نحو خاص، في زيادة المساويء التقليدية للنظام القديم[1].

وعندما احست الحكومة بان الانتاج الزراعي لايجلب لها سوى دخلا قليلا لجأت في عام ١٩٣٤ الى بيع اراضي الدولة الى ملاكي الاراضي والفلاحين. غير ان معظم تلك الاراضي وقعت بايدي الملاكين الذين استغلوا الاراضي الجديدة في استعباد الفلاحين اكثر، والحصول على ارباح اعلى من السابق[2].

وقد شرعت في هذه الفترة عدة قوانين ساهمت اكثر في زيادة الضغوطات على الفلاحين. ففي عام ١٩٣٥ صدر قانون ينص على ان رؤوساء القرى المنتخبين من قبل ملاك الاراضي مسؤولون قانونا امام الحكومة. وقد كان هؤلاء يعينون اما من قبل مالك الارض او الحكومة اذا كانت الاراضي تابعة للدولة. وكان رؤساء القرى مسؤولين عن جباية الضرائب والامور المتعلقة بالزراعة، وعن فض المنازعات التي

[1] N.R.Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, P. 169.

[2] Ibid; M.S.Ivanov, Op. Cit., P. 313

تنشب في القرية، علاوة على كونهم مسؤولين عن احلال القانون والنظام فيها أي انهم كانوا بوجه عام الوسيط بين مالك الارض والحكومة من جهة والفلاحين من جهة الاخرى[٣]. وبطبيعة الحال لم يكن رئيس القرية مسؤولا امام الاهالي، وانما فقط امام صاحب الارض او المالك لاكبر الممتلكات في القرية ان كان فيها اكثر من مالك ارض، او امام الحكومة في حالة كون الارض ملكا اميريا[٤]. وهذا يعني ان القانون لم يضع في حسابه أي اعتبار لوضع الفلاح وما كان يتعرض له من استغلال. وطبيعي كانت الامور في القرى توجه دائما لخدمة مصالح الملاكين.

واشار قانون آخر صدر عام ١٩٣٧ (قانون الارض) الى الزيادة المستمرة في انخفاض الانتاج الزراعي. وأوجب القانون المذكور على ملاك الاراضي استثمار اراضيهم الى اقصى حد ممكن والوصول بالانتاج الى نسبة معينة، والا فان تلك الاراضي كانت ستصادر من قبل الحكومة[٥]. بيد ان القانون ظل حبرا على ورق ولم ينفذ قط بسبب المعارضة الشديدة من قبل ملاكي الارض ويبدو ان الحكومة نفسها احست ان لاطائل من تطبيقه، فلم تتخذ اية اجراءات جدية لتفسير او تنفيذ احكام هذا القانون[٦].

وجرت في عام ١٩٣٧ محاولة لادخال بعض التحسينات على الاراضي الزراعية التي باعتها الحكومة الى الفلاحين بموجب القوانين السابقة وتشكلت لجان في القرى للتحقيق في شكاوى الفلاحين التي تركزت حول معاناتهم من ملاك الاراضي الذين لم يعيروا ادنى اهتمام لتطبيق تلك القوانين، التي كانت، هي واللجان التي الفها رضا شاه مثار سخريتهم واستهزائهم[٧]. ولم تتمكن تلك اللجان من اتخاذ اية اجراءات لضمان حقوق الفلاحين في تلك الاراضي، بل على العكس فقد كان بمقدور العديد

---

[3] R. Frye, Persia, P. 99; A. Lampton, Land Lord and Peasant in Persia, P. 190.

[4] R. Frye, Persia, p. 99; N. R. Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, P. 169.

[5] A.Lampton, Land Lord and Peasant in Persia, PP. 192-193; A.Minai, Op. Cit., pp. 118-119; G. Lenczowski, Iran under the Pahlavis, P. 96.

[6] A. Lampton, Land Lord and Peasant in Persia, p. 193; C.Lonczowski, Iran under the Pahlavis, p. 96.

[7] N.R.Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, p. 171.

من الملاك وموظفي الحكومة وضع يدهم على كثير من الاراضي التي تعود ملكيتها للدولة[٨].

وجرت محاولة اخرى لتشجيع زراعة الاراضي البور غير المستثمرة بشكل جيد وذلك بتقديم القروض الزراعية عن طريق البنك الزراعي الذي اصبح فرعا مستقلا عن البنك الوطني منذ عام ١٩٣٣[٩]. كذلك انشأت بعض المدارس الزراعية، واقيم عدد من المحطات التجريبية، علاوة على الدورات التدريبية لتأهيل المزارعين وتعليمهم اساليب الزراعة الحديثة. بيد ان تلك الاجراءات لم تسفر عن نتائج تذكر في هذا المجال[١٠].

ووصولا الى عام ١٩٤٠ كانت قد وضعت خطة خمسية طموحة لرفع مستوى الانتاج الزراعي. غير انه لم يقدر لتلك الخطة النجاح نتيجة الظروف التي استجدت بنشوب الحرب العالمية الثانية[١١].

اسهمت اجراءات رضا شاه الى حد بعيد في تفتيت الملكية الصغيرة، في حين نمت وبشكل واسع الملكيات الكبيرة، فقد كشفت الدراسات التي تناولت حقبة الثلاثينات انه كان هناك عدد كبير من الملاكين الذين كان الواحد منهم يمتلك عدة قرى ومساحات شاسعة من الاراضي الزراعية في حين هبطت نسبة ملاكي الارض الصغار الذين كانوا يمتلكون جزءً من القرية واحيانا وحدات اصغر[١٢]. وقد تألفت الطبقة المالكة للارض في عهد رضا شاه من افراد العائلة الحاكمة، الموظفين الكبار، القادة العشائريين، اصحاب الاوقاف، والتجار الذين اتجهوا الى شراء العقارات والاراض لما كانت تدره من ارباح علاوة على الشاه الذي كان اكبر مالك للاراضي في

---

[8] Ibid.

[٩] ز. ى. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٢٦٣،
N.R.Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, p. 171; A.Minai, Op. Cit., PP. 123-124.

[١٠] "البلاد"، ٧ آذار ١٩٣٥ و ١٤ كانون الثاني ١٩٣٧،
N.R.Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, p. 171.

[11] N.R.Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, p. 171.

[12] R.Frye, Fersia, p. 99; A. Rizvi, OP. Cit., p. 226.

البلاد[13]. وقد عاش اغلب مالكي الارض الجدد بعيدا عن ممتلكاتهم، في طهران او عواصم الاقاليم حيث انهمكوا في النشاط السياسي، في حين انهمك التجار، ولاسيما كبارهم في ادارة عقاراتهم الجديدة[14].

وتجدر الاشارة الى ان قسما كبيرا من الاراضي الزراعية ذات المساحات الواسعة، والتي كانت تعرف باراضي الوقف، قد تقلصت مساحتها بعد ان وضعت الدولة يدها على تلك الاراضي. وكانت معظمها خاضعة للضرائب كالاراضي الاخرى[15].

وقد ساهم نظام التأجير، والى حد كبير، في تدني مستوى الانتاج الزراعي، وفي الوقت نفسه شكل عبئاً اضافيا على الفلاحين. وكانت معظم اراضي الدولة واراضي الاوقاف، علاوة عل الاراضي الشاسعة لكبار الملاكين تدار بموجب النظام المذكور.

وكانت العادة المتبعة ان تؤجر تلك الاراضي الى وسطاء، غالبا ما كانوا من الطبقة الوسطى، ويقوم هؤلاء بدورهم بتأجيرها الى الفلاحين[16]. وكانت اتفاقيات التأجير تقريبا شفوية وبنودها غير واضحة، وتوضع بطريقة لاتسمح للمستأجرين بتجميع جزء من فائض الانتاج، او تراكمه[17]. وقد سبب نظام التأجير ابلغ الضرر للزراعة لانه الغى اي حافز للاتجاه نحو استثمار او استصلاح الاراضي، بل على العكس فقد ضمن لكبار الملاكين الحصول على ارباح عالية وبوقت قصير[18]. كما ان اولئك المؤجرون عاملوا الفلاحين بشكل اقسى حتى من ملاكي الارض انفسهم وذلك لضمان الحصول على مزيد من الارباح[19].

---

[13] "طوفان بهلوى"، ص ٧٥-٧٦،

A.Rizvi, OP. Cit., p. 226;
M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 313.

[14] A.Rizvi, Op. Cit., p. 226.

[15] R.Frye, Persia, pp. 99-100.

[16] N.R.Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, p. 169; R.Frye, Persia, pp. 99-100.

[17] N.R.Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, p. 169.

[18] Ibid.

[19] Ibid.

وعلى الرغم من ان الاستغلال الاقطاعي كان يمتد ليشمل مختلف المناطق والاقاليم الايرانية فانه كان يتفاوت في شدته بين منطقة واخرى، وكان فلاحو الجنوب، بشكل خاص، يعانون من وضع مؤلم وبائس. وفي حين كان بامكان البعض من الفلاحين في عدد من المناطق الشمالية استئجار الارض مقابل دفع النقود، وفي هذه الحالة كان بامكان الفلاح ان يجمع جزء من فائض الانتاج، وهو الامر الذي لم يكن محل ارتياح لدى ملاك الاراض الذين حاولوا بشتى الطرق الاستحواذ على ناتج الارض وحرمان الفلاحين منه[٢٠].

ان دراسة موضوعية لواقع الزراعة في عهد رضا شاه والقوانين التي صدرت في هذا المجال تكشف، وبما لايقبل الجدل، بان تدني مستوى الانتاج الزراعي ظل صفة ملازمة للزراعة. كما ان الاستغلال الاقطاعي للفلاحين اشتدت وطأته اكثر من ذي قبل. فقد كان الفلاحون يعيشون في وضع بائس جدا وفقر مدقع. ويحيون حياة الجوع. وقد كان الغذاء الرئيسي للفلاح يتألف من الخبز و الرز، اللذان كان يحصل عليهما بشق الانفس[٢١]. علاوة على انه كان محروما من ابسط الخدمات الصحية والاجتماعية. وقد عانى فلاحو الجنوب بشكل خاص من هذا الوضع المتردي[٢٢]. وساهمت بعض الاجراءات التي اتخذها رضا شاه في انخفاض المستوى المعاشي للفلاحين، فعلى الرغم من ان الضرائب المباشرة التي كانت تجنى من الفلاحين قد خفضت عقب الاصلاحات المالية التي قام بها ملسبو في عام ١٩٢٦، غير ان ظروفهم لم تتحسن كثيرا. فقد بقيت حصتهم من الضرائب غير المباشرة ورسوم الاستيراد المفروضية على الحاجيات الاساسية، كبيرة، علاوة على محاولات رضا شاه في اجبار الرحل على التوطن والاستقرار، تلك المحاولات التي الحقت ضررا بالغا بالزراعة[٢٣].

---

[20] Ibid; M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 314.

[21] M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 318; N.R.Keddie,Iran. Religon, Politics and Society, p. 170.

[22] M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 314; R.Frye, Oersia, p. 100.

[٢٣] ز. ى. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٢٦٠،

N.R.Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, p. 170; M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 314.

والواقع انه طالما كان نظام الحمص المجحف لايزال سائدا في القرية الايرانية، فان الفلاح لم يجد اي حافز لزيادة الانتاج او تحسين نوعيته. وعلى الرغم من ان الحكومة في محاولة منها لادخال نوع من التحسين على هذا النظام خولت وزير العدل في عام ١٩٣٩ دراسة امكانية اجراء تغيير في اتفاقيات مقاسمة الحصص، بيد انه لم تتخذ اية خطوات جدية في هذا المجال[٢٤]، بل على العكس فقد فرضت ضرائب اضافية على الفلاحين، كما اخذت تلك الضرائب تجبى بالنقود، التي لم يكن الفلاح يملكها في اغلب الاحوال[٢٥]. ولم يكن الفلاحون بمنأى عن اجراءات سحب الاراضي منهم او رفع ايجار الارض. علاوة على تعرضهم لشتى الضغوطات، كقطع المياة اللازمة للري[٢٦]. كما ساعد توسع قوى الجيش، لا سيما الجندرمة، في قمع اي تحرك من جانب الفلاحين للمطالبة بحقوقهم او تحسين مستوى معيشتهم، الامر الذي اسهم الى حد كبير، في ابقاء الوضع السياسي والاقتصادي لهم متدنيا[٢٧].

وتجدر الاشارة الى انه على الرغم من ان اجراءات رضا شاه ساهمت في تثبيت سيطرة الملاكين على الارض، علاوة على اعطائهم امتيازات جديدة في حقل الضرائب، فان الاخيرين لم يجدوا دافعا لتغيير اساليب الانتاج او الاستثمار في مشاريع اقتصادية اخرى بعد ما وجدوا ان تأجير الارض الى الفلاحين واقراضهم بفوائد عالية، بل وفاحشة، كانت تحقق لهم ارباحا كبيرة، لاسيما وان اجور العمل للفلاحين كانت رخيصة جدا، الى الحد الذي دفع بكبار الملاكين الى عدم اعارة ادنى اهتمام لادخال الاساليب الزراعية الحديثة او اعتماد المكننة في الزراعة والاعتماد بدلا من ذلك على الايدى العاملة الرخيصة بحيث ان ما كان يحصد بالالات والمكائن الزراعية كان لا يتجاوز ٥ او ١٠٪ من مجموع الانتاج[٢٨].

أدت هذه الامور الى تفاقم الوضع المتردى اصلا للفلاحين، الامر الذي حدا بقسم كبير منهم الى ترك اراضيهم والهجرة الى المدينة، بحيث باتت مسألة الاستقرار

---

[24] G.Lenczowski, Iran under the Pahlavic, p. 69; A.Minai, Op. Cit., p.121.
[25] M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 313.
[26] N.R.Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, pp. 169, 171.
[27] Ibid, p. 171; “Iran. Ochirk noveyshey istorii, pp. 40-41.
[28] N.R.Keddie, Iran. Religon, Politics and Society, pp. 169-171.

الحضري تشكل مشكلة خطيرة في اواخر عهد رضا شاه. لاسيما وان ابواب العمل سدت في وجه المهاجرين الجدد الذين شكلوا جيشا من العاطلين، وباتوا وقودا لكل حركة ضد نظام الشاه[٢٩].

والواقع ان جهود رضا شاه لم تتوجه، الا في حدود ضيقة، نحو تغيير اساليب الاستغلال الاقطاعي للارض او التأثير على علاقات الملكية والاستغلال البشع لجهود الفلاحين. بل على النقيض من ذلك فقد ظلت وشائج عديدة تربطه بالنظام السابق.

٢-استمرار التطور الصناعي ومشاكله

شهدت الصناعة الايرانية في هذه المرحلة تطورا ملحوظا. فقد زادت الاستثمارات الحكومية في هذا المجال، كما ارتفع عدد الشركات الصناعية في البلاد. ففي حين كان عدد هذه الشركات لايتجاوز في عام ١٩٣٠-١٩٣١ (٤٣) شركة برأسمال قدره (٤٨) مليون ريال، ارتفع عددها في اواخر عهد رضا شاه الى (٥٢٨) بلغ مجموع رأسمالها (٥٢٥) مليون ريال[٣٠].

كما ارتفع عدد الشركات التجارية والصناعية المسجلة من (٩٣) شركة في عام ١٩٣٢ الى (١٧٣٥) عام ١٩٤٠ ارتفعت رساميلها من (١٤٣) مليون الى (١٨٦٣) مليون ريال[٣١]. وفي هذه الفترة زادت الاستثمارات الحكومية في قطاع الصناعة الى حد كبير. فخلال الفترة بين ١٩٣٤-١٩٣٨ ارتفعت نسبة هذه الاستثمارات الى ٢٥٠٪، وشمل التمويل الحكومي مصانع السكر، النسيج، الكبريت والاسمنت. وذهبت النسبة الاكبر من هذه الاستثمارات نحو تمويل المصانع الحكومية بينما ساهمت النسبة المتبقية في دعم المشاريع الصناعية لمؤسسات القطاع الخاص عن طريق المنح الحكومية وتخفيض ضريبة الدخل. اذ ان كثيرا من هذه المشاريع ما كان بامكانها الاستمرار بدون الدعم الحكومي لها[٣٢]، مع العلم ان حجم

---

[٢٩] "طوفان بهلوى"، ص ٧٦،

R.Frye, Persia, p. 100.

[30] S.l.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, p. 238.

[31] Ibid.

[٣٢] حميد صفرى، المصدر السابق، ص ١٩،

الرأسمال الخاص في القطاع الصناعي قد ارتفع بدوره بنسبة عشر مرات في عام ١٩٣٩ قياسا الى عام ١٩٣١[٣٣]. وتجدر الاشارة الى انه خلال الفترة ١٩٣١-١٩٤١ تأسس (١٣٦) مشروعا صناعيا ساهمت الحكومة بنصف رأسمالها[٣٤]. بيد ان تلك المشاريع وضعت تحت رقابة حكومية مشددة من قبل وزارة المعادن والصناعة[٣٥]. وقد لعبت عائدات النفط التي زادت خلال هذه الفترة دورا كبيرا في تمويل المشاريع الحكومية[٣٦]. وقد ترتب على هذا التوسع الصناعي ارتفاع حصة الصناعة من مجموع الانتاج الوطني بحيث غدت تشكل ١٨,٦٪ في السنة الاخيرة من عهد رضا شاه[٣٧].

وخلال هذه الفترة شهدت المصانع التي كانت قد انشأت سابقا توسعا كبيرا في انتاجها، في حين تأسست اخرى جديدة. فقد توسعت صناعة الاسمنت بعد ان وضعت الحكومة خطة لرفع الطاقة الانتاجية لمصانع السمنت الى ٣٠٠ الف طن سنويا بحلول عام ١٩٣٧[٣٨]. وارتفع هذا الرقم الى ٧٠ الف طن في عام ١٩٤٠، بلغ عدد العمال المشتغلين فيها حوالي ١٠٠٠ عامل[٣٩]. كذلك ارتفع عدد معامل السكر الى ثمان معامل حتى سنة ١٩٣٧ كانت طاقتها الانتاجية ٣٣ الف طن ارتفعت الى ٣٥ الف بحلول عام ١٩٤١[٤٠] فبلغ عدد عمالها ٤ الاف عامل[٤١]. وشهدت صناعة النسيج

R.Wilson, The Economics of the Middle East, London, 1979, p. 3; H. Kutoutzain, Op. Cit., p. 116.

33 "Sovremenay Iran", p. 153.

34 S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, pp. 238-239.

35 E.Abrahamian, The Crowd in the Persian Revolution I. p. 71.

36 R.Wilson, Op. Cit., p. 3.

37 S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, p. 239.

٣٨ "يادكار اعليحضرت فقيد رضا شاه بهلوى"، صاحب وناشر محمد خليل جواهرى، تهران، ١٣٢٦، ص ٢٢،

G.Lenczowki, Russiand the West in Iran, 1918-1948, New York, 1949, p. 155; A, Minia, Op. Cit., p. 142.

39 E.Abrahamian, The Crowd in the Persian Revolution I, p. 72.

٤٠ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥، التسلسل ٧٣٦-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آب ١٩٤٠، رقم ١٥٥/١/٢/٣٩٦ في ١٩٤٠/٩/١٨، الوثيقة رقم ١١٥،

تطورا ملحوظا، لاسيما بعد انشاء عدد من المصانع في انحاء متفرقة من البلاد[٤٢]. فحتى عام ١٩٤٠ كان هناك (٢٥) معملا للصناعات القطنية و (٨) للصوفية، كما اسس معمل لانتاج الحرير في شالوس على بحر قزوين[٤٣]. فعلى سبيل المثال ارتفعت مغازل الصوف من (٧٩٢٠) في سنة ١٩٣٠ الى (١٩٢٥٥٤٨) في عام ١٩٤٠. ومغازل القطن من (١٦١٤٢) سنة (١٩٣٠ الى (٢٠٠) الف في عام ١٩٤٠[٤٤]. وقد استخدمت هذه المصانع حتى عام ١٩٤٠ حوالي ١٥٪ من مجموع العمال الصناعيين في البلاد[٤٥]. كذلك اسس معمل حديث للسكاير في طهران، ساهم مع المعامل الاخرى في تقليل استيراد السكاير الاجنبية[٤٦]. وشهدت مصانع الكبريت ارتفاعا في انتاجها. فقد بلغ ما انتجته المعامل الستة في البلاد حتى عام ١٩٤٠ (١١٥٠٠٠٠) كيلو من الكبريت، كانت تسد حوالي ٨٥٪ من الاستهلاك المحلي[٤٧]. كما تم انشاء معامل لصنع الورق وانتاج الثلج ومعمل لتجفيف الشاي في لاهيجان في الشمال[٤٨]. كذلك تم بمساعدة الالمان انشاء وتطوير عدد من المعامل الصغيرة التي تختص بالصناعات الخفيفة[٤٩].

وفي السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية بوشر باقامة اولى مشاريع الصناعة الثقيلة. فقد اسس معمل للتعدين في امين اباد، ومعمل النحاس في غني

M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 317; E.Abrahamian, The Crowd in the Presian Revolution I, p. 71.

[41] E.Abrahamian, The Crowd in the Presian Revolution I, p. 71.

[٤٢] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في خرمشهر الى وزارة الخارجية العراقية لشهر ايار ١٩٣٦، الوثيقة رقم ١٠١.

[43] M.S.Ivanov, Op. Cit., p> 317; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, p. 131.

[44] E.Abrahamian, The Crowd in the Persian Revolution L, p. 72.

[45] Ibid.

[46] M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 317.

[٤٧] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥، التسلسل ٧٣٦-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آب ١٩٤٠، رقم ١٥٥/١/٢/٣٩٦ في ١٨/٩/١٩٤٠، الوثيقة رقم ٢١٤.

[48] G.Lenczowski, Russia and the West in Iran, p. 155; P. Avery, Op. Cit., p. 242.

[49] G.Lenczowski, Russia and the West in Iran, p. 155.

اباد بالقرب من طهران[50]. وبغية استثمار الثروة المعدنية تم استدعاء عدد من الجيولوجيين الالمان لغرض البحث والتنقيب عن وجود معادن في بعض ارجاء البلاد[51]. وقد اولي اهتمام خاص لصناعة الاسلحة، وارتفعت نسبة الاستثمارات الحكومية في هذا المجال.

وتجدر الاشارة الى ان صناعة الاسلحة قد شهدت تطورا ملحوظا قبيل سنوات الحرب العالمية الثانية نتيجة المساعدة الفنية للالمان. ففي طهران اقيم مصنع للبنادق الرشاشة. كما تم تأسيس مصنع للطائرات في شهباز، كان قادرا على انتاج سرب من الطائرات المقاتلة الصغيرة في كل شهرين، وكان بالامكان تحويلها الى قاذفات قنابل خفيفة[52]. وكانت المعامل المختصة بصنع السلاح تضم ٢٣٠٠ عاملا[53].

لقد ترتب على التوسع الصناعي وقيام المشاريع المختلفة ارتفاع عدد افراد الطبقة العاملة. ففي الوقت الذي لم يكن عدد العمال في المعامل الكبيرة، التي لم يكن عددها يتعدى العشرين معملا، يتجاوز ١٠٠٠ عامل ارتفع هذا العدد الى اكثر من ٥٠ الفا في عام ١٩٤١ بعد ان ازداد عدد المنشآت الصناعية الحديثة الى اكثر من ٣٤٦ معملا حديثا، منها حوالي المئتين من الورش والمعامل الصغيرة في حين مثلت النسبة الباقية المعامل والمنشآت الكبيرة[54]. اضافة الى ذلك اندمجت خلال الثلاثينات العديد من الورش الصغيرة، وخصوصا ورش صناعة الاحذية والنجارة والخياطة، لتكون ورشا كبيرة وكانت كل منها تضم اكثر من (٣٠) عاملا[55]. وتجدر الاشارة الى انه خلال الفترة نفسها ازدادت القوة العاملة في الصناعة النفطية من (٢٠) الف الى (٣١) الف عامل تقريبا[56].

---

[50] M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 317.

[51] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آب ١٩٣٦، الوثيقة رقم ١٥٣.

[52] G.Lenczowski, Russia and the West in Iran, p. 155; M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 317.

[53] E.Abrahamian, The Crowd in the Presian Revolution I, p. 71.

[54] اروند ابراهيميان، عوامل القوة والضعف في الحركة العمالية، ص ٧٢.

[55] المصدر نفسه.

[56] المصدر نفسه.

وهكذا فان عمال المصانع الكبيرة وحقول النفط وحوالي ١٠ آلاف عامل في المصانع الصغيرة الحديثة و ٢٥٠٠ عامل في صناعة السمك في بحر قزوين و ٩ آلاف في خطوط السكك الحديد و ٤ آلاف في مناجم الفحم و ٤ آلاف في الموانيء، يضاف الى ذلك عدد هام من عمال البناء الموسميين، كل هؤلاء الفوا طبقة عاملة صناعية جديدة بلغ مجموعها حوالي (١٧٠)[٥٧] الف عامل[٥٨]. وكان حوالي ٦٠ ٪ من هؤلاء يعملون في مصانع ومنشآت تعود ملكيتها الى الدولة[٥٩]. وكانت الطبقة العاملة الجديدة تؤلف اقل من ٤٪ من اجمالي قوة العمل، كما انها كانت مركزة في مدن رئيسية قليلة الى جانب الطبقة العاملة التقليدية[٦٠]. فقد كانت اكثر من ٧٥٪ من المعامل الكبيرة متركزة في طهران وتبريز واصفهان وكيلان ومازندران. ففي طهران وحدها كان هناك ٦٤,٠٠٠ عامل في (٦٢) منشأة صناعية حديثة والعديد من الورش الصغيرة. وفي تبريز كان فيها (١٨) معملا متوسط الحجم. واصفهان والتي هي (مانشستر)[٦١] ايران كان فيها (١١) الف عامل في تسعة معامل نسيج كبيرة. اضافة الى ذلك كانت شركة النفط تضم اكثر من (١٦) الف عامل في مصافي عبادان، و ٤٨٠٠ في ابار النفط في عربستان[٦٢]. وكان اغلب العمال الصناعيين قد استقطبوا من مناطق فلاحية متعددة، لاسيما بالنسبة للجيل الاول منهم. فحسب الاحصاءات الرسمية فان ١٤٪ من المهاجرين الى طهران كانوا من القرى المجاورة ٢٣٪ من اذربيجان، ١٠٪ من مازندران، ١٠٪ من كرمنشاه، ٩٪ من اصفهان،

---

[٥٧] يذكر ايفانوف، واستنادا الى الاحصائيات التي اوردتها الصحف الايرانية، ان عدد العمال الايرانيين بلغ قبل الحرب العالمية الثانية حوالي نصف مليون عامل.

M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 321.

[٥٨] اروند ابراهيميان، عوامل القوة الضعف في الحركة العمالية، ص ٧٢،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, pp. 146-147.

[59] E.Abrahamian, The Crowd in the Presian Revolution I, p. 71.

[60] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 147.

[٦١] اكبر مركز لصناعة النسيج في انكلترا واوربا.

[٦٢] اروند ابراهيميان، عوامل القوة والضعف في الحركة العمالية، ص ٧٢،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 147.

٦٪ من خراسان، ٤٪ من عربستان، ٢٪ من فارس. وينطبق الشيء نفسه تقريبا على المناطق الصناعية الاخرى[٦٣].

على الرغم من النجاحات المحدودة التي تحققت في القطاع الصناعي، الا انه لم يستطع ان يؤثر بشكل جدى على واقع الاقتصاد الايراني. فلم يكن الانتاج الوطني يسد الحاجة المحلية. ففي عام ١٩٣٦-١٩٣٧ كانت الواردات تغطي بالنسبة للسكر بين ٧٥٪ - ٨٢,٧٪ والسمنت ٨٢,٢٪ واكثر من نصف المنسوجات من الحاجة المحلية. ولم تتغير هذه النسبة الا تغيرا طفيفا في السنوات اللاحقة[٦٤]. كذلك بقيت اسعار المنتجات الصناعية المحلية مرتفعة، بسبب ارتفاع كلفة انتاجها، قياسا الى اسعار شبيهاتها المستوردة من البلدان الاخرى، كما بقيت نوعياتها رديئة ايضا[٦٥]. ومما ساعد في ارتفاع اسعار المنتجات الصناعية المحلية هو الموقف الاحتكاري الذي تمتعت به بعض الصناعات واجراءات الحماية ضد منافسة المنتجات الصناعية الاجنبية[٦٦]. وقد كانت هذه الاجراءات احد الاسباب التي شجعت المنتجين على رفع اسعار منتجاتهم المحلية بشكل كبير لاتتناسب مع نوعيتها وكلفة انتاجها، علاوة على عدم تناسبها مع دخل المواطن الايراني[٦٧]. ومن السمات الاساسية للصناعة الايرانية انها ظلت مختصة بالصناعات الخفيفة في الاساس ولم تشكل الصناعات الثقيلة اية نسبة تذكر في مجمل الانتاج الصناعي لان الرأسمال الاجنبي كان يمتنع (باستثناء النفط) عن المشاركة او بناء مشاريع

---

[63] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 147.

[٦٤] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥، التسلسل ٧٣٦-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آب ١٩٤٠، رقم ٣٩٦/٢/١/١٥٥ في ١٨/٩/١٩٤٠، الوثيقة رقم ١٢٤-١٢٥،

S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, p. 239.

[٦٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر تشرين الاول وتشرين الثاني ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٧٨،

M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 32o; R.Wilson, Op. Cit., p. 3.

[66] R.Wilson, Op. Cit., p. 3.

[67] N.R.Keddie, Roots of Revolution, p. 1o1.

للصناعة الثقيلة وصناعة المعادن في البلاد[٦٨]. وتجدر الاشارة الى ان الصناعة الايرانية ظلت تعتمد بالدرجة الرئيسية على الادوات والالات المستوردة وخدمات الخبراء الاجانب. لذا فان الافتقار الى الخبرة الفنية في تشغيل وادارة المعامل او المصانع المنشأة، او امتناع بعض الدول المجهزة عن تزويد تلك المنشآت بقطع الغيار كثيرا ما كان يحول العديد منها الى ركام من حديد يكلف اصلاحها او ادامتها البلاد مبالغ كبيرة وبالعملة الصعبة[٦٩].

والواقع ان القطاع الصناعي الوحيد الذي ظل يمثل القطاع الاكثر تطورا هو الصناعة النفطية التي كانت شركة النفط الانكلو-ايرانية تهيمن عليها بشكل كامل، ولم تكن ترتبط بالاقتصاد الايراني الا بصورة اسمية[٧٠].

٣-التجارة والامور المالية والمواصلات

وفي ميدان التجارة الخارجية حصلت تطورات مهمة. فان نظام الاحتكار الذي خلق صعوبات كثيرة للتجارة الخارجية وكان مثار استياء التجار، قد ادخلت عليه بعض الغييرات. فان الانفاق الحكومي المتزايد، والمشاريع التي تطلبت نفقات باهظة، لاسيما مشروع السكة الحديدة، كل ذلك كان يخلق صعوبات اضافية للميزانية العامة. وعلى الرغم من ان اتفاقيات المقايضة مع المانيا والاتحاد السوفيتي قد خففت الى حد ما من الاثار التي ترتبت على قانون احتكار التجارة المذكورة، الا انها لم تكن حلا نهائيا. وباتت مسألة الحصول على قروض اجنبية لتمويل التجهيزات الخارجية مسألة ملحة رغم ان الشاه لم يكن يستمع هذه الفكرة على الاطلاق[٧١]. وتلافيا لمشاكل اضافية قد تنجم عن الاجراءات المذكورة لجأت الحكومة

---

[68] S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, p. 240; M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 320.

[٦٩] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١٠ في ٦ كانون الثاني ١٩٣٧، الوثيقة رقم ١٩٦،

S.L.Agaev, Iran: Vneahnaya Politica…, p. 240.

[70] “Sovermenay Iran”, p. 153.

[٧١] للتفاصيل راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر حزيران ١٩٣٦، الوثيقة رقم ١٢٣، م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير

في عام ١٩٣٦ الى تنقيح قانون احتكار التجارة، واوجدت اكثر من ١٧ شركة تجارية لهذا الغرض[٧٢]. كذلك فان الحاجة الشديدة للعملات الاجنبية الضرورية للتبادل الخارجي دفعها الى التخفيف من القيود المفروضة على اجراءات التحويل الخارجي خلال الاعوام ١٩٣٤-١٩٣٥[٧٣]. غير ان الفرق الشاسع بين سعر التحويل الرسمي للريال وسعر السوق، وما كانت ينجم عنه من خسائر جسيمة للحكومة، وما ولدته من ارباك في سير المعاملات التجارية والمالية، فضلا عن الارتفاع في اسعار الحاجيات الضرورية، والدور السلبي الذي لعبته بعض المصارف في هذا المجال، كالبنك الشاهي، كل هذه الامور دفعت الحكومة الى اعادة العمل بالقانون المذكور مع فرض قيود اشد من السابق على مسائل التحويل[٧٤].

ساهمت المشاريع الطموحة لرضا شاه في بناء الجيش واقامة المشاريع الصناعية الواسعة والتوسع في التعليم، في زيادة ميزانية الحكومة حوالي (١٨) مرة، فبينما كانت الميزانية الحكومية لعام ١٩٢٥ اقل من ٢٤٥ مليون ريال، فانها بحلول عام ١٩٤١ تجاوزت ٤٣ بليون ريال[٧٥]. وقد اسهمت عدة امور في زيادة الميزانية منها زيادة عائدات الدولة من البترول، لاسيما بعد عقد الاتفاقية النفطية الجديدة في عام ١٩٣٣ رغم ان جزء كبيرا من هذه العائدات كانت تستنزفها ميزانية الجيش[٧٦].

سري من القنصلية الملكية العراقية في خرمشهر الى وزارة الخارجية العراقية لشهر مارت ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٣٣-٣٤،

D.N. Wilber, Riza Shah Pahlavi, p.. 178.

[72] A.Banani, Op. Cit., p. 131; E.Abrahamian, The Crowd in the Persian Revolution I, p.70.

[73] A.Banani, Op. Cit., p. 131.

[٧٤] للتفاصيل راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع،تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٦، الوثيقة رقم ٩٠، م. و. و، الملف نفسه، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر مارت ١٩٣٦، الوثيقة رقم ٤٢-٤٣، م. و. و، الملف نفسه، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٨، الوثيقة رقم ١٢٦،

A.Banani, Op. Cit., p. 131.

[75] E.Abrahamian, Iran between two Revolutiona, p. 148.

[٧٦] ز. ي. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٢٥٩،

كذلك ساهمت الاستثمارات الحكومية في زيادة الايراد العام بحيث توسع من لاشيء تقريبا الى ١,٢ بليون ريال سنويا، لاسيما بعد ان احتكرت الحكومة السكر والشاي والتبغ وغيرهما[٧٧]. كذلك فان توسع التجارة وزيادة عائدات الكمارك التي ارتفعت من ٩١ مليون الى ٤٢١ مليون ريال كان عاملا مضافا في تلك الزيادة[٧٨]. يضاف الى ذلك ارتفاع العائدات الحكومية من الضرائب، لاسيما بالنسبة لضريبة الدخل رغم ان جبايتها بقيت تتم بالطرق التقليدية وعن طريق التخمين[٧٩]. وقد بلغت عائدات الكمارك حتى عام ١٩٤١، ٢٨٠ مليون ريال[٨٠].

وتجدر الاشارة الى ان الزيادة المطردة في الميزانية العامة، والتوسع في الاستثمارات الحكومية، لاسيما بالنسبة للمشاريع الصناعية تبعها ارتفاع في حجم الاوراق النقدية المتداولة بحيث بلغ في عام ١٩٣٦-١٩٣٧ (٩١٢,٨) مليون ريال وارتفع الى اكثر من ١,٧٤ بليون ريال عام ١٩٤١ بعد ان كان لايتجاوز ٠,١٦ بليون ريال عام ١٩٣٢[٨١].

على الرغم من ذلك فقد شهدت الميزانية العامة في اواخر عهد الشاه عجزا غير قليل ظهر بشكل محسوس ابتداء من عام ١٩٣٩-١٩٤٠[٨٢]. وتكشف دراسة التركيب العام للميزانية خلال الثلاثينات بعض اسباب هذا العجز. فقد ظلت النسبة الاكبر من الميزانية موجهة نحو قطاعات او مجالات معينة، في حين ظلت القطاعات الاخرى تحظى بحصص قليلة نسبيا. فعلى سبيل المثال كانت بنود الميزانية التي تختص

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 148.

77 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 148.

78 F.O., 371/21894, Tel No. 93, From British Legation in Tehran to F.O., March 9, 1938, p. 38; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 148.

٧٩ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في خرمشهر الى وزارة الخارجية العراقية لشهر ايار ١٩٣٦، الوثيقة رقم ١٠٤،

F.O., 371/21894, Tel. No. 93, From British Legation in Tehran to F.O., March 9, 1938, p. 38.

80 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 148.

٨١ حميد صفرى، المصدر السابق، ص ١٩،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 148.

٨٢ كان لاندلاع الحرب العالمية الثانية اثر في تلك الزيادة.

بالامن والمواصلات والصناعة تستحوذ على ٦٠٪ من الميزانية العامة بواقع ٢٠٪ لكل منها. في حين حصلت القطاعات الاخرى كالزراعة والصحة والتعليم والادارة العامة على ٤٠٪ فقط من مجموع الميزانية[٨٣]. وقد تقلصت هذه النسبة اكثر فيما بعد فعلى سبيل المثال بلغت نسبة الزراعة في ميزانية ١٩٣٩-١٩٤٠، ٢,٦٣٪ فقط في حين زيدت حصة المواصلات الى ٣٠٪، وهو الامر الذي ادى الى تفاقم العجز بشكل كبير. بمعنى ان البنود الثلاثة السالفة الذكر استحوذت تقريبا على ٧٥٪ من اجمالي الانفاق العام، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار الارتفاع في نفقات الامن[٨٤].

وبالنسبة لطرق المواصلات فقد انتهى العمل من خطة سكة حديد (TRANS IRAN) بحلول عام ١٩٣٨، أي قبل الوقت المحدد بعام ونصف. وافتتح الشاه الخط رسميا في احتفال حضره كبار رجال الدولة واعضاء الهيئات الدبلوماسية العاملة في ايران[٨٥]. ووصولا الى عام ١٩٤١ كانت طهران مربوطة بسمنان باتجاه مشهد وزنجان باتجاه تبريز عبر خطوط حديدية بلغت اطوالها مئات الاميال[٨٦]. واستمرت التوسعات في الطرق البرية بحيث بلغ مجموع اطوالها حتى عام ١٩٣٨ اكثر من ٢٤,٠٠٠ كيلو مترا رغم ان معظمها كانت من الدرجتين الثانية والثالثة وقليل منها مرصوفة بالاسفلت[٨٧]. فعلى سبيل المثال كان مجموع الطرق المرصوفة بالاسفلت حتى عام ١٩٣٨ يبلغ ٥٠ كيلو مترا فقط. اما الطرق المرصوفة بالحجارة فقد بلغ مجموع اطوالها ١٢ الف كيلو مترا في حين كانت لاتتجاوز ٢٤٠٠ كيلو متر في بداية حكم رضا شاه[٨٨]. كذلك زاد استيراد المركبات وادوات الاحتياط بمقدار اربع مرات بين الاعوام ١٩٢٧-١٩٣٦. ووصولا الى عام ١٩٤١ ارتفع عدد المركبات في

---

[٨٣] ز. ى. هرشلاغ، المصدر السابق، ص٢٥٩.

[٨٤] المصدر نفسه.

[٨٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، كتاب من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٩٤٠/٢/٣/٣٠٣ في ١٩٣٨/٨/٢٩ حول الحفلات المقامة بمناسبة انشاء الخط الحديد في ايران، الوثيقة رقم ١٦٩،

S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, pp. 238-239.

[86] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 146.

[٨٧] ز. ى. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٢٦٤،

G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, p. 131.

[88] G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, p. 131.

البلاد الى ٢٥ الف مركبة[89]. وقد ترتب على ذلك ارتفاع استهلاك وقود السيارات بمقدار خمسة اضعاف بين الاعوام ١٩٢٨-١٩٣٧ كذلك هبطت المدة التي تستغرقها السفرة الواحدة الى عشر ما كانت عليه قبل الحرب وينطبق الشيء نفسه على كلفة النقل التي انخفضت الى حوالي ثلاثة ارباع ما كانت عليه سابقا[90]. وشهدت الخدمات الهاتفية توسعا كبيرا في هذه الفترة. فعلى سبيل المثال في عام ١٩٣٠ بلغ مجموع الخطوط الهاتفية التي تربط المدن الكبيرة حوالي عشرة آلاف كيلو متر[91]. وتجدر الاشارة الى انه نتيجة لهذا التوسع في انشاء الطرق والخطوط الحديدية برزت مجموعة من الشركات التي اخذت على عاتقها القيام بادارة وتنفيذ المشاريع الانشائية عن طريق عقود مقاولات مع الحكومة. وقد توسعت تلك الشركات في اواخر عهد رضا شاه بشكل ملموس وكون افرادها جزءً هاما من الطبقة البرجوازية[92].

٤-الاصلاحات الاجتماعية والمؤسسة الدينية

واصل رضا شاه جهوده في مجال التغيير الاجتماعي. فبعد ان بدأ خطواته الاولى في هذا المجال بتؤدة ودون اثارة الضجيج، فانه ابدى اندفاعا واضحا حوالي منتصف الثلاثينات، لاسيما بعد زيارته لتركيا في عام ١٩٣٤ حيث كان كمال اتاتورك يقوم بحملة مماثلة في تركيا. وكان الهدف الرئيس للشاه نزع حجاب المرأة الايرانية (الجادر) الذي يعتبر احد الرموز الممثلة لتخلف المرأة. ومع ذلك فان عملية كشف الحجاب قد تمت بحذر واتخذت الخطوات التمهيدية لتهيئة اذهان الراي العام قبل الشروع في اتخاذ خطوة عنيفة في هذا المجال. فقد تواترت مقالات الصحف التي كانت تتحدث عن مساوىء الحجاب وتمتدح الاجراءات التي تمت بشأن الغائه في عدد من الاقطار الاسلامية الاخرى[93].

---

89 E.Abrahamian, The Crowd in The Persian Revolution I, p. 71.
90 Ibid.
91 G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, p. 131.
92 E.Abrahamian, The Crowd in the Persian Revolution I, p. 71.
93 G.Nashat, Op. Cit., p. 26.

كما بدأت المؤسسات التعليمية، ولاسيما جامعة طهران التي كانت قد افتتحت منذ عام ١٩٣٤، تفتح ابوابها امام الطالبات[٩٤]. كذلك نشطت حركة تأليف الجمعيات النسائية التي اخذت على عاتقها عقد محاضرات ثقافية يحضرها الرجال والنساء ركزت على قضايا تمس واقع المرأة وسبل النهوض بها. علاوة على اقامة المعارض ودورات رياضية للنساء[٩٥]. وقد تركت اغلب معلمات المدارس لبس الحجاب وشجعن تلميذاتهن على ذلك[٩٦]. وكانت دور السينما والمسارح والفنادق والكازينوهات تغرم بنسبة كبيرة اذا ما منعت النساء من الدخول اليها[٩٧]. ولم يكن يحق لضابط في الجيش الظهور برفقة امرأة محجبة مهما كانت صفتها وصلة قرابتها به. وفيما بعد كان ضباط الجيش من ذوي الرتب العالية المتقدمة يجازفون بعملهم ومناصبهم ما لم يصطحبوا زوجاتهم معهم الى الحفلات الرسمية[٩٨].

وفي مطلع عام ١٩٣٦ قام رضا شاه بزيارة الى دار المعلمات للبنات لحضور حفل تخرج دورة جديدة. وكانت تصحبه في تلك الزيارة زوجته الملكة وابنتيه الاميرتين اشرف وشمس. وكان الملفت للنظر في تلك الزيارة ان الملكة والاميرتين ظهرن للمرة الاولى سافرات[٩٩]. والقى رضا شاه كلمة بالمناسبة ناشد فيها النساء الايرانيات للاضطلاع بمسؤولياتهن واداء دورهن في خدمة البلاد باعتبارهن يشكلن نصف

---

[94] E.Sanasarian, Op. Cit., p. 61.

[٩٥] عبدالله رازي همداني، تاريخ ايران زمين، ص٩٠٢،

G.Nashata, Op. Cit., p. p. 27-26.

[٩٦] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آب ١٩٣٥، الوثيقة رقم ٨٨،

Nashat, Op. Cit., p. 26.

[97] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 144.

[٩٨] سليم واكيم، المصدر السابق، ص ١٧٠،

Ibid.

[٩٩] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١،التسلسل ٧٤٢-وع،كتاب سرى من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١٢١ في ١٩٣٦/١/٢٧ حول حركة السفور الاجباري، الوثيقة رقم ١٧٨-١٧٩،

Margaret Laing Sidgwick and Jackson Sidgwick, The Shah, London, 1977, p. 51; G.Lencowski, Iran under the Pahlavis, p. 98.

المجتمع[١٠٠]. بعد تلك الزيارة انتشرت الشائعات حول عزم الحكومة على الغاء الحجاب رسميا، الامر الذي كان مثار قلق شديد لدى اوساط عديدة[١٠١]. وقد ثبت فيما بعد ان تلك الشائعات كان لها نصيب من الصحة. فقد صدر رسميا قرار الغاء الحجاب في شهر شباط عام ١٩٣٦[١٠٢]. ومنذ ذلك التاريخ كان على جميع موظفي الدولة ان يجبروا زوجاتهم على نزع الحجاب او يطردوا من وظائفهم. ولم يكن ليسمح للنساء اللواتي يرتدين الجادر بدخول السينما او الحمامات العمومية. وكان سائقو الحافلات وسيارات الاجرة عرضة لدفع غرامة كبيرة في حالة سماحهم بصعود نساء محجبات[١٠٣]. واحيانا كانت تطبق اجراءات اشد قسوة، فقد منعت السلطات الحكومية الاطباء في المستشفيات للكشف على النساء المريضات اللواتي لم ينزعن الجادر[١٠٤]. اما النساء اللواتي كن يتجرأن على انتهاك هذا القانون والظهور بالجادر فكن عرضة للضرب والاهانة من قبل رجال الشرطة الذين كانوا يسحبون الجادر او غطاء الرأس عن رؤوسهن امام اعين الناس ويمزقونه اربا[١٠٥]. وتجدر الاشارة الى ان الحكومة لجأت وفي محاولة منها لتشجيع تطبيق القرار الى صرف المكافأت لموظفيها، علاوة على تشجيع استيراد الكماليات لاسيما الالبسة النسائية وذلك لتشجيع النساء الايرانيات على ترك الحجاب[١٠٦].

---

100 G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, p. 98; D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, p. 173.

101 G.Nashat, Op. Cit., p. 27.

١٠٢ سالنامهء سبهر (مجلة)، سال يكم، طهران، ١٣٢٧، ص ٢٩.

١٠٣ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير سرى من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الثاني ١٩٣٦، الوثيقة رقم ١٩٠،

D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, p. 74; G.Lenczowski, Iran under the pahlavis, p. 98.

١٠٤ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير سرى من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الثاني ١٩٣٦، الوثيقة رقم ١٩٠.

105 H.Katouzain, Op. Cit., p.126.

١٠٦ للتفاصل راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الثاني ١٩٣٦،

كانت للاجراءات التي اتبعتها الحكومة في هذا المجال تأثيرات عكسية على اوساط وفئات عديدة لم تكن مهيأة بعد لتقبيل خطوة كهذه. فعلى سبيل المثال اصبحت العديد من النساء سجينات البيوت طوعا لانهن لم يكن يجازفن بالخروج من بيوتهن وهن يرتدين اللباس التقليدي[١٠٧]. وليس من الغرابة في شيء ان تعددت حوادث انتحار النساء بسبب رفض نزع الحجاب[١٠٨]. بيد انه لم يكن بامكان تلك الاوساط او الفئات ان تعمل اكثر من ابداء استيائها[١٠٩]، لان الحكومة لم تتوان عن اتباع شتى الاساليب القسرية لتنفيذ ما عزمت عليه. وكان كل شيء يوحي باصرار رضا شاه على تطبيق ما خطط له. فحتى حكام الاقاليم، كان يتم استبدالهم بقادة عسكريين، اذا ما اخفق اولئك الحكام في تطبيق قوانين نزع الحجاب[١١٠]. لذا فقد نظر الكثيرون الى هذا الامر على انه ليس تحررا للمرأة بل

الوثيقة رقم ١٨٤، م. و. و، الملف نفسه، تقرير سرى للغاية من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر شباط ١٩٣٦، الوثيقة رقم ٢، م. و. و،الملف نفسه، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر شباط ١٩٣٦، الوثيقة رقم ١٥-١٦، م. و. و، الملف نفسه، تقرير سرى من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر تموز ١٩٣٦، الوثيقة رقم ١٤٢-١٤٣،

D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, p. 174.

[١٠٧] كويتي نشأت، واقع المرأة في ايران، ترجمة الدكتور عبدالجبار ناجي، دراسات ايرانية، مجموعة بحوث مختارة، منشورات "مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٣، ص ٨١،

H.Katozain, Op. Cit., p. 126.

[١٠٨] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الثاني ١٩٣٦، الوثيقة رقم ١٨٤.

[١٠٩] حول الاستياء الذي ابدته اوساط الرأي العام الايراني بشأن هذه القضية راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الثاني ١٩٣٦، الوثيقة رقم ١٨٤، م. و. و، الملف نفسه، كتاب سري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١٢١ في ٢٧/١/١٩٣٦ حول حركة السفور الاجباري، الوثيقة رقم ١٧٨-١٧٩، م. و. و، الملف نفسه، كتاب من القنصلية الملكية العراقية في خرمشهر الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٦٥/ ص في ١٢/٢/١٩٣٦، حول سير السفور في خوزستان، الوثيقة رقم ١٨٧.

[١١٠] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٤٢ط-وع، كتاب سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الاول ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١٦٣.

اضطهادا بوليسيا[111]. لذا كان طبيعيا جدا ان تعود الكثير من النساء الى ارتداء الحجاب بعد عزل رضا شاه.

وعلى اية حال فرغم نزع حجاب المرأة، ورغم ارتفاع عدد النساء في المؤسسات التعليمية والوظائف العامة فان هذه الامور لم تغير من واقع المرأة تغييرا جوهريا. فقد استمر الوضع يميل لصالح الرجل من خلال عدة نقاط. فقد كان يحق للرجل التزوج باربع نساء وحق الطلاق متى شاء، وهو الرأس القانوني للعائلة ويتمتع بحقوق وراثة اكبر. والاهم من ذلك كله ان المرأة بقيت محرومة من التصويت ومن ترشيح نفسها في الانتخابات العامة[112].

كانت تلك الاجراءات، لاسيما قضية نزع الحجاب، بمثابة تحد صارخ لنفوذ رجال الدين وسطوتهم التي اكتسبوها عبر قرون عديدة من خلال سيطرتهم على المشاعر الدينية للرأي العام. وفي الوقت نفسه كانت تنذر بانتقال المواجهة بين رضا شاه والمؤسسة الدينية الى مدى ابعد، اتخذت في البداية مظاهر الاستياء والاحتجاج ثم ما لبثت ان تحولت الى مواجهة عنيفة غالبا ما كانت تتخذ مظاهر دامية[113]، يذهب ضحيتها عشرات القتلى والجرحى من الطرفين[114]. بيد ان ذلك كله لم يجعل رضا شاه يتزحزح عن موقفه بهذا الشأن. لذا واصل اجراءاته في تحجيم نفوذ رجال الدين، وقد تجلى ذلك بشكل واضح في مجالي القضاء والتعليم. فعلاوة على التشريعات السابقة التي سحبت الكثير من امتيازاتهم في هذا المجال، فان القوانين

---

[111] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 144.

[112] Ibid; M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 322.

[113] سنتطرق الى تفاصيل هذا الموضوع لاحقا.

[114] للتفاصيل راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير سري للغاية من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الاول ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١٦٧، م. و. و، الملف نفسه، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الثاني ١٩٣٦، الوثيقة رقم ١٨٤، الملف نفسه، كتاب سري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية حول حركة السفور الاجباري، رقم ١٢١ في ٢٧/١/١٩٣٦، الوثيقة رقم ١٧٨-١٧٩، الملف نفسه، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في خرمشهر الى وزارة الخارجية العراقية لشهر اذار ١٩٣٦، الوثيقة رقم ٣١، الملف نفسه، التسلسل ٧٤٥-وع، كتاب سري من المفوضية الملكية العراقية في كابل الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ١٢/٤٨/١/٢ في ٥/٢/١٩٤١، الوثيقة رقم ١٤.

اللاحقة في هذا المضمار انهت نفوذهم تماما وجعلت القضاء اكثر علمانية. ففي عام ١٩٣٦ شرع قانون اوجب على كل من يمارس مهنة القضاء، من رجال الدين، ممن يعملون في المؤسسات الحكومية، الحصول على شهادة من كلية الحقوق في جامعة طهران او من جامعة اجنبية، والا فان عليه ترك العمل في المؤسسات العدلية او القضائية الحكومية، وترتب على ذلك ان تخلى العديد من رجال الدين عن ممارسة القضاء[١١٥]. كذلك تقلص عدد المدارس الدينية التي كان يشرف عليها رجال الدين، وبالتالي انخفض عدد طلابها الى نسبة ضئيلة للغاية بحيث لم يتجاوز عدد هؤلاء الطلاب في اواخر عهد الشاه ٧٨٥ شخصا[١١٦].

وفيما بعد اقدم رضا شاه، في عام ١٩٣٩ على خطوة كانت لها اعمق النتائج على صعيد فت عضد المؤسسة الدينية، لا سيما قمتها، وذلك باعلانه عن استيلاء الدولة على كافة الاراضي والممتلكات الدينية التابعة للاوقاف، والتي كانت تؤلف مصدر قوة لايستهان بها بالنسبة لكبار رجال الدين لما كانت تدره من ارباح كبيرة كانت احد العوامل التي جعلت الاخيرين يتمتعون بنفوذ اجتماعي وسياسي لايستهان به[١١٧]. والاهم من ذلك كله ان رضا شاه نجح في تقليص نفوذ رجال الدين في المجلس، الذي كان يعتبر تقليديا احد منابرهم المهمة، فقد قلص عددهم من ٢٤ في المجلس الخامس، حيث كانوا يؤلفون كتلة لها وزنها، الى ستة فقط في المجلس العاشر[١١٨]. وتجدر الاشارة الى ان العديد من الاجراءات التي اتخذها رضا شاه على الصعيد الاجتماعي شملت رجال الدين ايضا. فعلى سبيل المثال في منتصف الثلاثينات اجبر معظم رجال الدين على وجوب ارتداء القبعة الحديثة التي حلت محل (القبعة البهلوية) السابقة رغم احتجاج رجال الدين على ذلك. بل انه حتى بالنسبة للقلة القليلة منهم الذين سمح لهم بارتداء العمائم، كان عليهم مراجعة دوائر الشرطة لتجديد اجازاتهم الدينية بين اونة واخرى[١١٩].

---

[115] G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, p. 92.

[116] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 145.

[117] Ibid, p. 141;

د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ١٨٨، كارلتون كون، القافلة، قصة الشرق الاوسط، ترجمة برهان دجاني، بلا، ص ٤٢٣.

[118] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 140.

[١١٩] للتفاصيل راجع:

ولئن كان رضا شاه قد نجح في وضع حد لنفوذ المؤسسة الدينية، وعرف كيف يحجم دورها السياسي والاجتماعي، الا انه اثار بمواقفه هذه رد فعل كبار رجال الدين الذين وقفوا ضد اجراءاته تلك بقوة، لا سيما في اواخر عهده حينما اتسعت الهوة اكثر بينه وبين المؤسسة الدينية، فاستطاعت الاخيرة تأليب اوساط عديدة ضد نظام الشاه. بيد ان سطوة الحكم البهلوي كانت اقوى من ان تسمح لتلك المؤسسة بان تشكل خطرا فعليا على النظام، على الاقل في المرحلة الاخيرة من الحكم البهلوي.

٥-التطور اللاحق للتعليم والشؤون الصحية

وفي ميدان التعليم استمرت الجهود السابقة لتطويره ورفع كفاءته. فقد توسعت حركة انشاء المدارس في العديد من مناطق البلاد وزادت اعداد التلاميذ. فعلى سبيل المثال ارتفع عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية من ٥٥,٩٦٠ طفلا مسجلين في ٦٤٨ مدرسة في عام ١٩٢٥ الى ٢٨٧,٢٤٥ طفلا يدرسون في ٢٣٣٠ مدرسة ابتدائية كانت اغلبها تدار من قبل وزارة التعليم[١٢٠]. وفي الوقت نفسه ارتفع عدد طلاب المدارس الثانوية من ١٤,٤٨٨ طالبا يدرسون في ٧٤ مدرسة ثانوية كانت ١٦ منها تديرها البعثات التبشيرية الى ٢٨,١٩٤ طالبا يدرسون في ١١٠ مدرسة خاصة و ٢٤١[١٢١] مدرسة ثانوية حكومية[١٢٢]. وتجدر الاشارة الى ان التعليم الثانوي

م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر حزيران ١٩٣٥، الوثيقة رقم ٤٧، م. و. و، الملف نفسه، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية شهر حزيران ١٩٣٥، الوثيقة رقم ٥٥-٥٦،الملف نفسه، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر تشرين الاول ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١١٤-١١٥، الملف نفسه، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر تشرين الاول ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١٢٨،

H.Katouzain, Op. Cit., p. 126.

[١٢٠] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٦-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر اب ١٩٤٠، الوثيقة رقم ٢١٢،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 145.

[١٢١] يذكر المؤلف الايراني حسن ارفع انه حتى عام ١٩٤١ كان عدد تلاميذ المدارس الابتدائية يبلغون ٢٥٥,٨٣٧ تلميذ مسجلين في ٢٤٢٤ مدرسة اما طلبة المدارس الثانوية فقد بلغ عددهم ٩٣٩٩ في ٣٠١ مدرسة ثانوية. انظر"

H. Arfa, Op. Cit., p. 291.

ظل على الدوام يحتل مرتبة اقل في الاهمية من التعليم الابتدائي. فقد كان الهدف الرئيس لرضا شاه تعليم اكبر نسبة من السكان القراءة والكتابة[١٢٣]. كما ان عدد الدارسين في المدارس الدينية قد تقلص الى حد كبير. وقد شهد التعليم الجامعي تطورا هاما بانشاء جامعة طهران في عام ١٩٣٤ بعد دمج كلياتها الست. وفيما بعد اضيفت اليها خمس كليات جديدة[١٢٤]. وقد تبع ذلك ارتفاع عدد الخريجين الجامعيين، حتى بلغت اعدادهم اكثر من ٣٣٠٠ طالبا لجميع الكليات[١٢٥]. وفي الوقت نفسه زادت اعداد المتخرجين من الجامعات الاجنبية، لاسيما بعد رجوع طلبة البعثات الى البلاد. فحتى عام ١٩٤٠ كان اكثر من خمسمائة من هؤلاء الخريجين قد عادوا و ٤٥٠ كانوا يكملون دراستهم[١٢٦].

وفي مجال تهيئة الكوادر التعليمية ارتفع عدد الكليات الخاصة بتدريب المعلمين الى ٣٦ كلية[١٢٧]. كذلك اسست مدرسة مهنية للفتيات لتدريبهن على الفنون المنزلية[١٢٨]. علاوة على ارتفاع عدد المدارس المهنية التي كان يتدرب فيها عدد كبير من موظفي وزارات الدولة المختلفة بلغ عددهم حتى عام ١٩٤١ (٣٢٠٠) موظفا[١٢٩]. ولاتاحة الفرصة امام البالغين لمواصلة دراساتهم، ممن لم تقبلهم المدارس النهارية، او الذين كانت مشاغلهم اليومية تمنعهم من التعلم والدراسة، تم في عام ١٩٣٦ افتتاح صفوف ليلية خاصة الحقت بالمدارس الابتدائية والثانوية، ووضع برنامج خاص لتعلم هؤلاء. وفي السنة الاولى من العمل بالبرنامج نال ٩٣٥٦ طالبا شهادة محو الامية، وارتفع الرقم الى ما يزيد عن ٥٠ الف شخص في عام ١٩٤٠[١٣٠].

---

[122] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 145.

[123] H.Afra, Op. Cit., p. 29; Forough Shafii, Educational development and other Correlates of Modernization in Iran. Adesripotive Profile, Michigan, 1971, p. 75.

[124] G.Lenczewski, Iran under the Pahlavis, p. 91.

[125] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 145.

[126] Ibid.

[127] H. Arfa, Op. Cit., p. 291; G. Lenczowski, Iran under the Pahlavis, p. 90.

[128] H. Arfa, Op. Cit., p. 291.

[129] H. Arfa, Op. Cit., p. 291; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 145.

[١٣٠] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الاول ١٩٣٦، الوثيقة رقم

وتجدر الاشارة الى ان المناهج الدراسية شهدت تغييرا ملحوظا خلال هذه الفترة، واستبدال بعضها باخرى جديدة. كما اصبحت الفترة اجبارية في المدارس باشراف مدربين عسكريين من الجيش[131].

ومن المفيد ان نذكر ان الحكومة منعت، ومنذ عام ١٩٣٦، كافة المدارس الاجنبية في البلاد من القاء الخطب والاناشيد المدرسية بلغاتها، وتقرر ان يتم ذلك باللغة الفارسية فقط[132]. وفي خطوة اخرى اقدمت الحكومة في عام ١٩٣٩ على فرض سيطرتها على جميع المدارس الاجنبية العاملة في البلاد، وبهذا اصبح التعليم كله يدار من قبل وزارة التعليم الايرانية[133].

بالرغم من اصلاحات رضا شاه التعليمية، الا ان التخلف الثقافي ظل هو الطابع الطاغي على المجتمع الايراني حتى اواخر عهده. وهذا ما كانت تعكسه عدد من المؤشرات. فقد ظل التعليم يحظى بنصيب قليل من الميزانية العامة. فعلى سبيل المثال كانت نفقات التعليم في عام ١٩٢٥ لا تتجاوز ١٠٠ الف باون ارتفعت الى ٣ ملايين باون عام ١٩٤٠، وكانت هذه النسبة ضئيلة جدا قياسا لما هو مخصص للقطاعات الاخرى في الميزانية. وحتى اواخر عهد الشاه فان اقل من ١٠٪ من السكان تلقوا تعليما ابتدائيا، وبالنسبة للتعليم الثانوي كان الرقم دون ذلك بكثير حيث بلغ ١٪ فقط[134]. فعلى سبيل المثال حتى عام ١٩٣٨ كان عدد الطلاب اقل من ربع مليون طالب وهي نسبة ضئيلة جدا قياسا الى عدد السكان[135]. كما ان

٢٢٦، الملف نفسه، تقرير سري من المفوضية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الثاني، ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٢٣٦، محمد رضا بهلوي انقلاب سفيد، ص ١١٦،

G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, p. 91.

[131] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية، الوثيقة رقم ٣٥-٣٦، م. و. و، الملف نفسه، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر تشرين الثاني ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١٥٣.

[132] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر تموز ١٩٣٦، الوثيقة رقم ١٤١.

[133] A.Reza Arasteh, Education and Social Awakening in Iran 1850-1963; Second Edition, Leiden, 1969, p. 166; T. A. Bryson, Op. Cit., p. 88.

[134] H.R.Keddie, Roots of Revolution, p. 108.

[135] M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 322.

الامية ظلت منتشرة بين اكثر من ٩٠٪ من سكان المناطق الفلاحية التي لم تكن نسبة المتعلمين بين ابنائها تكاد تذكر[١٣٦].

وفي حقل الصحة العامة استمرت الجهود في انشاء المستشفيات وادخال الانظمة الصحية الجديدة الى البلاد. فحتى عام ١٩٤٠ ارتفع عدد المستشفيات الى ١٥٠ مستشفى بعضها كان مجهزا بحوالي ٥٠٠ سرير[١٣٧]. وقد اشار تقرير لعصبة الامم في عام ١٩٤١ بان ايران قد نفذت جميع توصيات العصبة لسنة ١٩٢٥ بشأن الوضع الصحي فيها باستثناء تجهيز مياه الشرب للمدن وانشاء شبكة مجار فيها[١٣٨]. ورغم ذلك فقد بقي قطاع الصحة يحظى باهتمام قليل من جانب السلطات. فحتى عام ١٩٣٨ كان مقدار ما خصص للقضايا الصحية لايتجاوز ٢,٣٪ فقط من الميزانية العامة وهي نسبة ضئيلة للغاية[١٣٩]. وكانت العناية موجهة بالدرجة الرئيسة نحو الاهتمام بالمؤسسات الصحية للجيش[١٤٠].

ترتب على التوسع في انشاء المشاريع الصناعية ونمو الادارات الحكومية ان ارتفع عدد سكان المدن بشكل ملحوظ فاختفت فيها الاحياء القديمة ذات المجموعات المغلقة التي اصبحت صيغة من صيغ الماضي. في حين ظهرت تقسيمات سكنية وحكومية اقتصادية وتجارية وصناعية جديدة. فعلى سبيل المثال حسب احصاء عام ١٩٤٠ زاد عدد سكان طهران الى ٥٤٠,٠٨٧ نسمة تبعها تطور خمس مناطق مميزة فيها[١٤١]. وقد انتشرت الخدمات الى اغلب المدن، فالكهرباء، مثلا، امتدت الى معظم المدن الايرانية تقريبا[١٤٢].

---

136 Ibid; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 144.

١٣٧ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آب ١٩٣٥، الوثيقة رقم ٨٩،

H.Arfa, Op. Cit., p. 293.

138 G.Lenczowski, Iran under the Pahlavis, p. 93.

139 M.E.Bonine and N.Keddie, Op. Cit., p. 70.

140 Ibid.

141 P. aVery, Op. Cit., p. 243; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, pp. 147-148.

١٤٢ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في خرم شهر الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آذار ١٩٣٦، الوثيقة رقم ٤٣،

N.R.Keddie, Roots of Revolutions, p. 100.

٦-المؤسسة العسكرية

ظلت المؤسسة العسكرية تحظى باهتمام رئيسي من الشاه، لاسيما بعد ان تعمق النهج الديكتاتوري للنظام، واصبح الجيش الاداة المهمة التي تكفل له الامن والاستقرار. فقد كانت ارقام الانفاق العسكري تتصاعد بوتائر سريعة بحيث غدت في المراحل الاخيرة من حكم الشاه تستنزف الجزء الاكبر من الميزانية العامة. فحتى عام ١٩٤١ كان حوالي ٣٣,٥ من مجموع العائدات موجها للامور العسكرية[١٤٣].

واولي خلال هذه المرحلة اهتمام خاص للصناعة العسكرية، وذلك لتأمين مستلزمات الجيش من العتاد وقطع الغيار والاسلحة. وقد اعتمد في تحقيق ذلك على الخبرة الفنية الاجنبية، لاسيما الالمانية بعد ان توثقت العلاقات بين النظامين الهتلري والبهلوي بعد منتصف الثلاثينات[١٤٤]. ومع ان الصناعة العسكرية[١٤٥] كانت في طور الانشاء، وطاقتها الانتاجية محدودة، فانها شكلت مصدرا مهما في تجهيز الجيش ببعض احتياجاته، خاصة فيما يتعلق بالبنادق ومشاجب السلاح والذخيرة والبنادق الالية وغيرها[١٤٦]. فحتى عام ١٩٣٨ كان معمل انتاج البنادق في طهران ينتج ١٠٠ بندقية شهريا و ٣٠٠٠٠ طلقة سنويا. كذلك انشأ في سلطان آباد بالقرب من طهران معمل لانتاج ذخائر للمشاة بطاقة انتاجية تبلغ ٥٠,٠٠٠ اطلاقة يوميا، وكان من المؤمل ان يرتفع هذا الرقم الى ٤-٥ ملايين اطلاقة في عام ١٩٤١. ووضعت ايضا خطة لانشاء معمل لانتاج المدافع الجبلية عيار ٧,٥ ملم شهريا. علاوة على انتاج الذخيرة الخاصة بها التي تبلغ طاقتها الانتاجية ٧٥٠٠ قذيفة شهريا. وفي بارتشين قرب طهران كان معمل البارود والمتفجرات الاخرى ينتج ٦٠ طنا من بارود البنادق خلال ثمانية اشهر في السنة. اما بالنسبة لانتاج الديناميت فكان يتوقع ان يصل انتاجه السنوي الى ٢٥٠ طنا[١٤٧]. وتجدر الاشارة

---

143 A.Rizvi, Op. Ci.t, p. 220.

144 A.Mahrad, Op. Cit., p. 342; G.Lenczowski, Russia and the West in Iran, p. 155.

١٤٥ للتفاصيل عن الصناعة العسكرية الايرانية بعد منتصف الثلاثينات راجع:
A.Mahrad, Op. Cit., pp. 342-381.

146 Ibid, p. 342.

147 A,Mahrad, Op. Cit., pp. 342-344.

الى انه علاوة على الكادر الاجنبي الذي كان يدير هذه المعامل فقد ساهمت الخبرة المحلية بدورها في هذا المجال، لاسيما وان عددا من مراكز التدريب الصناعية التابعة للجيش، اضافة الى الكلية الصناعية العسكرية، كانت تخرج سنويا اعدادا من الفنيين في الجيش يتوزعون على المصانع والمعامل العسكرية المختلفة[١٤٨]. وقد جرى اهتمام خاص بصناعة الطائرات التي اعتمدت بالدرجة الاساسية على الخبرة الفنية الانكليزية. فقد انشأ الانكليز، بناء على طلب من الشاه معملا لهذا الغرض في شمال طهران كانت تصنع فيه جميع اجزاء الطائرة، ماعدا محركاتها التي كانت تجلب من انكلترا[١٤٩]. واسس فرعان لهذا المعمل في مدينتي تبريز والاحواز. وكانت مدرسة الطيران في طهران تخرج سنويا ٢٥ ضابطا يوزعون على المناطق المهمة، وبضمنها المعامل الخاصة بصناعة الطيران[١٥٠]. وفي العام ١٩٣٨ طرح الايطاليون فكرة توسيع معامل الاسلحة الجوية في طهران وذلك بمعاونة احد البنوك الايرانية، بيد ان الفكرة لم يكتب لها النجاح لاعتماد الايرانيين الرئيس على الانكليز في هذا المضمار[١٥١]. ومن المفيد ان نشير الى ان العديد من المصانع المدنية كان يمكن توجيه انتاجها لخدمة المستلزمات العسكرية للجيش[١٥٢].

ورغم الاهتمام الذي حظيت به الصناعة العسكرية، فانها كانت غير كافية لسد احتياجات الجيش في وقت السلم، لذا فانها ظلت تعتمد في التسليح والتجهيز على الاستيرادات من الخارج. وهو الامر الذي كان يشكل مشكلة كبيرة لايران في حالة توتر علاقاتها مع الانكليز والسوفيت، لان طرق الاستيراد بالنسبة لايران كانت

---

[١٤٨] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٩٨٩-وع، ترجمة مقال جريدة (ايران)، الوثيقة رقم ٦-٧، م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، كتاب سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٤٤/١١٦ في ٢٧ آذار ١٩٣٨، الوثيقة رقم ١٢١.

[١٤٩] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، كتاب سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٤٤/١١٦ في ٢٧ آذار ١٩٣٨ حول الطائرات الايرانية الوثيقة رقم ١٢١.

[١٥٠] الملف نفسه، الوثيقة نفسها.

[151] F.O., 371/21900, Confidential, E7752, From L. Baggllay to F.O., December 23, 1938, p. 150.

[152] A,Mahrad, Op. Cit., p. 382.

محدودة، وتخرج من نطاق سيطرتهما، وقد برز هذا التأثير واضحا خلال سنوات الحرب العالمية الثانية[١٥٣].

ولتعزيز سلاح الجيش اتجهت ايران الى استيراد الاسلحة المختلفة التي بدأت تتدفق على البلاد بكثرة ومن مناشيء اجنبية متعددة[١٥٤]. فقد قامت في عام ١٩٣٤ باستيراد اكثر من ٣٠ طائرة من بريطانيا مع عشر طائرات اخرى من الاتحاد السوفيتي. وبعد عامين اتفقت مع السوفيت على تزويدها بمدافع وطائرات واسلحة خفيفة قدرت قيمتها بحوالي ٤٥٠٠٠٠ ليرة استرلينية على ان تسدد الحكومة الايرانية هذا المبلغ مقابل كميات معينة من الحنطة تصدرها الى الاتحاد السوفيتي[١٥٥].

كذلك جرى الاتفاق مع الحكومة الجيكوسلفاكية في عام ١٩٣٨ لشراء ٢٠٠,٠٠٠ بندقية و ٥٠٠,٠٠٠ اطلاقة للاسلحة الخفيفة من مصانع (سكودا) التي كان لها دور مهم في الصناعة العسكرية الايرانية[١٥٦]. وفي الوقت نفسه تم الاتفاق مع السلطات الفرنسية لتجهيز الجيش الايراني بانواع مختلفة من الاسلحة، لاسيما مدافع (FRENCH MORTARS)[١٥٧].

وقد ترتب على الاهتمام البالغ الذي اولي للجيش ان تزايدت اعداده بشكل كبير حتى بلغ في نهاية عهد رضا شاه نحو ١٥٠ الف جندي منظمين في ١٨ فرقة تحوي نحو ٢٥ لواء من الفرسان و ١٥ لواء من المشاة و ١٢ كتيبة مدفعية. علاوة

---

[153] Ibid, p. 356.

[١٥٤] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير سري للغاية من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الاول ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١٦٨،

A.Mahrad, Op. Cit., p. 343.

[١٥٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقريرمن القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٦، الوثيقة رقم ٧٨،

H.Amirsadeghi, Op. Cit., p. 33.

[156] F.O., 371/219oo, Confidentian, Tel. No. 66, E1392, From British Legation in Tehran to F.O., February 18, 1938, p. 9.

[157] F.O., 371/219oo, Confidential, E7752, From L. Bagglay to F.O., December 23, 1938, pp. 15-16.

على جنود القناصة واللاسلكي وغيرهم. اما سلاح الطيران فقد كان يحوي عددا كبيرا، نسبيا من الطائرات[١٥٨].

وعلى الرغم من العناية الفائقة التي اوليت للجيش فانه لم يبلغ المستوى الذي يخدم طموحات الدكتاتور البهلوي. فقد كان هذا الجيش يحمل بذور ضعفه في داخله.

فقد استمرت اساليب التدريب دون المستوى المطلوب، علاوة على سوء المعاملة التي كان يعانيها الجنود من قبل ضباطهم وامرائهم، وقلة الغذاء والملابس، وفقدان وسائط النقل الكافية[١٥٩]. والاهم من ذلك كله ان هذا الجيش لم يكن عقائديا، فباستثناء كبار الضباط الذين كانت مصالحهم الشخصية ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام البهلوي، فان القاعدة العريضة من الجنود لم يكن يربطها بهذا النظام شيء من ذلك[١٦٠]. وقد تجلى اثر هذه العوامل عند نشوب الحرب العالمية الثانية عندما القى هذا الجيش سلاحه بعد ايام من غزو الحلفاء ايران تاركين الشاه يواجه مصيره لوحده.

٧-تعميق النهج اللاديمقراطي في الحكم

لم يطرأ اي تغيير على سياسة النظام خلال النصف الثاني من الثلاثينات بل العكس هو الصحيح. فقد تعمق النهج اللاديمقراطي للحكم البهلوي. كما ان التغييرات التي جرت في النظام الاجتماعي الاقتصادي في المجتمع الايراني ابان تلك المرحلة قد وجدت انعكاساتها السياسية في ظهور وتنامي النزعات الرجعية للنظام الدكتاتوري الذي اصبح هدفه الوحيد تثبيت ركائزه، وقمع الحركة الديمقراطية في البلاد[١٦١].

وكان البناء السياسي الذي شيده رضا شاه قد قوى من النفوذ الاقتصادي والسياسي للاقطاعيين وكبار البرجوازيين الذين اصبحت لهم مواقع متقدمة في

---

[١٥٨] "الحوادث" (جريدة). بغداد، ١ ايلول ١٩٤١.

[١٥٩] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥، التسلسل ٧٣٦-وع، كتاب سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية برقم ١٣٨/٤٩١/٢/٢ في ٧ ايلول ١٩٤١، الوثيقة رقم ٢٢٤.

[160] F.O., 371/16949, The Future of Persia, October, 1931, p. 22.

[161] S.L. Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, p. 243.

السلطة والجهاز الحكومي[١٦٢]. وقد نجح رضا شاه في شل نشاطات الاحزاب السياسية بعد قمعها من قبل جهازه البوليسي[١٦٣]. وعلى الرغم من ان الواجهة البرلمانية ظلت مصانة، بيد انها كانت قد فقدت روح الاستقلال. فقد اصبح لاعوانه من ملاك الاراضي والبيروقراطيين المنحدرين من عوائل ارستقراطية تمثيل واسع في المجلس، مما كان يؤكد المثل السائد بين الايرانيين بان ٣٠٠ عائلة تسيطر على ايران[١٦٤]. فعلى سبيل المثال ارتفعت نسبة ملاك الاراضي الى ٢٦٪ خلال المجلس الثاني عشر بعد ان كان عددهم لايتجاوز الـ ١٢٪ في المجلس الرابع. ومع الموظفين الكبار ورجال الاعمال من خارج البازار، كانوا يؤلفون ٨٤٪ من نواب المجلس[١٦٥]. ولما كان الجيش، ولاسيما الجندرمة الوسيلة او الاداة الحاسمة لقمع معارضة وتثبيت اركان النظام الدكتاتوري، فقد انصبت جهود رضا شاه في اواخر عهده، والى حد كبير نحو تقويته. فخلال الثلاثينات كانت الحكومة تخصص سنويا حوالي مليونين من الجنيهات الاسترلينية لشراء الاسلحة والمعدات العسكرية[١٦٦]، عدا المخصصات السرية التي كانت تذهب معظمها لتطوير جهاز القمع البوليسي[١٦٧].

وفي سبيل ضمان ولاء هؤلاء، فقد عمل رضا شاه كل شيء من اجل الحفاظ على اخلاصهم. ففي عهده حصل الكثير من الضباط ذوي الرتب العالية على نفوذ وثراء كبيرين، لابل ان هذا الامر شمل حتى ضباط الصف والجنود والجندرمة الذين كانوا متميزين بصورة عامة مقارنة بمواقعهم[١٦٨]. كذلك فان الفئة البيروقراطية التي اعتمد عليها رضا شاه بدرجة كبيرة منذ مجيئه للعرش، قد نمت وتحدثت بسرعة فائقة

---

[162] Ibid.

[163] R.Cottam, Political Party Development in Iran, Iranian Studies, Vol. I, No. 3, Winter, 1967, p. 93.

[164] P. Manafield, Op. Cit., p. 264; A. Rizvi, Op. Cit., p. 227; M.S. Ivanov, Op. Cit., p. 328.

[165] E.Abrahamian, Ira between two Revolutions, pp. 149-150.

[166] "Sovremenay Iran", p. 155.

[١٦٧] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٦، والوثيقة رقم ٧٨.

[168] N.R.Keddie, Iran. Religion, Politics and Society, p. 154; N.R.Keddie, Roots of Revolutions, p. 100.

وبشكل مخيف. فمن الخمسين وزيرا الذين شغلوا ٩٨ منصبا وزاريا في عشر وزارات بين كانون الثاني ١٩٢٥ واب ١٩٤١، كان ٣٧ منهم ينتسبون الى عوائل بيروقراطية تملك القابا، وعوائل ارستقراطية[١٦٩]. وغدت هذه البيروقراطية في اواخر عهده مثالا للفساد والوساطة وعدم الشعور بالمسؤولية، رافقتها المركزية الشديدة التي جعلت كل القرارات تتركز في طهران[١٧٠]. وفي محاولته لضمان السلطة المركزية، وفي المرحلة الاخيرة من حكمه لجأ الى هدم الحدود الاقليمية التي كانت قائمة من قبل[١٧١].

فقد كان واضحا ان بقاء الاقاليم في قبضة حكام محليين بصفتهم المتصرفين النهائيين بشؤونها امر لايمكن الركون اليه طويلا والاستمرار فيه، فلربما كان هذا الامر بنظر رضا شاه يفضي الى امكانية كسب نفوذ او سلطة مستقلة من جانب اولئك الحكام، وهو امر ما كان يتفق مع نزعته الدكتاتورية التي كان يروم فرضها على كل شبر من البلاد[١٧٢]. ففي عام ١٩٣٨ جرى تقسيم اداري جديد قسمت بموجبه البلاد الى (٤٩) شهرستان (قضاء) ضمت (١٠) اوستانات (محافظات). وقد كانت المقاطعات الجديدة التي انشأت تختلف في حدودها وتقسيماتها كثيرا بحيث انها كانت تعطي انطباعا وكأنها وحدات جديدة وليست مقاطعات قديمة بمسميات جديدة[١٧٣]. والواقع ان رضا شاه كقومي متطرف كان يروم من خطوته هذه، علاوة على فرض سيطرة مركزية قوية طمس اية نعرة اقليمية او ذاتية للاقاليم المختلفة في البلاد[١٧٤].

وقد تجلى ذلك بوضوح في تقسيمه الاداري الجديد، فان كثيرا من الاقاليم التي كانت تاريخيا تحتفظ بخصائص ذاتية تميزها عن مناطق اخرى من البلاد قد تم نحتها[١٧٥] او دمجها مع مقاطعات اخرى لكي تلغي والى الابد اي شعور بالتمايز او

---

[169] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 150.

[170] N.R.Keddie, Iran, Religion, Politics and Society, p. 154.

[171] R.Cottam, Op. Cit., p. 98; “Sovremenay Iran”, p. 155.

[172] R.Cottam, Op. Cit., p. 98.

[173] Mehdi Mozafari, L’Iran, Paris, 1978, p. 150; R.Cottam, Op. Cit., p. 98; “Sovremenay Iran”, p. 155.

[174] R. Cottam, Op. Cit., p. 98.

[١٧٥] من الجدير بالذكر ان التقسيم الاداري لعام ١٩٣٨ سبقته تقسيمات ادارية اخرى كانت تمهيدا للخطوة التي اقدم عليها الشاه في عام ١٩٣٨، ويمكن تلمس ذلك من خلال التقسيم الاداري الذي

الاختلاف[١٧٦]. ولم يعد حكام الاقاليم او المقاطعات الجديدة تربطهم بسكانها سوى موقعهم الوظيفي النابع من تمثيلهم للسلطة المركزية في طهران. وتحول اولئك الحكام من اعوان الشاه الى مجرد "سعات كبار، وظيفتهم نقل الحوادث والامور الى المركز للنظر فيها ولتلقي اوامره بخصوصها"[١٧٧]. ونجم عن هذه المركزية الشديدة التي جعلت طهران مركز القرارات السياسية والاقتصادية، ظهور بوادر فوضى جلية في الادارات الحكومية في الاقاليم[١٧٨]. فقد كان "يحدث ان يتطلب البحث في امر ما، وهو بسيط، الانتظار شهورا حتى تأتي الاوامر من العاصمة بخصوصه. وهذه الطريقة قد احدثت نوعا من الانحلال في سلطات الادارات، وانتجت فوضى بينة في معالجة الامور العامة في خارج العاصمة"[١٧٩]. علاوة على ان التداخل بين سلطات حكام الاقاليم والقادة العسكريين فيها، الذين حصروا الامور بايديهم، لاسيما في المرحلة الاخيرة من حكم الشاه قد خلقت حالات من التنافر بين الطرفين نجم عنها ارباك وفوضى شديدين. فلم يكن حكام الاقاليم من المدنيين يستوعبون رؤية هؤلاء القادة يحصرون جميع السلطات في الاقليم بهم، هذا من جهة. ومن جهة ثانية لم يكن بامكان اولئك الحكام ابداء اعتراضهم على وجود هؤلاء، لانهم (القادة العسكريون) كانوا يعينون مباشرة من قبل رضا شاه نفسه[١٨٠]. وهكذا غدا رضا شاه خلال الستة عشر عاما التي حكم فيها ايران قابضا على الامور فيها بيد من حديد بعد ان كان

فرض على اراضي البختيارية. للتفاصيل راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٢/١، التسلسل ٧٢٠-وع،تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آذار ١٩٣٧، الوثيقة رقم ١٤٧-١٤٨.

176 R.Cottam, Op. Cit., pp. 98-99; N.R.Keddie, Iran, Religin, Politics and Society, p. 108.

١٧٧ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من مفوضية العراق الملكية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٢٩٥ في ٢٢ حزيران ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٠٨.

178 N.R.Keddie, Iran, Religion, Politics and Society, p. 154.

١٧٩ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من مفوضية العراق الملكية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية رقم ٢٩٥ في ٢٢ حزيران ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٠٨.

١٨٠ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آيار ١٩٣٥، الوثيقة رقم٨.

يشخص، وبسرعة متناهية، مكمن التهديد الحقيقي في مساعيه الرامية الى تحقيق هيمنة شاملة. فقد كان دوما يستبق مناوئيه واعدائه في العمل، محددا التوقيت والمكان المناسبين للمواجهة، ترافقها قدرة فائقة على كتمان الخطط والاراء وبشكل مدهش تفاجيء الاصدقاء قبل الاعداء وغالبا ما كان يخرج ظافرا من تلك المواجهة[١٨١].

وقد ادت المركزية الشديدة، والتي كانت احدى مساويء العهد البهلوي الى فقدان العديد من المدن والاقاليم لاهميتها السابقة. وقد تجلى ذلك بصورة واضحة في انتهاج رضا شاه لسياسة مركزية في المجال الاقتصادي، والتي اثارت مشاعر الاستياء لدى فئات عديدة، ولا سيما الطبقة الوسطى. فان الاقتصاد المركزي دمر الاسواق في الاقاليم وجعل طهران تصبح بمثابة مخزن لتصريف الاقتصاد الايراني ومركز التجارة[١٨٢]. ومن طهران كانت الحكومة تفرض سيطرتها على التجارة الخارجية واحتكارات السكر والتبغ والشاي. كذلك كانت مشترياتها تتمركز في طهران وكانت التجهيزات تبعث الى الاقاليم من العاصمة[١٨٣]. وحتى عندما تم تشييد خط سكة حديد (TRANS IRAN) فان طهران كانت الوحيدة التي فتحت خطا حديديا يربطها بمناطق البلاد المختلفة، علاوة على نهاية الخط في الشمال عند سواحل بحر قزوين، وجنوبا على سواحل الخليج العربي[١٨٤]. وقد ترتب على ذلك ان هاجرت اعداد كبيرة من الطبقة الوسطى، لاسيما التجار، من الاقاليم الى طهران[١٨٥]. وعلى الرغم من ان اجراءات رضا شاه في هذا المجال قد ادت الى تطوير الحياة التجارية، فانها ساهمت في عرقلتها ايضا. فان تركيز الاعمال في طهران قد قاد الى تعطيل المراكز التقليدية الاخرى شأن تبريز واصفهان في حين تقلصت مراكز تجارية اخرى[١٨٦]. وقد لخص القنصل الانكليزي في تبريز في تقرير سري

---

181 D.A.Rustow, Middle Eastern Political Systems, New Jersey, 1970, p. 60.

182 R.Cottam, Op. Cit., p.99; N.R.Keddie, Iran. Religion, Politics and Society, p. 155; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 151.

183 R.Cottam, Op. Cit., p. 99.

184 Ibid.

185 Ibid.

186 Ibid.

الى وزارة الخارجية الاثار التي تركتها هذه المركزية الشديدة في الاقتصاد، وما نجم عنها من شل للحياة الاقتصادية في اسواق الاقاليم، فقد ذكر ما نصه: "ان استكمال جسد عضوي في مجتمعات مختلفة واحيانا مستقلة مثل اذربيجان، يربط بشكل مصطنع غير حقيقي موارد هذا القاطع مع غيره من القواطع. وهذا يعني انه اذا حلت الكارثة فأنها تستطيع ان تدبر امرها بشكل جيد. فالشمال يشعر بان الجنوب محكوم بوثائق رهيبة وبان هذا الجنوب سيسحب الشمال معه نحو الدمار. وبالطبع فان الشاه هو المسؤول عن هذا الربط، وهو لا يخرج له غير ذلك، فبالاضافة الى طبيعة ممارساته، فانه ملزم ان يفعل ذلك بسبب امواله الشخصية التي جمعها"[١٨٧]. كما اسهمت الاستثمارات الجديدة في المجالات الصناعية والتجارية الممولة من قبل الدولة والاحتكارات الحكومية في نمو فئة تجارية وصناعية ارتبطت بالبلاط وهيمنت بشكل كبير على النشاطات التجارية في البلاد، الامر الذي كان مثار استياء شديد لدى اصحاب المهنة القدامى الذين نظروا الى هؤلاء كأغنياء جدد متنعمين. فخلقت تلك الاجراءات وضعا مؤذيا للتجار في القطاع الخاص وادت بالعديد منهم الى اشهار افلاسهم[١٨٨]. وقد ادت الضرائب المرتفعة على الدخل والمواد الاستهلاكية الى تذمر التجار واستيائهم. وبات العديد منهم يتذمرون حتى من مشروع (TRANS IRAN)، بل من الجيش باعتبارهما من الامور المكلفة للغاية[١٨٩]. ولم تقتصر اثار تلك الاجراءات على التجار فقط، بل ان ظهور ونمو

---

187 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 151.

١٨٨ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف رقم ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهري تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٨٤،

e.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 151; R.Cottam, Op. Cit., p. 99.

١٨٩ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف رقم ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-، تقرير سري من القنصلية العراقية الملكية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الاول ١٩٣٤، الوثيقة رقم ٤١، م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف رقم ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهري تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٨٤،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 151.

مصانع النسيج الحديثة ادى الى تدمير العديد من الورش الحرفية التقليدية[190]. وبذا فان رضا شاه قد ساهم بنفسه الى حد كبير في خلق جو ادى الى ان يفقد مساندة الطبقة الوسطى التقليدية له.

لم تكن اجراءات رضا شاه الاقتصادية هي الوحيدة التي اثارت استياء فئات عديدة في المجتمع الايراني ضده. فان اجراءاته العلمانية الاخرى، وتطرفه في تطبيقها، من قبيل نزع الحجاب الاجباري بالنسبة للمرأة، والقوانين الحديثة في مجال القضاء، والخطوات الجريئة التي تمت بشأن تحجيم المؤسسة الدينية، كل ذلك خلق كرها واستياءا عاما بين رجال الدين وابناء الطبقة الوسطى والعديد من المفكرين. وقد تفجر هذا الاستياء في عامي ١٩٣٥-١٩٣٦، وكانت الشرارة التي اوقدتها هي فرض رفع الحجاب عن المرأة وارتداء الرجال القبعة الغربية[191]. ففي ١٠ تموز ١٩٣٥، الذي صادف ذكرى القصف الروسي لمسجد مشهد عام ١٩١١، استغل خطيب الجامع هذه الذكرى المؤثرة لنبذ (الحكم الضال) والشكوى من الضرائب المرتفعة والانحراف في شتى مرافق الدولة واجهزتها. وفي اليوم التالي اجتمعت اعداد كبيرة من الناس وسارت نحو الجامع هاتفه بشعارات معادية للنظام البهلوي ونعتت رضا شاه بـ (الشاه الشرير). وقد اوعزت السلطات الى الشرطة المدنية بتفريق الجموع التي اجتمعت بالمسجد، لكن الشرطة رفضت تدنيس حرمة المسجد. وقد استمر الوضع متوترا مدة يومين لم تستطع السلطات خلالهما معالجة الموقف. وفي اليوم الثالث وصلت تعزيزات عسكرية من اذربيجان. وفي المواجهة التي تمت بين الطرفين قتل اكثر من مائتي شخص، بمن فيهم عدد من النساء والاطفال، وجرح اكثر من مائتي شخص. وبعد فترة اعدم سدنة المسجد، كما تم اعدام ثلاثة من الذين رفضوا ضرب الجموع بالنار[192]. وعلى الرغم من ان المعارضة تراجعت امام قوة السلاح، بيد ان تلك المواجهة الدامية وسعت الهوة بين الشاه واوساط عديدة كانت حتى وقت قريب

---

[190] E.Abrahanian, Iran between two Revolutions, p. 151.

[191] Ibid, p. 152.

[192] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف رقم ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٥-وع، كتاب سري من المفوضية العراقية في كابل المرقم ١٢/٤٨/١/٢ والمؤرخ في ١٩٤١/٢/٥، الوثيقة رقم ١٤،
E.Abrahamian, Iran netween two Revolutions, p. 152.

محسوبة عليه. وقد علق القنصل البريطاني في المدينة على الوضع قائلا: "المذبحة في مشهد لايمكن ان تنسى بسرعة، والمعارضة قد تنفجر مرة اخرى في لحظة مؤاتية، واشعر ايضا بتساؤل جدي يدور في الاوساط المدنية والعسكرية مفاده هل ان الشاه يسير على الخط الصحيح بافعاله تلك"[١٩٣].

لم تقتصر مشاعر السخط والاستياء على الفئات المذكورة، بل امتدت لتشمل حتى الطبقة الوسطى الحديثة التي تألفت من الجيل الجديد من المثقفين، علاوة على مثقفي الجيل القديم الذين ساندوا تأسيس النظام الجديد، لاسيما وان الاهداف التي كان الشاه يروم تحقيقها في مركزية الدولة وعلمانية المجتمع والقضاء على التسيب الاقطاعي والعشيري كانت قد صادفت هوى في نفوس هؤلاء بيد ان هؤلاء سرعان ما خابت امالهم تدريجيا حينما وجدوا ان تلك الاجراءات انما كانت وسائل على طريق اقامة نظام دكتاتوري تحت هيمنة الشاه يفضي الى منع اي نشاط سياسي او فكري حتى ولو كانت تنحو منحى اصلاحيا[١٩٤].

اما المثقفون من الجيل الجديد فقد باتوا ينظرون الى الشاه "ليس كباني دولة، انما كمؤسس لأمبراطورية جديدة لاغراض شخصية، وليس كمصلح حقيقي يتحدى القوى التقليدية، وانما كاوتوقراطي يعمل على تقوية الطبقات العقارية المحافظة"[١٩٥]. فقد كان رضا شاه قد نجح ومنذ البداية، في ان يخدع الجميع ويموه على الكل اهدافه الحقيقية باسلوب ديماغوغي لم يخل من كثير من الذكاء.

وقد دفعه انفراده بالسلطة في السنوات الاخيرة الى الاستبداد على نحو متطرف، كما انه غدا قاسيا على نحو مروع. فحتى القلة القليلة التي استمرت في مساندته لم تسلم من بطشه. فان دافار، وزير مالية الشاه، والمسؤول الاول عن الاصلاحات القضائية التي تمت في بداية عهد الشاه، اعلن فجأة في عام ١٩٣٧ عن موته (بالسكتة القلبية)، بينما كانت الحقيقة انه كان قد انتحر لوجود عجز هائل في ميزانية الدولة بسبب الفشل الذي اصار مشروع الاحتكار وقانون العملة الاجنبية، ولم يكن الشاه يتوانى عن جعله كبش فداء للفشل الذي اصاب تلك المشاريع لذا

---

193 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 152.
194 Ibid, p. 153.
195 Ibid.

فضل دافار الانتحار على ان يساق الى السجن ليموت فيه مقتولا او مسموما كما حدث لتيمور طاش، وسردار اسعد وغيرهما[١٩٦]. وقد توفي الامير فيروز ابن فرمان فرما (نصرت الدولة) في منفاه في احدى القرى في ضواحي طهران اثناء نقله اليها وهو مريض ودارت اشاعات مفادها ان ظروف وفاته كانت مريبة[١٩٧]. اما حسن تقي زادة، احد انصار الشاه في بداية تسلطه، فقد كان سفير الشاه في لندن ومن ثم وزير ماليته، ولعب دورا مؤثرا اثناء المفاوضات النفطية عام ١٩٣٣، ومن ثم اصبح سفير الشاه في باريس حيث رفض العودة الى البلاد مقدما شتى التبريرات بعدما رأى ما آل اليه مصير زملائه على يد الشاه[١٩٨].

ورغم القمع الذي مارسته السلطة البهلوية ضد القوى الديمقراطية، فقد استمرت معارضة هذه الفئات، وكانت تظهر بين اونة واخرى عن طريق الاضرابات او تشكيل مجموعات فكرية على الرغم من ان القانون الذي سن عام ١٩٣٢ كان قد وضع اساسا لتحريم مثل هذه النشاطات. ففي عام ١٩٣٤ نظم طلبة كلية الطب اضرابا تمكنوا فيه من ازاحة العميد المعين من قبل الحكومة[١٩٩]. وفي عام ١٩٣٦ اضرب ٣٠٠ طالبا من طلاب البعثات الحكومية في كلية المعلمين احتجاجا على طلب حكومي يفرض عليهم العمل في ادارات الدولة لقاء مرتبات ضئيلة كانت لاتتناسب مع التضخم المالي الذي كانت تشكو منه البلاد[٢٠٠].

---

[١٩٦] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف رقم ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، كتاب (مكتوم) من القنصلية الملكية العراقية في خرم شهر المرقم ٩٢ والمؤرخ في ١٩٣٧/٢/١٧ حول موت وزير مالية ايران، الوثيقة رقم ٢١٨،

D.N.Wilber, Riza Shah Pahlavi, p. 178.

[١٩٧] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف رقم ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الثاني سنة ١٩٣٨، الوثيقة رقم ١١٦.

[١٩٨] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف رقم ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، كتاب سري من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية برقم ٧٠٨ وتاريخ ١٩٣٥/٦/٢٠ حول النواب الايرانيين المعتقلين، الوثيقة رقم ١٣،

H.Amirsadeghi, p. Cit., p. 29; A.Millspaugh, Amercans in Persia, p. 37.

[199] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 155.

[200] Ibid.

كما اضرب طلاب كلية القانون في عام ١٩٣٧ واغلقوا كليتهم احتجاجا على المصاريف الكثيرة التي تم انفاقها لتهيئة الجامعة لزيارة ولي العهد، واحتجوا قائلين بانه في الوقت الذي كانت فيه غالبية القرى تفتقر الى التعليم، تم صرف ١٢٠,٠٠٠ ريال لرش دهاليز الجامعة بالعطور[٢٠١]. كما تم في العام نفسه القاء القبض على عشرين خريجا جامعيا بتهمة (الفاشية) والتآمر على حياة الشاه، وقد اعدم قائد المجموعة سرا وهو محام في السادسة والعشرين من عمره[٢٠٢]. بيد ان اهم الاعتقالات التي جرت خلال هذه الفترة هي قيام الشرطة باعتقال (٥٣) رجلا اتهمتهم بتأليف جمعية سرية اشتراكية، والتعاون مع بعض الاتحادات النقابية المحظورة، واصدار بيان حول الاول من ايار، وترجمة كتابات محظورة[٢٠٣] وقد اشتهرت هذه المجموعة بإسم مجموعة الـ(٥٣) فرد على الرغم من ان خمسة من المعتقلين قد تم اطلاق سراحهم. اما الباقين فقد تمت محاكمتهم وصدرت احكام مختلفة بحقهم. فقد تم نفي ثلاثة منهم الى الاقاليم، وعشرة منهم حكموا بمدد تتراوح بين ٣-٤ سنوات، وحكم على ١٧ منهم لمدة خمس سنوات، وثمانية منهم ست سنوات، وعشرة اخرين نالوا احكاما طويلة بلغت عشر سنوات. وقد علق الوزير المفوض البريطاني على هذه الاحكام قائلا بانها اكثر واعنف من ان تفرض "ما لم يكن هناك اكثر من جمعية طلابية للنقاش والحوار"، وذلك يعكس "انعدام شعبية النظام وعدم محبة الناس له" ويهدف الى "اذاعة انذار واضح لكل التيارات اليسارية الاخرى"[٢٠٤].

---

201 Ibid.

202 Ibid

٢٠٣ اتهم افراد المجموعة بان لهم ارتباطات خارجية، وانهم اداة بيد السوفيت للتغلغل داخل صفوف الايرانيين، وهو الامر الذي انكره السوفيت تماما وادى الى توتر العلاقات بينهم وبين ايران. للتفاصيل انظر:

F.O., 371/21896, Tel. No. 366, E7444, From British Legation to F.O., No. 19, 1938, p. 237.

٢٠٤ للتفاصيل حول هذا الموضوع راجع "دنيا" (مجلة) دوره دوم، شماره دوم، سال يازدهم، تابستان سال ١٣٤٩، ص ١٤، (دنيا) (مجلة) بخش دوم، شماره ٢١، مرداد ماه ١٣٥٠، ص ١٣، ابو القاسم لاهوتي، المصدر السابق، ص ٨٣،

الشخصية الرئيسة من بين المعتقلين كان تقي ايراني، احد المثقفين الاذريين الذي نشأ في طهران، وقد اكمل دراسته في دار الفنون والكلية الطبية. وكان من المتفوقين الاوائل. ففاز ببعثة دراسية من الحكومة الى المانيا، وهناك اطلع على افكار الاشتراكية ودرس مؤلفات روادها الاوائل، وعندما رجع الى طهران عين استاذا لتدريس الكيمياء في جامعتها، وكون فيها مجموعة للنقاش واشترك مع زملاء له كانوا يدرسون في اوربا في اصدار مجلة فكرية باسم "دنيا" كانت ذات مستوى اكاديمي رفيع. وفجأة اعتقل مع مجموعة من زملائه في عام ١٩٣٧ حينما اتهم باصدار بيان حول الاول من ايار وخرق قانون عام ١٩٣١ بتأليف مجموعة مناهضة. وقد نال ايراني حكما من الحد الاعلى بلغ عشر سنوات من الحكم الانفرادي، لكنه ما لبث ان توفي في السجن بعد ١٦ شهرا. وقد اعلنت ادارة السجن انه اصيب بالتيفوس، في حين ان المعارضة اتهمت الحكومة بقتله اما المثلية البريطانية فقد ذكرت "بانه اصيب باثار مميتة من المعاملة السيئة التي اودت به"[٢٠٥]. المجموعة المتبقية التي خرجت من السجن بعد تنازل رضا شاه عن العرش كونوا نواة حزب "تودة" "الشعب" الماركسي، واصبح تقي ايراني الاب الروحي للحزب.

امتد قمع الحكم البهلوي للطبقة العاملة ايضا التي ابدت نشاطا ملحوظا في الثلاثينات. وعلى الرغم من ان رضا شاه قمع الحركة العمالية على المدى القصير، الا انه ساعد على نموها، دون قصد، على المدى البعيد[٢٠٦].

فان تحديث الاقتصاد، لاسيما الصناعة، اسفر عن نشوء طبقة عاملة صناعية حديثة وساخطة في الوقت نفسه. فقد استمرت ساعات العمل الطويلة، والاجور المنخفضة وظروف العمل غير الصحية والضرائب التي كانت تثقل كواهل العمال، علاوة على ان العاملات كن يتلقين اجورا اقل من الرجال بمقدار مرتين، والاطفال

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, pp. 155-142, Ashrafi Mehdi, Political Partics in Iran 1941-1975, London, 1979, p. 30; S.Zabin The Communist Movement in Iran, California, 1966, p. 65.

٢٠٥ "دنيا" (مجلة)، بخش دوم، شماره ٢١، مرداد ماه ١٣٥٠، ص ١٣،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 155; S.Zabin, Op. Cit., p. 65.

٢٠٦ يرفند ابراهيميان، عوامل القوة والضعف في الحركة العمالية، ص ٧٢.

اقل من النساء بمقدار مرتين ايضا[٢٠٧]. ولم تكن هناك قوانين او انظمة تحمي حقوق العمال. بيد ان النمو التدريجي في حجم القوى العاملة، لاسيما الصناعية منها، تطلب انشاء تنظيم معين يستجيب لمطاليب العمال. وقد اضطرت الحكومة في عام ١٩٣٥ الى انشاء مؤسسة مستقلة سميت "المديرية العامة للصناعة والمناجم"[٢٠٨]. وقامت هذه المؤسسة باعداد وثيقة تحت عنوان "قوانين تنظيم المؤسسات الصناعية" وقدمتها الى مجلس الوزراء الذي وافق عليها في عام ١٩٣٦. واحتوت الوثيقة على بنود تتعلق بتوفير متطلبات السلامة للعمال ضد حوادث العمال، والصحة وتعويض العمال والتزامات كل من العمال والادارة[٢٠٩]. غير ان تلك البنود بقيت خارج نطاق التطبيق، فلم تكن هنالك اية مراقبة فعالة من جانب السلطات الحكومية تضمن تنفيذ تلك البنود. والبنود الوحيدة التي نفذت هي التي تعلقت بحظر الاضرابات والنقابات العمالية باعتبارها نشاطات خارجة على القانون. وبقي وضع العمال كما كان عليه الحال سابقا[٢١٠]. ولفتت تلك الاوضاع حتى نظر القنصل البريطاني في تبريز الذي وصفها قائلا "نحن في مرحلة انتقالية ما بين القديم والجديد. العامل يفقد صلته مع مشغله والكثير من اعتزازه بالناتج النهائي لعمله. ولحد الان ليست هناك ضوابط للاصابات او العطالة عن العمل، وذلك عوضا عن التعامل الخلقي الذي كان موجودا قديما في اعراف العمل... لقد فرض رضا شاه نفسه على التقليد العرفي للصناعة"[٢١١].

ولقطع الطريق على اي تحرك عمالي سنت الحكومة في عام ١٩٣٦ قانونا منعت بموجبه الاضرابات بصورة كلية، وتم زج ١٧ شخصا من قادة النقابات في السجن لم يخرجوا منه الا بعد تنازل الشاه عن العرش[٢١٢].

---

[٢٠٧] للتفاصيل راجع: يرفند ابراهيميان، عوامل القوة والضعف في الحركة العمالية ص ٧٢، M.S.Ivanov, Op. Cit., p. 321; N.R.Keddie, Iran. Religion, Politics and Society, p. 101; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 162.

[٢٠٨] د. فريدون فيروزي، المصدر السابق، ص ٨٤-٨٥.

[٢٠٩] المصدر نفسه، N.R.Keddie, Iran. Religion, Politics and Society, p. 101.

[210] N.R.Keddie, Iran. Religion, Politics and Cosiety, p. 101.

[211] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 163.

[212] “Sovremenay Iran”, p. 96.

وبهذه الطريقة قمعت الحركة العمالية في البلاد بشكل كامل تقريبا. لذا ليس مستغربا ان الحركة العمالية شهدت تراجعا ملحوظا في اواخر عهد الشاه بيد ان العمال استمروا في التعبير عن استيائهم بشكل علني احيانا. ففي عام ١٩٣٤[٢١٣]، وبعد سنتين فقط من انتهاء العمل باول خط حديدي من خطوط (TRANS IRAN) اضرب اكثر من ٨٠٠ عامل في سكة الحديد في مازندران لمدة ثمانية ايام، مطالبين بزيادة الاجور وبالرغم من ان العمال نالوا ما طالبوا به، الا ان منظمي الاضراب اعتقلوا وبقوا في السجن لغاية ١٩٤١[٢١٤].

٨-الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ايران قبيل الحرب العالمية الثانية

لم يطرأ أي تغيير على سياسة رضا شاه الشوفينية تجاه الشعوب غير الفارسية والاقليات الاخرى في البلاد. فان سياسة الاضطهاد القومي ظلت هي اللغة الوحيدة التي يتفاهم بها النظام القمعي مع الشعوب غير الفارسية. وقد استهدفت هذه السياسة الوجود القومي لتلك الشعوب. ففي عربستان، مثلا، استمر النظام في سياسة منع سكان المنطقة من العرب من التكلم بلغتهم القومية، وحظرت على الطلبة العرب في المدارس التخاطب باللغة العربية. وعممت اللغة الفارسية على كافة المدارس والدوائر الرسمية في المنطقة. كما حظر على افراد الدرك والجيش من العرب التحدث باللغة العربية. كذلك فرضت على اصحاب المخازن والمحلات التجارية ان تكون اللوحات المعلقة على واجهات محلاتهم مكتوبة باللغة الفارسية فقط[٢١٥]. بل ان السلطات عمدت وفي محاولة منها لطمس كل ما يرمز الى العرب،

---

[٢١٣] يذكر يرفند ابراهيميان في بحثه الموسم "عوامل القوة والضعف في الحركة العمالية" بان هذا الاضراب تم في عام ١٩٣٧ بينما في كتابه Iran between two Revolutions يحددها بعام ١٩٣٤ غير ان معظم المصادر تتفق على السنة الاخيرة.

[٢١٤] يرفند ابراهيميان، عوامل القوة والضعف في الحركة العمالية، ص ٧٣،

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 163.

[٢١٥] للتفاصيل راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية لشهر حزيران ١٩٣٥، الوثيقة رقم ٣٥-٣٦، الملف نفسه، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية، الوثيقة رقم ٢٨، الملف نفسه، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في خرم شهر الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٦، الوثيقة رقم ٧٣-٧٤، الملف

الى منع كلمة (الشيخ) او بيع الاسطوانات العربية في المحلات، ومنعت الغناء العربي في المقاهي. كما انها استمرت في عملية استبدال اسماء الاماكن والمناطق العربية باخرى فارسية[٢١٦]. واتبعت مختلف الوسائل لتجريد القبائل العربية من السلاح لضمان عدم وقوفها في وجه الممارسات التعسفية للسلطات[٢١٧]. ولغرض تفريس المنطقة شجعت الهجرة اليها. وقد اتبعت في ذلك اساليب ملتوية. فعلى سبيل المثال انها قامت بتأسيس (شركة وطنية) اخذت على عاتقها القيام بانشاء السدود وشق الترع وجلب المضخات لسقي الاراضي الزراعية. كل ذلك لتشجيع المزارعين من المناطق الاخرى على الهجرة الى عربستان والاستقرار فيها[٢١٨].

لقد ولدت تلك الممارسات استياء كبيرا في نفوس ابناء عربستان، ففي عام ١٩٣٦ ثارت قبائل بني طرف ضد ممارسات السلطة الفاشية، واستغل رضا شاه الفرصة فارسل قواته الى مدينة الخفاجية واطرافها المجاورة ونجح في قمع الحركة بعد ان بطش بزعمائها[٢١٩].

نفسه، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٦، الوثيقة رقم ٨٨، و. و. خ، صورة الكتاب السري من القنصلية الملكية العراقية في خرمشهر الى وزارة الخارجية العراقية آذار ١٩٨٣ حول منع التخاطب باللغة العربية في منطقة خوزستان، الوثيقة رقم ٩٦.

[٢١٦] للتفاصيل راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف رقم ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية في خرم شهر الى وزارة الخارجية العراقية لشهر مارت سنة ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٣١، م. و. و، ملفات البلاط الملكين الملف رقم ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في خرم شهر الى وزارة الخارجية العراقية لشهر مايس ١٩٣٧، الوثائق رقم ١٦١، و. و. خ، صورة الكتاب السري من القنصلية الملكية العراقية في خرم شهر المعنونة الى وزارة الخارجية العراقية المرقم ٤٤، والمؤرخ في ٢٤ شباط سنة ١٩٣٨ حول اللغة العربية في منطقة عربستان الايرانية، م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف رقم ت/٢/٥/١، تقرير المفوضية الملكية العراقية بطهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهر مايس ١٩٣٨، المرقم ٥٧٣/١٦٨ والمؤرخ في ٩/٦/١٩٣٨، الوثيقة رقم ١٤٤.

[٢١٧] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف رقم ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في المحمرة الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١٩٨.

[٢١٨] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في خرم شهر الى وزارة الخارجية العراقية لشهر مايس ١٩٣٧، الوثيقة رقم ١٦٤.

[٢١٩] تاريخ عربستان والوضع الراهن، وزارة الاعلام، مديرية الاعلام العامة بغداد، ١٩٧١، ص ٢٨.

ولم يختلف الوضع كثيرا بالنسبة للشعب الكردي في كردستان الايرانية. فان السياسة التي كانت متبعة في عربستان ومناطق اخرى تقطنها الشعوب غير الفارسية، تكررت في كردستان. فقد حاولت السلطات منع استخدام اللغة الكردية في المدارس والدوائر الحكومية، كما جرت محاولات قسرية لمنع ارتداء الملابس القومية. علاوة على تغيير اسماء العديد من المدن والقرى الكردية الى اسماء فارسية[٢٢٠]. وسيرا على المنوال الذي اتبعته السلطات الايرانية في سياسة التهجير التي مارستها في عهد رضا شاه فقد تم نقل اعداد كبيرة من ابناء عشائر كلباغي وجلالي وبيران وغيرهم الى سلطان آباد وكرمان وشيراز في العام ١٩٣٥. ولما كان نقل هؤلاء يتم في اسوأ الظروف، فقد لقيت اعداد كبيرة منهم حتفها في الطريق، لاسيما من الاطفال والنساء[٢٢١]. وقد وصفت وثيقة عراقية المعاملة التي كان يلقاها الاكراد على يد السلطات في ايران بالقول: "تعامل هذه الفئة من قبل السلطات التي بيدها الامر معاملة ملؤها الغلظة والاضطهاد مما يستدعيهم الى التذمر والاستياء..."[٢٢٢].

وحسبما تشير بعض المصادر فان السلطات الايرانية قامت بشنق ما لا يقل عن ١٢٠ كرديا داخل السجون في الفترة الممتدة بين عامي ١٩٣٤و ١٩٤٠[٢٢٣].

وامتدت سياسة التعصب القومي التي مارسها الشاه الى المجال الاقتصادي فعلى الرغم من ان اذربيجان وكردستان تحتلان الصدارة من حيث الانتاج الزراعي، فان السلطات اتبعت سياسة تمييز اقتصادي واضحة تجاههما. فمن مجموع ٤٠ معملا للغزل والنسيج، و ٨ معامل لصناعة السكر، وعدد كبير من المعالج ومعامل تنظيف الحبوب وصناعة السكائر، جرى تأسيسها خلال السنوات العشر الاخيرة من

---

[٢٢٠] د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ٢٥٥-٢٥٦.

[٢٢١] المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

[٢٢٢] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الاول ١٩٣٤، الوثيقة رقم ١٣٤-١٣٥.

[٢٢٣] للتفاصيل عن الممارسات الشوفينية للنظام البهلوي ضد اكراد ايران راجع:
R.Qazi, Kurdistan democrat Parriaci Iran Kirdis Taninda Kurd Khalginin Milli azadlig har akatinin rahbari Vu tashkilatici 1945-1946, Baku, 1954, pp. 107-111.

حكم رضا شاه لم يكن نصيب كردستان منها سوى معملين صغيرين لصناعة السكر[٢٢٤].

لم تسلم الاقليات الاخرى في ايران من السياسة الشوفينية التي مارسها الشاه، الامر الذي أدى الى زيادة مشاعر الاستياء بين صفوفها. فعلى سبيل المثال فان المدارس الارمنية منعت اولا من تدريس اللغات الاوربية بين صفوفها. وفي عام ١٩٣٨ فقدت اجازة التدريس تماما[٢٢٥]. وفي هذا الوقت قامت الصحف شبه الرسمية بحملة واسعة ضد الاقليات الارمنية والاثورية واصفة الارمن والاثوريين بانهم "مجرمون خطرون"[٢٢٦]. كما ان سياسة القهر الثقافي التي شملت جميع القوميات غير الفارسية، والتي تجلت في اغلاق المدارس ومطابع هذه الشعوب وفرض التفريس عليها قد ولدت حقدا مشروعا في نفوس ابنائها ما فتئت تراكماته ان تفجرت بعد سقوط الشاه في سلسلة من الانتفاضات والحركات.

وتجدر الاشارة الى ان الشاه في محاولته الرامية الى الغاء الطابع الوطني لجميع القوميات داخل البلاد ووسط اجواء الشعور القومي المتأججة، صرح في عام ١٩٣٤ بان اسم (ايران) سيحل محل فارس. وقد فسر الامر على ان الاسم الاخير له علاقة بالقاجار فقط في حين ان اسم ايران يرمز الى المجد التاريخي ومكان ولادة الجنس الاري[٢٢٧].

ووسط الاجواء نفسها صدر في عام ١٩٣٨ مرسوم حظر فيه استعمال اية لغة اجنبية في مخاطبة الدوائر الرسمية والتجارية، بما فيها الشركات والبنوك، سواء كانت اجنبية او وطنية[٢٢٨]. وفي وقت لاحق حظر على كافة الدوائر والمؤسسات

---

[٢٢٤] د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، ص ٢٥٦.

[225] E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 163.

[226] Ibid.

[٢٢٧] للتفاصيل راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف رقم ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الاول ١٩٣٤، الوثيقة رقم ١٣٠،

F.O., The Times, London, January 29-31, 1935, pp. 48; E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 143.

[٢٢٨] و. و. خ، كتاب من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية، رقم ٢٥/٧٢ في ١٩ شباط ١٩٣٨ حول استعمال اللغات الاجنبية في ايران.

الوطنية والاجنبية العاملة في ايران، بما فيها الشركات والبنوك، سواء كانت وطنية او اجنبية استخدام اللغات الاجنبية في كتابة لافتات واجهاتها. بل ان السلطات طلبت من شركة النفط الانكلو-ايرانية ابدال الانكليزية بالفارسية في واجهات بواخر النقل التابعة لها. وقد نفذت الشركة الطلب بدون تأخير[٢٢٩].

وتجدر الاشارة الى ان الافكار النازية والفاشية وجدت لها صدى كبيرا في اوساط العديد من الايرانيين، وشجع رضا شاه بدوره هذا التوجه[٢٣٠]. فقد كانت (النازية الالمانية) تقدم نموذجا ايديولوجيا لقومية الشاه السطحية، هذا من جهة ومن جهة اخرى كانت الدكتاتورية النازية تعطي دليلا على ان الحكم الفردي المطلق يمكن ان يخلق دولة قوية ومتقدمة، والمانيا خير مثال على ذلك[٢٣١]. وقد استغل النازيون هذه الميول، فتغلغلوا في شتى المجالات في داخل ايران. فمنذ منتصف الثلاثينات ارتفع حجم التبادل التجاري بين الطرفين حتى غدت المانيا تحتل مركز الصدارة في التجارة الخارجية الايرانية بحلول عام ١٩٣٩ حيث بلغت حصتها فيها حوالي ٤٠٪، تجاوزت بذلك حصة السوفيت الذين كانت لهم الصدارة حتى عام ١٩٣٦[٢٣٢]. وقد ترتب على هذا التغلغل الالماني ان وصل طهران عدد كبير من الفنيين والمستشارين الاقتصاديين الالمان. وغدت كثير من المشاريع الصناعية والمؤسسات تدار من قبلهم. كما زارت العديد من الوفود الاقتصادية الالمانية ايران، كان ابرزها زيارة الدكتور

---

[٢٢٩] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر شباط ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٩، الملف نفسه، التسلسل ٧٤٤- (وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في خرم شهر الى وزارة الخارجية العراقية لشهر مارت ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٣١.

[٢٣٠] كان رضا شاه يعتقد، ولم يكن معيبا في ذلك على اية حال، بان المانيا هي القوة المؤهلة اكثر من غيرها لخلق توازن مقبول تجاه النفوذين البريطاني والسوفيتي في ايران، علاوة على اعجابه الشخصي بالدكتاتور النازي، والنظام العسكري الالماني. انظر: عبدالهادي كريم سلمان، المصدر السابق، ص ٤٤-٤٥،

R.K.Ramazani, Irans Foreign Policy, 1941-1973, Virgina, 1975, p. 92.

[231] B.Jazani, Op. Cit., p. 16.

[٢٣٢] غ. وحيد مازندرانى، اقتصاد ملى وسياست اقتصادى ايران، از انتشارات: على جعفرى، ص ١٠٦،

T.Bryson, Op.. Cit., p. 472; G.Kirk, Ashort history of the Middle East, London, 1964, p. 254.

شاخت وزير الاقتصاد الالماني ورئيس بنك الرايخ الالماني[٢٣٣]. وقد ركز الالمان على الجانب الثقافي والسياسي، فقد انشأت العديد من المؤسسات الثقافية الالمانية التي تهتم بالدراسات الشرقية. وقد تضاعف هذا النشاط بانشاء الشركة الالمانية الايرانية التي كانت تقوم بالاشراف على مختلف المطبوعات التي تخص الدراسات الايرانية، علاوة على تنظيم المحاضرات والتبادل الثقافي بين الطرفين. وكان يتم التأكيد على التشابه القائم بين النهضة الالمانية في ظل النازية ونهضة الشرق، وتقارن بين رضا شاه وهتلر وتعتبرهما من الرجال العظام الذين سيخلدهم التاريخ. كما وصل عدد من الاساتذة الالمان للتدريس في الكليات الايرانية[٢٣٤]. وبدأ الالمان يؤكدون على العرقية الارية، وان ايران بلد الاريين، حتى ان حكومة الرايخ اصدرت في عام ١٩٣٦ قانونا اعفت فيه الايرانيين باعتبارهم من "العنصر الاري الخالص" من قوانين (نورمبرغ) العنصرية[٢٣٥].

كما زار وفد من منظمة الشباب النازي برئاسة بالدورفون شيراس طهران حيث اقيم استعراض للكشافة الايرانية التي كانت متأثرة بالنموذج النازي[٢٣٦]. وقد تضخم عدد الجالية الالمانية في ايران خلال السنوات الاخيرة في عهد الشاه بشكل ملفت للنظر حتى بات ينظر العديد من المراقبين الاجانب اليهم باعتبارهم (طابورا

---

[٢٣٣] للتفصيل راجع:

G.Kirk, The Middle East in the War, 1939-1946, London, 1952, pp. 130-132.

[234] G.Lenczowski, Russai and the West in Iran, pp. 159-160; S.N.Fisher, The Middle East. Ahistory, London, p. 473.

[٢٣٥] كان هتلر مسؤولا عن اصدار هذا القرار حيث حظر فيه على اليهود في المانيا ممارسة اي نشاط اقتصادي بعد ان كانوا يهيمنون على الحياة الاقتصادية في المانيا متهما اياهم بالتسبب في تدمير الاقتصاد الالماني خلال سنوات الحرب العالمية الاولى. وقد اعفيت ايران من هذه القوانين لاسباب سياسية كانت لاتخفى على احد. للتفاصيل راجع:

Akten Zur Deutschen Auswartingen Politik 1918-1945, Serie D (1937-1935) Band V, Juni 1937-Marz 1939, Mcmi III, Baden-Baden, p. 772.

[236] F.O., 371/21896, 02/797, From British Legation, Tehranto F.O., February/8, 1938; F.O., 371/2/400, E3/91/2334/34, From S.W.F.O. to H.Seymour, Hune 1, 1938, p. 50.

خامسا) للدعاية النازية في ايران والمنطقة[237]. وقد انعكس هذا النشاط الالماني في الاوساط الايرانية في الدعاية الواسعة لافكار البان ايرانية (الجامعة الايرانية) المتضمنة روح التوسع والتعصب الشوفينيين والموجهة برأي اصحابها (الفرس) لاقامة الوحدة القومية في البلاد[238]. ولم تكن هذه الافكار موجهة نحو تشويه تاريخ الامبراطوريات الايرانية القيمة فقط، بل استهدفت ايضا تأكيد النظريات العنصرية حول الروح الارية التي كانت تبثها النازية الالمانية[239]. وبغية جعل كل قنوات الفكر والثقافة تحت السيطرة القمعية للشاه تم تأسيس (المكتب المركزي لتوجيه الرأي العام) في العام ١٩٣٦ في طهران لتكون ماكنة دعاية تردد شعارات الحكومة وبوقا لتمجيد النظام[240].

وبمبادرة من النظام تم تأسيس منظمات بوليسية مختلفة وجمعيات ونواد "بهدف جمع الشبيبة الايرانية بين جدرانه وبث روح القومية فيهم"، وجمعيات لها اصداراتها مثل (برورش افكار) (تربية الافكار) و (ايران باستان) (ايران القديمة) وغيرها[241].

وكانت السنوات الاخيرة من عهد الشاه حبلى بكثير من التطورات الاقتصادية والاجتماعية، فان محاولات الشاه الطموحة في تحديث الاقتصاد واعادة تنظيم المجتمع على اسس حديثة قد افرزت نتائج مهمة، بيد ان اغلبها وقع عبئها على كاهل الطبقات الفقيرة. وبات الفلاحون والعمال والبرجوازية الصغيرة يعانون معاناة خاصة. فان نظام الضرائب غير العادل كان يأتي على مداخيلهم اكثر من اية فئات اخرى. ففي العام ١٩٣٩، مثلا كان ١١٪ فقط من دخل الحكومة من الضرائب تأتي من ضريبة الدخل في حين ان مصدر ٧٠٪ من دخلها الضريبي كان يأتي من

---

237 "Document on German Foreign Policy", 1918-1945, Vol. KIII, Washington, 1964, p. 33; G.Kirk, The Middle East in the War, p. 132.

238 "Sovremenay Iran", p. 43.

239 Ibid.

240 G.H.Razi, Genesis of Party in Iran: Acase Study of the intera Ction. Between the Political System and Political Parties, p. 71; S. L. Agaev, Iran: Vneshnaya Politica, P. 244; B. M. Borthwick, Op. Cit., p. 212.

٢٤١ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف رقم ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٢-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر ايار ١٩٣٥، الوثيقة رقم ٩، S.L.Agaev, Iran: Vneshnaya Politica…, p. 244.

الضرائب والرسوم المفروضة على اسعار الحاجيات الاستهلاكية الاساسية لاعداد غفيرة من ابناء الشعب[٢٤٢]. واشرت هذه السنوات ارتفاع تكاليف المعيشة من معدل ١٠٠٪ في عام ١٩٣٦ الى ١٤٠٪ في نهاية عام ١٩٣٩و ٢١٨٪ في عام ١٩٤١، وقد نتج ذلك بالاساس عن تدهور القوة الشرائية، علاوة على موسم القحط الزراعي في بعض السنوات[٢٤٣].

ففي اواسط الثلاثينات كان دخل العامل في المعدل يبلغ ٣,٥ ريالا، وفي افضل الاحوال كان هذا الرقم يرتفع الى ٥ ريالات كما كان عليه الامر بالنسبة للنساجين، فيما كان سعر الرطل الواحد من الخبز يومذاك يبلغ ٠,٢٥ ريال، ولحم الضأن ١,٦ والرز ٠,٧٤ والزبد ٣,٠٨ والدجاجة الواحدة حوالي ٤ ريالات، لذا تبين وفق تحقيق جرى بهذا الخصوص ان اسرة عامل تتكون من ٥ افراد او اكثر كانت تنفق اكثر من ٠,٥٧ من دخلها على الطعام وحده[٢٤٤]. وقد رافق انخفاض القدرة الشرائية تضخم شديد نتيجة الصرفيات الهائلة في مجال الاستثمارات الصناعية والجيش بحيث اضطرت الدولة الى ان توقف مصروفاتها في عام ١٩٣٨ للسيطرة على التضخم رغم ان هذا الامر لم يسفر عن نتيجة تذكر[٢٤٥]. وكان هذا التضخم الذي رافقه تصاعد سريع في الاسعار، يستنزف في معظمه رواتب واجور الفئات الفقيرة والمتوسطة[٢٤٦].

ووصولا الى اواخر الثلاثينات كان الاقتصاد الايراني، الهزيل اساسا، قد وصل مرحلة الانهاك تماما، وبنشوب الحرب العالمية الثانية كان قد اعلن افلاسه بشكل جلي وواضح[٢٤٧]. ومع تفاقم مشاكل الغلاء وانخفاض القدرة الشرائية للاغلبية الساحقة من الايرانيين، بدأت الحاجيات الحياتية الضرورية تختفي من الاسواق. ولم

---

[242] H.Amirsadeghi, Op. Cit., p. 178; A.Katouzain, Op. Cit., p. 114.

[٢٤٣] ز. ى. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٢٧٢.

E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 148.

[٢٤٤] ز. ى. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٢٧٢

[245] R.Wilson, Op. Cit., p. 3; N.R.Keddie, Iran Religion, Politics and Society, p. 101.

[246] H.Amirsadeghi, Op. Cit., p. 178.

[247] Ibid.

يكن ذلك ناجما فقط عن ظروف طبيعية قاهرة، بل انها نجمت ايضا عن قرار السلطات بتصدير قسم كبير من المنتوجات الزراعية الاساسية للمواطنين. فان تصدير الحنطة والسمن مثلا الى الاتحاد السوفيتي كان يؤدي دوما الى ارتفاع اسعار هذه الحاجيات الاساسية[٢٤٨] بحيث ان السلطات كانت تضطر احيانا للتدخل، ومعالجة الوضع عن طريق تخفيض الاسعار، خوفا من ان "يؤدي شعور الاستياء والسخط الى مالا تحمده عقباه"[٢٤٩] وتصف وثيقة عراقية الوضع الذي كانت تعيشه الاغلبية السابقة من الايرانيين كما يلي: "واما المتوسطون والفقراء فحدث ولاحرج عما هم به من الضيق والفاقة خاصة بوقوف الكثير من مصانع السجاد عن العمل وهبوط مسار الغلة والفاقة، واثقال كاهل الفرد بالضرائب الباهظة وعليه فان نسبة العاطلين هنا آخذة بالازدياد"[٢٥٠]. وبلغت هذه الحالة من الشدة بحيث ان حوادث هروب جنود الحكومة نفسها كانت تتكرر بشكل ملفت للنظر، علاوة على حوادث الشغب التي كانت تنشب بين فترة واخرى تعبيرا عن استياء الجنود من قلة الراتب (وسوء الاعاشة)[٢٥١].

ولم يكن غريبا ان تفاقمت في اواخر عهد الشاه ظاهرة السوق السوداء وحوادث النصب والاحتيال والتهريب بحيث غدا اشتراك كبار رجال الدولة في مثل هذه الامور

---

[٢٤٨] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر تشرين الاول ١٩٣٦، الوثيقة رقم ١، م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف رقم ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر ايلول ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٦٠.

[٢٤٩] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف رقم ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٦-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آب، المرقم ٣٦٩ والمؤرخ في ١٨/٩/١٩٤٠، الوثيقة رقم ٢١٤.

[٢٥٠] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١٧٦، الملف نفسه، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية الوثيقة رقم ٦٨، الملف نفسه، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٦، الوثيقة رقم ٩٠-٩١.

[٢٥١] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الاول ١٩٣٤، الوثيقة رقم ١٣٤.

شيئا مألوفا[٢٥٢]. ترافق ذلك كله مع تفسخ الجهاز الاداري البيروقراطي المتخلف الذي تحمل جزء غير قليل من مسؤولية ما آلت اليه اوضاع البلاد. وكان انتشار الرشوة والتسيب ومظاهر الفساد والاثراء غير المشروع شيئا مألوفا في اوساط هذا الجهاز بشكل اثار استياء الايرانيين الى حد كبير[٢٥٣]. كذلك اتجه ضباط الجيش وكبار قادته، والذين كانوا موضع تدليل رضا شاه ورعايته، الى استثمار الاراضي الزراعية والعقارات ومزاولة التجارة، وكان ذلك يتم في اغلب الاحوال على حساب المواطنين، لاسيما في الاقاليم[٢٥٤]. يضاف الى ذلك ان قبضة الحكم الدكتاتورية قد نجحت، والى حد كبير، في كتم انفاس المعارضة على الرغم من انها لم تستطع القضاء عليها تماما. فكثيرا ما كانت السلطات تجد شعارات مناوئة على الجدران او منشورات سرية تظهر بين الفينة والاخرى حتى بين بعض موظفي الحكومة نفسها[٢٥٥]. لابل ان ارهاب السلطة امتد حتى الى جوانب من حياة المواطن الشخصية. ففي كرمنشاه، مثلا، عمدت السلطات المحلية الى ختم اجهزة المذياع العائدة للاهالي بالرصاص لمنعهم من الاستماع الى الاذاعات الاجنبية[٢٥٦].

وفي الوقت الذي كان الشاه في سنواته الاخيرة، قد غدا هو (كل شيء) حسب تعبير وثيقة عراقية، وبعد ان نجح في جعل جميع الاتجاهات تنقاد نحو عرشه، فانه كان

---

[٢٥٢] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤١-وع، تقرير من القنصلية الملكية العراقية في تبريز الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٥، الوثيقة رقم ١٨٨.

[٢٥٣] للتفاصيل راجع: م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في خرمشهر الى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان ١٩٣٦، الوثيقة رقم ٧٠، م. و. و، الملف نفسه، التسلسل ٧٤٤-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهري تشرين الثاني وكانون الاول، ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٨٥، علي محمود الشيخ علي، محاكمتنا الوجاهية، بيروت، بلا، ص ١٧.

[254] Y.Amrajani, Op. Cit., p. 353; H. Amirsadeghi, Op. Cit., p. 178.

[٢٥٥] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في خرم شهر الى وزارة الخارجية العراقية لشهر آذار ١٩٣٩، الوثيقة رقم ٣٠.

[٢٥٦] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٤٣-وع، تقرير سري من القنصلية الملكية العراقية في كرمنشاه الى وزارة الخارجية العراقية لشهر كانون الثاني ١٩٣٧، الوثيقة رقم ٢٣٤.

قد اصبح اكثر عزلة عن المجتمع وعما يجري فيه[٢٥٧]. وكانت تستبد به شعور الريبة، والذي امتد ليشمل كل شيء. فرغم ثقته المطلقة بمتانة اسس نظامه، فان الجالس على العرش البهلوي كان يتوجس دوما من مكيدة تدبر له، او مؤامرة تحاك خيوطها في الخفاء[٢٥٨]. وفي عزلته الكئيبة تلك كان اكثر تعطشا للثراء، واكثر نهما لجمع المال بطرق واساليب مشكوك فيهما. وعندما توفي، لم يكن فقط اكبر مالك للاراضي في تاريخ البلاد، ولكنه كان يملك ايضا العديد من المصانع[٢٥٩] والفنادق[٢٦٠]. وبذا كان قد "عرض على شعبه مثالا شخصيا من الفساد المطلق"[٢٦١] حسبما وصفه ملسبو. واثناء ذلك كان رضا شاه قد احاط نفسه بمجموعة من المستشارين المتزلفين الذين كانوا ينقلون اليه صورة وردية عن اوضاع البلاد.

وعلى الرغم من انه كان يحاول ان يثبت دائما انه فوق مستوى الخداع، الا ان مستشاريه وبطانته قد نجحوا في ايهامه بانه يسيطر على تلك الاوضاع التي كانت في حقيقتها تمور بشتى التناقضات والتراكمات التي افرزتها وطأة الحكم الدكتاتوري، والتي ما لبثت ان تفجرت في اواخر عهد الشاه[٢٦٢]. ولم يلعب غرور الشاه وثقته المفرطة في نفسه والتي كانت تصل حد الغطرسة دورا قليلا في ذلك. فالشاه الذي كان يراوده اعتقاد جازم بانه "لم ينتصر على مجموع من فلول جيش ايراني متفسخ بل على جميع اوربا"[٢٦٣] حسبما وصفته وثيقة عراقية، قد جعلته هذه الثقة المتناهية بقدراته، ومزاجيته غير الطبيعية، رغم حذره، يفشل احيانا في تقدير

---

[257] H. Sharabi, Op. Cit., p. 83; James A.bill, The Politics of Iran Groups, Classes and Modernization, Columbus, Chio, 1972, p. 133.

[258] William H.Sullivan, Mission to Iran, New York, London, 1981, p. 94.

[٢٥٩] يذكر احد معاصري رضا شاه ان وديعة قدرها ٢٠ مليون دولار كانت موضوعة في الحساب المصرفي الخاص به. ز. ی. هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٢٧٢.

[260] H.Sharabi, Op. Cit., p.; Y.Armajani, Op. Cit., p. 335.

[261] A.C.Millspaugh, Americans in Persia, p. 37.

[٢٦٢] والتر لاكور، المصدر السابق، ص ١٧٨،

Ibid.

[٢٦٣] م. و. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ت/٢/٥/١، التسلسل ٧٣٨-وع، تقرير من المفوضية الملكية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية العراقية لشهري ايلول وتشرين الاول ١٩٣١، الوثيقة رقم ١٦٧.

الموقف الصحيح واتخاذ القرار الصائب[٢٦٤]. وفي الصفة التي كانت تكلف البلاد احيانا الكثير، وكلفته عرشه في نهاية المطاف[٢٦٥]. هذا التسلط الدكتاتوري، وهذا القمع والعنف اللذين استخدمهما للسيطرة على المعارضة الطبقية والقومية، جعلت اوساطا عديدة من الايرانيين، والاوربيين تتساءل عما اذا كان هذا الاضطهاد سيدوم طويلا، او ان الضباط الشباب سيلجأون الى قلب النظام، او ان القسر الاجتماعي سيؤدي عاجلا ام آجلا الى ثورة دموية[٢٦٦]. وكان الشاه اثناء ذلك قد بدأ يفقد دعم الجميع. فان استبداديته قد اثارت عليه التيار الليبرالي-الديمقراطي، كما ان حملته (الاصلاحية) اثارت ضده العناصر الاقطاعية والرجعية وكبار رجال الدين[٢٦٧]. وتكشف التقارير البريطانية التي كانت تصف الاوضاع الداخلية الايرانية آنذاك، حقيقة الوضع الذي آل اليه حكم الشاه. فقد كتب الوزير المفوض البريطاني الى وزارة خارجيته قائلا ان" "الشاه قد اصبح موضع كره عام ولا يستطيع ان يعتمد على مساندة تامة من جيشه وأي حركة لازاحة الشاه او حتى امبراطوريته ستكون شعبية ومطلوبة، ومعظم الناس في ايران سيرحبون بثورة، مهما كان هدفها"[٢٦٨].

اما الملحق الصحفي البريطاني فقد كتب في تقرير له بعثه الى لندن بان "الغالبية العظمى من الناس تكره الشاه وسترحب باي تغيير. وبالنسبة لمثل هؤلاء

---

264 F.O., 371/24510, Tel. No. 1, From R.Bullard to F.O., January 1, 1940, p. 333; R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, p. 304.

٢٦٥ تجلى هذا الامر خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، حينما فشل الشاه في تقدير مواقف الاطراف الدولية، فضلا عن موقف بلاده الحقيقي وقدراتها الفعلية. فاعلن بمنطق لايخلو من اندفاع ساذج بان جيشه مستعد ليحارب الانكليز والروس معا اذا تطلب الامر، وفي الوقت نفسه فشل في فهم النوايا الحقيقة للالمان تجاه بلاده، ووثق علاقاته بهم، وفتح ابواب البلاد امامهم الى الحد الذي اثار ضده الانكليز والسوفيت، فغزت قواتهما بلاده، واجبرته على التنازل عن العرش، للتفاصيل راجع:
"Documents on German Foreign Policy, 1918-1945", Vol. XI, Washington, 1961, p. 178; "Documents on German Foreign Policy, 1918-1945", Vol. XIII, p. 104; R.K.Ramazani, The Foreign Policy of Iran, 1500-1941, pp. 28, 294.

266 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 164.

267 Paul Balta et Claudine Rulleau, Op. Cit., p. 114.

268 E.Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 164.

الناس حتى انتقال الحرب الى ايران يبدو افضل من استمرار هذا النظام فيه"[269]. بيد ان تلك التساؤلات، والتوقعات قد انتهت جميعها بالغزو الانكلو-سوفيتي لايران، وخلال ثلاثة اسابيع كان الشاه قد كتب وثيقة تنازله عن العرش لصالح ابنه محمد رضا بهلوي في السادس عشر من ايلول ١٩٤١، وغادر على اثرها طهران الى جزيرة موريشيوس على متن بارجة انكليزية، حتى حط به الرحال في جوهانسبورغ، في جنوب افريقيا حيث توفي[270] بعد سنوات[271]. وقد قيم الوزير المفوض الامريكي في طهران عملية تنازله عن العرش وموته في المنفى قائلا: "... طاغية وشرير في سنواته الاخيرة، سقوطه من السلطة وموته فيما بعد في المنفى لم يتأسف عليهما احد"[272]. وبتنازل رضا شاه عن العرش كان قد اسدل الستار على فصل مثير في التاريخ الايراني. كانت لشخصية رضا شاه، ودوره الفاعل في صنع احداثه، اثر كبير في وسم تلك الفترة بطابع خاص. وعن تنازل رضا شاه وصف احد المحللين، بهدوء، هذا الامر قائلا: "العديد من المثقفين يدركون بان ايران كانت في عهده تحت هيمنته، وربما ان كثيرا من التقدم الذي احرزته ايران كان بسبب قسوته. ليست هناك رغبة لدى احد للرجوع الى ذاك العهد، بيد انه في الوقت نفسه، فان الجميع يرغبون في المحافظة والاستمرار على ما بدأه هو"[273].

وعلى اية حال، فان شخصية رضا شاه من الشخصيات المثيرة للجدل والتي تباينت بشأنها الاراء، بل وتناقضت احيانا. ففي الوقت الذي اعتبره فيه البعض واحدا من اغنى الشخصيات في التاريخ الايراني، اعتبره آخرون مغامرا لايمكن مقارنته مع مصطفى كمال اتاتورك[274]. بيد ان الشيء اليقين ان ايران قد شهدت في ظل حكمه تغييرات وتحولات مهمة على الصعيدين الداخلي والخارجي، كانت التطورات الداخلية مدار بحث دراستنا الاكاديمية هذه.

---

[269] Ibid, pp. 164-165.

[270] توفي رضا شاه في عام ١٩٤٤، ودفن في القاهرة لغاية عام ١٩٤٩ حينما تقرر نقل جثمانه الى ايران، حيث دفن في ري بالقرب من طهران.

[271] Annette donckier de donceel, Op. Cit, p. 41; par Jean Larteguy, Op. Ci.t, p. 140.

[272] E. Abrahamian, Iran between two Revolutions, p. 165.

[273] H.Amirsadeghi, Op. Cit., p. 50.

[274] H.Sharabi, Op. Cit., p. 83.

الخاتمة

تكشف المعلومات الواردة بين دفتي الرسالة ان ايران شهدت في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية تركت اعمق الاثر في المجتمع الايراني، نجم عنها افول النظام القاجاري، وسقوطه فيما بعد، ومهدت السبيل امام شخصية عسكرية طموحة هو الكولونيل رضا خان لتأسيس نظام حكم جديد.

لم يأت تأسيس الاسرة البهلوية عفويا، فقد التقت مصالح جهات عديدة، داخلية وخارجية اقتضت مصلحتها اجراء مثل هذا التغيير. فالبرجوازيون الجدد، ولاسيما التجار منهم، والملاكون شبه الاقطاعيين، اصبح لهم وزنهم الملموس في المجتمع الايراني، وبدأوا يبحثون لهم عن مواقع جديدة ومؤثرة في تركيب السلطة يتناسب مع حجمهم ودورهم الجديد. كما ان الاوضاع الداخلية المتفاقمة، والزخم الثوري الذي تزايد بشكل كان يعصف بالمخططات البريطانية في ايران والمنطقة. كل هذه العوامل صبت في الاطار الذي حتم مثل هذا التغيير في ايران.

ولعل من قبيل الغلو والمبالغة اتهام رضا خان بانه كان عميلا للانكليز. فعلى الرغم من ان الانكليز لعبوا دورا غير مباشر في مجيئه الى العرش، وعلى الرغم من ان المصالح البريطانية قد روعيت في عهد رضا شاه بشكل افضل من السابق، فانه استطاع في مناسبات عديدة وبمناورات ذكية انتزاع بعض المواقف منهم لصالح بلاده بيد انه لم يكن يستطيع تجاهلهم كلية، وكان ذلك مرتبطا والى حد كبير، بميزان القوى العالمي الذي كان يميل الى الانكليز كقوة كبرى لها وزنها وسطوتها في ايران والمنطقة.

وعلى الرغم من ان رضا شاه لم يكن ذا ثقافة عالية ومعرفة واسعة بالعالم، كما انه لم يكن صاحب نظريات سياسية او مناهج محددة، فانه انطلق لتحقيق برنامج اصلاحات استهدف من خلالها تحقيق خلق دولة قومية موحدة وفرض هيمنته على مقدرات البلاد. ولئن نجح رضا شاه في تحقيق بعض اهدافه فان ذلك قد جاء على حساب شعبه. فان اداة تنفيذ الاصلاحات كانت دون مستواها، وفي اهدافها

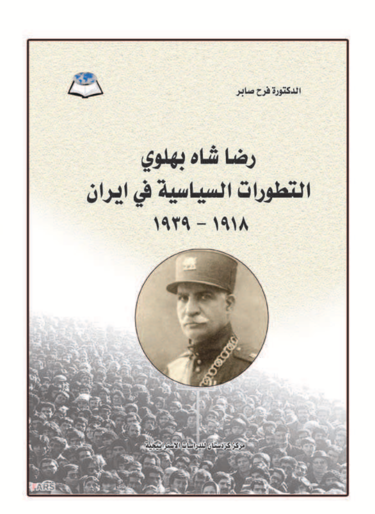
ونتائجها خدمت شرائح محدودة من المجتمع، فضلا عن ان المركزية الشديدة التي فرضتها الدولة على الاقتصاد، نجم عنها ازمات دورية عانى منها اقتصاد البلاد، علاوة على التضخم وارتفاع الاسعار، وهي امور مست الفئات الاجتماعية الفقيرة والمتوسطة اكثر من غيرها. كل ذلك قلل من القيمة الحقيقية لتلك الاصلاحات التي كان مردودها الاجتماعي دون المستوى المطلوب. فلم يكن التحديث الذي كان رضا شاه يرنو الى تحقيقه يهدف الى تغيير المجتمع جذريا، لذا لاغرو في ان العديد من اصلاحاته قد انهارت بعد ذهابه مباشرة.

وبقدر ما كانت الدولة البهلوية قوية بقدر ما كانت تحمل بذور ضعفها في داخلها. فان محاولات الشاه المستميتة من اجل تحقيق تلك الاهداف دفعته الى التطرف في الوسائل والاساليب التي اعتقدها ضرورية في هذا المجال. ففي دولة ذات واقع قومي ملتهب دوما بحكم تعدد قومياتها غير المتجانسة ماكان لرضا شاه ان ينجح في ان يحمل اليها توحيدا قسريا تحت سمة (التوحيد) القومي، والتمسك بقومية عنجهية، دون ان يكون ذلك على حساب الحقوق المشروعة لهذه القوميات التي عانت اضطهادا شديدا في عهده نتيجة الممارسات الشوفينية ضدها. وما كان توطين البدو ليتم، دون اللجوء الى ابادة عشائر بكاملها وحرمان اخرى من موارد رزقها. وهي امور كان يمكن تحقيقها بوسائل اخرى.

وضمن هذا الاتجاه شهد عهد رضا شاه تراجعا واضحا للحركة الديمقراطية في البلاد. ترافق ذلك كله مع تفسخ الجهاز البيروقراطي، والاعتماد المتزايد على الجيش الذي غدا اداة النظام الرئيسية لكتم انفاس المعارضة وفرض هيمنة الشاه. مضافا الى ذلك القسر القومي والسياسي والاجتماعي الذي عانته شتى الفئات والطبقات، علاوة على طغيان الدكتاتور البهلوي، الذي بات يطال الجميع، واستبداديته التي جعلته الصانع الوحيد للقرارات في ايران، في ظل غياب اي تفاعل بين الحاكم وجماهير شعبه بعد ان جعل قنوات الاتصال معها تتم عبر مجموعة من الاعوان المتزلفين الذي ساهموا في زيادة الهوة التي تفصل الشاه عن شعبه، مصورين له، وكان ذلك يشبع غروره وغطرسته الفائقتين، متانة اسس نظامه في الوقت الذي كان الاختلال السياسي والاجتماعي للمجتمع الايراني واضحا.

ولئن كانت المقارنة ترد دائما بين رضا شاه وبين مصطفى كمال اتاتورك، بطله ومثله الاعلى، فان تلك المقارنة لن تكون في صالح رضا شاه على اية حال. فعلى الرغم من ان الاثنين استهدفا تحويل مجتمعاتهما التقليدية، متعددة الهويات الى مجتمعات حديثة تعتمد اسس الحضارة الغربية فانهما يختلفان في جوانب اساسية. فقد كانت غربية اتاتورك عميقة الجذور، تستند الى دعم المثقفين الذي انخرطوا في قنوات الحزب الجمهوري، مع اعتراف بشرعية المؤسسات البرلمانية. في حين ظلت غربية رضا شاه سطحية، فقدت دعم المثقفين لها، في ظل الغياب الفعلي لحزب ايديولوجي او قاعدة جماهيرية تستند اليها. فقد ظلت الدولة البهلوية دولة طغيانية في جوهرها وعلاقاتها، غربية في طلائها الخارجي. وعلى الرغم من ان البناء السياسي الذي شيده رضا شاه والذي يبدو، لغير المتفحص على الاقل، مستقرا ومتينا مقارنة مع البنى السياسية التقليدية للنظام القديم، وعلى الرغم من مؤسساته المثيرة للاعجاب، فان النظام البهلوي لم يمتلك قاعدة اجتماعية واضحة، وظل يفتقد اسسا حضارية عميقة يستند عليها، لذا بقي رضا شاه وحيدا في الميدان في اقسى تجربة مر بها.

الفهرست


الدكتورة فرح صابر
رضا شاه بهلوي
التطورات السياسية في ايران
١٩١٨ - ١٩٣٩
مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية
ARS



(4000) دينار